





**الدكتور سعد بشير أسكندر**

**من التخطيط الى التجربة  
سياسة بريطانيا العظمى  
تجاه مستقبل گردستان**

**١٩٢٣-١٩١٥**



**بنكمي زين  
السليمانية ٢٠٠٧**

۶۸۴ أَسْكَنْدُر، سَعْدُ بْشِير

من التخطيط الى التجربة: سياسة بريطانيا العظمى تجاه مستقبل  
كردستان (١٩١٥-١٩٢٣) /تأليف سعد بشير أسكندر.-  
السليمانية، بنكوي ثين، ٢٠٠٧.

٣٨٤ ص: ١٧,٥ × ٢٥ سم، خرائط. - (المسلسل؛ ٧٠)

١- كردستان- تاريخ ٢- كردستان- الأحوال السياسية

٣ - العنوان

أعدت المكتبة العامة في السليمانية البيانات الأولية للتصنيف والالفهرسة الأولية

مشرف المطبوعات: صديق صالح

التسلاسل:

# الكتاب: من التخطيط إلى التجربة، سياسة بريطانيا العظمى تجاه مستقبل كردستان (١٩٢٣-١٩١٥)

المؤلف: الدكتور سعد بشير أسكندر

التصميم: لاس

تصميم الغلاف: قادر ميرخان

خط الغلاف: أحمد سعد

١٠٠٠ النسخة عدد

السع : ٦٠٠٠ دينار

٢٠٠٧ لـسنـة ٧٣٠ الـإـبـدـاعـ،

مكان الطبع: السليمانية، مطبعة شقان

## عنوان الأطروحة بالإنكليزية: Great Britain and the Future of Kurdistan: From Planning to Partition 1915-1923

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو جزء منه أو توزيعه في نطاق إعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطى مسبق من الناشر.

منشورات

بنکھی ڈن

لإحياء التراث الوثائقي والصحفي الكردي

إقليم کردستان: اندازیاران، محلا ۱۰۵، زقاق ۵، الدار ۲۳

الارضي: ٣١٢٩١٠٢ آسيا: ١١٢٨٣٠٩ او ٧٧٠١٤٦٤٨٣٣ . سانا:

E. Mail: bnkaizhin@yahoo.com ۱۴ ص. ب :

## المحتويات

١١	<b>المقدمة</b>
٢٣	(الكرد وكردستان: بين الماضي والحاضر)
<b>الفصل الأول</b>	
٣٥	من مخططات التجنّة البريطانية في زمن الحرب إلى الاحتلال البريطاني لكردستان الجنوبيّة
٣٦	- الخلفية التاريخية: موقع كردستان في سياسات بريطانيا العثمانية والقاجارية لمراحل ما قبل الحرب
٣٦	١- القرن التاسع عشر: بريطانيا وبروز النزعة القوميّة الكرديّة
٤٧	٢- بداية القرن العشرين: إشتداد المنافسة بين القوى الأوروبيّة حول مجالات النفوذ السياسيّة والاقتصاديّة
٥٢	- موقع كردستان في مخططات بريطانيا الامبراليّة: من لجنة بونسن إلى اتفاقية سايكس-بيكو الثلاثيّة
٥٢	١- توصيات لجنة بونسن لعام ١٩١٥
٦٢	٢- مراسلات حسين - مكمahon واتفاقية سايكس - بيكو
٦٩	- الاحتلال البريطاني لكردستان الجنوبيّة، ١٩١٨-١٩١٧
٦٩	١- بريطانيا والشؤون الكرديّة عُشّية وقوع الحرب العالميّة الأولى
٧٣	٢- اندلاع الحرب العالميّة الأولى والوضع الكردي
٧٨	٣- الشّيخ محمود الحفيـد والتقدـم البريطاني نحو كردستان الجنوبيّة
٨٤	- خاتمة الفصل
<b>الفصل الثاني</b>	
٨٧	السياسة البريطانيّة في كردستان الجنوبيّة: تشرين الأول ١٩١٨ - آب ١٩٢٠
-	
٨٩	السيطرة البريطانيّة غير المباشرة وتشكيل دولة الحكم الذاتي في كردستان الجنوبيّة: الملابسات والغايات
٩٧	- نهاية دولة الحكم الذاتي الكرديّة: الظروف والغايات
٩٧	١- موافق الموظفين البريطانيين الميدانيين
١٠٣	٢- التفسيرات البريطانيّة في مواجهة التفسيرات الكرديّة عن الدولة الكرديّة
١١٥	- موافق لندن تجاه شؤون كردستان الجنوبيّة

- عواقب فرض الحكم البريطاني المباشر على كُردستان الجنوبية بالنسبة إلى المسألة الْكُرديَّة	١٢٢
- خاتمة الفصل	١٢٦
<b>الفصل الثالث</b>	
مواقف الموظفين البريطانيين العيدانيين تجاه المسألة الْكُرديَّة بين عامي ١٩١٨ و ١٩٢٠: التأثيرات و ردود الأفعال	١٣١
- مواقف كولونيل ويلسون تجاه المسألة الْكُرديَّة بين عامي ١٩١٨ و ١٩٢٠	١٣٢
١- أصول تفكير ويلسون	١٣٢
٢- إدارة ويلسون للشؤون الْكُرديَّة خارج كُردستان الخاضعة للسيطرة البريطانية	١٣٥
٣- مخطط ويلسون بشأن مستقبل كُردستان في إطار التسوية السلمية التركية	١٣٩
- تعامل الميجر نوئيل مع المسألة الْكُرديَّة، ١٩٢٠-١٩١٨	١٤١
١- أصول تفكير نوئيل	١٤١
٢- نوئيل ووضع حل جديد للمسألة الْكُرديَّة ضمن إطار التسوية السلمية التركية	١٥٠
- ردود فعل السلطات البريطانية في الشرق الأوسط إزاء آراء ويلسون ونوئيل بشأن مستقبل كُردستان	١٥٦
١- المفوضية السامية البريطانية في القاهرة والشأن الْكُرديَّة	١٥٦
٢- المفوضية السامية البريطانية في اسطنبول	١٦٠
<b>خاتمة الفصل</b>	١٦٣
<b>للفصل الرابع</b>	
الابعاد الإقليمية لسياسة بريطانيا الْكُرديَّة، ١٩٢٠-١٩١٨	١٦٧
- القوميون الْكُرد والتسوية السلمية التركية، ١٩٢٠-١٩١٩	١٦٨
- تطور سياسة بريطانيا الْكُرديَّة على ضوء الطموحات السياسية للأرمنية وبقية المسيحيين، ١٩٢٠-١٩١٨	١٧٩
١- مواقف الدوائر البريطانية المبكرة	١٧٩
٢- حسم المسألة الأرمنية والموقف البريطاني الجديد من مستقبل كُردستان	١٩٠
٣- بنود معاهدة سيفر ومستقبل كُردستان وارمينيا	١٩٥
٤- ردود الفعل البريطانية تجاه الاتفاق الْكُردي-الأرمني	١٩٧
- العامل الشريفي - الميزوبوتامي في السياسة البريطانية تجاه كُردستان الجنوبية، ١٩٢٠-١٩١٨	٢٠٠
١- الاحتلال البريطاني وقضية تحديد علاقة كُردستان الجنوبية بميزوبوتاميا	٢٠٠

٢- مساعي الشريفيين في تحقيق ادعائهم الاقليمية في كُردستان الجنوبية في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب	٢٠٦
- خاتمة الفصل	٢١١
<b>الفصل الخامس</b>	
السياسة البريطانية تجاه مستقبل كُردستان في مؤتمر سان ريمو: بنود معاهدة سيفر (آب ١٩٢٠)	٢١٣
- أهمية كُردستان الجيوسياسية والاقتصادية وحدود اهتمامات بريطانيا المباشرة وغير المباشرة	٢١٤
- تبلور الاهداف البريطانية في كُردستان	٢١٨
- مضامين بنود سيفر على ضوء الاهداف البريطانية	٢٢٦
- المصالح الامبرialisية الفرنسية وسياسة بريطانيا الكردية	٢٢١
- المطامع الاقليمية الإيرانية وسياسة بريطانيا الكردية	٢٢٩
- خاتمة الفصل	٢٤٤
<b>الفصل السادس</b>	
كُردستان الجنوبية تحت الانتداب البريطاني في ميزوبوتاميا: من الانفصال الى الاندماج، خريف ١٩٢٠-خريف ١٩٢٣	٢٤٧
- ظهور بديلين في السياسة البريطانية خلال كونفرانس القاهرة: كيانان منفصلان في مواجهة دولة أحادية	٢٤٨
- سياسة كوكس الكردية بعد انتهاء كونفرانس القاهرة	٢٥٢
- أسلوب تعامل تشرتشل مع مسألة مستقبل كُردستان الجنوبية	٢٥٩
- تشكيل الحكومة الكردية الثانية في خريف عام ١٩٢٢: الملابسات والغايات	٢٦٥
- كوكس وتشكيل الحكومة الكردية الثانية	٢٧١
- إنقلاب السياسة البريطانية من الانفصال الى الاندماج	٢٧٧
- خاتمة الفصل	٢٨٦
<b>الفصل السابع</b>	
قيام الدولة العربية في ميزوبوتاميا وتاثيراته في سياسة بريطانيا تجاه كُردستان الجنوبية لمرحلة ما بعد سيفر	٢٨٩
- المطامع العربية الإقليمية في مواجهة التطلعات القومية الكردية	٢٩٠
١- فيصل وحدود دولة العراق ومنزلة كُردستان الجنوبية السياسية	٢٩٠
٢- إستفتاء ميزوبوتاميا لعام ١٩٢١	٢٩٢

- إقامة الدولة العراقية وتداعياتها السياسية بالنسبة إلى مستقبل كُردستان الجنوبية	٢٩٨
١- متطلبات الانتقال الناجح من السيطرة البريطانية المباشرة إلى السيطرة غير المباشرة	٢٩٨
٢- السياسة الطائفية وإندماج كُردستان الجنوبية بدولة العراق العربي	٣٠٤
٣- سكان ميزوبوتاميا وبضمها كُردستان الجنوبية	٣٠٨
٤- إلحاقي كُردستان الجنوبية بالدولة العراقية: الحسابات الاقتصادية- البترولية	٣١٠
٥- إلحاقي كُردستان الجنوبية بالدولة العراقية: الحسابات الاستراتيجية	٣١٥
٦- خاتمة الفصل	٣٢٢
<b>الفصل الثامن</b>	
٧- سياسة بريطانيا الكردية: مرحلة ما بعد معاهدة سيفر ومؤتمر لوزان	٣٢٥
٨- القوميون الكرد وبريطانيا والوضع الكردي بعد عقد معاهدة سيفر	٣٢٦
٩- نشاطات الحركات القومية الكردية لمرحلة ما بعد سيفر	٣٢٦
١٠- مساعي بريطانيا لتطبيق نسخة معدلة عن بنود معاهدة سيفر حول كُردستان	٣٢٢
١١- الأطروحة الدافعية في مواجهة الأطروحة الهجومية بشأن التعامل مع أوضاع كُردستان الشمالية: بريطانيا وإحتواء التهديدات الكمالية	٣٣٤
١٢- مواقف المفوضية السامية البريطانية في بغداد وواشنطن	٣٣٤
١٣- نهج تشرتشل الداعي في التعامل مع شؤون كُردستان الشمالية	٣٣٨
١٤- عقد اتفاقية لوزان وتداعياتها بالنسبة إلى المسألة الكردية	٣٤١
١٥- الإعتبارات الدولية والإقليمية وتأثيراتها في الموقف البريطانية تجاه المسألة الكردية، ١٩٢٣-١٩٢١	٣٤٦
١٦- مواقف حلفاء بريطانيا السابقين	٣٤٦
١٧- تركيا الكمالية وبريطانيا والوضع الكردي	٣٥١
١٨- إيران وبريطانيا والمسألة الكردية	٣٥٦
١٩- خاتمة الفصل	٣٥٩
٢٠- ملاحظات ختامية	٣٦١
٢١- المصادر	٣٦٩
<b>الخريطة</b>	
الخارطة الأولى: التقسيم الإداري لـ كُردستان العثمانية وكُردستان القاجارية قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى	٣٠

- الخارطة الثانية: خط بغداد للسكك الحديدية والخطوط المقترحة الأخرى في	
كُردستان	٥٠
- الخارطة الثالثة: خطة بونسن الأولى لإلحاق كُردستان	٥٥
- الخارطة الرابعة: خطة لجنة بونسن الثانية لإلحاق كُردستان	٥٨
- الخارطة الخامسة: مناطق المصالح في كُردستان بحسب توصيات لجنة بونسن	٥٩
- الخارطة السادسة: خطة لجنة بونسن للحكم الذاتي في الإمبراطورية العثمانية	٦١
- الخارطة السابعة: مراسلات حسين - مكماهون (١٩١٥-١٩١٦)	٦٤
- الخارطة الثامنة: تقسيم كُردستان العثمانية بين الحلفاء بحسب اتفاقية سايكس-بييكو الثلاثية	٦٧
- الخارطة التاسعة: تقدم القوات البريطانية في كُردستان الجنوبية في أثناء الحرب	٨٨
- الخارطة العاشرة: دولة الحكم الذاتي الْكُرْدِيَّة	٩٣
- الخارطة الحادية عشر: خارطة نوئيل حول كُردستان العثمانية والقاجارية	١٤٣
- الخارطة الثانية عشر: خارطة نوئيل حول مستقبل الولايات العثمانية غير التركية	١٥٤
- الخارطة الثالثة عشر: حدود كُردستان بحسب الخارطة التي قدمها القوميون الْكُرْدِ (١٩١٩)	١٧٢
- الخارطة الرابعة عشر: الإدعاءات الارمنية في كُردستان بحسب خارطة ارمينيا المقترحة من قبل القوميين الارمن خلال مؤتمر باريس (١٩١٩)	١٨٢
- الخارطة الخامسة عشر: الوطن القومي الآثوري بحسب الإدعاءات الآثرورية بعد الحرب العالمية الأولى	١٨٥
- الخارطة السادسة عشر: المناطق الْكُرْدِيَّة التي تكون ضمن حدود ارمينيا بحسب المشروع البريطاني (١٩١٩)	١٨٧
- الخارطة السابعة عشر: المناطق الْكُرْدِيَّة التي تكون ضمن حدود ارمينيا بحسب المشروع الأمريكي (١٩١٩)	١٨٨
- الخارطة الثامنة عشر: تقسيم كُردستان العثمانية بحسب بنود معاهدة سيفر (١٩٢٠)	٢٣٨



## المقدمة

يتناول هذا الكتاب دبلوماسية بريطانيا السرية والعلنية وسياساتها الرسمية والميدانية تجاه كُردستان على إمتداد تسع سنوات، كانت حبلى بالأحداث والانعطافات الدرامية منذ أن شُكلت لجنة بونسن في شهر أيار من العام ١٩١٥ حتى عقد اتفاقية لوزان في شهر حزيران من العام ١٩٢٣. تُعد هذه السنوات من أكثر الحقب التاريخية أهمية وتأثيراً في تقرير مصير الشعب الكردي ووطنه التاريخي. فقد شهدت هذه الحقبة التاريخية تطورات سياسية ودبلوماسية مهمة تصاعدت في أثنائها آمال الكرد في تحقيق الوحدة القومية والاستقلال السياسي، ولكن سرعان ما تبدلت تلك الآمال والتطلعات بسبب تضافر جملة عوامل إقليمية ودولية، جعلت من الكرد كيش فداء لهذا الطرف أو ذاك.

بدأت بريطانيا بفرض سيطرتها السياسية على كُردستان الجنوبية مع نهاية الحرب العالمية الأولى بعد سنوات من التفكير الجدي والعمل الحثيث في كيفية تقرير مصير المناطق الكردية الخاضعة للحكم العثماني. ولهذا كانت سياسات بريطانيا على الأصعدة المحلية والإقليمية والدولية كافة ودورها القيادي في إنشاء كيانات سياسية جديدة في منطقة الشرق الأوسط أهمية بالغة في فهم أبعاد القضية الكردية وإدراك تطورها التاريخي خاصّة خلال الحقبة ١٩١٥-١٩٢٣. وفي مؤتمرات السلام التي عقدت في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، باريس ١٩١٩-١٩٢٠ وسان ريمو ١٩٢٠ ولوzan ١٩٢٢-١٩٢٣، كانت بريطانيا القوة الكبرى الأكثر تحكماً في تحديد مسارات التطورات السياسية ونتائج التسويات الإقليمية المتعلقة بالولايات الآسيوية الخاضعة للحكم العثماني - التركي، التي أرتبط بها مستقبل كُردستان ارتباطاً وثيقاً و المباشراً. وللمرة الأولى أخذت تلك المؤتمرات الدولية المصيرية بنظر الاعتبار المستقبل السياسي للشعوب الآسيوية غير التركية كالكرد والعرب والأرمن.

تتعلق الأطروحة الرئيسية لهذا الكتاب بالدور الكبير الذي أدته بريطانيا سواء بصورة علنية أو بصورة سرية في إعادة تقسيم كُردستان في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب. فضلاً عن ذلك، يطرح هذا الكتاب مسألة في غاية الأهمية وهي أنه في الحقبة ١٩١٨-١٩٢٣ أدى الموظفون البريطانيون الميدانيون (أي العاملون على الأرض) دوراً

خطيراً في تحديد وجهة سياسة بريطانيا الكردية. فهم لم يعترضوا على تطور كيان لحكم ذاتي في مناطق كُردستان الخاضعة للسيطرة البريطانية فحسب بل أيضاً قاموا بتبسيط الدرب أمام إلهاقها قسراً بالدولة العراقية الحديثة التأسيس. وجرى التأكيد في نواح متفرقة من هذا الكتاب على تشخيص الحسابات المتعددة التي أثرت في نوايا بريطانيا وأهدافها القصيرة والطويلة الأمد في جميع أجزاء كُردستان خلال الحرب العالمية الأولى وفي المرحلة التي تلتها مباشرة. وكانت للحسابات تلك مضامين متعددة: إستراتيجية واقتصادية وسياسية. ولكن، كما تؤكد تحليلات هذا الكتاب، كان للحسابات الإستراتيجية أولوية خاصة مقارنة بسائر الحسابات الأخرى، التي تمثلت بتعزيز موقف بريطانيا في منطقة الشرق الأوسط والمرتبط به ارتباطاً وثيقاً ومباشراً من الطرق البحرية والبرية المؤدية إلى ممتلكاتها الاستعمارية في الشرق، خاصة في شبه القارة الهندية.

تناول فصول الكتاب السياسة البريطانية تجاه مستقبل كُردستان وفق ثلاثة محاور: محلية وإقليمية ودولية. يلقي المحور المحلي الأول الضوء على العلاقات المتفاصلة بين مصالح بريطانيا الإمبريالية والتطلعات السياسية للحركات القومية الكُردستانية ونشاطاتها، خاصة في المدة ١٩١٨-١٩٢٣. ويتناول الفصلان الثاني والسادس هذه القضية بتركين، إذ سُتحل بشكل واسع وعميق الدوافع البريطانية وراء إنشاء الحكومة الكردية الأولى والثانية وتدميرهما لاحقاً. والمحور الإقليمي الثاني يؤكد أنه على غرار القضية القومية التي ظهرت على السطح في الشرق الأوسط في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، مثل الترابط بين النزعتين القومية اليهودية-الصهيونية والقومية الفلسطينية-العربية، ارتبطت المسألة الكردية وتسويتها بالمسألتين القوميتين الأرمنية والشريفية (نسبة إلى حركة الشريف حسين التي ظهرت في الحجاز في بداية الحرب). ويركز الفصلان الرابع والسابع على التأثيرات التي تركتها طموحات الأرمن والشريفيين العرب السياسية والإقليمية ومساعيهما في قيام دول قومية خاصة بهم على السياسة البريطانية تجاه مستقبل المناطق الكردية وتطلعات أهاليها القومية المتنامية. بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، أصبح البريطانيون مدركون فعلياً وبشكل متزايد وجود علاقة وثيقة بين رسم مستقبل كُردستان السياسي ومعالجة القضية الأرمنية في الحقبة ١٩١٨-١٩٢١، من جهة، وتحديد مستقبل ميزوبوتاميا في الحقبة ١٩٢١-١٩٢٣، من جهة ثانية.

ويلقي المحور الدولي الثالث الضوء على دور بريطانيا المؤثر في سير الأحداث والتطورات. فبوصفها قوة كبرى، صنمت بريطانيا على تعزيز موقفها ونفوذها في مواجهة القوى الكبرى الأخرى في مرحلة ما بعد الحرب. وستُثْبِّتُ دراسة سياسة بريطانيا في كُردستان في الفصلين الخامس والثامن أنها كانت تُرسم جزئياً كُرد فعل وتصد لسياسات القوى الكبرى وأهدافها الإقليمية، خاصة فرنسا. ويوضح هذا الكتاب كيف ان مستقبل كُردستان السياسي قد تأثر بالمنافسة الشديدة بين بريطانيا وفرنسا في الأعوام ١٩١٨-١٩٢٣، التي كانت إحدى تجسيدياتها الوصول إلى اتفاق ثنائي حول فرض سيطرة القوتين المباشرة على الأجزاء الجنوبية والغربية من كُردستان وإخفاقهما في الوصول إلى اتفاق مماثل بشأن مستقبل بقية أجزاء كُردستان.

تمثل السيطرة المباشرة والسيطرة غير المباشرة والدولة الحاجزة (buffer state) والدولة الأحادية (unitary state) مسارات مختلفة في سياسة بريطانيا الكردية بين عامي ١٩١٨ و١٩٢٣. تشكل هذه بمجموعها الإطار المفاهيمي لهذا الكتاب. تستخدم مفهوم السيطرة غير المباشرة لوصف الطريقة التي مارس البريطانيون فيها نفوذهم في كُردستان من خلال التوصل إلى اتفاق ميداني مع قومين محلين كُرد، من دون ان يتحملوا أعباء أية التزامات عسكرية أو مالية أو سياسية. واتخذت السيطرة المباشرة شكل قيام كيان كُردي ذات إدارة أهلية خاضعة لإشراف موظفين بريطانيين ميدانياً في نهاية شهر تشرين الأول وببداية شهر تشرين الثاني من العام ١٩١٨. واستعمل مفهوم السيطرة المباشرة لوصف طريقة إدارة المسؤولين البريطانيين الميدانيين لشؤون كُردستان الجنوبية السياسية والاقتصادية والأمنية في الحقبة التي أعقبت شهر حزيران عام ١٩١٩، من دون مراعاة رغبات الزعامات المحلية الكردية.

ان استخدام مفهومي السيطرة المباشرة والسيطرة غير المباشرة هو أمر جوهري بالنسبة الى فهم تطور السياسة البريطانية في كُردستان الجنوبية في الحقبة ١٩١٨-١٩٢٠، في حين يُرْشِدُ مفهوماً الدولة الحاجزة والدولة الأحادية القارئ لدى تحليل سياسة بريطانيا الكردية بين عامي ١٩٢١ و١٩٢٣، أي في عهد الانتداب البريطاني في ميزوبوتاميا. طبقاً لمفهوم الدولة الحاجزة، التي طُورَها وينستون تشرشل، وزير المستعمرات، كان على كُردستان الجنوبية ان تظل كياناً منفصلاً عن ميزوبوتاميا كي تعزز من الموقف البريطاني فيها. ونادى بمفهوم الدولة الأحادية برسyi كوكس،

**المفوض السامي البريطاني في بغداد، بوصفها الوسيلة المُثلى لتوطيد السيطرة البريطانية في دولة العراق الحديثة التأسيس.**

ان الأدب القائم الخاص بتاريخ كُردستان الحديث محدود جداً في مداره وأوجهه وبائس في مضمونه مقارنة مع تاريخ الشعوب الشرق الأوسطية الأخرى. وقد جرت معظم الدراسات خلال العقد التسعيني من القرن الماضي وركزت بشكل رئيس على الظرف المعاصر للمسألة الكُردية وتأثيراتها المتزايدة في استقرار منطقة الشرق الأوسط في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي والشرقي. تلك الحرب ألت بظلالها على الكثير من القضايا السياسية المهمة كالمسألة الكُردية، من جانب، وسلطت الضوء بكثافة على قضايا سياسية أخرى كالقضية الفلسطينية، من جانب ثانٍ. مع هذا يمكن تحديد الجدل التاريخي بصورة تقليدية بين الباحثين الأجانب والكُرد حول تقييم دور بريطانيا في رسم مستقبل كُردستان السياسي بمسألتين مثيرتين للجدل. تتعلق المسألة الأولى بالطريقة التي أصبحت بريطانيا تهتم بالشؤون الكُردية، والأسباب التي دعت إلى ذلك. أما المسألة الثانية فتتعلق بمدى مسؤولية البريطانيين والقوميين الكُرد عن عدم قيام دولة قومية كُردية بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى.

بقدر ما يتعلق الأمر بالدلائل التاريخية، ترجع أولى الاتصالات البريطانية بالشعب الكُردي إلى نهاية القرن الثامن عشر إذ قام عدد من المكتشفين والرجالات والموظفين البريطانيين في شركة الهند الشرقية بالسفر إلى أنحاء مختلفة من كُردستان العثمانية والقاجارية. وكان هؤلاء مهتمين أساساً باحتمالات إقامة علاقات تجارية مع الأسواق المحلية في كُردستان وما يتعلق بذلك من شروط أمنية وسياسية. من الناحية السياسية، بدأ اهتمام المؤسسة السياسية البريطانية بالشؤون الكُردية في بداية القرن التاسع عشر الذي عبر عن نفسه في عدة تطورات سياسية عكست بروز نزعة قومية أولية بين النخب الكُردية، التي سرعان ما عبرت عن نفسها في عدة انتفاضات وتطورات سياسية، في مقدمتها تشكيل الكونفدرالية الإماراتية بين العقدين الرابع والخامس من ذلك القرن. وشهدت تلك الحقبة التاريخية، كما يُبين المؤرخ المعروف، كمال مظہر، في كتابه "كُردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى"<sup>1</sup>، تنامي اهتمامات روسيا

<sup>1</sup> Kamal Madhar Ahmad, Kurdistan during the First World War, Translated by Ali Maher Ibrahim (London: Saqi Books, 1994).

القيصرية بأوضاع كُردستان السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وتحولت التدخلات الأوربية في شؤون كُردستان الداخلية منذ بدايات القرن التاسع عشر الى (عامل دائم) في التاريخ الكُردي الحديث.<sup>٢</sup>

في معرض تقييمه السريع للانتفاضات القومية الكُردية الأولى، يتحدث الباحث، كندال نزان، عن المعارضة البريطانية والفرنسية لانتفاضة عام ١٨٥٥، التي قادها الأمير يزدان شير، مؤكداً مخاوفهما من قيام كُردستان مستقلة خاضعة لنفوذ روسيا القيصرية.<sup>٣</sup> وبطريقة مماثلة يؤكد المؤرخ الأمريكي، روبرت أولسن، لدى تقييمه للانتفاضة الكُردية في عامي ١٨٨٠ و١٨٨١، على وجود مواقف بريطانية معادية لتوجهاتها السياسية.<sup>٤</sup> لقد استندت أساساً تدخلات بريطانيا في الشؤون الكُردية ومعاداتها للمنتفضين الكُرد الى حسابات إستراتيجية، أي تعزيز وحدة تركيا العثمانية الإقليمية وبلاط فارس الإيرانية.

خشيت بريطانيا في حينها من أن تسبب تلك الانتفاضات الكُردية في قلب آسيا الصغرى وشمال غرب بلاد فارس انهياراً لسلطة حكومتي تركيا العثمانية وإيران القاجارية في الأقاليم البعيدة او في أقل تقدير ستمنح روسيا فرصة لبسن نفوذها باتجاه الجنوب نحو منطقة الخليج، وشبه القارة الهندية وسواحل البحر الأبيض المتوسط. وتُظهر الوثائق البريطانية ان وزارة الخارجية البريطانية حاولت من خلال اتصالات دبلوماسية عالية المستوى أجرتها مع القوى الأخرى تحسين أجواء العلاقات بين حكومتي اسطنبول وطهران بهدف تنسيق الجهود السياسية والعسكرية للقضاء على انتفاضة ١٨٨١-١٨٨٠ المندلعة في كُردستان.<sup>٥</sup> وكان هدف بريطانيا الرئيس استباق أي تدخل روسي محتمل في شؤون بلاد فارس الداخلية.

<sup>2</sup> Kendal Nezan, 'The Kurds: Current Position and Historical Background'- in- Kurdish Culture and Identity, [ed-] Philip G. Kreyenbroek & Christine Allison (London: Zed Books, 1996), p.13.

<sup>3</sup> Kendal Nezan, 'The Kurds under the Ottoman Empire' -in- A People without a Country, the Kurds and Kurdistan, (ed.) Gerard Chaliand, Translated by Michael Pallis (London: Zed Books, 1993), p.22.

<sup>4</sup> Robert Olson, The Emergence of Kurdish Nationalism and the Sheikh Said Rebellion, 1880-1925 (Austin: University of Texas Press, 1989) p.7.

<sup>5</sup> انظر:

'Correspondence Respecting the Kurdish Invasion of Persia', No.s 1,2,3 and 4, Parliamentary Papers, Vol.C, Year 1881.

بحلول العقد الأول من القرن العشرين، دخل اهتمام بريطانيا بشؤون كُردستان طوراً جديداً حينما نجحت في الحصول على نفوذ اقتصادي وسياسي في ما عُرف عنها بأنها أهم المناطق الكردية من الناحية الاقتصادية، اي ولاية الموصل (التي ظلت تسمى ولاية شهربور حتى الرابع الأخير من القرن التاسع عشر). كان هذا التطور الملحوظ نتيجة التدهور المتزايد في سلطة الحكومتين المركزيتين في اسطنبول وطهران. وهذا بدوره شدد من حالة التنافس والتصارع بين القوى الأوروبية الرئيسية من أجل الحصول على مجالات نفوذ (sphere of influence) اقتصادية وسياسية. مثل بناء خط بغداد لسكك الحديد رمزاً للسيطرة الألمانية السياسية والاقتصادية في تركيا العثمانية، وشكل في الوقت نفسه تهديداً جدياً للمصالح البريطانية الإستراتيجية والتجارية في ميزوبوتاميا ومنطقة الخليج. وهذا التطور الخطير هو الذي منح كُردستان الجنوبية أهمية إستراتيجية واقتصادية بفضل إمكانية وجود مصادر بتولية فيها وإشرافها المباشر على سهول ميزوبوتاميا إلى الجنوب منها.

في كتابه *السياسة البريطانية في ميزوبوتاميا* في ١٩٠٣-١٩١٤، التي تضع أمام القارئ خارطة دقيقة وشاملة عن المصالح البريطانية المتنامية في ميزوبوتاميا قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى، يوضح الباحث ستيفوارت كوهين كيف أصبحت كُردستان الجنوبية (ولاية الموصل) من المناطق التي سعى البريطانيون إلى تعزيز مواقعهم فيها من أجل التصدي للتهديدات من ألمانيا.<sup>٦</sup> ومنحت الحرب العالمية الأولى بريطانيا فرصةً أخرى من أجل التوسل بأدوات جديدة أكثر مباشرة لتوسيع نفوذها المستقبلي وتوطيدته في كُردستان الجنوبية وميزوبوتاميا.

ويرجع كمال مظهر، اهتمام البريطانيين بـكُردستان إلى أسباب اقتصادية بالدرجة الأولى متمثلة بالسيطرة على البتول الكردي.<sup>٧</sup> مع هذا، ثبّين توصيات لجنة بونسن وخاصة بنود اتفاقية سايكس-بيكو الثلاثية بين بريطانيا وفرنسا وروسيا، ان اهتمام الأولى بـكُردستان الجنوبية كان ذا طبيعة إستراتيجية بالدرجة الأولى ((تعزيز أمن الخط البري الاستراتيجي الممتد من قناة السويس إلى حدود الهند الغربية والشمالية- الغربية)) واقتصادية بالدرجة الثانية ((السيطرة على منطقة الخليج

<sup>6</sup> Stuart A. Cohen, *British Policy in Mesopotamia, 1903-1914* (London: Ithaca Press, 1976).

<sup>7</sup> Ahmad, *Kurdistan during the First World War*, p.189.

ومصادر البُرْتول الْكُرْدِيَّة المُحتملة<sup>٨</sup>). ولم يكن حصول بريطانيا على مجال نفوذ في كُردستان الجنوبيّة بحسب بنود اتفاقية سايكس- بيكيو،<sup>٩</sup> سوى تعبير عن رغبة في تعزيز مصالحها الإستراتيجية والاقتصادية بصورة مباشرة ومؤثرة.

ان التحليلات التاريخية والتفسيرات السياسيّة الرا杰حة حالياً متضاربة في جوهرها بشأن دوافع بريطانيا من وراء بسط سيطرتها على كُردستان الجنوبيّة قبل نهاية الحرب العالمية الأولى وبعد التوصل إلى هدنة مودروس في ٣٠ تشرين الأول من العام ١٩١٨، التي أنهت الحرب بين بريطانيا العظمى والإمبراطورية العثمانيّة. في تحليله للتقدم العسكري البريطاني شمالاً نحو كُردستان الجنوبيّة، يشير الباحث البريطاني ديفيد مكدول إلى أن اهتمام بريطانيا في تلك المنطقة قد جاء بالصدفة إذ كان نتاجاً فرعياً عن احتلالها لميزوبوتاميا العربيّة.<sup>١٠</sup> على نقیض من ذلك التفسير تماماً، يُعتبر كمال مظہر الاحتلال البريطاني لکُردستان الجنوبيّة بمثابة رد على اندلاع ثورة أكتوبر في روسيا عام ١٩١٧، في الوقت نفسه يرى أيضاً وجود ((خطط طويلة الأمد)) لدى بريطانيا في كُردستان قبل اندلاع الحرب.<sup>١١</sup> وبحسب تصور كمال مظہر، ان ((أهم نتائج)) ثورة أكتوبر هو ازدياد اهتمام بريطانيا بـ كُردستان، لتحولها آنذاك إلى حاجز استراتيجي.<sup>١٢</sup>

من الضروري أن يكون المحور الرئيس في أي نقاش يتعلق بالسبب الذي دفع ببريطانيا إلى بسط سيطرتها على كُردستان الجنوبيّة هو التأثير السياسي للتحولات الكبرى المفاجئة التي وقعت قبل نهاية الحرب، خاصة اندلاع الثورة البلشفية في عام ١٩١٧ وما تلاه من تطورات سريعة كانسحب روسيا من الحرب ودخول الولايات المتحدة الأميركيّة فيها مباشرة ضد المانيا وحليفاتها. هذه التطورات الأخيرة أثرت بصورة مباشرة في بنود اتفاقية سايكس- بيكيو الثلاثيّة السريّة إلى الحد الذي

<sup>٨</sup> Political Department, India Office, Note on Kurdistan, 14 December 1918, F0371/3386, Public Record Office (PRO).

هذه المذكرة تشير إلى نهر الزاب الصغير بوصفه الحدود ما بين مجال النفوذ البريطاني ومجال النفوذ الفرنسي في كُردستان الجنوبيّة.

<sup>٩</sup> David McDowall, A Modern History of the Kurds, (London & New York: I.B. Tauris, 1996) pp.117-118.

<sup>١٠</sup> Ahmad, Kurdistan during the First World War , pp-105 & 187.

<sup>١١</sup> Ibid., p.101.

أصبحت فيه غير قادرة لوحدها في أن تكون القاعدة والمنطلق في أية عملية لإعادة رسم النظام الإقليمي في منطقة الشرق الأوسط من دون إجراء تعديلات جوهرية عليها. ان اختفاء روسيا القيصرية بوصفها قوة رئيسة في هذه المنطقة الحساسة قد أسهم في إشعال نيران المنافسة من جديد بين بريطانيا وفرنسا حول السيطرة على مجالات النفوذ الاستراتيجي والاقتصادي والسياسي. على المدى القصير، أمللت الحاجة الى طرد الأتراك من كُردستان الجنوبية على بريطانيا فرض سيطرتها على تلك المنطقة التي أشرفـت على مـيزوبـوتـامـيا العـربـية الـخـاصـعة لـاحتـلالـ قـواتـها.

ان انسحاب روسيا القيصرية المفاجئ قد ترك فراغا خطراً في كُردستان إذ أصبحت الواقع العسكرية البريطانية في مـيزوبـوتـامـيا العـربـية مـعرضـة بـصـورـة متـزاـيدة الى هجمـاتـ القـواتـ التـركـيةـ المـضـادـةـ.ـ فيـ الوقتـ نفسهـ،ـ انـ اـوضـاعـ الـحـربـ،ـ كـماـ يـوضـعـ دـفـيدـ مـكـدـولـ،ـ منـحـتـ الـبـرـيطـانـيـنـ فـرـصـةـ لـبـسـطـ سـيـطـرـتـهاـ عـلـىـ مـجـالـ النـفـوذـ الـفـرـنـسـيـ فيـ إـقـلـيمـ كـرـدـسـتـانـ جـنـوـبـيـةـ الـتـيـ أـكـدـتـهـ بـنـودـ اـتـفـاقـيـةـ سـايـكـســ بيـكـوـ.<sup>12</sup>ـ وـالـمـجـالـ الـفـرـنـسـيـ هـذـاـ عـدـ الـآنـ حـيـوـيـاـ اـسـتـراتـيـجـيـاـ وـاـقـتـصـادـيـاـ بـالـنـسـبـةـ الـىـ اـمـنـ مـيزـوبـوتـامـياـ العـربـيةـ عـلـىـ الـمـدـيـنـيـنـ الـقـصـيرـ وـالـطـوـيلـ.

حين وضعت الحرب أوزارها، وجدت بـرـيطـانـياـ نـفـسـهاـ فيـ مـوقـفـ قـويـ بـالـنـسـبـةـ الـىـ رـسـمـ مـسـتـقـبـلـ كـرـدـسـتـانـ العـثـمـانـيـ السـيـاسـيـ بـسـبـبـ سـيـطـرـتـهاـ عـلـىـ مـنـاطـقـ وـاسـعـةـ فيـ جـنـوـبـ كـرـدـسـتـانـ العـثـمـانـيـ وـغـربـهاـ.ـ وـأـصـبـحـ لـزـاماـ عـلـىـ بـرـيطـانـياـ انـ تـضـعـ سـيـاسـةـ وـاضـحةـ الـمـعـالـمـ تـتـوـافـقـ معـ الـوـقـائـعـ الـإـسـتـراتـيـجـيـ وـالـإـقـتـصـادـيـ وـالـسـيـاسـيـ عـلـىـ الـأـرـضـ.ـ وـكـانـتـ غالـيـةـ الـكـرـدـ الـمـحـلـيـنـ،ـ الـذـيـنـ دـمـرـتـ الـحـربـ قـرـاهـمـ وـمـدـنـهـمـ،ـ قدـ عـبـرـواـ عنـ تـرـحـيبـهـمـ بـرـحـيلـ الـأـتـرـاكـ وـقـدـومـ بـرـيطـانـيـنـ إـلـىـ مـنـاطـقـهـمـ.ـ وـكـانـتـ الدـعـاـيـةـ الـتـيـ قـامـ بـإـطـلاـقـهـاـ الـحـلـفاءـ فيـ زـمـنـ الـحـربـ هيـ الـمـسـؤـلـةـ عـنـ تـبـلـوـرـ تـوـقـعـاتـ مـتـفـاـئـلـةـ بـيـنـ الـكـرـدـ كـبـيـةـ شـعـوبـ مـنـطـقـةـ الشـرـقـ الـأـوـسـطـ غـيرـ الـتـرـكـيـةـ.ـ كـمـ رـحـبـ كـرـدـ الـمـهـجـرـ مـنـ ذـوـيـ التـوـجـهـاتـ الـقـومـيـةـ بـالـتـطـوـرـاتـ الـجـديـدةـ الـتـيـ أـعـقـبـتـ الـحـربـ.

والـجـديـرـ بـالـإـشـارـةـ انـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـقـومـيـنـ الـكـرـدـ قدـ وـقـفـ إـلـىـ جـانـبـ رـوـسـيـاـ،ـ مـنـهـمـ الـأـمـيـرـ عـبـدـ الرـزـاقـ بـدـرـخـانـ،ـ بـيـنـمـاـ حـاـوـلـتـ مـجـمـوعـاتـ أـخـرـىـ إـقـامـةـ عـلـاقـاتـ وـاتـصـالـاتـ مـعـ الـبـرـيطـانـيـنـ.ـ وـكـانـ شـرـيفـ باـشاـ،ـ اـحـدـ كـبـارـ الـدـبـلـوـمـاـسـيـنـ الـعـثـمـانـيـنـ السـابـقـيـنـ،ـ وـاحـدـاـ

<sup>12</sup> McDowall, A Modern History of the Kurds, p.118.

من الشخصيات الُّكردية البارزة، التي اتصلت بباري المسؤولين البريطانيين الميدانيين. عموماً، رأى القوميون الُّكرد بصورة راسخة انه لو استطاعوا إقناع الحلفاء، خاصة بريطانيا، بعدالة قضيتهم القومية وانسجام التطلعات السياسية الُّكردية مع مصالح الحلفاء فإنه سيكون بالإمكان تشكيل دولة كُردية مستقلة. وساعدت الإجراءات المبكرة التي اتخذها المسؤولون البريطانيون في الجزء الُّكردستاني الخاضع لهم حينما تشكل كيان كُردي في ظل إدارة أهلية وتحت إشراف بريطاني، على تعزيز حالة التفاؤل في أوساط القوميين الُّكرد.

كان هدف البريطانيين المباشر من وراء تشكيل ذلك الكيان إناطة القادة الُّكرد المحليين مهمة تطبيع الحياة الاقتصادية والاجتماعية والإدارية بمساعدة عدد من المستشارين البريطانيين. في غياب سياسة رسمية مشخصة تجاه مستقبل كُردستان بعد انتهاء الحرب وبالنظر الى تصاعد قلق حكومة لندن بشأن ازدياد التزاماتها العسكرية والسياسية والمالية، قررت السلطات البريطانية الميدانية العاملة في بغداد القبول مبدئياً بفكرة تشكيل إدارة أهلية كُردية.

خضع التعاون بين القادة القوميين الُّكرد والمسؤولين البريطانيين الى بعض الانتقادات في الأدب التاريخي والسياسي القائم. في تقريره عن الُّكرد في الإمبراطورية العثمانية، يرى كندال نزان ان الُّكرد خسروا فرصة فريدة لتحقيق كُردستان موحدة بسبب قيام قادتهم بتعليق آمالهم تماماً على بريطانيا وفرنسا. بحسب تصور هذا الباحث، لو اتخذ القوميون الُّكرد المبادرة في إقامة «دولة كُردية قومية» وفرضوها كأمر واقع (*fait accompli*، لعجز الحلفاء عن قلب هذا الواقع الجديد.<sup>13</sup>

ان العامل الذاتي الذي يؤكّد عليه كندال نزان لم يكن وحده كافياً في تحديد مسار التطورات. فبسبب ضعف الحركة القومية الُّكردية والعلاقة المتداخلة الوثيقة بين المسألة الُّكردية والتسوية الإقليمية والسياسية المتعلقة بممتلكات الإمبراطورية العثمانية لا يمكن للمرء سوى الإقرار بأنه في غياب دعم مادي بريطاني لم يكن بوسع القوميين الُّكرد اتخاذ أية مبادرة كبيرة تهدف الى إقامة كُردستان كبرى مستقلة وتقديمه للعالم كأمر واقع، كما دللت على ذلك عدة انتفاضات كُردية وقعت بين عامي ١٩١٩ و١٩٢٥. وتعقد رسم مستقبل كُردستان بصورة أكثر وأكثر إذ سرعان ما أُتضح أنَّ

<sup>13</sup> Nezan, A People without a Country, pp.30-31.

حسمه لم يؤثر في مصالح الشعب الكردي لوحده فحسب، بل أيضاً في مصالح الأرمن والعرب والأتراء والفرس، فضلاً عن المصالح الامبرالية لبريطانيا وفرنسا. لهذه الأسباب، تطلب إقامة كُردستان مستقلة تضافر شروط مناسبة محلياً وإقليمياً ودولياً.

في حالة الأقاليم العربية البعيدة جغرافياً عن مراكز الحكم التقليدية في اسطنبول او طهران، على سبيل المثال، كانت بريطانيا الى حد معين قادرة على التوفيق بين مصالحها الإستراتيجية والاقتصادية والحد الأدنى من الطموحات القومية العربية من خلال إقامة عدد من الكيانات السياسية العربية في بلاد الشام والجزيرة العربية. لكن، موقع كُردستان الجيوسياسي ومشاكل بريطانيا المالية الداخلية، التي جعلتها لا تتوافق على تقديم التزامات عسكرية او سياسية جديدة في كُردستان، وفجّلت عقبة في طريق الوصول الى توافق ما بين مصالح بريطانيا الإستراتيجية والتطلعات القومية الكردية في تلك الفترة. ان تاريخ المرحلة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى تبيّن وبوضوح ان العامل الدولي، المتمثل بانتصار الحلفاء على خصومهم ومبادرتهم في إقامة نظام أوربي جديد قائم على إعادة رسم الخارطة السياسية لتلك القارة، كان مؤثراً، إن لم يكن حاسماً، في عملية نشوء دول جديدة في جيوكسلوفاكيا وبولندا ويوغسلافيا وهنغاريا وغيرها من البلدان.

يتتفق الباحثون الأجانب والكرد على حد سواء، وفي مقدمتهم كمال مظهر وديفيد مكدول وروبرت أولسن، على ان الكرد خسروا فرصة تاريخية غير مسبوقة لإقامة دولة او عدة دول خاصة بهم قبل إبرام معاهدة سيفر في آب عام ١٩٢٠. لكن هؤلاء الباحثين لا يتفقون فيما بينهم بخصوص اسباب اخفاق الكرد في تحقيق تطلعاتهم القومية. وللدور البريطاني في تقسيم كُردستان بعد إنتهاء الحرب موقع محوري في هذا الجدل التاريخي المستمر. ان الاستنتاج الرئيس الذي يمكن الخروج به من مؤلفات الباحثين والمؤرخين الكرد هو انه كانت للأهداف ((الامبرالية)), التي تضمنتها سياسة بريطانيا تجاه كُردستان، تأثيرات مدمرة سواء بالنسبة الى مستقبلها السياسي أم بالنسبة الى تطور الحركة القومية الكردية. يجب التذكير بهذا الصدد ان التفسيرات والتحليلات التاريخية الكردية حول السياسة البريطانية تجاه كُردستان قد تأثرت ومازالت متأثرة الى حد بعيد بوجهة النظر السوفيتية التي تفسر اي فعل سياسي او مبادرة دبلوماسية اتخذها الحلفاء، خاصة بريطانيا، ضمن سياق الأحداث المرتبطة

مباشرة باندلاع الثورة البلشفية وقيام اتحاد الدول السوفيتية. كان احتواء روسيا البلشفية، بحسب رأي كمال مظہر، السبب في قرار الحلفاء تحويل جزء من كُردستان الى حزام حاجز (buffer zone) من خلال بنود معاهدة سيفر.<sup>١٤</sup> ويرى الباحث الكردي، عبد الرحمن قاسملو، ان بريطانيا سعت الى خلق دولة كُردية ((رجعية)) تحت سلطة الإقطاعيين الكرد على شكل محمية بريطانية موجهة ضد روسيا البلشفية.<sup>١٥</sup>

ولأن الطريقة الكردية في تناول سياسة بريطانيا تجاه مسألة كُردستان ذات منحى إيديولوجي بشكل ملحوظ فإنها تمثل عادة الى تبسيط الأحداث التاريخية التي شهدتها الحقبة ١٩١٥-١٩٢٣. فالمرء لا يمكنه ان ينكر تنامي الخطر البلشفي على صالح بريطانيا في الإمبراطورية العثمانية والمملكة القاجارية بوصفها عاملاً مؤثراً في سياستها الامبرialisية تجاه منطقة الشرق الأوسط. وبالرغم من كل هذا، يؤكد هذا الكتاب ان هناك عوامل متضادة ومتفاعلة اثرت بشكل خاص في سياسة بريطانيا الكردية، مثل اشتداد المنافسة الامبرialisية الفرنسية- البريطانية في مرحلة ما بعد الحرب وبروز الحركة القومية الكردية على الساحة الدولية وطرح الحلفاء مستقبل ارمينيا، خاصة الولايات المتحدة الأمريكية، ومعالجة المسألة الشرفية التي ارتبط بها مستقبل مينوبوتاميا العربية، وأخيراً وليس آخرًا ظهور الحركة الكمالية- الطورانية وتنامي قوتها ونفوذها في وسط تركيا وشرقها.

وقدم دفید مکدول تفسيراً مختلفاً تماماً لسياسة بريطانيا الكردية عن تلك التي قدمها الباحثون الكرد. فهو يلقي مسؤولية فشل الكرد في تشكيل دولتهم القومية على عاتق قادتهم السياسيين ليبرئ ساحة البريطانيين. ويصور كتاب مکدول "تاريخ الكرد الحديث" تقسيم بريطانيا لكردستان بوصفه انعكاساً للواقع الاقتصادية القائمة آنذاك: ((طرق التجارة والأراضي الداخلية المنتجة للقمح)).<sup>١٦</sup> طبقاً لهذا التفسير، عملت بريطانيا ضمن واقع موضوعي مُعطى حين عدلت بنود اتفاقية

<sup>١٤</sup> Ahmad, Kurdistan during the First World War , p.197.

<sup>١٥</sup> Abdul Rahman Ghassemlo, Kurdistan and the Kurds Translated by Miriam Jellinkov& (Prague: Publishing House of the Czechoslovakia Academy of Science, 1965) pp.47-8.

والجدير بالذكر ان كمال مظہر قد انهى دراسته الجامعية العليا في الاتحاد السوفييتي، في حين حاضر عبد الرحمن قاسملو في أوروبا الشرقية.

<sup>١٦</sup> McDowall, A Modern History of the Kurds , pp.119, 121.

سايكس- بيكيو التي وضعت كُردستان الجنوبية تحت انتدابها بغية خلق وحدة اقتصادية وإدارية قابلة للحياة والديمومة في منطقة ميزوبوتاميا. وفي هذا الصدد، يتفق مكدول تماماً مع منطق السلطات البريطانية الميدانية في بغداد وتبيراتها بشأن عدم تبني أية حدود أثنية بين ميزوبوتاميا وكُردستان جنوبية لفصل الواحدة عن الأخرى بوصفه ((هراء استراتيجي واقتصادي)).<sup>١٧</sup> في الوقت نفسه، يُحمل مكدول القوميين الْكُرْد المسؤولية الكاملة عن عدم ظهور دولة كُردية لقصر نظرهم وانعدام الوحدة بينهم. وطبقاً لتصورات مكدول، بحثت بريطانيا عن قائد كُردي واحد كي تصل معه إلى حل بالنسبة إلى مستقبل كُردستان الشمالية (كُردستان تركيا حالياً). ولكن، ((فشل الْكُرْد في تقديم قيادة جدية بالثقة كان وبلا أدنى شك ضربة إلى الآمال البريطانية)).<sup>١٨</sup>

ان المسألة اللافتة للنظر في تفسير مكدول للعلاقة بين السياسة البريطانية ومستقبل كُردستان تكمن في وجه التشابه والتطابق الكبيرين مع تلك التفسيرات التي كان قد قدمها الكولونيال ارنولد ويلسون حول ذلك الموضوع في كتابه ميزوبوتاميا، ١٩٢٠-١٩١٧: تصادم الولاءات. وكان المؤرخ البريطاني بيتر سلوجليت قد وصف الكتاب المذكور بأنه يعطي ((صورة حية عن عمل عقل امبريالي)).<sup>١٩</sup> ان مكدول لا يتوقف في تحليلاته عند تأثيرات السياسة البريطانية السلبية التي كبحث عجلة تطور الحركة القومية الْكُردية، خاصة في كُردستان الجنوبية.<sup>٢٠</sup> كما انه لا يميز بين تلك المناطق الْكُردية التي كانت ذات أهمية كبيرة بالنسبة إلى مصالح بريطانيا، خاصة في كُردستان الجنوبية، والمناطق الْكُردية الأخرى التي لم تكن لها أهمية مماثلة خاصة في كُردستان الشمالية. لهذا يسعى هذا الكتاب إلى تشخيص المناطق الْكُردية التي كانت محط اهتمام بريطانيا لداعِ إستراتيجية وسياسية واقتصادية، ومن ثم إلقاء الضوء على العلاقات المتفاعلة بين تلك المصالح البريطانية المتباينة وتطورات الحركات القومية الْكُردية السياسية في مرحلة ما بعد الحرب.

وعلى الرغم من أهميتها المشهودة، أثار الجانب الدولي للمسألة الْكُردية اهتماماً أكاديمياً قليلاً جداً. وكان الباحثون الذين كتبوا عن تاريخ الشرق الأوسط الحديث قد

<sup>١٧</sup> Ibid, p.121.

<sup>١٨</sup> Ibid, p.134.

<sup>١٩</sup> Peter Sluglett, Britain in Iraq, 1914-1932, (London: Ithaca Press, 1976) p.333.

تطرقوا بصور موجزة الى تلك القضية بوصفها بيدقًا في السياسة الدولية التي تحكمت بها القوى الكبرى بعد انتهاء الحرب. مع ذلك، ليس هناك دراسة منهجية شاملة في الأدب الحالي حول **البعد الدولي** في المسألة الـ<sup>كردية</sup> وموقعه في سياق المحاولات البريطانية في إقامة نظام إقليمي شرق أوسطي جديد يحل محل النظام القديم، الذي سقط مع نهاية الحرب. ومن خلال تبني مثل تلك المهمة، يسعى هذا الكتاب الى ملء تلك الفجوة المتميزة والواضحة في الأدب القائم. وفي الوقت الذي يؤكد هذا الكتاب أهمية هذه الحقبة في التاريخ الـ <sup>الكردي</sup> الحديث، فإنه يسعى الى الإسهام في توسيع آفاق الفهم الحالي للجذور التاريخية للمسألة الـ <sup>الكردية</sup>، التي فرضت نفسها مرة أخرى على ميدان السياسة الدولية منذ نهاية ثمانينيات وبداية تسعينيات القرن المنصرم.

### **الـ<sup>كرد</sup> وـ<sup>كردستان</sup>: بين الماضي والحاضر**

ان الرجوع الى أصول الـ<sup>كرد</sup> الأثنية مسألة مثيرة للجدل بعض الشيء بسبب محاولات كتاب مؤدلجين من العرب والأتراء والفرس ترمي الى إثبات عروبتهم او تركيتهم او ايرانيتهم بحسب الترتيب. أما الـ<sup>كرد</sup> أنفسهم فأنهم يرجعون عامة أصولهم الى الميديين، الذين هم قبائل هندو- اوربية جاءت من آسيا الوسطى الى كـ<sup>ردستان</sup> حيث أقاموا إمبراطورية كبيرة بين عامي ٦١٤ و٥٥٠ قبل الميلاد.<sup>٢٠</sup> واعتنق أكثر الـ<sup>كرد</sup> الإسلام في القرن السابع الميلادي. وفي القرون الأربع التالية، أدى الـ<sup>كرد</sup> دوراً سياسياً مشهوداً في تاريخ منطقة الشرق الأوسط. وكان السلطان صلاح الدين الأيوبي احد هؤلاء الـ<sup>كرد</sup>، وقد اشتهر بحنكته وعدالة حكمه أثناء الحروب الصليبية في القرون الوسطى حين قاد المسلمين ضد القوات المسيحية تحت قيادة الملك الانكليزي، ريتشارد قلب الأسد. منذ أوائل القرن السادس عشر فلاحقاً، ظهرت الى السطح أهمية موقع كـ<sup>ردستان</sup> الجيوسياسي بوصفه حزاماً استراتيجياً بين القوى الواقعة الى الشرق منها والقوى الواقعة الى الغرب منها، خاصة بعد قيام الإمبراطورية الصفوية في بلاد فارس، التي سرعان ما دخلت في صراع مذهبى وفي حروب توسعية دموية طويلة مع غريمتها الإمبراطورية العثمانية القادمة من الشرق للسيطرة على مناطق الشرق الأوسط الآسيوية.

<sup>٢٠</sup> Nader Entessar, Kurdish Ethonationalism, (London: Lynne Rienner Publishers, 1992), p. 3.

تقع كُردستان على مفترق طرق تربط آسيا مع أوروبا، ومنطقة قوقازيا مع مينوبوتاميا وسواحل البحر المتوسط. وهذا الموقع جعل كُردستان من الناحية الجيوسياسية واحدة من أكثر المناطق حساسية في العالم. ويطرح نزاع بشكل مُقنع أطروحته وهي أن تلك العوامل ساعدت على تسهيل «مجموعة من الغزوات الكبرى»، التي دمرت عبر القرون العملية الاجتماعية والسياسية الداخلية التي كان في مقدورها أن تؤدي إلى ظهور كيان سياسي كُردي<sup>٢١</sup>. فضلاً عن ذلك، تتميز كُردستان بكونها بلادا ذات سلسل جبلية وعرة جداً ووديان متغيرة تتدحر نحو أقدام التلال والسهول وأنظمة نهرية كبيرة. لهذا فإن العامل الجغرافي جعل الوصول إلى أعماق كُردستان أمراً في غاية الصعوبة ومن ثم ساعدتها هذا على أن تكون حاجزاً استراتيجياً طبيعياً بالنسبة إلى دول المنطقة المحاطة بها من أجل حماية أقاليمها الداخلية من الغزوات الخارجية.

ومن الناحية التاريخية، فقد حدث أول تقسيم كبير لـكُردستان في العام (١٥١٤) في أعقاب الهزيمة التي ألحقتها العثمانيون بالصوفيين في معركة جالديران وبمساعدة قوات الفرسان الكُردية تحت قيادة الأسرالأميرية المحلية. هذا التقسيم كان أسمياً أكثر منه حقيقياً إذ احتفظت الأسرالأميرية الكُردية بسلطاتها كاملة مقابل الخضوع شكلياً إلى السلاطين العثمانيين. وبتعبير آخر، بسط العثمانيون الأتراك نفوذهم أسمياً على ثلثي المناطق الكُردية. إن جغرافية كُردستان الجبلية الوعرة وطبيعة مناخها وأنظمة انهاها قد جعل منها بلداً لا يمكن حكمه بصورة مباشرة. لهذا فضل العثمانيون والإيرانيون قبول طاعة الامراء الكُرد الأسمية لهم. هذا العامل الجيوسياسي وجاهة الدولتين المتنافستين إلى كسب دعم المحليين الكُرد المعروفين بمهاراتهم القتالية في حروبهما المستمرة قد مكن عدداً من الإمارات من الظهور مجدداً في كُردستان الكبرى (أو كُردستان العثمانية)، وكانت الحياة قد دبت، في أعقاب معركة جالديران مباشرة، في ست عشرة إمارة كُردية، التي اعترفت رسمياً بها السلطات في إسطنبول. لأكثر من أربعة قرون، واستغلت تلك الإمارات الكُردية الخلافات المستمرة بين الأتراك والإيرانيين في تعزيز استقلالها الداخلي.<sup>٢٢</sup> مع هذا، كان موقع كُردستان الجيوسياسي،

<sup>21</sup> Nezan, 'The Kurds: Current Position and Historical Background', - in- Kurdish Culture and Identity, [ed.] Philip G. Kreyenbroek & Christine Allison (London: Zed Books, 1996), p.12.

<sup>22</sup> Maria T. O'Shea, 'The Question of Kurdistan and Iran's International Borders', - in- The Boundaries of Modern Iraq, [ed.] Keith McLachlan, (London: UCL Press, 1994), p.15.

اي انحصارها بين دولتين عظيمتين، السبب الرئيس في منع تحول تلك الإمارات الى كيانات سياسية كبيرة، حتى انه بحلول منتصف القرن التاسع عشر، اختفت جميع الإمارات الکردية من الوجود بقوة السلاح.

ولم تتمثل المساعي السياسية والعسكرية التي بذلتها ثلاث إمارات کردية، هي بابان وسوران وبوتان، في إقامة دولة كبيرة مستقلة عن القوتين العثمانية والقاجارية سوى إشارات أولية عن ظهور وعي قومي جنيني في صفوف النخب المحلية بين نهاية القرن الثامن عشر و منتصف القرن التاسع عشر. وقد شكل القضاء على جميع الإمارات الکردية بحلول منتصف القرن التاسع عشر بداية لمرحلة جديدة في تطور النزعة القومية الکردية، التي تميزت بهيمنة المؤسسة الدينية، اي الشبكتين الصوفيتين النقشبندية والقادرية بالتحديد، على الحياة الاجتماعية والفكرية والسياسية. وم肯 الفراغ السياسي الناجم عن اختفاء الأسر الأميرية الکردية القديمة، من جانب، وفشل الحكومة المركزية في فرض سيطرتها المباشرة على سكان کردستان، من جانب ثان، شريحة الشيوخ المحليين الکرد من البروز بوصفها ابرز قوة سياسية واجتماعية بحيث سيطرت على قيادة الحركات القومية الکردية لمائة عام تقريباً، اي بين الربع الأخير من القرن التاسع عشر حتى الربع الأخير من القرن التالي.

وبدأت مرحلة جديدة أخرى في تطور النزعة القومية الکردية في العقد الأول من القرن العشرين، حيث تميزت بتشكيل عدد من التنظيمات السياسية والنوادي الثقافية والاجتماعية. كانت هذه المنظمات والنوادي بصورة رئيسة ثمرة العمل الجاد والمتواصل الذي قام به المثقفون الکرد من الذين تواجدوا في المناق. وقع هؤلاء المثقفون تحت تأثير الثقافة السياسية الغربية، وسعوا الى توسيع آفاق الحركات القومية الکردية من خلال إبراز الطبيعة المتميزة للهوية الثقافية الکردية وعن طريق تعليمها بمفاهيم حديثة عن الأمة، والوطن التاريخي، والقيم الليبرالية والديمقراطية. وتميزت هذه الحقبة أيضاً بوجود توجهين سياسيين بين القوميين الکرد، الأولى تقليدية والثانية حداثاوية. كانت الأولى قد ارتبطت بالشيوخ النقشبندية والقادرية، في حين ارتبطت الثانية بالشريحة المثقفة الحديثة- التكوين والمتأثرة بالتقدم الحضاري الغربي.

لم يجعل نشاط القوميين الکرد السياسي والثقافي منهم قوة انعزالية سلبية، إذ تفاعلوا مع التطورات الإقليمية والدولية ومع الشعوب التي عاشوا معها. وأدى الکرد دوراً ملحوظاً في الحركات الإصلاحية الكبيرة في بدايات القرن العشرين كتركيا الفتاة

في تركيا العثمانية والحركة الدستورية في إيران القاجارية. لكنهم سرعان ما أُصيّبوا بخيبة الأمل بسبب القمع السياسي الموجه ضد الشعوب غير التركية من نظام تركيا الفتاة، الذي تبني المفاهيم الطورانية العنصرية، وبالموافق السلبية التي تبنّاها الدستوريون الفرس تجاه التطلعات القومية الْكُردية. إن هذه التجربة المريرة قد أقامت القوميين الْكُرد بأنه لا يمكن ترجمة أهدافهم السياسية إلى واقع ملموس بوسائل سلمية وديمقراطية وإنما من خلال اللجوء إلى القوة. إن هذا التحليل المقتضب عن ظهور النزعة القومية الْكُردية وتطورها التاريخي يُبيّن بوضوح أن الحركات القومية الْكُردية قد جاءت إلى الوجود قبل ظهور الدول الجديدة في العراق وإيران وسوريا وتركيا بوقت طويل، وليس بعد تشكيلها كما يطرح الباحث الإيراني نادر انتصار في كتابه النزعة القومية الأثنية الْكُردية.<sup>٢٣</sup> في الوقت الحاضر، الْكُرد مدركون تماماً أنهم يشكلون من الناحية العددية ثالث قومية في منطقة الشرق الأوسط بعد العرب والأتراء، وأنهم يشكلون أكبر أمة في العالم لا تمتلك دولة خاصة بها. وهذه الحقائق جعلتهم أكثر إصراراً على إقامة كُردستان مستقلة، أو في أقل تقدير، ان يتمتعوا بشكل من أشكال الحكم الذاتي الواسع.

ليس تاريخ الْكُرد الحديث منه والقديم وحده مثيراً للجدل، إنما أيضاً سمات مجتمعهم وثقافتهم الأثنية ووطنهم التاريخي. إن مصطلح (كردستان)، الذي يعني أرض الْكُرد، قد استخدم بشكل ثابت ومتواصل منذ القرن الثاني عشر الميلادي حين شُكلت ولاية واسعة تحمل هذا الاسم خلال العهد السلاجوقى.<sup>٢٤</sup> وهذا الأمر، على حد قول كندال نزان، دليل مبكر على ((الشخصية المتميزة)) للشعب الْكُردي،<sup>٢٥</sup> التي أقرها سلطان بلاد فارس السلاجوقى سنجر. في ذلك الوقت، تكونت ولاية كُردستان من كُردستان العراق وكُردستان إيران الحاليتين. في ظل الحكم العثماني، أطلقت كلمة (كردستان) على جميع المناطق الْكُردية بوصفها وحدة إدارية خاضعة أسمياً للعثمانيين بعد العام ١٥١٥. في الوقت نفسه، أطلق الإيرانيون كلمة (كردستان) على ولاية واسعة كانت تضم عدداً من المناطق الْكُردية خاضعة أسمياً لهم. وهذه الولاية

<sup>23</sup> Entessar, Kurdish Ethonationalism, p.1.

<sup>24</sup> See entry on 'Kurds', in Encyclopaedia of Islam, Vol-V, (ed.) w.c. Brice (Leiden: E.J. Brill, 1981), pp.438-485.

<sup>25</sup> Kendal Nezan, 'The Kurds: Current Position and Historical Background', p.10.

ما زالت قائمة لحد الآن بالرغم من حصول تغيير في مساحتها وفي تعدادها السكاني. وكان الأمير والمؤرخ الكردي الشهير شرفخان بدليسyi أول من حدّ في القرن السادس عشر تخوم كُردستان في كتابه الشهير "شرفنامه".<sup>٢٦</sup> وهناك عدد من الخرائط المتعلقة بـ كُردستان في أرشيف المملكة المتحدة (كيو غاردن) ترجع أقدمها إلى عام ١٨٥٤. وأعدت خرائط عن جغرافية كُردستان ومدتها من جانب عدد من المراكز الجغرافية والعلمية والرحالة والباحثين الأوروبيين في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. إن وجود مثل تلك الخرائط بحد ذاته إقرار بأن كُردستان كانت تشكل مفهوماً جغرافياً وأثنياً واجتماعياً وثقافياً متميزاً لحقبة طويلة سبق استعماله بصورة رسمية ودولية من قبل القوى الكبرى، فضلاً عن تركيا وإيران، خلال مؤتمر باريس للسلام بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى.

وفي الوقت الحاضر، تتالف كُردستان من المقاطعات والأقضية الواقعة في شرق وجنوب شرق تركيا (كُردستان الشمالية) وفي شمال وشمال-شرق العراق (كُردستان الجنوبية) وفي شمال-غرب إيران (كُردستان الشرقية) فضلاً عن الشريط الشمالي في سوريا المتاخم للأراضي التركية (كُردستان الغربية). بتعبير آخر، إن جميع المناطق الكردية متغيرة بعضها مع بعض بصورة مباشرة ومن دون عوائق جغرافية أو ديمografية أو اجتماعية، وتمتد من جبال طوروس في الغرب إلى الهضبة الإيرانية في الشرق، ومن أرمينيا في الشمال إلى سهول مينزوبوتاميا في الجنوب. وعلى الرغم من كل ذلك، ليس هناك تحديد رسمي أو متفق عليه بشأن مساحة كُردستان. فالأتراك والسوسيون لا يرفضون القبول بمصطلح كُردستان فحسب، بل أيضاً يتذكرون لوجود الشعب الكردي في بلادهم، في حين كانت السلطات المركزية في إيران والعراق تقلل كثيراً من مساحة المناطق الكردية الواقعة تحت سيطرتهم.

وكما هو الحال مع مساحة كُردستان، فإن من الصعب جداً معرفة تعداد الشعب الكردي بدقة، وذلك لأن السلطات التركية والإيرانية والسويسرية لا تقوم بفصل الكرد عن بقية سكان البلد في إحصائياتها السكانية لأسباب سياسية وعنصرية. أما في العراق، حيث كانت السلطات المركزية مُجبرة على تحديد حجم الشعب الكردي بسبب اعترافها الاسمي بالحكم الذاتي لإقليم كُردستان، فإنها كانت تقوم بالتقليل من نسبة الكرد إلى

<sup>26</sup> Amir Sharaf Khan Bedlisi, Sharafname, [ed.] M. Abbasi (Tehran).

بعد الحدود لغايات سياسية. فالكرد الموجودون خارج جغرافية «منطقة كردستان للحكم الذاتي» استثنوا من التعداد السكاني، في حين عُدَّ الكرد من معتنقى الإيزدية والشبکية عرباً اقحاحاً. وكان الباحث الهولندي، فان برونسن، قد قدر تعداد الشعب الكردي في اواسط سبعينيات القرن الماضي بنحو ١٢ الى ١٥ مليون.<sup>٢٧</sup> ويُقدر كندال نزان تعداد الشعب الكردي بنحو ٣١ مليون في منتصف تسعينيات ذلك القرن، إذ اكد ان السلطات التركية ذاتها قد اعترفت بوجود ١٥ مليون كردي في تركيا في العام ١٩٩٢. ويُقدر نزان تعداد الكرد في ايران بـ ٨ ملايين وفي العراق بـ ٥ ملايين ومائتا ألف وفي سوريا بـ ١ مليون ونصف المليون.<sup>٢٨</sup>

من الضروري التذكير ان هناك جماعات كُردية كبيرة الحجم خارج كردستان. ففي اسطنبول يُقدر عدد الجماعة الكردية فيها بـ ٣٠٠٠٠٠ مليون ونصف المليون.<sup>٢٩</sup> وفي العراق، اعترف نظام البُعث وجود ما يقارب ٨٠٠،٠٠٠ كردي في العاصمة بغداد خلال مفاوضات السلام مع القيادة السياسية الكردستانية في العام ١٩٩١. هناك أيضاً اعداد كبيرة من الكرد في بلدان اوروبا الغربية مثل السويد وبلجيكا وبريطانيا والدانمارك وفرنسا. وفي المانيا وحدها قدّر عدد المهاجرين الكرد بـ نصف مليون شخص، اغلبهم من كردستان الشمالية.

ان الأغلبية الساحقة من الكرد من تركوا مناطق سكناهم الأصلية قد اجروا على فعل ذلك لأسباب عدّة. فالسياسات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية التي اتبعتها الحكومات المركزية في جميع اجزاء كردستان جعلتها غير نامية وفقيرة بصورة صارخة، وارتقت فيها نسبة البطالة بشكل كبير رغم كونها منطقة غنية بثرواتها الطبيعية والزراعية. فضلاً عن هذا العامل، فان الاضطهاد الثنوي المتواصل والمقاومة المسلحة التي انخرطت فيه الحركات القومية الكردية للرّد على سياسات القمع التي تبنتها الحكومات المركزية في دول المنطقة، قد أجبرت الكثير من الكرد على ترك مدنهم وقرائهم بحثاً عن العمل وعن حياة جديدة في المناطق غير الكردية او بلدان المهجّر في اوروبا الغربية. وباللجوء الى سياسات اقتصادية واجتماعية مدروسة حاولت

<sup>27</sup> Martin van Bruinessen, Agha, Sheikh and State, the Social and Political Structures of Kurdistan, (London & New Jersey: Zed Books, 1992), p.15.

<sup>28</sup> Kendal Nezan, 'The Kurds: Current Position and Historical Background', pp.7-9.

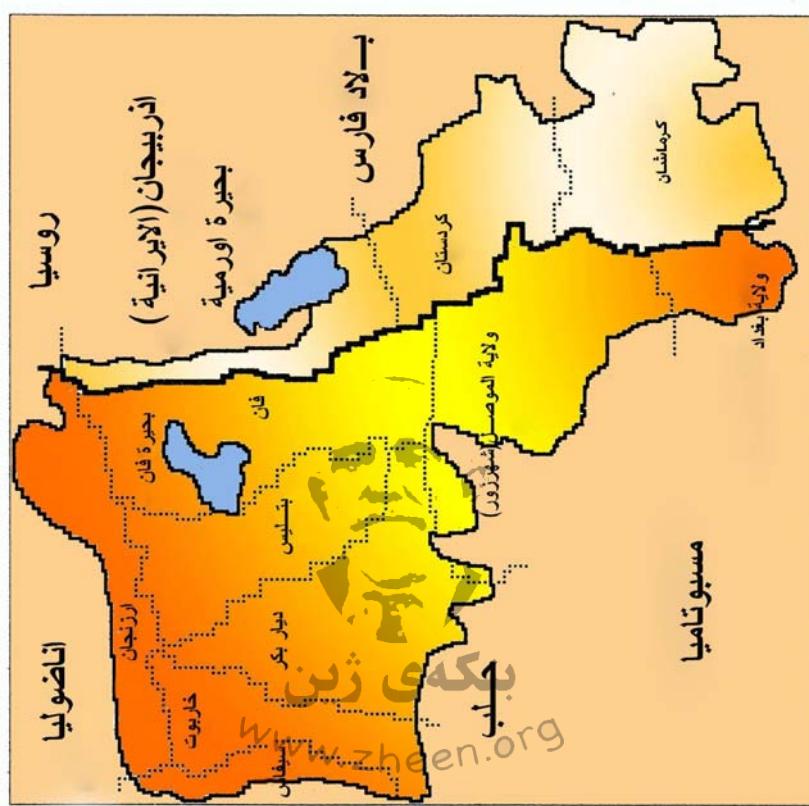
<sup>29</sup> Nezan, 'The Kurds: Current Position and Historical Background'.

الحكومات المركزية افراغ المناطق الکردستانية من سكانها الاصليين (de-ethnicization) وإحلال غير الکرد بدلاً عنهم او إزالة الأثنية (de-population) الکردية عن الکرد بمختلف وسائل الترهيب والترغيب. والهدف من وراء كل تلك السياسات العنصرية المدروسة خلق دولة متجانسة ومتماثلة، يخسر فيها الکرد هويتهم الأثنية والثقافية تمهيداً لصهرهم في القومية المهيمنة سواءً أكانت فارسية أم تركية أم عربية. وعلى الرغم من تلك السياسات المعادية للكرد التي أتبعت منذ عقود طويلة، مازال نحو ٢٥ مليون کردي يعيش في جميع اجزاء کردستان (الخارطة رقم ١ توضح المناطق التي يُشكل فيها الکرد اکثرية السكان وكذلك التقسيمات الادارية في کردستان قبل العام ١٩١٤).<sup>٣٠</sup>

وبالرغم من إتباع سياسات الصهر والاندماج المتواصلة التي مارستها او تمارسها الحكومات المركزية باصرار وبنفس منقطع النظير، فإن الکرد ظلوا يتمتعون بهوية ثقافية متميزة وبشعور قومي ملموس. وهذه تجعل منهم أمة حيوية ديناميكية قائمة بذاتها. علاوة على ذلك، ما زالت کردستان تؤكد نفسها بوصفها مفهوماً اجتماعياً وثقافياً وديمغرافياً وسياسياً على الضد من رغبات النخب السياسية الحاكمة في طهران وأنقرة ودمشق وبغداد. ان الثقافة الکردية تشكل أهم عنصر مكون للهوية الکردية، رغم تطورها البطئ بسبب غياب وجود دولة- أمة کردية ووجود بيئة غير مؤاتية معادية لكل ما هو کردي الطابع في منطقة الشرق الاوسط. كما يُبين كل من فيليب كريبروك وكريستين أليسون، يمتلك الکرد عموماً ((هوية سارية المفعول وناضجة خاصة بهم)),<sup>٣١</sup> على التقىض مما تدعيه الدول التي يعيشون فيها. واللافت للنظر ان تبقى الثقافة الکردية وأن تتطور على الرغم من مرور عقود طويلة على انتهاج سياسات لا إنسانية عمياء من جانب الحكومات المركزية منها شن حروب شاملة وتنظيم حملات تهجير جماعية وعمليات الإبادة- الأثنية المنظمة ضد المدنيين وأعمال التدمير المتعمد للريف الکردي، خاصة في کردستان الجنوبية، التي دُمرت فيها ٤ آلاف قرية ومدينة، وقتل فيها نحو ١٨٠ ألف مدني، اغلبهم من النساء والشيوخ والاطفال، في حملات الأنفال السيئة الصيت وحدها.

<sup>٣٠</sup> Ibid., p.9.

<sup>٣١</sup> Philip Kreyenbroek & Christine Allison, 'Introduction' -in- Kurdish Culture and Identity, op. cit., p.i. See also David McDowall, The Kurds, (London: Minority Rights Group, Report No.23, 1982), p.7.



الخريطة (١): التقسيم الاداري للامبراطورية الفارسية  
كرمانشاه (الاقليمية) قبل اذاع الحروب العلنية الأولى

الحدود الغربية الفارسية

حدود كردستان

حدود الاقاليم

Source: PRO, FO925/17149  
& FO871/9021

يقول كندال نزان بشأن كُردستان الجنوبية انه نظراً لغياب حرية التعبير وظاهرة اضطهاد الكُرد الشماليين المستمرة في المدن الخاضعة للحكم التركي، اجرت الثقافة الكُردية على اللجوء الى الحياة الأسرية الخاصة والريف الكُردي، إذ استمرت الموسيقى واللغة والعادات والتقاليد الكُردية في الوجود.<sup>٣٢</sup> ويفسر هذا جزئياً لماذا كان الكثير من أوجه الثقافة الكُردية غير مكتوبة. وبهذا الصدد يُعد كرينبروك واليسون الثقافة المادية، كالملابس والأدوات ((عنصراً أساسياً)) في الهوية الثقافية الكُردية.<sup>٣٣</sup>

تشكل اللغة الكُردية العنصر الأهم في الهوية الكُردية، هذه اللغة التي استطاعت ان تحييا بالرغم من وجود سياسات ثقافية معادية للكُردية الى درجة الكراهية اللاعقلانية، مارستها وتمارسها باستمرار حكومات ذات نزعات قومية عنصرية منذ قيام الشرق الأوسط الحديث في اعقاب الحرب العالمية الاولى. على غرار اللغتين الفارسية والأردو، تنتهي اللغة الكُردية الى العائلة اللغوية الهندو- اوربية، لكنها تتمتع بقواعدها وبنفسها وتركيبتها الخاصة بها. وتتألف اللغة الكُردية، كغيرها من لغات الشرق الأوسط الاخرى مثل الفارسية والعربية، من لهجات متعددة.

عموماً، تقدمت اللغة الكُردية بصورة بطيئة ولم تظهر لغة رسمية موحدة وهو أمر يرجعه بعضهم الى حرمان الكُرد من فرص حقيقية في تطوير لغتهم في البلدان التي تنقسم بينها كُردستان. مع هذا، تطورت لغتان أدبيتان عن لهجتين محليتين رئيستين وهما الكرمانجية والسورانية. يتكلم باللهجة الكرمانجية القسم الأكبر من الكُرد خاصة في كُردستان الشمالية والغربية وفي بعض الجمهوريات السوفيتية السابقة ولبنان وأسرائيل، فضلاً عن اعداد كبيرة في كل من كُردستان الجنوبية وكردستان الشرقية. هناك لهجات كُردية أقل انتشاراً نسبياً كاللهجة الُّرية والگورانية (او الھورمانیة) والزازا. في الوقت حاضر، هناك توجه بين بعض الباحثين والادباء الكُرد يصبوا الى توحيد اللغة الكُردية بحيث تستند الى غنى جميع اللهجات الكُردية. على الرغم مما قيل آنفأ، لم تكن اللغة الموحدة يوماً عائقاً كبيراً في تطوير الثقافة الكُردية او في نمو الشعور القومي وانتشاره جغرافياً عبر الانقسامات الاجتماعية. ان شدة وطأة السياسات المعادية للكُردية التي مارستها الحكومات المركزية على الاصعدة الثقافية

<sup>32</sup> Kendal, 'The Kurds: Current Position and Historical Background', p. I7.

<sup>33</sup> Kreyenbroek & Allison, 'Introduction', p.4.

والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ساعدت على تعزيز النزعة القومية الكردية، حيث جعلت الكرد أكثر تمسكاً بهويتهم الثقافية والقومية.

من ناحية الدين، تعنق الأغلبية الساحقة من الكرد الديانة الإسلامية. وينتمي أكثريات الكرد إلى الطائفة السنّية، خاصة المذهب الشافعى. أما الطائفة الشيعية فتنتمي إليها أقلية كبيرة من أبناء الشعب الكردى. فضلاً عن الكرد غير المسلمين كالايزيدين والسيحيين واليهود، وهناك جماعات دينية صغيرة كالعلوية والشبك والكافكائية (اهلي حق) التي تستند في معتقداتها على خليط من مفاهيم دينية قديمة جداً ومفاهيم إسلامية شيعية.<sup>٣٤</sup> إن وجود مثل هذه العناصر الدينية السابقة على ظهور الإسلام في الثقافة الكردية، والأكثر أهمية من ذلك، انتماء الغالبية الساحقة من الكرد السنّة إلى المذهب الشافعى وانتشار الطرق الصوفية خاصة القادرية والنقشبندية، وهو الامر الذي يميزهم بوضوح عن نظرائهم العرب والأتراك الذين ينتمون إلى المذهب الحنفى، وساهم العامل الدينى، كما يوضح كريينبروك، في خلق ((حساس بالثقافة الكردية)),<sup>٣٥</sup> خاصة في تركيا. في العقود الخمسة الأخيرة، لم تعرقل المعتقدات الدينية والطائفية تطور الحركات القومية الكردية أو نمو الوعي القومى الكردى. في كردستان الشرقية، إذ يخضع سكانها الكرد لاضطهاد حكم فارسي- شيعي، لم يُبدِ الكرد السنّة والكرد الشيعة عداء أو حتى كراهية بعضهم تجاه بعضهم الآخر.<sup>٣٦</sup> في كردستان الجنوبية، هناك الكثير من المسيحيين والإيزديين والشيعة من هم أعضاء في الأحزاب القومية الكردية على مستوى القيادة والقاعدة على حد سواء.

ان الشيء المشترك بين الكرد بمختلف ديانتهم وطوائفها ولهجاتهم ومناطقهم هو الالامساواة مع الشعوب السائدة التي يعيشون معها على الاصعدة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، التي ظلوا يعانون منها طوال القرن الماضي. ان حالة الالامساواة تلك هي اشبه ما تكون بحالة الاستعمار الداخلى. ان دخل الفرد الكردي كان (ومازال) أقل من نظرائه الاتراك والفرس والعرب. كما ان نسبة الأمية والفقر والبطالة عالية في المناطق الكردية مقارنة بالمناطق غير الكردية. وحالة الالامساواة هذه

<sup>34</sup> Philip G. Kreyenbroek, 'Religion in Kurdistan' -in- Kurdish Culture and Identity, op. cit., p.95.

<sup>35</sup> Ibid, p.93.

<sup>36</sup> Entessar, Kurdish Ethonationalism, p. 5.

تسري أيضاً على الكثير من الخدمات العامة الأخرى كالصحة والمياه الصالحة للشرب والكهرباء والتعليم. وعلى الرغم من ان كُردستان غنية بمواردها الطبيعية كالبتول والحديد والاراضي الخصبة والمياه الوفيرة، فانها محرومة من الصناعات المهمة التي تقع عادة في خارج حدودها.

لقد استهدفت سياسات الحكومات المركزية إبقاء كُردستان المجزأة متأخرة اقتصادياً واجتماعياً تتکل كلياً على المركز الثنائي. وهذا يُزيد من خضوع الكُرد السياسي الى المركز، ومن ثم يُضعف الحركة القومية الكُردية. لقد ذهب نظام صدام حسين الشمولي الى اقصى الحدود في محاولة القضاء على المسألة الكُردية من خلال القيام بعملية تدمير منظمة لكردستان الجنوبية أرضاً وسكاناً، إذ حرب الريف الكُردي تماماً، وقتل عشرات الآلاف من المدنيين العزل جراء القصف الكيمياوي والتهجير الجماعي القسري لسكان عدة مناطق كُردية بهدف تعريبها وتبعيشهما. وقامت السلطات التركية هي الاخرى بعملية مماثلة في كردستان الشمالية منذ منتصف ثمانينيات القرن المنصرم نجم عنها تدمير اكثر من ١٢٠٠ قرية كُردية وإجبار مئات الآلاف من المدنيين الكُرد على ترك اراضيهم وممتلكاتهم الأخرى.

ان المحاولات المستمرة التي تقوم بها الدول التي تنقسم بينها كُردستان من اجل إنكار وجود اي شيء يُعبر عن طبيعة كُردية متميزة، وهي تشكل وسيلة لإنكار وجود قضية كُردية ملحة، يفسر لماذا كان (ومازال) التأكيد على الهوية الكُردية وتطوير الثقافة الكُردية يحتل موقعاً بارزاً في برامج الحركات القومية الكُردية ونشاطاتها في جميع اجزاء كُردستان. وفي المناطق المحررة من كُردستان الجنوبية والخاضعة لإدارة كُردية إقليمية منذ العام ١٩٩١، وهناك نهضة ثقافية كبرى لم يشاهد لها مثيل من قبل يساهم فيها المثقفون الكُرد على مختلف اهتماماتهم وتوجهاتهم الفكرية لدراسة المجتمع الكُردي وتاريخه من مختلف الوجوه. في هذه المنطقة، يستند نظام التعليم الى اللغة الكُردية اساساً، وتسيير الحياة الثقافية الجديدة فيها بحرية من دون الخضوع الى الرقابة الصارمة للحكومة العربية المركزية المستبدة. واتخذ الانبعاث الثقافي أيضاً شكلاً مادياً من خلال اعادة بناء الريف الكُردي بوصفه المصدر الاكثر اهمية للثقافة الكُردية. كما ان هناك تأكيد خاص على جوانب الهوية الثقافية الكُردية يعود الى عصر ما قبل الإسلام من خلال اعادة دمج العديد من الكُرد الایزديين بالمجتمع الكُردي. وفي

أوربا، التي تحوي الكثير من المراكز الثقافية الكردية، بدأ مثقفو المنفى بـ«نهضة» في الأدب الكرمانجي،<sup>٣٧</sup> فضلاً عن الأدب السوراني من خلال طبع العديد من المجلات والصحف والكتب وعقد الندوات الثقافية والمؤتمرات الأكاديمية وتأسيس عدد من المراكز الإذاعية والمحطات التلفزيونية الفضائية والارضية.



---

<sup>37</sup> Joyce Blue, 'Kurdish Written Literature', -in- Kurdish Culture and Identity, op. cit., p.25.

## الفصل الأول

### من مخططات التجربة البريطانية في زمن الحرب إلى الاحتلال البريطاني لكردستان الجنوبية

غالباً ما تُستخدم مصطلح "المسألة الشرقية" لدى وصف مشكلة ملء الفرات السياسي الذي سببه الاختفاء التدريجي لممتلكات الإمبراطورية العثمانية من أوروبا وشمال أفريقيا والشرق الأوسط.<sup>٣٨</sup> في العقود التي سبقت العام ١٩١٤، اتّبع رجال الدولة البريطانية سياسة موحدة بثبات تجاه المسألة الشرقية،<sup>٣٩</sup> تتلخص بحماية الوحدة الإقليمية للإمبراطورية العثمانية وكذلك ديمومة المملكة القاجارية في بلاد فارس بقدر ما يتعلّق الأمر بإقليمها الداخليّة، وذلك لاستخدامها كمتراس بوجه النزعة التوسعية الروسية ((وفي فترة لاحقة توسيع النفوذ السياسي والاقتصادي الألماني)). احتل ضمانته الهند مكانة جوهرية في السياسة البريطانية تجاه منطقة الشرق الأوسط. وجاء ضمن هذا السياق، وصف لورد كرزون لقناة السويس وميزوبوتاميا والخليج بأنها «جزء من حدود الهند البحرية».<sup>٤٠</sup> ولكن في الوقت نفسه، استغلت بريطانيا فراغ القدرة الناجم عن تدهور سلطة الدولتين العثمانية والقاجارية المتواصل لتوسيع سيطرتها على الطريق البحري المتجه إلى الهند عن طريق إنشاء موقع إستراتيجية لها، ومن ثم تعزيزها في سواحل تلك الدولتين، خاصة في منطقة الخليج وشبه جزيرة سيناء. واستمر هذا الوضع حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى في العام ١٩١٤. وال Herb هذه هي التي أجبرت بريطانيا على إعادة النظر في سياساتها

<sup>٣٨</sup> J.A.R. Marriott, *The Eastern Question, a Historical Study in European Diplomacy*, (London: Oxford University Press, 1958), pp.1-3.

<sup>٣٩</sup> Keith M. Wilson, *Empire and Continent: Studies in British Foreign Policy from the 1880's to the First World War*, (London & New York: Mansell Publishing, 1982), p.18.

كان اللورد سالزبوري رجل الدولة البريطاني الوحيد الذي فكر في تقسيم الإمبراطورية العثمانية على نطاق واسع في عهد حكومتيه الأولى والثانية التي ترأسها في الأعوام ١٨٨٦-١٨٩٢ و ١٨٩٥-١٩٠٢، بحسب الترتيب. التفاصيل في المصدر أعلاه.

<sup>٤٠</sup> Marian Kent, *Moguls and Mandarins: Oil, Imperialism and the Middle East in British Foreign Policy, 1900-1940*, (London: Frank Cass, 1993) p.11.

الشرق أوسطية برمتها كُرد فعل مباشر وصريح على دخول تركيا العثمانية الحرب إلى جانب حلف القوى المركزية، أي الإمبراطورية الألمانية والإمبراطورية النمساوية-المجرية. وسارعت بريطانيا إلى عقد اتفاقيات سرّية مع كل من فرنسا وروسيا القيصرية بهدف تقسيم الأقاليم العثمانية في ضوء مصالحها الخاصة. وكان مصرير القسم الأعظم من كُردستان قد تضمنه مخططات الحلفاء لإعادة ترتيب أقاليم الإمبراطورية العثمانية سياسياً واقتصادياً.

ويبحث هذا الفصل أيضاً الخلفية التاريخية لتزايد اهتمام بريطانيا بشؤون كُردستان العثمانية وكُردستان القاجارية ضمن سياق تطور سياستها الشرق الأوسطية. وسيكون التركيز على ردود الفعل الذي أبداه البريطانيون تجاه محاولات الإمارات الكردية في تحقيق الاستقلال الناجز، وكذلك تجاه اندلاع انتفاضات كردية ذات توجه قومي. ويستمر هذا الفصل في تحليل تأثيرات اندلاع الحرب العالمية الأولى في مواقف بريطانيا تجاه مستقبل كُردستان من خلال التركيز على توصيات لجنة بونسن لعام ١٩١٥، والأهم منها، بنود اتفاقية سايكس-بيكو الثلاثية لعام ١٩١٦. لقد عكس تشكيل لجنة حكومية وعقد اتفاقية خارجية حاجة بريطانيا الماسة إلى إعادة النظر في مصالحها الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، التي حاولت تأمينها في المراحل التي سبقت اندلاع الحرب، بوصفها رداً حتمياً على دخول تركيا العثمانية الحرب إلى جانبmania وحليفتها النمسا. وأخيراً، سيدرس هذا الفصل الشروط العسكرية والسياسية المحيطة بطريقة بسط البريطانيين لسيطرتهم على المناطق الجنوبية من كُردستان العثمانية، وكيف قاد ذلك إلى تطورات سياسية في مرحلة لاحقة.

#### الخلفية التاريخية:

#### موقع كُردستان في سياسات بريطانيا العثمانية والقاجارية لمرحلة ما قبل الحرب

##### ١- القرن التاسع عشر: بريطانيا وبروز النزعة القومية الكردية

كانت الحسابات الإستراتيجية التي استندت إليها سياسة بريطانيا تجاه المسألة الشرقية قد أثرت في تصوراتها وردود أفعالها تجاه شؤون كُردستان العثمانية وكُردستان القاجارية على حد سواء في المدة ما بين العقد الثالث من القرن التاسع عشر ومتناصف العقد الثاني من القرن العشرين. وقفت بريطانيا على الدوام وبثبات

إلى جانب تعزيز سلطة الحكومة المركزية في إسطنبول وطهران في المناطق الكردية. وعبر الموقف البريطاني عن نفسه في دعم إصلاحات السلطان محمود الثاني الهادفة إلى تقوية النزعة المركزية (centralization) وفي ردود فعل معادية لمساعي الأمراء الكرد في إقامة دولة كردية كبيرة مستقلة وكذلك في اتخاذ موقف مناوش من أهداف انتفاضات كردية عدّة.

لقرن طويلاً، تمتّعت غالبية المناطق الكردية بحكم ذاتي حقيقي، خاضعة اسمياً إلى الأتراك العثمانيين أو الإيرانيين. في نهايات القرن الثامن عشر وبدايات القرن اللاحق سعت عدّة إمارات كردية بصورة حثيثة إلى تحقيق الوحدة والاستقلال الناجز. وقام أمراء إمارة بابان وإمارة سوران بجهود كبيرة بتوسيع المناطق الكردية الخاضعة لسيطرتهم مُتحدين في الوقت نفسه سلطات الحكومتين الإقليمية والمركزية على حد سواء. وقابل هذا الاندفاع القوي نحو الاستقلال والوحدة توجّه معاكس نحو المركزية الإدارية والسياسية والعسكرية. لقد كان الهدف من وراء برنامج السلطان محمود الثاني (الإصلاحي) القائم على النزعة المركزية والمدعوم من القوى الأوروبية الكبرى القضاء على كيانات الحكم الذاتي وسلطة الأسر الأميرية المتوارثة للحكم لقرون عدّة في المناطق غير التركية التي بدأت تُشكّل تهديداً حقيقياً لأنّ الإمبراطورية العثمانية ووجودها. بهذا الشكل أصبح الميدان مفتوحاً أمام سلسلة من المواجهات العنيفة بين النخب السياسية الكردية والسلطات المركزية طوال القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين.

اتخذ تدهور سلطة الإمبراطورية العثمانية المتواصل بعدّاً جديداً حين أعلن محمد علي باشا، والي مصر بين عامي ١٨٠٥-١٨٤٨، استقلاله رسميّاً عن حكومة السلطان في إسطنبول، ساعياً بقوّة إلى تشكيل دولة عظيمة عن طريق الاستيلاء على عدّة أقاليم آسيوية في الشرق الأوسط العربي كانت خاضعة لحكم السلطان العثماني، فضلاً عن إلحاق السودان. وسرعان ما كشفت الحروب المصرية - التركية التالية وإعلان استقلال اليونان في العام ١٨٢٨ عن ضعف السلطات المركزية في إسطنبول أمام أعين الأمراء الكرد، وحفّزتهم على استغلال هذه الفرصة غير المسبوقة في تحقيق تطلعاتهم السياسية. على الصعيد الدولي، راقب الكرد عن كثب انتصارات روسيا القيصرية على الإمبراطورية العثمانية في الأعوام ١٨٠٦ - ١٨١٢ و ١٨٢٩-١٨٢٨، وكذلك تصاعد وتيرة تدخل الأوربيين في شؤونها الداخلية. لقد أصبح جلياً أن الإمبراطورية

العثمانية لم تُعد قوة كبرى. ومن جانب ثانٍ، أثار مجيء رجال الإرساليات المسيحية، الأوروبيّة منها والأمريكية، واستقرار قنصليّات أجنبية عائدة إلى عدد من الدول الأوروبيّة الكبرى، خاصة روسيا وبريطانيا وفرنسا، في الأقاليم غير التركية ومنها كُردستان انتباه المحليّين الكُرديّين بسبب تدخلاتهم المتزايدة في شؤونهم المحليّة سواء بصورة سافرة مباشرة أو بصورة مستترة غير مباشرة.

حالما تسلّم زعامة إمارة سوران في العام ١٨١٤، قام الأمير الكُردي، محمد باشا، بتحدي السلطات المركزيّة العثمانيّة والحكومة الإقليميّة التابعة لها في بغداد. في غضون عشرين عاماً، استطاع هذا الأمير بسط سيطرته على الأجزاء المركزيّة والجنوبيّة والغربيّة من كُردستان من خلال إلحاقي إمارتي شيران وبرادوست ومناطق ومدن كُرديّة عدّة بما في ذلك ماردين وأربيل وكوييسنجل ورانيه ودهوك وزاخو وسنجار. حكم الأمير محمد المناطق الخاضعة لسلطته بيد من حديد، واستطاع فرض الأمن والسلام والنظام. ويبدو أن هذا الأمير لم يتردد في الاتصال بإبراهيم باشا، ابن محمد علي باشا<sup>٤١</sup>، الذي كان قد قام بغزو بلاد الشام حتى وصلت قواته تخوم المناطق الكُرديّة، مهدداً بذلك وجود الإمبراطوريّة العثمانيّة ذاتها. في تلك الحقبة الحساسة، اتّخذت بريطانيا مبادرة دبلوماسيّة كبيرة عن طريق صياغة موقف أوربيٍ موحد وثبتت يدعم الحكم العثماني ومعارِفه في الوقت نفسه، أيه تهديدات داخلية تنطلق من الأقاليم غير التركية. على الرغم من فشل الجيش العثماني في القضاء عسكرياً عليه، وصل الخطر الكُردي إلى نهايته بسرعة في العام ١٨٣٧، في أعقاب اغتيال الأتراك للأمير محمد الباشا في طريق عودته إلى إمارته، بعدما قبل بمساومة سياسية كانت قد قدمتها حكومة إسطنبول لإنهاء الحرب بين الجيшиين الكُردي والتركي. وقد ألغى والي بغداد إمارة سوران في العام ١٨٤٧، بحسب توجيهات الحكومة المركزيّة في إسطنبول.

قامت إمارة بوتان بأقوى مسعي من أجل إنهاء النفوذ التركي وإقامة دولة كُرديّة مستقلة تضم أكبر قدر ممكن من مناطق كُردستان. في العام ١٨٢١، تولى أمير شاب

<sup>41</sup> محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكُرد وكُردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن، ج ١، ترجمة محمد علي عوني، بغداد: ١٩٦١، ص ٢٢٨-٢٢٠.

قدمت قبيلة ملي الكُرديّة بزعامة تياوي بك، إبراهيم باشا في حرّيه مع الأتراك العثمانيّين. المصدر أعلاه، ص ٢٢٢.

طموح اسمه بدرخان إمارة بوتان، وكانت أولى نشاطاته العسكرية توحيد أجزاء إمارة بوتان الثلاثة، وهي الجزيرة وگوركيل وفنك. طبقاً إلى المؤرخ أمين زكي، كان الأمير بدرخان عازماً منذ بدء عهده على إنهاء السيطرة العثمانية الاسمية في كُردستان.<sup>٤٢</sup> ان دراسة خطوات بدرخان ونشاطاته الأولى تدلل بوضوح على انه كان يسعى إلى تشكيل دولة كُردية موحدة ومستقلة منذ عشرينيات القرن الثامن عشر. لم يرفض هذا الأمير طلب الحكومة العثمانية في إرسال قوة عسكرية كُردية إلى جبهات القتال خلال الحرب العثمانية- الروسية (١٨٢٩-١٨٢٨)<sup>٤٣</sup> فحسب، بل أيضاً رفض دفع أية ضرائب إلى السلطان أو الاعتراف بسلطته الاسمية.<sup>٤٤</sup>

أعدَّ بدرخان جيشاً ثابتاً تحت قيادته المباشرة، وشيد في معقله في الجزيرة ورشة لتصنيع الأسلحة والأعتدة من أجل سد الاحتياجات جيشه المتزايدة.<sup>٤٥</sup> وعلى غرار محمد باشا، أمير سوران، حكم بدرخان بيد من حديد. فطبقاً إلى أقوال شهود عيان من رجال الإرساليات المسيحية الأمريكية، أفلح بدرخان في القضاء على الفوضى وعدم الاستقرار إذ قام بفرض النظام والقانون، ليحول إمارة بوتان إلى ملاذ آمن تُحترم فيه الملكيات وحياة الأهالي بغض النظر عن انتسابهم الدينية.<sup>٤٦</sup> وبواسطة عقد سلسلة تحالفات سياسية وعسكرية مع عدد من الحكام الـكُرد المحليين الآخرين، منهم أمراء ومنهم قادة قبليون،<sup>٤٧</sup> استطاع بدرخان بسط نفوذه على مناطق كُردية شاسعة، شملت وان ودياريكر وهكاري وخيزان وموش. كما امتد نفوذه بدرخان إلى مناطق أخرى في أورمية وأشنوية وصوجبلاغ (مهاباد) في كُردستان القاجارية.

في البدايات الأولى، سعى الأتراك، وعقب إطلاعهم على طموحات بدرخان السياسية الجامحة، إلى إقناعه بابداء مظاهر الولاء إلى السلطان العثماني عن طريق

<sup>42</sup> زكي، خلاصة تاريخ الـكُرد وـكُردستان، ص ٢٣٦.

<sup>43</sup> Arshak Safrastian, **Kurds and Kurdistan**, [London: Arwell Press, 1948], p.55.

<sup>44</sup> Lieu. Col. J. Shiel: 'Notes on a Journey from Tabriz through Kurdistan via Van, Bitlis and Erbil to Sulaimaniya in July and August 1836' Journal of the Royal Geographical Society, -1838-, p.87.

<sup>45</sup> زكي، خلاصة تاريخ الـكُرد وـكُردستان، ص ٢٣٥.

<sup>46</sup> 'Visits of Messrs Wright and Breath to Bader Khan Bey' in American Missionary Herald, 42, November 1846, pp.378-383.

<sup>47</sup> على سبيل المثال الأمير نور الله بك في هكاري، وخان محمود في موکس.

تقديم وعود سخية.<sup>٤٨</sup> في العام ١٨٣٨، عانى بدرخان من انتكاسة بسبب الاحتلال رشيد باشا، قائد الجيش التركي، لعاصمته في أعقاب شن سلسلة من الحملات العسكرية.<sup>٤٩</sup> ولجأ بدرخان على إثر ذلك إلى الجبال المحيطة، لتصبح معلولاً للمقاومة.<sup>٥٠</sup> ونقطة انطلاق لتحرير المناطق الكردية من الوجود التركي. وفي العام ١٨٣٩، استغل بدرخان فرصة إلحاق جيش إبراهيم باشا المصري الهزيمة النكراء بجيش رشيد باشا التركي في استعادة المناطق الكردية المجاورة للجزيرة. وبلغت سلطة بدرخان ذروتها في العام ١٨٤٥، وأصبح بمثابة الزعيم الأكبر في القسم الأعظم من كردستان، بعد أن أعلن عدد من الأمراء الكرد وقادة القبائل خضوعهم إلى أوامره.<sup>٥١</sup>

كان الخوف من انحلال الإمبراطورية العثمانية وتدهور سمعتها هو الأمر الذي دفع بالقوتين الأوروبيتين الكبيرتين، بريطانيا وفرنسا، إلى ممارسة ضغوط شديدة على إسطنبول من أجل تحطيم إمارة بوتان مستغلة مسألة حماية مصالح الجماعات المسيحية المحلية في كردستان ذريعة للتدخل في شؤون الدولة العثمانية الداخلية. ويرى فان برونسن أن قمع بدرخان الدموي لقسم من الجماعة الأثورية المتمردة عليه قد خلق ردود فعل قوية في أوروبا، وهو الأمر الذي أدى إلى سقوطه.<sup>٥٢</sup> ويرجع كذلك نزان المعارضة المسيحية المحلية لحكم الأمير بدرخان إلى النشاطات المعادية للكرد، التي كان يقوم بها أعضاء الإرساليات المسيحية الأمريكية والإنكليزية،<sup>٥٣</sup> الذين تأثر نفوذهم سلباً نتيجة لتعزيز سلطة الكونفدرالية الكردية تحت قيادة بدرخان. وشكل تلاقي الهواجس البريطانية- الفرنسية مع المخاوف التركية المتconcادة خلفية لقيام إسطنبول بإرسال جيش جرار بقيادة أشهر قادتها العسكريين للقضاء على سلطة الأمير بدرخان. وبعد إبداء مقاومة مستميتة طويلة، أسر الأتراك بدرخان في العام ١٨٤٧ وأرسل مع أفراد أسرته الكبيرة إلى المنفى.

أدى إلغاء إمارات الكردية ونفي الأسر الأميرية العريقة إلى خارج كردستان، من جانب، وعجز الأتراك عن إقامة الاستقرار والأمن، من جانب ثان، إلى ظهور فراغ سياسي

<sup>48</sup> زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكُردستان، ص ٢٣٧.

<sup>49</sup> J. Shiel: 'Notes on a Journey from Tabriz through Kurdistan...', p.87.

<sup>50</sup> Ibid.

لم يكن شيل قادرًا على السفر عبر منطقة بدرخان، بسبب الانتفاضة الكردية.

<sup>51</sup> 'Visits of Messrs Wright and Breath to Bader Khan Bey', pp.378-383.

<sup>52</sup> Martin Van Bruinesse, in Agha, Sheikh and State, the Social and Political Structure of Kurdistan, [London & New Jersey: Zed Books, 1992], p.160.

<sup>53</sup> Nezan, A People without a Country, p.21.

كبير. ورداً على هذه الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والأمنية المتدهورة اندلعت انتفاضات كُردية عدّة، تميزت الواحدة عن الأخرى من حيث اتساعها وشديتها. وكان الأمير يزدانشير قد قاد واحدة من أقوى الانتفاضات الكُردية في أثناء حرب الكريمين (القرم) (١٨٥٣-١٨٥٦) بين روسيا القيصرية، من طرف، وبريطانيا وفرنسا وتركيا العثمانية، من طرف ثانٍ. فبعد أن أمن مساندة الجماعات المسيحية المحلية في المناطق الكُردية لانتفاضته المعادية للحكم التركي، سعى يزدانشير إلى تنسيق جهوده العسكرية مع الجيش الروسي، ولكنه أخفق في ذلك بسبب صعوبة الاتصال. وطبقاً لما كتبه كمال مظهر، استطاعت القوات التركية، وبدعم مباشر من بريطانيا، القضاء على انتفاضة يزدانشير، التي سرعان ما خلّدها الشعر الغنائي الفلكوري الكُردي.<sup>٤٤</sup>

يعود اهتمام روسيا بالشؤون الكُردية إلى الربع الأخير من القرن التاسع عشر، الذي جاء نتيجة مباشرة للانتصارات الساحقة التي أحرزتها في حروبها مع إيران القاجارية في الأعوام ١٨٢٦-١٨٢٨ و ١٨١٢-١٨٠٤. لقد أوجد احتلال روسيا القيصرية لمنطقة قوقازيا تماساً برياً مباشراً بين الأقاليم الخاضعة لها والمناطق ذات الأغلبية الكُردية الواقعة على تخوم الدولتين العثمانية والقاجارية. نظراً لشراهة روسيا الشديدة من أجل الاستحواذ على المزيد من الأقاليم الواقعة إلى الجنوب من حدودها وباتجاه سواحل البحر الأبيض ومنطقة الخليج، أصبح من الطبيعي أن يُركز قادتها العسكريون اهتمامهم على المناطق الكُردية الحدودية بهدف كسب ولاء الوجوه الاجتماعية والدينية البارزة فيها أو في أقل تقدير تحبيدهم في حالة اندلاع حرب بين روسيا وتركيا العثمانية أو بين روسيا وإيران القاجارية.

أشار دبليو. إي. دي. آلن وبول موراتوف إلى أن إقامة علاقات ودية وتفاهم مع القيادات الكُردية المحلية، طبقاً لتصورات الأمير الروسي باسكيفيتش، قد شكلت أحد الشروط الأولية الالزمة لنجاح أي احتلال روسي لمنطقة الأناضول.<sup>٤٥</sup> مع ذلك، لا تشير الدلائل المتوفرة إلى وجود أي دعم روسي للأمراء الكُرد، حين كانوا يحاربون الجيوش التركية طوال النصف الأول من القرن التاسع عشر وقبل وقوع انتفاضة يزدانشير تحديداً. إن الأمر المؤكد منه هو انه خلال الحرب الروسية- العثمانية

<sup>٤٤</sup> Ahmad, *Kurdistan During The First World War*, p.70.

<sup>٤٥</sup> W.E.D. Allen and Paul Muratoff, *Caucasian Battlefields: a History of the Wars on the Turco-Caucasian Border, 1828-1921*, [Cambridge: Cambridge University Press, 1953], p.32.

(١٨٢٩-١٨٢٨) ضَمِنَ الروس دعم الكُرد، من المسلمين والإيزديين،<sup>٥٦</sup> خاصة في منطقة يريفان، الذين زودوا الجيش الروسي بـ ٣٠٠٠ فارس.<sup>٥٧</sup> يقول ويليام مونتيث إن الكُرد الذين خدموا في صفوف الجيش الروسي فاق عددهم بكثير عدد أقرانهم من قاتلوا في صفوف الجيش العثماني.<sup>٥٨</sup> فضلاً عن الترحيب بمقدمه إلى مناطقهم، زود المحليون الكُرد الجيش الروسي بالغذاء والإمدادات الأخرى.<sup>٥٩</sup>

مَثَّلَ تزايد الاهتمام البريطاني والروسي بـ كُردستان عاماً جديداً منح الشؤون الكُردية بُعداً دولياً متزايناً غير مسبوق منذ بدايات القرن التاسع عشر. ولم ترافق القوى الأوروبية المتنافسة، خاصة بريطانيا وروسيا، عن كثب تطورات الأوضاع في المناطق الكُردية فحسب، بل أيضاً سعت إلى التأثير بسير الأحداث وتحديد نتائجها. وكان الشيخ عبيداً لله النهري، القائد الديني والقومي الأبرز في الربع الأخير من القرن التاسع عشر أول من أستشعر بأهمية العامل الدولي بالنسبة إلى القضايا المتعلقة بشؤون الأقاليم الكُردية. وتدلل الأحداث السياسية خلال المدة ١٨٨٠-١٨٨١ أن هذا الشيخ قد أدرك المخاوف البريطانية من حركته السياسية، وكيف أنها يمكن أن تعرقل مساعيه في إقامة كُردستان موحدة ومستقلة. فحالما أعلن عبيداً لله انتفاضته المسلحة في أيلول عام ١٨٨٠، سعى بصورة حثيثة إلى إقامة اتصالات مباشرة مع القوى الأوروبية الكبرى، خاصة بريطانيا، أملاً في تجنب معاداتها لأهدافه القومية. في إحدى رسائله إلى القنصل البريطاني العام في مدينة تبريز الواقعة في أذربيجان الإيرانية، أوضح عبيداً لله أن:

الهدف من وراء إرسال ولده إلى بلاد فارس هو معالجة الشكاوى الكُردية. الكُرد تعرضوا إلى سوء المعاملة على يد تركيا وببلاد فارس، وأنه بصحبة قادة القبائل الكُردية يأمل الآن في إقامة كُردستان على أساس الوحدة والاستقلال.<sup>٦٠</sup>

<sup>٥٦</sup> Allen and Muratoff, Caucasian Battlefields, p.3i and William Monteith, **Kars and Erzeroum, with the Campaign of Prince Paskiewitch in 1828 and 1829**, [1856], p.231.

<sup>٥٧</sup> Monteith, **Kars and Erzeroum**, p.221.

<sup>٥٨</sup> Ibid, pp.264.

<sup>٥٩</sup> Allen and Muratoff, **Caucasian Battlefields**, p.40.

<sup>٦٠</sup> Thomson to Granville, 30 October 1880, Enclosure No.22, Correspondence Respecting the Kurdish Invasion of Persia, Parliamentary Papers, Vol. C, No.5 Year 1881, p.16.

كان الشيخ عبید الله ينوي إلحاق الهزيمة بالطرف الأضعف، أي إيران القاجارية، أولاً، قبل أن يتفرغ لمواجهة الطرف الأقوى، أي تركيا العثمانية. وترتب على تحقيق تلك الأهداف إقامة عبید الله لتحالف داخلي مع الجماعات المسيحية التي كانت تعيش على جانبي الحدود العثمانية- القاجارية.<sup>٦١</sup> وسعى عبید الله إلى طمانة القوى الأوروبية بمنواهاته السياسية وتوجهاته الدينية المعتدلة، مؤكداً على أنه غير معادي للمسيحية أو للأوربيين وأنه في الدولة الـ<sup>كُردية</sup> المستقلة ((سيضع المسيحيين والمسلمين على قدم المساواة)).<sup>٦٢</sup> وأوضح رسول للشيخ عبید الله إلى القنصل البريطاني، ويليام جي. آبوت، في تشرين الأول عام ١٨٨٠ أن كل ما كان يطلبه الشيخ:

الدعم الأخلاقي للقوى الأوروبية، خاصة إنكلترا، التي يكن لها أقصى المودة والاحترام. وطلب الشيخ أن يختبره (الأوربيون). فإذا فشل في إقامة كُردستان (مستقلة ومستقرة) فإنه سيكون على استعداد لقبول أي قرار يصدر عن محكمة أوربية وتحمّل جميع تبعاتها.<sup>٦٣</sup>

لقد أجبرت بنود اتفاقية برلين لعام ١٨٧٨ تركيا العثمانية القبول بمشروع لإجراء إصلاحات إدارية لصالح رعاياها من الأرمن، وبوجود مراقبين أوربيين للإشراف على تنفيذ تلك الإصلاحات في كُردستان العثمانية. وتحت تأثيرات النجاح الذي حققه القوميون الأرمن في كسب تعاطف الحكومات الأوروبية نحو مسأله، سعى عبید الله إلى الارتقاء بالقضية الـ<sup>كُردية</sup> إلى مستوى دولي من خلال إدخالها في أجندـة المؤتمرات الأوروبية. وناشد عبید الله بريطانيا على الخصوص من أجل النظر في موضوع أسباب قيام الثورة الـ<sup>كُردية</sup> بهدف إيجاد حل لها.<sup>٦٤</sup> في الوقت نفسه، بذل عبید الله جهده في توريط الموظفين البريطانيين الميدانيين المتواجدـين بالمقربة من قلب الأحداث في اتصالاته مع حكام الأقاليم القاجارية في كُردستان الشرقية.<sup>٦٥</sup>

بالرغم من الجهود الحثيثة التي بذلها الشيخ عبید الله أخفق في الخروج بأية نتائج مفيدة من جراء اتصالاته مع البريطانيـين ومناشدته لهم. ففي معرض الرد على رسالة عبید الله، أوضح آبوت أن حكومة لندن غير معنية تماماً بنزاعه مع بلاد فارس، مبرراً

<sup>٦١</sup> Maj. Trotter to Mr. Goscher, 20 October 1880, ibid, p.16.

<sup>٦٢</sup> Ibid.

<sup>٦٣</sup> Extracts from Consul-General Abbott's Diary, Enclosure 1, ibid, p.39.

<sup>٦٤</sup> Sheikh Ubeidullah to Dr. Cohran, Enclosure 2, ibid, p-47.

<sup>٦٥</sup> Ibid, p.38.

بذلك رفض مناقشة أسباب اندلاع ذلك النزاع، لكنه أكد ان حكومته ((قلقة جداً بشأن توطيد السلام والأمن)) على طول الحدود العثمانية- القاجارية.<sup>٦٦</sup> ولا تكمن أهمية موقف البريطانيين من الانتفاضة الكردية في عدم إبداء أي استعداد لدراسة الشكاوى الكردية بقدر بذلهم المساعي الحثيثة من أجل تقرير وجهات نظر الحكومتين العثمانية والقاجارية وبالتالي تنسيق جهودهما السياسية والعسكرية المشتركة بهدف القضاء المبرم على تلك الانتفاضة، التي شكلت تهديداً صريحاً للوضع القائم. وتركزت الدبلوماسية البريطانية في حث الأتراك، وحتى الضغط عليهم، عن طريق السفير البريطاني في إسطنبول، للوصول إلى تفاهم عاجل مع الشاه القاجاري يهدف إلى قمع المنتفضين الكرد، وذلك من خلال تنسيق الحملات العسكرية على جانبي الحدود العثمانية- القاجارية.<sup>٦٧</sup> في إحدى البرقيات التي أرسلت بعد اتضاح فشل جهوده الأولية في التقرير بين الحكومتين القاجارية والعثمانية، أبلغ رونالد آف تومسون، الوزير البريطاني في طهران، أيرل غرانفيل، وزير الخارجية البريطانية، انه ((وأصل حثه للحكومة الفارسية على التعاون مع السلطات التركية في سبيل توطيد النظام بين القبائل الكردية الموجودة قرب الحدود الفارسية)).<sup>٦٨</sup>

وعلى الرغم من عدم وجود أي تورط روسي في اندلاع الانتفاضة الكردية التي قادها الشيخ عبيد الله، بدت بريطانيا قلقة جداً لاعتقادها الراسخ ان حدوث أية اضطرابات داخلية في المناطق الكردية، سواء الواقعة في تركيا أو الواقعة في إيران، ستمنح الروس فرصة ثمينة لإضعاف وحدة هاتين الدولتين إقليمياً وسياسياً، ومن ثم سيمكنهم هذا من توسيع نفوذهم السياسي والاقتصادي في اتجاه الجنوب ليسدوا بذلك ضربة قوية ضد المصالح البريطانية الإستراتيجية. ينفي التذكير بهذا الصدد ان روسيا لم تُعد تنظر إلى الكرد في أعقاب حرب الكريمين (القرم) بوصفهم حلفاء محتملين يمكن الاتفاق أو التعامل معهم في صراعها المستمر مع الإمبراطورية العثمانية. فمنذ انتهاء تلك الحرب، أصبح السياسيون الروس يرون في تبني القضية الارمنية الوسيلة المثلثة لإضعاف السلطة العثمانية في الولايات الشرقية تمهدًا للاحقها في الوقت المناسب. ونظراً

<sup>66</sup> Ibid, P39.

<sup>67</sup> Mr. Thomson to Earl Granville, 14 May 1880 & Earl Granville to Mr. Goschen, 1 July 1880, ibid, p.1.

<sup>68</sup> Mr. Thomson to Earl Granville, Tehran, 24 August 1880, ibid, p.10.

للتناقض القائم بين تطلعات السياسية الكردية وطموحات الأرمن، أي بين فكرة دولة كردية مستقلة وارمينيا خاضعة لسيطرة روسيا، لم يكن من قبيل المصادفة ان تُخفِّف أهداف الانتفاضة الكردية الجانب الروسي أكثر بكثير من الجانب البريطاني. لقد ذهبت مخاوف روسيا إلى درجة الاستجابة الفورية لمناشدة الشاه القاجاري لها بإرسال مساعدات عسكرية، حتى إنها حاولت التدخل عسكرياً وبصورة مباشرة ضد الانتفاضة الكردية المستمرة. وكانت الحكومة الروسية قد أبلغت نظيرتها البريطانية عن التهديد المباشر الذي شكلته الانتفاضة الكردية ضد المناطق النائية من الإمبراطورية، التي عاش فيها أكثر من ٤٤ ألف كردي والواقعة بالمقربة من الحدود الروسية- العثمانية والروسية- القاجارية ، وكذلك ضد حلفائها المحليين من الأرمن.<sup>٦٩</sup>

ولكن الاستعدادات العسكرية التي اتخذتها روسيا للتدخل ضد الانتفاضة الكردية دعماً لجهود حكومة الشاه القاجاري قد أدت إلى مضاعفة قلق البريطانيين، الذين عجزوا عن إقناع الحكومتين القاجارية والعثمانية بتطبيع علاقتهمما الثنائية، أو في الأقل، تنسيق جهودهما العسكرية بصورة مؤقتة ضد المنتفضين الكرد. في نهاية الأمر، استطاعت القوات القاجارية إجبار قسم من قوات المنتفضين الكردية من التراجع نحو الحدود العثمانية- القاجارية وتشتيت القسم الآخر. وأنجح هذا الوضع الجديد الفرصة لروسيا في أن تطمئن بريطانيا حول انتفاء الحاجة إلى تدخلها عسكرياً لصالح الإيرانيين.<sup>٧٠</sup> ولم يمنع (تقرار وقوع مثل هذه الأوضاع)<sup>٧١</sup> في كردستان، اقترحت الحكومة الروسية على نظيرتها البريطانية تنسيق جهودهما المشتركة في المستقبل.<sup>٧٢</sup> ولكن الأخيرة لم تكن ترغب في أي مقترن أو مشروع يمنح الروس حق التدخل في الشؤون الداخلية لتركيا العثمانية أو لإيران القاجارية.

وكشفت الانتفاضة الكردية التي قادها الشيخ عبيد الله انه في الوقت الذي كانت بريطانيا تستجيب للمناشدات المسيحية بصورة عامة والأرمنية بصورة خاصة، فإنها لم تخف معارضتها ورفضها لشكاوى الكرد، لأنهم بحسب زعمها، مصدر لإثارة الفتن والقلق. وفي أعقاب الحرب الروسية- التركية (١٨٧٨-١٨٧٧) عينت وزارة

<sup>٦٩</sup> Mr. Plunkett to Earl Granville, 8 November 1880 & 17 November 1880, ibid, pp.18-19.

<sup>٧٠</sup> Earl Granville to Mr. Plunkett. 16 November 1880, ibid, p.24.

<sup>٧١</sup> Earl Granville to the Earl of Dufferin, Foreign Office, 28 January 1881, ibid, p.75.

الخارجية البريطانية الميجر أوج تروتر قنصلاً لعموم "كردستان" العثمانية، الذي تكمن مهمته، وبمساعدة عدد آخر من مرؤوسيه البريطانيين الموزعين بين المدن الكردستانية أو الحواضر القريبة منها، بإرسال التقارير إلى لندن بشأن تطبيق الإصلاحات الأرمنية المقترحة، التي تعهدت تركيا بإجرائها، وبشأن أوضاع سكان الأقاليم العامة في ما عُرف بالولايات الشرقية. إن دراسة تعليمات وزارة الخارجية البريطانية والتصورات التي كونتها تكشف أن لندن كانت توصي وتشجع الحكومتين التركية والقاجارية في التعامل بحزم مع الشكاوى الكردية من خلال استخدام القوة، بدلاً من تبني تغييرات سياسية وإدارية للتحفيظ عن معاناتهم. لكن، اندلاع انتفاضة الشيخ عُبيد الله ساعدت على أن تلتف نظر الميجر تروتر حول الحاجة إلى تفهم المعاناة الكردية تحت حكم تركي فاسد مستبد. يقول تروتر في إحدى تقاريره:

لا شك ان الكرد في العديد من الأماكن يعانون من سوء الحكم اكثر من المسيحيين. فهم لا يملكون قنابل (أوريبيون) كي ينظروا إليهم كحمة خاصين لهم، ولا أساقة يبعثون ببرقيات مثيرة مبالغ فيها عن مخاوفهم، في الحقيقة، لا يوجد أي أحد يمكن مناشدته للنظر في الشكاوى أو في توفير الحماية... أنا لا أرى أي داع، بأي حال من الأحوال، يمنع خضوع الكرد المستقررين الى نفس القوانين والمؤسسات التي يخضع لها المسيحيون.<sup>72</sup>

هذه الدعوة لإجراء بعض التعديلات في الموقف البريطاني تجاه الشؤون الكردية من خلال توفير الحماية البريطانية والأوروبية للكرد الخاضعين للحكم التركي، على غرار نظرائهم المسيحيين، مررت من دون أن تلتفت إليها حكومة لندن، التي كانت تؤمن أن ظهور أي تحرك في اتجاه الالامركزية ونقل السلطات إلى الأقاليم (devolution) ستكون بمثابة خطوة نحو تمزيق أوصال الإمبراطورية العثمانية والمملكة القاجارية في إيران المجاورة، وكذلك منح الروس الفرصة التي كانوا ينشدونها في سبيل توسيع نفوذهم الاستراتيجي السياسي والاقتصادي في اتجاه الجنوب، أي نحو المياه الدافئة في الخليج والبحر الأبيض المتوسط. وشجع البريطانيون تلك الإصلاحات السياسية والإدارية التي من شأنها تعزيز سلطة الحكومة المركزية وفي الوقت نفسه تحسن بعض الشيء من أحوال رعايا الدولة العثمانية من المسيحيين. واستهدفت بريطانيا من وراء

<sup>72</sup> Maj. Trotter to Mr. Goschen, 14 September 1880, ibid. p.162.

الاهتمام بدراسة شكاوى المسيحيين المحليين في المقام الأول سحب البساط من تحت أقدام روسيا التي كانت تستخدم معاناتهم ذريعة في سياستها الخارجية التوسعية من أجل التدخل في الشؤون الداخلية للإمبراطورية العثمانية.

## ٢- بداية القرن العشرين:

### اشتداد المنافسة بين القوى الأوروبية حول مجالات النفوذ السياسية والاقتصادية

في أوائل القرن العشرين، واجهت الحركة القومية في كُردستان القاجارية، على غرار مثيلتها في كُردستان العثمانية، موقف بريطانية غير ودية في أقل تقدير. خلال أحداث ما يُعرف بالثورة الدستورية في العام ١٩٠٦، أدى الكُرد الشرقيون دوراً ملحوظاً في دعم الحركة الديمocraticية الإيرانية. فعلى غرار مثيلاتها في أقاليم إيران الأخرى، أقامت المدن الْكُردية، مثل كرمانشان وسابлаг وسنندج وسقز، مجالس شعبية (انجمن) لتنول إدارة الشؤون المحلية بدلًا من موظفي الحكومة المركزية.<sup>٧٣</sup> ودافع الكثير من الكُرد عن الحركة الدستورية سواء ضد التدخلات الروسية أو التدخلات التركية. لكن سرعان ما أدى عدم اهتمام قادة الحركة الدستورية بالطلعات السياسية الْكُردية إلى خيبة أمل عند الكُرد الشرقيين، ومن ثم أدى إلى تصعيد جهودهم الرامية إلى إقامة حكم ذاتي في مناطقهم. إن اشتداد قوة الحركة القومية الْكُردية، التي حولت كُردستان الشرقية إلى حالة من التمرد وعدم الاستقرار، من جانب، والتهديد الصريح الذي شكلته الحركة الدستورية لمصالح القوى الأجنبية، من جانب ثانٍ، دفع بروسيا وبريطانيا إلى إعادة النظر في سياستيهما اتجاه شؤون إيران الداخلية وتحويلها من حالة التنافس السلبية إلى حالة من التعاون والتنسيق المشترك خدمة لمصالح الطرفين. تلك كانت خلفية اتفاقية عام ١٩٠٧، التي توصلت إليها روسيا وبريطانيا، حول التوفيق بين مصالحهما في مناطق إيران المختلفة. وكان من المهم، كما يؤكد كيث روبينسن، أن توافق وزارة الهند (India Office) وحكومة الهند على بنود تلك الاتفاقية كان ذا تأثير مباشر في أمن الهند وسلامة حدودها.<sup>٧٤</sup>

نصت بنود اتفاقية عام ١٩٠٧ على أن لكلتا الدولتين الروسية والبريطانية:

<sup>73</sup> Ghassemloou, **Kurdistan and the Kurds**, p.43.

<sup>74</sup> Keith Robbins, **Politicians, Diplomacy and War in Modern British History**, (London: the Hambleton Press, 1994), p.106.

ولدوع جغرافية واقتصادية، مصلحة خاصة في السلام والنظام في ولايات معينة تجاور أو على مقربة من الحدود الروسية ... وحدود أفغانستان وبلوستان. (كلا الطرفين يسعian الى تجنب) جميع مسببات التضاد بين مصالحهما في <sup>٧٥</sup> ولايات بلاد فارس المشار إليها آنفاً.

بحسب بنود هذه الاتفاقية، قسمت روسيا وبريطانيا إيران القاجارية إلى ثلاثة مجالات للنفوذ. شكلت شمال إيران، من ضمنها معظم مناطق كردستان الشرقية، مجال النفوذ الروسي. وصارت إيران المركزية حزاماً حيادياً، في حين أصبح جنوب إيران، الذي يشرف على منطقة الخليج ويجاور الحدود الهندية، مجالاً للنفوذ البريطاني. وتعهد الجانبان، الروسي والبريطاني، باحترام مصالح الطرف الآخر الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية في المنطقة الخاضعة لنفوذهما. بعد مرور أربعة أعوام، وفي ظل استمرار عدم الاستقرار السياسي في كردستان الشرقية وأذربيجان الإيرانية والتغلب العسكري التركي المستمر عبر الحدود، وقعت بريطانيا وروسيا بروتوكولاً جديداً حول الحدود العثمانية- القاجارية يقضي بأن تحل وحدة روسية محل الجنود الأتراك بوصفها قوة احتلال في عدد من المناطق الكردية والأذربيجانية. في العام ١٩١٣، كتب نويل بوكستون، باحث وسياسي لبيرالي بريطاني كان يراقب عن كثب سياسات القوى الكبرى تجاه الوضعين الكردي والأرمني، أن اتفاقية ١٩٠٧ ساعدت في إعادة "النظام العام" إلى شمال غرب بلاد فارس، وهو الهدف الذي يشتراكون فيه مع الحكومة المركزية القاجارية. وتمنى بوكستون أن تتخذ القوى الكبرى خطوة معاشرة في كردستان وارمينيا العثمانية بهدف استعادة الاستقرار السياسي فيهما. <sup>٧٦</sup>

واستهدفت اتفاقية ١٩٠٧ كذلك التصدي للنفوذ السياسي والاقتصادي للمانيا، القوة الأوربية الصاعدة على مسرح السياسة الدولية وفي منطقة الشرق الأوسط. وقد أدى تطور النفوذ الاقتصادي السياسي الألماني في آسيا العثمانية، خاصة بعد وقوع ما عُرف بثورة تركيا الفتاة في العام ١٩٠٨، ببريطانيا إلى ان تدفع بمنافستها مع

<sup>٧٥</sup> Convection between the UK and Russia, Relating to Persia, Afghanistan and Tibet, Signed at St. Petersburg, 31 August 1907, Treaty Series, Mo.34, 1907, His Majesty's Stationery Office (HMSO).

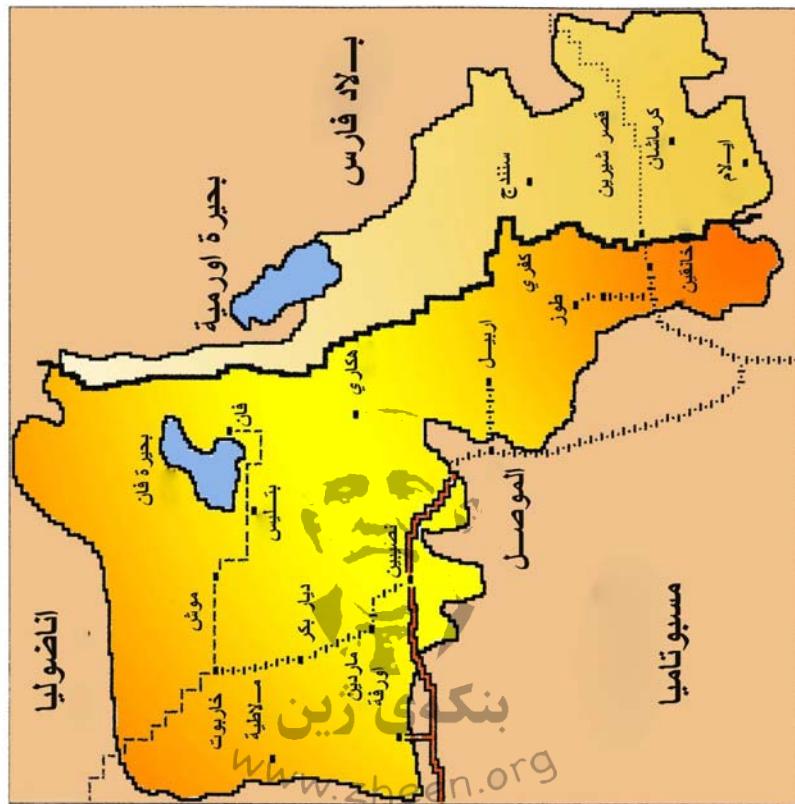
<sup>٧٦</sup> Noel Buxton, 'The Russians in Armenia' The Nineteenth Century And After, Vol.1XXIV, July-December 1913, p.1362. Noel was particularly interested in the affairs of the non-Turkish ethnic and religious minorities.

روسيا الى الخلف من حيث تسلسل أولوياتها، وان تهتم خاصة بتلك الأقاليم التي كانت بمثابة حلقة وصل بين مواقعهم الإستراتيجية المختلفة او كانت على مقربة منها في منطقة الشرق الأوسط، كالخليج والبحر الأحمر. ودخلت كُردستان العثمانية وميزوبوتاميا ضمن تلك المناطق ذات الأهمية الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية. من وجهة النظر الإستراتيجية، تزايدت أهمية كُردستان الجنوبية بالنسبة الى بريطانيا بسبب كونها جزءاً من الطريق البري الى الهند وإشرافها على سهول ميزوبوتاميا الى الجنوب منها. وتجسدت تلك الأهمية بصورة جلية في ردود الفعل البريطانية تجاه بناء خط بغداد لسكك الحديد، الذي كان من المفترض ان يمر عبر مناطق كُردستان. كما راقت بريطانيا بقلق اتفاق روسيا معmania في بوتسدام في العام ١٩١٠ الذي نصّ على قيام الأولى ببناء خط للسكك الحديد يربط طهران بخانقين عبر كُردستان الشرقية، في حين تعهدت الثانية بريط الخط المذكور بخط بغداد الرئيس. ورداً على تلك التطورات غير المرغبة للبريطانيين، أطلقت دعوات في لندن تنادي ببسط سيطرة بريطانيا على جزء من خط بغداد الرئيس، الذي كان يربط كركوك بكفرى في كُردستان الجنوبية (انظر الى الخارطة رقم ٢).<sup>٧٧</sup>

وتصاعدت المخاوف في بعض الدوائر البريطانية، خاصة البحرية ووزارة الخارجية، بشأن مستقبل الامتيازات البترولية في كُردستان الجنوبية وميزوبوتاميا ذات الارتباط الوثيق ببناء خط بغداد. وكانت حسابات إستراتيجية تقف وراء اهتمام لندن بمستقبل البترول، أكثر بكثير من تأمين مصالح تجارية، بالرغم من ان الشركات البريطانية الخاصة قد مارست الضغط على حكومتها من اجل دعم مساعيها للحصول على امتيازات بترولية في منطقة الشرق الأوسط. والجدير باللاحظة انه في السنوات المبكرة من القرن العشرين جاءت معظم التجهيزات البترولية من الولايات المتحدة الأمريكية وكذلك من المكسيك. وكانت الأخيرة خاضعة هي الأخرى الى السيطرة الأمريكية. ومع ازدياد الحاجة لاستخدام البترول كوقود في أساطيلها، رأت البحرية البريطانية انه من الحيوي ان تضمن بريطانيا منفذًا لها الى مصادر البترول بعيداً عن هيمنة قوى أجنبية أخرى. في تلك المدة، كان البترول في طريقه الى احتلال مكانة أساسية في مساعي البحرية البريطانية من اجل تحديث أساطيلها لكونه ارخص وأكثر كفاءة من الفحم الحجري الذي كانت تستعمله.<sup>٧٨</sup>

<sup>77</sup> The 1907 Baghdad Railway Committee, 20 March 1907, F0371/12, PRO, P-10.

<sup>78</sup> Kent, Moguls and Mandarins, pp.35-36.



**خارطة (2): خط بغداد لـ سكك الحديدية وخطوط المقررة الأخرى في كردستان**

 <b>الخط الروسي</b> <b>المقترح لسلك الحديبية</b>	 <b>الخط</b> <b>بكلية المخرج لسلك الحديبية</b>	 <b>الخط</b> <b>الفرنسي</b> <b>المقترح لسلك الحديبية</b>
 <b>.....</b>	 <b>.....</b>	 <b>.....</b>

Source: Enlarged Extract,  
Wolf, J.B., *The Diplomatic History of  
The Baghdad Railroad*, P. 6  
&  
*British Documents On The Origins  
Of The War, 1898-1914*  
(Ed) Gooch, G.P. & Templerley, H.  
Facing Page 796

فضلاً عن ذلك، بربت البحرية الألمانية بوصفها المنافسة الرئيسية للبحرية البريطانية. ولذلك أصبح من الضروري على بريطانيا أن تمنع المانيا من احتكار الامتيازات المرتبطة ببترول الأقاليم التابعة للدولة العثمانية. وبالفعل، تضمن امتياز خط بغداد لسكة الحديد علاقة وثيقة بين بناء ذلك الخط وحق التنقيب عن البترول في المناطق المحيطة به. إزاء تلك التطورات ونظرًا لمعرفتهم بالتشابه الجيولوجي بين كردستان الجنوبية والحزام البترولي الواقع في كردستان إيران المجاورة، بدأ البريطانيون بممارسة الضغط على سلطات اسطنبول في فترة متأخرة من أجل منح الشركات البريطانية تنازلات بترولية في ولايتي بغداد والموصى، إذ كانت هناك مؤشرات قوية حول وجود حقول نفطية فيها. مع هذا، تمثل الانجاز البريطاني المهم والوحيد بحلول العام ١٩١٤ في الحصول على ٧٥٪ من أسهم شركة البترول التركية، التي كانت تنقب عن البترول في كردستان الجنوبية وفي بغداد، بينما حصل الألمان على ٢٥٪ من أسهم تلك الشركة. هذا مع العلم أن الألمان هُم الذين حصلوا في الأساس على امتياز البترول من السلطات العثمانية في العام ١٩٠٣.

بحلول العام ١٩١٤، نتيجة للنزعنة الإمبريالية الاقتصادية المتزايدة، من جانب، وفرض سيطرة سياسية غير مباشرة من القوى الأوروبية، من جانب ثانٍ، تحولت أقاليم الإمبراطورية العثمانية، خاصة الآسيوية منها، إلى مجالات للمصالح الاقتصادية المختلفة، التي كانت ضمنياً مجالات سياسية إستراتيجية. في شهر حزيران من تلك السنة، توصل الألمان والبريطانيون إلى صيغة توافقية لرعاية مصالحهما بصورة مؤقتة حيث نص اتفاق ثنائي بينهما على رسم حدود المجال التجاري لكلا الطرفين. وبحسب هذه الاتفاقية، وقع الجزء الجنوبي من كردستان الجنوبية ضمن المجال الألماني، في حين وقعت ميزوبوتاميا العربية ضمن المجال البريطاني. وكان عمر هذا الاتفاق قصيراً بسبب اندلاع الحرب العالمية الأولى بعد شهرين فقط.

تكمّن أهمية أحد جوانب مشروع بناء خط بغداد الشهير واشتداد المنافسة بين القوى الأوروبية الكبرى في إضفاء أهمية إستراتيجية واقتصادية جديدة على كردستان الجنوبية. ففي الوقت الذي سعت فيه بريطانيا إلى الحصول على نفوذ اقتصادي وسياسي رداً على سياسات القوى الأخرى، ظلت متمسكة بسياساتها القديمة المستندة إلى أطروحة تعزيز الوحدة الإقليمية لتركيا العثمانية بقدر ما يتعلق الأمر

بإقليمها الداخلية. خلال حقبة المنافسة الأوربية تلك، انهمك البريطانيون في جمع المعلومات سواء بصورة سرية أو علنية عن طريق الإرساليات المسيحية والرحالة والعلماء والدبلوماسيين حول أوضاع كُردستان الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. مع ذلك، لا يعني هذا ان بريطانيا كانت تخطط أو تفك في فرض سيطرتها المباشرة على الجزء الأكبر أهمية من كُردستان، وإنما المقصود في هذا السياق هو التأكيد على فكرة انه لم يكن بوسع البريطانيين، في عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى، ان يتذدوا موقفاً غير مُبالٍ إزاء الشؤون الْكُرديَّة، وان سياستهم الامبرialisية كانت تسير في اتجاه يؤثر بمستقبل كُردستان السياسي بصورة لا مفر منها.

#### **موقع كُردستان في مخططات بريطانيا الامبرialisية: من لجنة بونسن الى اتفاقية سايكس-بيكو الثلاثية**

##### **١- توصيات لجنة بونسن لعام ١٩١٥**

لم يتغير موقف بريطانيا من مسألة حماية وحدة الأقاليم العثمانية فور اندلاع الحرب العالمية الأولى أو بعد قرار الإمبراطورية العثمانية في الوقوف مع الإمبراطوريتين الألمانية والنمساوية-الهنغارية في تلك الحرب. يوضح جي سي هورويتز كيف ان بريطانيا لم تكن تفكر بعد في مسألة تجزئة الإمبراطورية العثمانية حتى بعد دخول الحرب شهرها العاشر.<sup>٧٩</sup> وحصل الانقلاب في سياسة بريطانيا تجاه الإمبراطورية العثمانية في وقت لاحق حين أدركت حكومتها ان الإستراتيجية الامبرialisية البريطانية لم تعد تستند الى الوحدة الإقليمية لتلك الإمبراطورية او حتى للمملكة القاجارية. وتجسد ذلك الانقلاب في بنود اتفاقية القدسية (٤ آذار- ١٠ نيسان ١٩١٥)، وتفاهم الشريف حسين- مكماهون (تموز ١٩١٥ - آذار ١٩١٦)، والاهم من كل ذلك، فقرات اتفاقية سايكس-بيكو الثلاثية (١٩١٦). لقد أصبح أمراً مفروغاً منه في ان بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية كانوا يعملون معاً من أجل تمزيق أوصال العدو العثماني، وفي مقدمة ذلك الاستيلاء على الأقاليم غير التركية الواقعة في كُردستان وميزنوبوتاميا وببلاد الشام. تلك كانت باختصار إفرازات الحرب المباشرة وما رافقتها من تداعيات طويلة الأمد بالنسبة الى مستقبل كُردستان السياسي.

---

<sup>٧٩</sup> J. C. Hurewitz, **Diplomacy in the Near and Middle East**, Vol. I, (Princeton: D. van Nostrand Co., 1965), p.26.

تطورت اتفاقية القسطنطينية عن مبادرة قام بها وزير الخارجية الروسي، سيرجي سازانوف،<sup>٨٠</sup> وتضمنت سلسلة مناقشات دبلوماسية بين قوى الحلفاء الرئيسيين روسيا وبريطانيا وفرنسا. بحسب بنود هذه الاتفاقية، اعترفت بريطانيا بداعميات روسيا في إسطنبول والمضايق لقاء أن تمد هي نفوذها إلى الحزام المحايد في إيران القاجارية وجعل الأماكن الإسلامية المقدسة والجزيرة العربية ((منطقة إسلامية مستقلة)).<sup>٨١</sup> أما فرنسا فقد منحت سوريا الكبرى وخليج الاسكندرية وقليقلا حتى سلسلة جبال طوروس. لم تكن اتفاقية قسطنطينية خطة تجزئة كاملة للإمبراطورية العثمانية إذ لم تُشر، على سبيل المثال، إلى مصير أناضolia وكُردستان وأرمينيا وميزوبوتاميا. فضلاً عن ذلك، كانت بريطانيا قد وقعت تحت ضغط شديد من جانب حلفائها لتحديد أهدافها في الحرب وطموحاتها الإقليمية في الشرق الأوسط.<sup>٨٢</sup> تلك كانت خلفية المبادرة التي قام بها رئيس الوزراء البريطاني، هربرت هنري اسكونيث، في تشكيل لجنة مستقلة من ممثلي عدة وزارات في شهر نيسان من العام ١٩١٥، بغية تشخيص المصالح البريطانية لمرحلة ما بعد الحرب في الإمبراطورية العثمانية، وتحديد الإجراءات اللازمة لتعزيز تلك المصالح بوسائل سياسية. ترأس اللجنة موريس دي بونسن، مساعد وكيل وزير في الخارجية البريطانية. لهذا عرفت اللجنة باسم دي بونسن، حيث ضمت ممثلين عن وزارات الخارجية وال الحرب والهند وهيئة التجارة والبحرية. وشارك ليوتيننت كولونيل مارك سايكس في اللجنة بوصفه الممثل الشخصي للورد كيتشنر، وزير الحرب.

وكانت إحدى نتائج توسيع دائرة الحرب لتشمل منطقة الشرق الأوسط هي جرّ وزيري الهند وال الحرب إلى عملية صنع القرار بقدر ما يتعلّق الأمر بمستقبل الأقاليم العثمانية الآسيوية. ويرجع السبب الرئيس لهذا التطور إلى سيطرة حكومة الهند على الحملة العسكرية، التي قامت هي بإعدادها وإرسالها لغزو جنوب ميزوبوتاميا في شهر تشرين الثاني من العام ١٩١٤،<sup>٨٣</sup> بهدف تعزيز السيطرة البريطانية على منطقة الخليج. وبالمقارنة مع وزارة الهند، أصبحت وزارة الحرب، بقيادة اللورد كيتشنر،

<sup>٨٠</sup> Howard M. Sachar, *The Emergence of the Middle East, 1914-1924*, (New York: Alfred A Knopf, 1969), p.153.

<sup>٨١</sup> Hurewitz, *Diplomacy in the Near and Middle East*, pp.18-19.

<sup>٨٢</sup> Aaron S. Klieman, *Foundations of British Policy in the Arab World: the Cairo Conference of 1921*, (London: the Johns Hopkins Press, 1970), p.4.

<sup>٨٣</sup> Sachar, *The Emergence of the Middle East*, p.54.

قلقة بشأن توفير ظروف سياسية مؤاتية في الشرق الأوسط تمنع قيام أي تحالف تركي- عربي ضد بريطانيا، وتسهل مهمة الحملة المصرية- البريطانية في إلحاق الهزيمة بالقوات التركية المتواجدة في الجزيرة العربية وسوريا الكبرى.

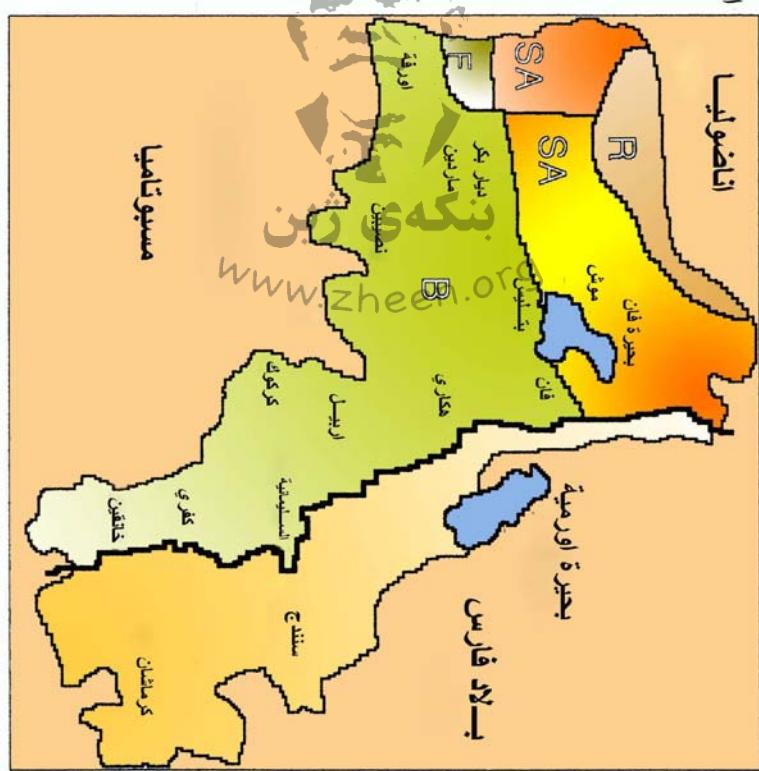
وبعد عقد ثلاثة عشر لقاء في المدة الممتدة بين ٢ نيسان و٢٨ أيار ١٩١٥، رفعت لجنة بونسن تقريرها النهائي في ٣٠ أيار، لكي تمنح الحكومة البريطانية توصيات اللجنة موافقتها الرسمية أو تقوم بتطبيقها حرفياً. مع هذا، تعطي توصيات اللجنة معلومات مفيدة عن طريقة التفكير البريطاني في السياسة الخارجية، فضلاً عن تأثيرها، بطريقة أو أخرى، في السياسة البريطانية لمرحلة ما بعد الحرب تجاه منطقة الشرق الأوسط عموماً وكردستان خاصة. لهذا، فإن من الضروري تحليل الخيارات التي اقترحها لجنة بونسن بشأن المستقبل السياسي والإداري للولايات العثمانية وتداعياتها بالنسبة إلى كردستان العثمانية. شخص تقرير اللجنة عاملين يقيدان خيارات السياسة البريطانية تجاه آسيا العثمانية. تمثل العامل الأول في أن تأخذ بريطانيا بنظر الاعتبار أهداف حلفائها ومصالحهم، خاصة فرنسا وروسيا، في الأقاليم العثمانية في مرحلة ما بعد الحرب.<sup>٨٤</sup> أما العامل الثاني فكان على الحكومة البريطانية أن توزن بين الفوائد الإمبريالية، التي قد تبنيها من عملية إعادة رسم أو تعديل الأوضاع السياسية والاقتصادية في آسيا العثمانية، من جانب، ومسؤولياتها الإمبريالية الكبيرة الناتجة عن حجم الإمبراطورية البريطانية الهائل،<sup>٨٥</sup> التي أصبحت عيناً ثقيلاً لدرجة لم يكن يمكن للساسة البريطانيين تجاهلها، من جانب ثانٍ.

استند المخطط الأول للجنة بونسن إلى خيار (A)، الذي تضمن تجزئة الإمبراطورية العثمانية بين بريطانيا وفرنسا وروسيا، حيث وبحسب هذا المخطط، تُلحق بريطانيا القسم الأعظم من كردستان العثمانية (انظر الخarta رقم ٣). ويُخضع القسم الثاني من حيث المساحة إلى ((إدارة خاصة)), أي غير خاضعة لسيطرة أي منقوى الأوربية الكبرى. والجدير بالذكر أن خط بغداد لسكك الحديد كان يمر من تلك المناطق المؤمل خضوعها للسيطرة البريطانية. من الناحية الإستراتيجية، سعت

<sup>٨٤</sup> Cabinet, Ad Hoc Committee (Secret) Report, Proceedings and Appendices of a Committee Appointed by the Prime Minister, 1915, British Desiderata in Turkey and in Asia, CAB 27/1, PRO, Paragraph 7.

<sup>٨٥</sup> Ibid, Paragraph 10.

**الخارطة(3): خطة يونس الأول للاعاق** كرستان



ادارة الخاصة	SA	فرنسا	F
		بريطانيا	B
		روسيا	R

source: Enlarged Extract,  
CAB 37/1, PRO

بريطانيا الى إحكام سيطرتها على ولاية البصرة ((المؤمل أيضاً خضوعها لسيطرتها المباشرة)), بسبب أهمية موقعها بالنسبة الى أمنها في منطقة الخليج. وبطريقة مماثلة، تختَّم على بريطانيا ان تُحکِّم سيطرتها على ولاية بغداد من خلال توسيع سيطرتها في اتجاه الشمال بحيث يكون بالإمكان الاستفادة استراتيجية من جبال كُردستان الوعرة كموانع طبيعية تقف في طريق أية نزعة توسيعية إقليمية في اتجاه الجنوب.<sup>٨٦</sup> وكما يُبيّن تقرير لجنة بونسن، تمتَّع كُردستان بظروف مناخية مناسبة بالنسبة الى ((الجنود البريطانيين البيض)), وان تكون ((مصدراً ممتازاً للمجندين)) المحليين من الكُرداً.<sup>٨٧</sup> ومن الجدير بالإشارة الى ان وجهة النظر المتعلقة بقيمة كُردستان الإستراتيجية قد أثبَّتت مرة أخرى بعد انتهاء الحرب حين طرحها المفوض المدني وكالة، كولونيل أرنولد ويلسون، بوصفها دافعاً قوياً لبساط الإدارة البريطانية المباشرة على جميع مناطق كُردستان الجنوبية.

على الرغم من ان للمناطق الْكُردية آنفة الذكر قيمة اقتصادية أقل مقارنة بقيميتها الإستراتيجية، فان تقرير اللجنة قد أكد ان ((البيتول يجعلنا نبدي الرغبة في فرض سيطرتنا ايضاً على (ولاية) الموصل، التي تقع بالمقارنة منها آبار ثمينة، وهي، في حالة استحواذ قوة أخرى عليها، ستؤثر على مصالحنا بصورة سلبية)).<sup>٨٨</sup> لقد كان فرض السيطرة البريطانية على المناطق الْكُردية ضرورياً ايضاً بالنسبة الى مسألة إرواء ميزوبوتاميا العربية ونظام الملاحة النهرية القائم فيها. بالإضافة الى ذلك، عدَّت حكومة الهند كُردستان جزءاً أساسياً من أي مخطط بريطاني لإحياء الزراعة في ميزوبوتاميا، أملاً في جعلها مخزن حبوب للإمبراطورية البريطانية. ولم تكن للبريطانيين امتيازات في ميداني الإرواء والملاحة النهرية قبل الحرب فحسب، بل أيضاً قاموا بتدشين بعض الخطط التي جعلتهم قلقين بصورة أكثر بشأن تعزيز موقفهم في البلاد.<sup>٨٩</sup> بعد نهاية الحرب، أصبحت ثروة كُردستان الجنوبية الْبِتُولية الكامنة وقيمتها الاقتصادية بالنسبة الى المصالح البريطانية في ميزوبوتاميا واحدة من أسباب وضعها تحت الانتداب البريطاني، ومن ثم إلهاقها قسراً بالدولة العربية العراقية. فعلى

<sup>٨٦</sup> Ibid, Paragraphs 21-22.

<sup>٨٧</sup> Ibid, Paragraph 22.

<sup>٨٨</sup> Ibid, Paragraph 26.

<sup>٨٩</sup> Ibid, Paragraphs 24, 27-29.

ضوء الحسابات الإستراتيجية والاقتصادية أتفة الذكر أصبحت تجزئة كُردستان العثمانية أمراً ضرورياً. وتحتم على بريطانيا، كما يشير تقرير اللجنة، ان تكون مهيئة لتبني مخطط تقسيم ثانٍ من أجل تحقيق غياتها الإستراتيجية والاقتصادية (انظر الخارطة رقم ٤). وهذا المخطط سيُمكن فرنسا من توسيع الأقاليم الخاضعة الى سيطرتها من سواحل البحر الأبيض المتوسط، في الغرب، الى منطقة أورمية في كُردستان الشرقية، في الشرق. وهذا كان يعني تنازل بريطانيا عن جزء من حصتها في كُردستان.<sup>٩٠</sup> وأصبح من الضروري أيضاً ان تُعَوِّض روسيا القيصرية من خلال إلهاقها شمال بلاد فارس وكُردستان الشرقية، اللتين كانتا في الأصل ضمن مجال نفوذها قبل اندلاع الحرب.<sup>٩١</sup> ان تقديم التنازل الأخير، كما أكد تقرير اللجنة، سيجعل فرض سيطرة بريطانية مباشرة على كُردستان الجنوبية ذا أهمية إضافية للوقوف بوجه أي توسيع إقليمي روسي نحو الجنوب في اتجاه بغداد والبصرة.<sup>٩٢</sup>

نصَّ الخيار (B) على تقسيم الأقاليم العثمانية على مجالات مصالح خاضعة لسيطرة القوى الأوروبية (انظر الخارطة رقم ٥).<sup>٩٣</sup> فضلاً عن منح اسطنبول الى روسيا وولاية البصرة الى بريطانيا واحتمال منح أزمير الى اليونان، ستبقى بقية الأقاليم ضمن الإمبراطورية العثمانية من دون المساس بها. ومن المفترض ان يضم المجال البريطاني كُردستان الجنوبية وميزوبوتاميا، كما كان في المخطط الثاني من الخيارات (A).<sup>٩٤</sup> وكذلك تشابهت الدوافع البريطانية في الخيار (B) مع تلك التي كانت قائمة في الخيار (A). أما المجال الفرنسي فضم جزءاً كبيراً من كُردستان الشمالية. وبحسب هذا الخيار، كان بمقدور بريطانيا وحليفاتها التفكير في إجراء إصلاحات اجتماعية وإدارية معينة ضمن مجالاتها كي تضع حدًّا لسوء الإدارة التركية. وربما يتطلب إجراء مثل هذه الإصلاحات إقامة ((هيئة دولية دائمة)).<sup>٩٥</sup> مع ذلك حذر تقرير اللجنة من ان تطبيق الخيار (B) قد ((يقود بسهولة الى وضع فوضوي)) في كُردستان وآسيا الصغرى كل، نتيجة لضعف حكومة السلطان العثماني.<sup>٩٦</sup>

<sup>٩٠</sup> Ibid, Paragraph 34.

<sup>٩١</sup> Ibid, Paragraph 41.

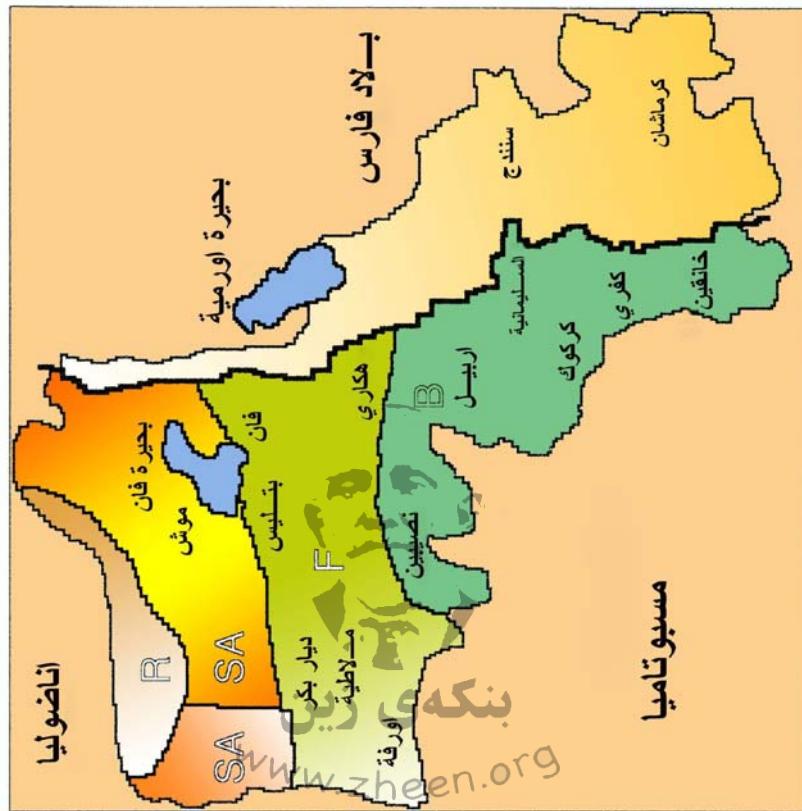
<sup>٩٢</sup> Ibid, Paragraph 43.

<sup>٩٣</sup> Ibid, Paragraph 48.

<sup>٩٤</sup> Ibid, Paragraph 52.

<sup>٩٥</sup> Ibid, Paragraphs 62-64.

<sup>٩٦</sup> Ibid, Paragraph 67.



خارطة (٤): خطة لجنة بونسن الثانية  
للاحاق كورستان

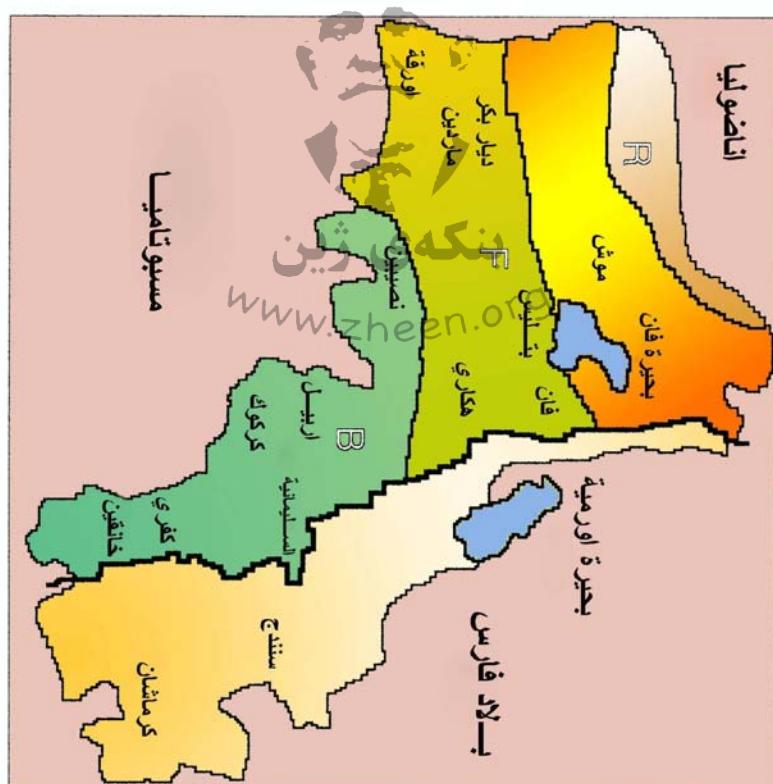
الادارة الخاصة	SA
فرنسا	F
بريطانيا	B
روسيا	R

Source: Enlarged Extract,  
CAB 37/1 PRO

الخارطة(5): مناطق المصالح في كردستان  
بحسب توصيات لجنة بونسن

الادارة الخاصة F  
Rوسيا R  
فرنسا F  
بريطانيا B

Source: Enlarged Extract,  
CAB 37/1 PRO



استند الخيار (C) الى ((توطيد إمبراطورية عثمانية مستقلة))، كما كانت هي قائمة آنذاك، باستثناء تنازل حكومة اسطنبول عن الأقاليم المذكورة آنفاً لبريطانيا وروسيا واليونان. وتوجّب على السلطات العثمانية ان تجري إصلاحات بشأن تحسين أوضاع رعاياها من الأرمن على ضوء التوجهات التي كانت قائمة في العام ١٩١٤. ولم توصِ اللجنة بتبني هذا الخيار خوفاً من حصول تداعيات، في مقدمتها تعزيز النفوذ السياسي الروسي والنفوذ الاقتصادي الفرنسي ووقدت سلسلة من حالات التمرد الداخلي في إمبراطورية عثمانية غير خاضعة للأصلاحات. ان التطور الأخير في حالة حدوثه ستُجْرِي عملياً الى تجزئة عشوائية غير منتظمة للإمبراطورية العثمانية، وهو الأمر الذي وجَبَ على بريطانيا تجنبه.<sup>٩٧</sup> بتعبير آخر، عارضت بريطانيا آية تجزئة تلقائية لآسيا العثمانية او ظهور كيانات سياسية وإدارية جديدة فيها، من دون ان تأخذ بنظر الاعتبار مُسبقاً مصالحها الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية.

واستند الخيار (D) الى توطيد أركان إمبراطورية عثمانية مستقلة ذات حكومة قائمة على نظام الامبراطورية. نظراً ((إنقسام تركيا الآسيوية الثانية وتاريخياً على خمسة ولايات كبيرة وهي آناضوليا وسوريا وارمينيا وفلسطين والعراق-الجزيرة)),<sup>٩٨</sup> بحسب استنتاجات تقرير اللجنة، ((فإن على الحكومة العثمانية ان تتبّنى قدرأً من نقل السلطات لتلبية طموحات العرب والأرمن في امتلاك صوت في إدارة شؤونهم المباشرة)).<sup>٩٩</sup> في حالة فشله، فتح هذا المخطط الطريق أمام تشكيل ((عدة دول تتمتع بحكم ذاتي)): تركيا الأصلية في آناضوليا وقبرص وترانس江淮 w.zheen.com ارمنية وعربية خاضعة أسمياً لحكم السلطان (انظر الخارطة رقم ٦).<sup>١٠٠</sup> فضلاً عن ذلك، في حال انحلال الإمبراطورية العثمانية، سيكون بمقدور بريطانيا ان تنفذ سياستها الخاصة بولايات سوريا والعراق-الجزيرة، بما في ذلك الإعلان عنها ((دولًا مستقلة)) تحت حمايتها، أو ((الحاقداً)) أو تسميتها جزءاً من ((مجال نفوذها)) بحسب الظروف.<sup>١٠١</sup>

في الوقت الذي رفضت فيه اللجنة الخيارات الثلاثة الأولى، أوصى تقريرها في نهاية الأمر بتبني الخيار الأخير، نظراً لأنه لن يُجبر بريطانيا على تحمل عبء مسؤوليات

<sup>٩٧</sup> Ibid, Paragraphs 73-73.

<sup>٩٨</sup> Ibid, Paragraph 81.

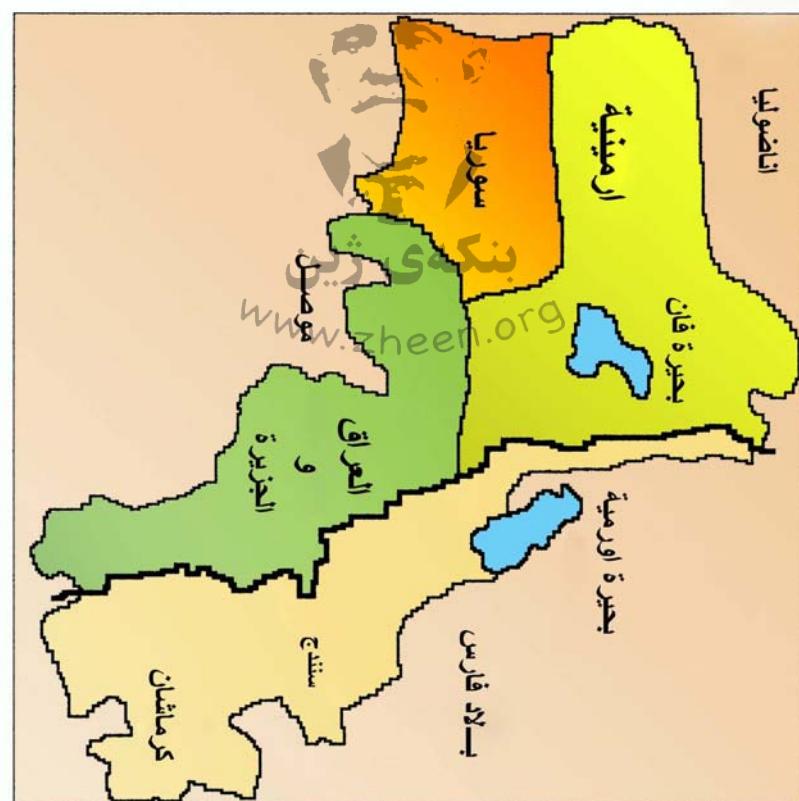
<sup>٩٩</sup> Ibid, Paragraph 85.

<sup>١٠٠</sup> Ibid, Paragraph 87.

<sup>١٠١</sup> Ibid, Paragraph 88.

الخارطة(6): خطة لجنة بونس لـ الحكـم  
الذاتي في الاميراطورية العثمانية

Source: Enlarged Extract,  
CAB 371, PRO



عسكرية مباشرة أو فورية في تلك المنطقة. كما أنها منحت بريطانيا الأسلوب الأمثل في السيطرة على انحلال الإمبراطورية العثمانية في حالة حصوله بطريقة تخدم توسيع المصالح البريطانية الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية. استند الخيار الآخرين، على ما يبدو، إلى فكرة الحكم الذاتي للشعوب غير التركية. لكنه غضّ النظر عن الطموحات السياسية للكُرد، الذين كانوا، بحسب زعم مارك سايكس، لا يمتلكون ((إحساساً بالقومية)) في أي شكل من أشكاله: ((أنه لأمر مستحيل أن تكون كُردستان وطيدة. ليس هناك سبب يمنع توزيع الكُرد حين تفرض الحدود ذلك أو لماذا ينبغي اعتبار الكُرد شعباً في حاجة إلى مساندة)).<sup>١٠٢</sup> ((أي من خلال تشكيل كيان سياسي)). بهذا الشكل، يعني الخيار (D) في التطبيق تقسيم كُردستان العثمانية بين كيانات سياسية-أثنية جديدة، تكون فيه كُردستان الشمالية جزءاً من أرمينيا وكُردستان الجنوبية ضمن العراق-الجزيرة. والجدير بالإشارة أنه بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، دعا موظفون بريطانيون إلى تبني مخططات مماثلة حيث قدموا مسوغات شبيهة بتلك التي قدمها مارك سايكس.

## ٢- مراسلات حسين- مكمامون واتفاقية سايكس- بيكر

بدأت وزارتا الخارجية وال الحرب بإجراء اتصالات رسمية بصورة مشتركة مع حسين بن علي، شريف مكة، في تموز عام ١٩١٥.<sup>١٠٣</sup> كان الهدف المباشر وراء إقامة تلك الاتصالات هو إقناع عرب آسيا في التخلص عن ولائهم إلى حكومة الباب العالي، ومن ثم كسبهم إلى جانب المجهود الحربي البريطاني ضد القوات التركية، في حين كانت غاية الشريف حسين من بناء علاقة مباشرة بـ البريطانيين هي إنشاء دولة عربية كبيرة بمساعدتهم في حالة إنهاء الوجود التركي في الولايات العربية. واللافت للنظر أن وزارة الهند قد أبدت معارضتها لفكرة كسب الدعم العربي خشية أن تتعارض الالتزامات السياسية المترتبة عليه مع مصالح بريطانيا الامبرالية لمرحلة ما بعد الحرب،<sup>١٠٤</sup> في مقدمتها عملية استعمار ميزوبوتاميا لصالح حكومة الهند.

<sup>١٠٢</sup> Ibid, Appendix IX, Remarks on Sir A. Hirtzel's Note by Lieut.-Col. Sir M. Sykes, 15 March 1915, pp.100-101.

<sup>١٠٣</sup> Hurewitz, **Diplomacy in the Near and Middle East**, Vol. I, p.47.

<sup>١٠٤</sup> Ibid.

استمرت المراسلات الرسمية بين هنري مكماهون، المفوض السامي البريطاني في مصر، والشريف حسين نحو شهانية أشهر (١٤ تموز ١٩١٥ - ١٠ آذار ١٩١٦)، تبادل خلالها الطرفان عشر رسائل. أكدت تلك الرسائل تخلي بريطانيا التام عن مبدأ حماية الوحدة الإقليمية للإمبراطورية العثمانية. في الوقت نفسه مثلت الرسائل البداية التاريخية الفعلية للادعاءات العربية في جزء كبير من كُردستان العثمانية بذرية كونها أرضاً عربية. لقد طالب الشريف حسين البريطانيين بالموافقة على إلحاق مناطق كُردية عدّة بالدولة العربية المستقبلية حالما تنتهي الحرب (انظر الخارطة رقم ٧). بهذا الخصوص تضمنت الرسالة الأولى مقترحاً قدمه الشريف حسين:

على انكلترا الاعتراف باستقلال البلدان العربية التي تحدها شمالاً مرسيينا  
واضنة الى خط العرض ٣٩، التي تقع عليها بيرجيك وماردين والجزيرة (ابن  
عمن) والععادية، حتى حدود بلاد فارس.<sup>١٠٥</sup>

في البدء، عدّت بريطانيا تعيين حدود الدولة العربية المستقبلية مسألة ((سابقة لاوانها))<sup>١٠٦</sup>، في حين أصر الشريف حسين على مناقشتها أولاً، مدعياً أنه لم يضع ((ضمن تلك الحدود)) مناطق يسكنها ((عرق أجنبي)).<sup>١٠٧</sup> بعد حصول موافقة بريطانية مبدئية على مطالب الشريف حسين، قام مكماهون باستثناء مناطق عربية كاسكندرونة من الدولة العربية المستقبلية، في الوقت الذي لم يعرض فيه على ضم جزء كبير من كُردستان الى تلك الدولة.<sup>١٠٨</sup> لقد أنسد الشريف حسين مطلبـه بضم ولاية الموصل الى دولته العربية المستقبلية الى عوامل تاريخية وعاطفية بوصفها كانت جزءاً من الإمبراطورية العربية- الإسلامية في القرون الوسطى. وهي لذلك تمتلك قيمة خاصة عند العرب.<sup>١٠٩</sup> ولمسألة حدود الدولة العربية أهمية خاصة لكونها قد أثيرت في مرحلة لاحقة من قبل الشريف فيصل بن حسين، حين كان حاكماً على سوريا في العام ١٩١٩ وحين أصبح فيما بعد ملكاً على العراق في العام ١٩٢١، بوصفـه اعترافـاً بـبريطـانياـ بالـمـطـالـبـ الشـرـيفـيـةـ الشـرـعـيـةـ يـالـحـاقـ كـرـدـسـتـانـ الغـرـبـيـةـ بـسـوـرـيـاـ الكـبـرـيـ وـكـرـدـسـتـانـ الجنـوـبـيـةـ بـالـدـوـلـةـ الـعـرـبـيـةـ فـيـ الـعـرـاقـ الـعـرـبـيـ.

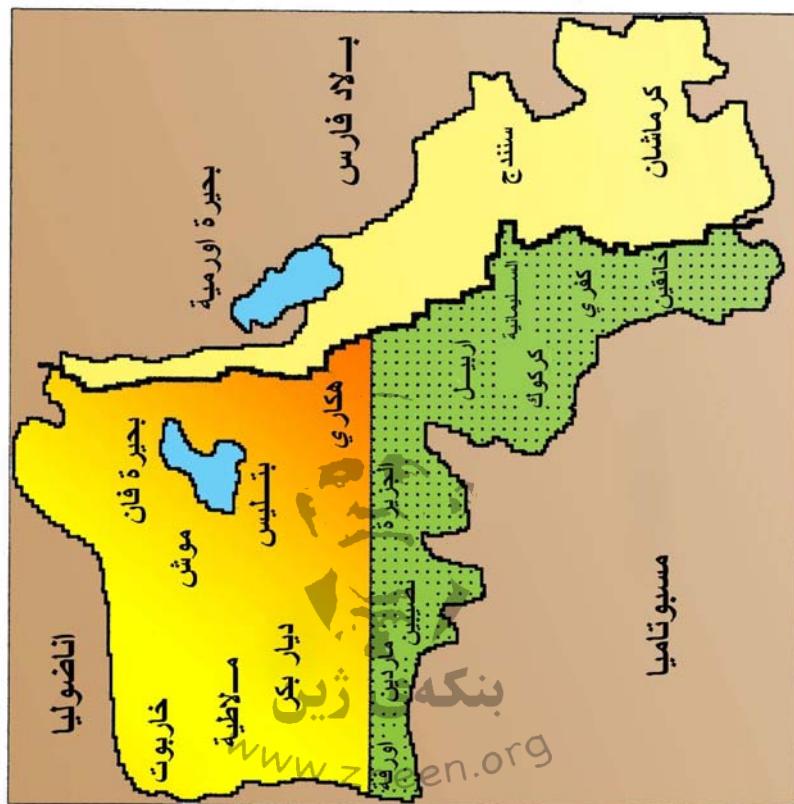
<sup>١٠٥</sup> Letter No.1, From Amir Abdullah to Ronald Storrs, The Correspondence between Sir Henry McMahon, His Majesty's High Commissioner at Cairo, and the Sharif Hussein of Mecca, July 1915-March 1916, Cmd 5957.

<sup>١٠٦</sup> Letter No.2, From Sir Henry McMahon to Sharif Hussein, 30 August 1915, ibid.

<sup>١٠٧</sup> Letter No.3, From Sharif Hussein, 9 September 1915, ibid.

<sup>١٠٨</sup> Letter No.4, From Sir Henry McMahon, 24 October 1915, ibid.

<sup>١٠٩</sup> Letter No.5, From Sharif Hussein, 5 November 1915, ibid.



الخارطة(7): مراسترات حسين مكمانون  
(1916-1915)

ادعائات الشريف حسين  
في كردستان



قبل مرور شهر واحد على إعلان الشريف حسين انتفاضته ضد حكومة السلطان العثماني، دخل وزراء خارجية بريطانيا وفرنسا وروسيا في اتصالات تمخضت عنها اتفاقية سرية بشأن تجزئة الإمبراطورية العثمانية. على النقيض من اتفاقية قسطنطينية، أتسمت اتفاقية سايكس-بيكو (٢٦ نيسان - ٢٣ تشرين الأول ١٩١٦) والمعروفة أيضاً بالاتفاقية الثلاثية ((بعد دخول روسيا المفاوضات السرية التي كانت تجري بين المسؤولين البريطانيين والفرنسيين)) بكونها مخططاً شاملاً لتقسيم الإمبراطورية العثمانية. وكما شكلت هذه الاتفاقية تغييراً جذرياً في طبيعة الاهتمام البريطاني بكردستان العثمانية. فهي لم تشمل إخضاع جزء من كردستان تحت النفوذ البريطاني فحسب، بل حددت بصورة مباشرة وصريحة مصير باقي المناطق الكردية. جاءت بنود الاتفاقية الجديدة كحصيلة لتبادل ١١ رسالة بين الحلفاء الثلاثة: بريطانيا وفرنسا وروسيا. ويمكن عدّ الاتفاقية خطة عاجلة لتحديد مصير الإمبراطورية العثمانية سياسياً وإقليمياً لمرحلة ما بعد نهاية الحرب. كانت بريطانيا هي الطرف الذي اتخذت المبادرة بعدما استمرت الحرب على النقيض من توقعات الحلفاء المتفائلة حول انتهائها بشكل سريع وحاصل. وبالمقارنة مع توصيات لجنة بونسن التي فضلت خيار اللامركزية الإدارية، استندت اتفاقية سايكس-بيكو إلى فكرة تقسيم الإمبراطورية العثمانية، حيث لم تعد المحافظة على وحدتها الإقليمية حجر الأساس في إستراتيجية بريطانيا имبرالية، تلك الإستراتيجية التي بدأت تركز على إقامة مجال خاضع للسيطرة المباشرة ومجال آخر خاضع للسيطرة غير المباشرة في ميزوبوتاميا العربية وكُردستان الجنوبية بغية إحكام قبضة البريطانيين على الممرات البحرية والبرية المؤدية إلى مستعمراتهم في الشرق، خاصة الهند.

- تضمنت النقاط الأولى والثانية والرابعة والتاسعة من الاتفاق البريطاني- الفرنسي أموراً تتعلق بمستقبل كُردستان. واحتوت النقطة الأولى تعهداً بريطانياً- فرنسياً بشأن الاعتراف بدولة عربية مستقلة وحمايتها أو كونفدرالية من الدول العربية تحت حكم شيخ عربي في منطقتي (A) و(B). وسمحت النقطة الثانية لفرنسا وبريطانيا إقامة ((إدارة أو سيطرة مباشرة أو غير مباشرة)). ومنحت النقطة الرابعة بريطانيا حق ((تنزُّد معين من مياه دجلة والفرات في المنطقة (A) إلى المنطقة (B)))، فضلاً عن فرض سيطرتها على حيفا وعكا. وفي النقطة التاسعة، وافقت فرنسا على عدم الدخول في أية مفاوضات أو التخلّي عن حقوقها في المنطقة الواقعة لصالح طرف

ثالث، باستثناء الدولة العربية أو كونفدرالية الدول العربية.<sup>١١٠</sup> أما الاتفاقية الثلاثية فقد منحت روسيا حق ((الحق)) مناطق ارزروم وطرابزون وفان وبيليس حتى نقطة تحدد لاحقاً بالقربة من سواحل البحر الأسود والى الغرب من طرابزون. وستفرض روسيا سيطرتها أيضاً على ((منطقة كُردستان الى الجنوب من فان وبيليس، بين موسن وسيرت ومجرى دجلة وجزيرة ابن عمر وخط أعلى الجبال المسيطرة على العمادية ومنطقة مرغافان\*)) (انظر الخارطة رقم ٨). واتفقت بريطانيا وروسيا كذلك على ان تبدأ ((حدود الدولة العربية)) من منطقة مرغافان ولتتبع خط أعلى الجبال، التي تفصل المناطق العثمانية عن المناطق القاجارية.<sup>١١١</sup> وأبتدت بريطانيا وفرنسا رغبتهمما على الخصوص في ان تستمر روحية التعاون والتشاور بينهما، التي سادت أجواء الاتفاقية، حتى في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب.<sup>١١٢</sup>

لم يكن تجاهل المسألة الـ*الكردية* الميزة الرئيسة في هذه الاتفاقيات السرية فحسب، بل أيضاً استثمارية فكرة تجزئة كُردستان العثمانية. فضلاً عن ذلك، سعى مارك سايكس، من خلال تحويل كُردستان الجنوبية الى مجالين للنفوذ، واحدة بريطانية والأخرى فرنسية، خاضعتين أسمياً لحكم عربي، الى التوفيق بين الادعاءات الفرنسية والبريطانية، من جانب، والطموحات الشريفية (نسبة الى الشريف حسين) في ذلك الإقليم، من جانب ثانٍ.<sup>١١٣</sup> وعلى ضوء كل ذلك، يمكن القول ان اتفاقية سايكس-بيكو قد أكدت اهتمام بريطانيا المباشر في الأجزاء الجنوبية من كُردستان، على النقيض من الافتراضات التي قدمها ديفيد مكدول.<sup>١١٤</sup> ففي النقطة الأولى من التفاهم البريطاني- الفرنسي، ضمت المنطقة (A) الخاضعة للنفوذ الفرنسي المنطقة الواقعة الى الغرب من نهر الزاب الصغير في كُردستان الجنوبية، في حين امتدت المنطقة (B) الخاضعة للنفوذ

<sup>١١٠</sup> Grey to Cambon, 16 May 1916, Tripartite (Sykes-Picot) Agreement on the Partition of the ottoman Empire: Britain, France and Russia, 26 April-23 October 1916, Documents on British Foreign Policy (DBFP), 1st series, Vol. IV, (ed) Woodward & Butler, p.24151.

\* من المرجح أن يكون الأسم الصحيح لهذه المنطقة (مركون) [الناشر]

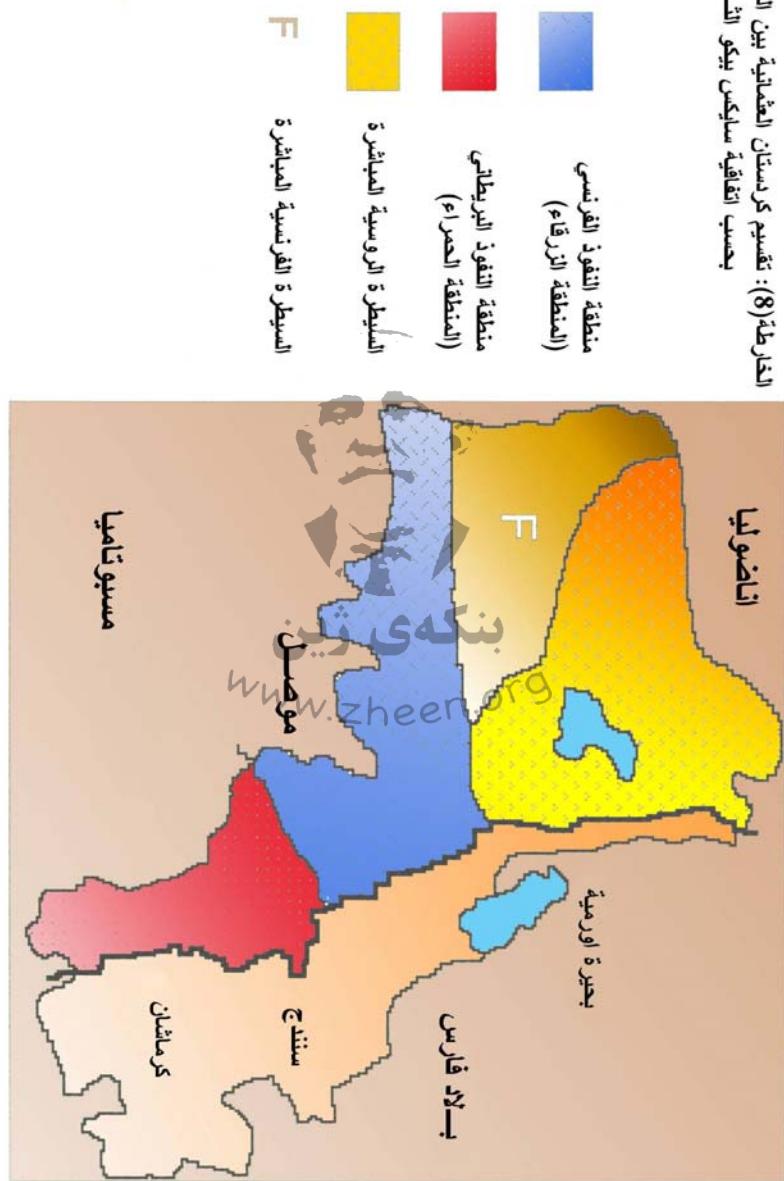
<sup>١١١</sup> Edward Grey to Count Benckendorff, Russian Ambassador in London, 23 October 1916, ibid.

<sup>١١٢</sup> Klieman, **Foundations of British Policy in the Arab World**, p.13.

<sup>١١٣</sup> Secret Memorandum for the War Department No.2522, 5 January 1916, F0371/2767, PRO.

<sup>١١٤</sup> McDowall, **A Modern History of the Kurds**, p.117.

الخارطة(8): تقسيم كردستان العثمانية بين الحلفاء  
بحسب اتفاقية سايكس بيكو الشاملة



البريطاني من المنطقة الواقعة الى الشرق من نهر الزاب الصغير حتى الحدود القاجارية- العثمانية في الغرب. وبحسب النقطتين الأولى والثانية من التفاصيل البريطانية- الفرنسي، وجب على روسيا إلهاق الجزء الشرقي من كردستان الشمالية وشرط صغير من الأرض في أعلى كردستان الجنوبية.

وعلى الرغم من ان بريطانيا وضعت ضمن مجال نفوذها (أي المنطقة B) منطقة كركوك الكُردية التي ساد التوقعات حول وجود البترول فيها، ظلت البحرية البريطانية توجه انتقاداتها ضد طريقة تجزئة ولاية الموصل بين بريطانيا وفرنسا. لقد أرادت البحرية ان تسيطر بريطانيا لوحدها على المصادر البترولية المحتملة الواقعة الى الشمال من نهر الرزاب الصغير والى الجنوب منه. ففي مذكرة الى حكومة المصغرة (Cabinet)، كرر الأدميرال إدموند سلَد أهمية البترول بالنسبة الى خطط البحرية الخاصة بتحديث أسطولها ومؤكدا الحاجة الماسة الى تأمين امتيازات بترولية في ميزوبوتاميا وفي أماكن أخرى.<sup>١١٦</sup> ومن الجدير بالإشارة ان الحسabات البترولية هي

<sup>115</sup> The Bunsen Committee-, op. cit., Paragraph 43.

<sup>116</sup> Vice Admiral Edmond Slade, Memorandum on The Political Position in the Persian Gulf at end of the War (Cabinet Paper, G118) 31 October 1916, CAB21/119, PRO.

التي جعلت البحرية، بقيادة وينستون تشرشل، تحت حكومة الهند في البداية على إعداد حملة عسكرية لغزو ميزوبوتاميا بهدف حماية حقول البترول الواقعة في جنوب بلاد فارس.<sup>117</sup> ومع استمرار الحرب، نالت وجهة نظر البحرية تأييداً من دوائر رسمية أخرى في لندن، منها وزارة الطيران والاهم منها وزارة الخارجية. وشكلت الحرب عاملاً جديداً من حيث إبرازها حاجة بريطانيا الماسة إلى تأمين مصادر بتروлиمة في ظروف الحرب، وإن ذلك الأمر لا يمكن تحقيقه إلا في حالة فرض بريطانيا لسيطرتها المباشرة وغير المباشرة على مناطق يتوقع وجود مصادر بتروليمة فيها، مثل ولاية الموصل.

### الاحتلال البريطاني لكردستان الجنوبية، ١٩١٧-١٩١٨

#### ١- بريطانيا والشؤون الكردية عُشية وقوع الحرب العالمية الأولى

اعتبر القوميون الكرد وصول لجنة الاتحاد والترقي إلى السلطة في اسطنبول في شهر تموز من العام ١٩٠٨ فرصة ثمينة لوضع حل للمسألة الكردية بوسائل سياسية سلمية. وكان لثورة تركيا الفتاة وقع عظيم بين سكان الأقاليم غير التركية الخاضعة للإمبراطورية العثمانية. ومنذ بدايتها، ضمت لجنة الاتحاد والترقي العديد من الكرد في قياداتها وقواعدها على حد سواء. وجاء اثنان من مؤسسي تلك اللجنة وهما إسحاق سكوتى وعبد الله جودت من أصول كردية. كما انضم قادة قوميون كرد بارزون إلى اللجنة، منهم عبد الرحمن بدرخان والشيخ قادر، ابن الشيخ عبيد الله النهري. كان الأول قد حضر مؤتمر الفتاة تركيا الليبرالية في باريس في العام ١٩٠٢، في حين تَفَى الثاني بعد تورطه في محاولة لجنة الاتحاد والترقي في قلب حكم السلطان عبد الحميد في العام ١٨٩٦.<sup>118</sup> تأثر القوميون الكرد، على غرار نظرائهم العرب والأرمن، بوجود المؤسسات الديمقراطية الأوروبية وانتشار المفاهيم الليبرالية حول المساواة وحقوق الفرد وحق الشعوب في تقرير مصيرها القومي، لدى قيامهم بمعارضة حكم السلطان عبد الحميد الاوتقراطي. ومكنت ثورة ١٩٠٨ القوميين الكرد من إقامة منظمات سياسية وجمعيات ثقافية ونوادي اجتماعية تعمل على ترويج فكرة منح الشعب الكردي حكماً ذاتياً على الصعيدين السياسي والثقافي. في تلك السنة، أسس أمين علي بدرخان والشيخ قادر والمارشال أحمد ذوالكليل باشا والجنرال شريف باشا

<sup>117</sup> Kent, *Moguls and Mandarins*, p.24.

<sup>118</sup> Ernest E. Ramsaur, *The Young Turks: Prelude to the Revolution of 1908*, [Princeton: Princeton University Press, 1957], p.38.

خندان أولى المنظمات السياسية الكردية سميت بجمعية سمو كُردستان وارتقائها (تعالي وتترقي كورستان)،<sup>١١٩</sup> لظهور بعدها جمعيات سياسية وتجمعات ثقافية كردية فعالة أخرى، مثل جمعية نشر التعليم الكردي (كورد نشيри معرفت جمعيتي) وجمعية الأمل الكردي (هيفي كورد جمعيتي).\*

سرعان ما سبب تحول لجنة الاتحاد والترقي من النزعة الليبرالية إلى النزعة التسلطية ومن النزعة العثمانية إلى النزعة الاقصائية الطورانية بعد استيلائهم على السلطة خيبة أمل لدى نخب القوميات غير التركية. ولم يتowan قادة نظام تركيا الفتاة الجديد عن شن حملة قمعية واسعة بدون تمييز ضد جميع العناصر الليبرالية والقومية من الأثنيات والأديان المختلفة. نتيجة لذلك، أغلقت الجمعيات الاجتماعية والمنظمات السياسية والأندية الثقافية الكردية الحديثة التأسيس، ومنعت جميع النشاطات الأخرى بما في ذلك إصدار المطبوعات الكردية. لذلك اضطررت الحركة القومية إلى العمل بشكل سري، على غرار الحركات القومية غير التركية. ويذكر أن حكومة تركيا الفتاة أصدرت حكماً بالإعدام ضد أمين بدرخان وشريف باشا اللذين تركا البلاد.<sup>١٢٠</sup> وأضطر عدد آخر من القوميين الكرد، كثريا بدرخان، الذهاب إلى المنفى من أجل استئناف نشاطاتهم السياسية.

وقد عد من الشخصيات القومية الكردية بحكم وجودهم في المنافي الخارجية، خاصة في بلدان أوروبا الغربية، تحت تأثير المفاهيم الحديثة عن حق الشعوب الخاصة في تقرير مصيرها وحق الأفراد في المساواة أمام القانون، وعزز هذا العامل بدوره من إيمان تلك الشخصيات بضرورة تدوين قضية مستقبل الشعب الكردي عن طريق كسب دعم قوى الحلفاء وتعاطفهم في المؤتمرات الدولية الخاصة برسم مستقبل الأقليم غير التركية التابعة للإمبراطورية العثمانية. وكما تم التنويه إليه آنفاً، ففشل الشيخ عبيد الله النهري قبل أربعة عقود تقريباً من ذلك في إقامة صلات قوية مباشرة مع القوى الأوروبية الكبرى،

<sup>١١٩</sup> شيكو بليج، القضية الكردية: ماضي الكرد وحاضرهم، القاهرة: مطبوعات خوبون، رقم ٥، السعادة، ص ٥١؛ زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكُردستان، ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

\* الأسماء الصحيحة للجمعيات الثلاث الوارد ذكرها أعلاه هي على التوالي: جمعية التعاون والتراقي الكردي - كورد تعاون وتراقي جمعيتي، جمعية نشر المعارف الكردية - كورد نشر معارف جمعيتي وجمعية هيفي للطلبة الكرد - كورد طلبه هيفي جمعيتي. [الناشر]

<sup>١٢٠</sup> W.G. Elphinston, 'The Kurdish Question' International Affairs, XXII (January 1946), p.94.

خاصة ببريطانيا، من أجل الحصول على دعمها لمشروع إقامة كُردستان مستقلة موحدة، وذلك بسبب تضارب مصالح تلك القوى مع مشروعه السياسي.

ان التوجه السياسي نحو الخارج لدى أغلب الحركات القومية الكُردية قد تأثرت بعاملين رئيسيين، تمثل الأول بمواجهتها قوتين معاذتين كبيرتين وهما الإمبراطورية العثمانية والمملكة القاجارية. وأما العامل الثاني فتمثل بموقع كُردستان الجيوسياسي حيث كانت (ومازالت) بلداً منغلاً يفتقد إلى منفذ خارجي يؤدي إلى البحر ومحاطاً بدول معاذية من كافة الجهات. ولكي ينجح القوميون الكُرد في كفاحهم من أجل تحقيق التطلعات القومية الكُردية، أدركوا أن الحصول على المساعدة الخارجية هو أمر حيوي جداً إذ يسهل عليهم التغلب على جملة مصاعب سياسية ودبلوماسية. وبقدر ما تعلق الأمر بالعامل الخارجي، اقتصرت خيارات القوميين الكُرد على (١) طلب المساعدة من بريطانيا العظمى بوصفها أقوى الدول الليبرالية أو (٢) طلب مساندة روسيا القيصرية بوصفها القوة الأقرب جغرافياً إلى كُردستان. وهذا يعني بالضرورة أن للقوميين الكُرد إستراتيجية واضحة المعالم نحو القوى الأوروبية الكبرى أو أسلوباً مشخصاً في كيفية التعامل معها، وإنما تدلل على وجود وعي عام لدى الأوساط القومية الكُردية بأهمية العامل الدولي وضرورة استغلال الفرصة التي أحدثتها التحولات المفاجئة في العلاقات الإقليمية والدولية، وكذلك تجنب حدوث أي تضاد بين التطلعات القومية الكُردية ومصالح قوى الحلفاء في كُردستان.

على الرغم من بذل مساع عديدة من أجل الحصول على مساندة خارجية، لم تبد أي من القوى الأوروبية الكبرى استعدادها لدعم القوميين الكُرد قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى، باستثناء روسيا القيصرية، التي جعلها موقعها الجغرافي القريب من كُردستان عاملًا خارجياً يمكنه التأثير في الوضع الكُردي إذا دعت الضرورة إلى ذلك. واجبر الضعف الذي أصاب الحركة القومية الارمنية داخل الولايات الشرقية روسيا القيصرية على اللجوء إلى الكُرد كأداة لإضعاف السيطرة التركية على تلك الولايات، دون أن تلزم نفسها بوعود واضحة ومحددة تتعلق بمصيرهم السياسي. بمساعدة روسية مباشرة، في صيغة أسلحة وأموال، قام الأمير عبد الرزاق بدرخان، أحد القوميين الكُرد ودبلوماسي سابق في السفارة العثمانية في سان بطرسبورغ، بتنظيم حركة سرية

معادية للأترارك، ضمت ضباطاً كُرداً عملوا في الجيش العثماني وقاده قبليين من مناطق تبليس ووان وبوتان. سعى عبد الرزاق من وراء حركته السياسية المسلحة إلى إنشاء حكم كُردي تحت حماية روسيا، بحسب المصادر البريطانية.<sup>١٢١</sup> وبهذا الصدد، اعتقد نوئيل بوكسون، بعد زيارته أرمينيا في العام ١٩١٣، أن غاية روسيا من وراء دعم الحركة القومية الكُردية هي منع الكُرد من «التوصل إلى اتفاق مع الأترارك أو مع المسيحيين لكي تبقى متمسكة بذرية تمكناها من التدخل».<sup>١٢٢</sup>

وفي نيسان العام ١٩١٣، قاد عبد الرزاق بدرخان انتفاضة كُردية منظمة في كُردستان الشمالية، سرعان ما امتدت إلى مناطق أخرى في كُردستان الجنوبية. شارك في تلك الانتفاضة شخصيات قومية كُردية جاءت من كُردستان الشرقية في مقدمتهم السيد طه، حفيد الشيخ عبيد الله النهري، وإسماعيل آغا سمو، زعيم فدرالية الشراك القبلية. يبدو أن القوميين الكُرد كانوا يأملون في أن يؤدي تقهقر تركيا العسكري في منطقة البلقان في ١٩١٢-١٩١٣ ومناشدتهم للأرمن ولبقية الجماعات المسيحية من أجل الانضمام إلى الانتفاضة المسلحة، وهي الخطوة التي استهدفت طمانة القوى الأوروبية بشأن غايتهما السياسية، إلى ظهور دعم دولي واسع للمسألة الكُردية. ويُذكر أن القنصل البريطاني في مدينة الموصل، الذي كان يراقب عن كثب سير الأحداث الملتهبة في كُردستان، قد رفض تماماً الادعاءات التركية بأن تلك الانتفاضة مجرد مؤامرة روسية، حيث أكد على جذورها المحلية والمتمثلة بنجاح حكومة تركيا الفتاة المعادي للكُرد.<sup>١٢٣</sup>

وفي أعقاب فشل حركة عبد الرزاق بدرخان في تحقيق هدفها، اندلعت انتفاضة كُردية غير موفقة في بيتليس قبل أن تتمتد إلى كُردستان الجنوبية. وشهدت الأخيرة انتفاضة محلية أشعلها البارزانيون في ربيع العام ١٩١٤. وبحسب ما يذكره كمال مظهر، طلب قائد الانتفاضة البارزانية، عبد السلام، مساعدات بريطانية وروسية.<sup>١٢٤</sup> وأما المناطق المنخفضة من كُردستان الجنوبية فكانت مسرحاً دائماً لتمرد عشائر

<sup>١٢١</sup> G. Lowther to Edward Grey, Pera, 9 December 1911, Enclosure 2 in No.1, from Acting Vice Consul Safrastian to Consul McGregor Bitlis, 17 November 1911, F0371/1263, PRO.

<sup>١٢٢</sup> Noel Buxton, 'The Russians in Armenia', pp.1362-1363.

<sup>١٢٣</sup> G. Lowther to Edward Grey, Constantinople, 22 May & 8 August 1913, F0371/1773, PRO.

<sup>١٢٤</sup> Ahmad, *Kurdistan during the First World War*, p.67.

الهاوند، ودخلت عشائر الجاف ومنطقة باجلان في مصادمات مسلحة مستمرة مع <sup>١٢٥</sup> السلطات المحلية التركية.

عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى، أجرى الشيخ محمود الحفيدي، وهو الشخصية الاجتماعية والقومية الأكثر نفوذاً في كُردستان الجنوبية، اتصالات أولية مع القوى الأوروبية عن طريق ممثلي اللجنة الدولية الروسية- البريطانية المشتركة الخاصة بتبسيط الحدود، التي كانت تسعى إلى حل النزاع الحدودي القائم آنذاك بين الإمبراطورية العثمانية والمملكة القاجارية. وتطلع الشيخ محمود من وراء اتصالاته إلى إقناع الأوروبيين بدعم مساعيه لإخراج الأتراك قسراً من كُردستان الجنوبية.<sup>١٢٦</sup> وكان الجانب الروسي هو الذي أبدى بعض الاهتمام بعرض الشيخ محمود حيث اتصل به بصورة سرية ممثلو القنصليات الروسية الموجودة في تركيا وإيران. مع هذا، لم يخرج الشيخ محمود بنتيجة تذكر من تلك الاتصالات. وأبدت قبائل كُردية رئيسية في كُردستان الجنوبية، مثل الهاوند والجاف والذئبي، رغبتها هي الأخرى في نيل دعم روسيا ضد الأتراك.<sup>١٢٧</sup> وفي كُردستان الشرقية، سادت الفوضى السياسية مع تسارع وتيرة تدهور نفوذ الحكومة القاجارية. باختصار شديد، هكذا كان حال النشاط القومي الكُردي وتمرد القبائل الكُردية عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى.

## ٢- إندلاع الحرب العالمية الأولى والوضع الكُردي

أدى اندلاع الحرب العالمية الأولى ووصوله إلى الأقاليم الآسيوية العثمانية إلى خلق ظروف جديدة جعلت النخبة الكُردية التقليدية والحديثة تؤمن بإمكانية استغلالها في تحقيق تطلعاتها السياسية القومية إذا ما ضمنت دعم قوى الحلفاء. ففي ربيع العام ١٩١٥، اندلعت انتفاضة كُردية في منطقة درسيم، استطاع خلالها المنتفضون الكُرد طرد القوات التركية لمدة عام. وانتفض الكُرد الدرسيميون للمرة الثانية في صيف العام ١٩١٧، وتبعدهم سكان خربوت الكُردية. وفي شهر آب من العام نفسه، انتفض أهالي دياربكر وماردين، ومن ثم سكان بتليس ضد حكومة السلطان. وكان القاسم المشترك بين هذه الانتفاضات هو غياب الدعم الخارجي، باستثناء انتفاضة آب العام

<sup>125</sup> Cox, Memorandum, 7 December 1918, F0371/3407, PRO.

<sup>126</sup> هاوار، محمد رسول، شیخ مه‌حومدی قاره‌مان و دهله‌تکه‌ی خوارووی کوردستان، ج ١، لندن: جاف برس، ١٩٩٠، ص ١٨٤.

<sup>127</sup> Cox, Memorandum, 7 December 1918, F0371/3407, PRO.

١٩١٧ التي تلقت دعماً روسياً محدوداً للغاية. إن غياب الدعم الخارجي يفسر جزئياً لماذا فشلت تلك الانتفاضات الكردية، وهذا بدوره رسم الاعتقاد بعدم نجاح تلك الجهد إلا إذا تلقت المسألة الكردية دعماً خارجياً مادياً وسياسياً. ومنحت الحرب العالمية الأولى القوميين الكرد الموجودين في الخارج، مثل ثريا بدرخان في مصر والجنرال شريف باشا في أوروبا المعروفين بمعادتهم الشديدة لحكومة تركيا الفتاة، فرصة إجراء اتصالات مع السلطات البريطانية.

دفعت الحاجة العسكرية لإضعاف جبهة العدو التركي بالروس إلى مناشدة المحليين الكرد من أجل نيل دعمهم. وهذا التوجه فرضته أيضاً طموحات روسيا الإقليمية التي أكدتها بنود اتفاقية سايكس-بيكو الثلاثية. تلك الاتفاقية التي وضعت جزءاً كبيراً من كردستان العثمانية تحت سيطرة روسيا المباشرة. لكن، سياسة الاحتلال القائمة على التدمير والنهب، التي اتبعتها روسيا، ودعم مهاجمة المسلمين المسيحيين للمسلمين الكرد أدت إلى تقويض الكرد منهم. أما البريطانيون فكانوا يراقبون عن كثب التطورات الجارية في كردستان التي سادت الفوضى مدنها وقصباتها. وعكس هذا الأمر اهتمام البريطانيين بمستقبل الأقاليم العثمانية والقاجarie، على المدى الطويل، وكذلك بوضعهم قواتهم المتقدمة في شمال ميزوبوتاميا، على المدى القصير.

مع ذلك، لم يُبدِّ البريطانيون اهتماماً يذكر بوضع ترتيبات سياسية مع القادة القوميين الكرد التي من شأنها أن تُلبِّي مصالح الطرفين الآنية أو المستقبلية، كما كان الحال في الجزيرة العربية التي شهدت دعماً بريطانياً لثورة الشريف حسين يستند إلى اتفاق ثنائي عام. واقتصرت نشاطات البريطانيين على نيل ولاء أهالي بعض المناطق في كردستان الشرقية. وهذا الأمر فرضته حاجة البريطانيين إلى تعزيز أمن مصالحهم في منطقة الخليج وحقول بتولإقليم خوزستان في جنوب إيران، وكذلك تأمين خط اتصال مباشر لهم مع حلفائهم الروس الموجودين في المناطق الكردية الشمالية. وأبدى البريطانيون قلقهم من النجاح الذي كان يتحقق للعملاء السريين الألمان في إقناع بعض القبائل الكردية، كالسنجبابين، بالعمل ضد القوات الروسية. وتمكنَت تلك القبائل من منع حدوث اتصال بري بين القوات الروسية والقوات البريطانية الموجودة في ميزوبوتاميا. باختصار، ظلَّ البريطانيون يتتجنبون أي تورط مباشر في الشؤون

الكردية الداخلية طوال الأعوام الثلاثة الأولى من الحرب. وتشير مذكرة بريطانية بهذا الصدد الى الآتي:

حتى هذه الفترة (أي احتلال بغداد في آذار العام ١٩١٧) لم تكن الإدارة المدنية (البريطانية) بحاجة الى الاهتمام بالشؤون الكردية. كان قد أُقرَ منذ أوائل العام ١٩١٤ ان تقدم (القوات البريطانية) نحو بغداد، او حتى نحو الموصل، وربما سيجعلنا على اتصال مع الكلد. ولكن هذا الاحتمال كان يبدو بعيداً في شهر كانون الأول من العام ١٩١٤، حين عرض شريف باشا خدماته على القوات (البريطانية). فبالرغم من كونه رجلاً مرموقاً وعدواً لدولياً للنظام الجديد في تركيا، وجد من الضروري ان يرفض عرضه، لأنَّه حتى لو كان هناك احتمال لتقدم (بريطاني) نحو بغداد في تلك الفترة، فإن الفرصة لم تكن قائمة للتحرك الى ما وراءها (بغداد)، حتى الجماعات الكردية، التي كان بالإمكان ملاقاتها ما بين العاديَّة وبغداد، لم تكن ذات أهمية إطلاقاً.<sup>١٢٨</sup>

في الوقت نفسه الذي حفز فيه الاحتلال البريطاني لبغداد الأسر الكردية المعروفة فيها أو في أطرافها على طلب الحماية البريطانية للشعب الكردي (على شاكلة الحماية التي وفرتها فرنسا للجماعات المسيحية في الأقاليم العثمانية) ومساندة قيام كونفدرالية كردية،<sup>١٢٩</sup> فإنه عمل على تغيير موقف المسؤولين البريطانيين الميدانيين اتجاه أهمية كُردستان الجنوبية من الناحيتين العسكرية والسياسية بالنسبة الى أمن ميزوبوتاميا:

مع احتلالنا لبغداد وتقديمنا اللاحق صعوداً في اتجاه ديالي، اكتسبت المشاكل المرتبطة بكردستان اهتماماً جديداً وحيوياً بالنسبة إلينا، ليس فقط، بسبب متطلبات الوضع العسكري المباشرة بل وأيضاً بسبب اليقين المتزايد من ان الكرد لن يكونوا الجيران في فترة الحرب فقط وإنما أيضاً سيتحول بعضهم الى رعاياً (بريطانيين) دائمين فيما بعد. ولم يكن بالإمكان، في ذلك الوقت، المبالغة في تقدير أهمية تأمين دعم (الكرد) وثقتهم.<sup>١٣٠</sup>

<sup>128</sup> Ibid.

<sup>129</sup> Political, Baghdad, to Secretary of State (SIS) for India (No-9915) 16 November 1918, AIR20/512, PRO.

<sup>130</sup> Précis of-Affairs in Southern Kurdistan during the First World War, Office of The Civil Commission, Baghdad, 1919, F0371/4192, PRO, p.3.

أصبحت السلطات البريطانية الميدانية قلقة بشكل متزايد بشأن الآثار السلبية التي كانت تتركها السياسات الروسية القاسية في كُردستان الجنوبية وكردستان الشرقية، التي أفاد منها الأتراك. وبدت سياسات حلفائهم الروس تؤثر في سمعة البريطانيين ومصداقيتهم بين السكان الْكُرْد<sup>١٣١</sup> الذين كانوا قد أعلنوا قبل ذلك بأنهم لن يرحبوا بتقدم قوات الحلفاء نحو مناطقهم فحسب، بل وسينتفضون أيضاً ضد الأتراك.<sup>١٣٢</sup> وأكد برسبي كوكس، الموظف السياسي الرئيس في ميزوبوتاميا، القيمة الكبيرة لـ(النية الحسنة) للكرد تجاه البريطانيين في ميزوبوتاميا،<sup>١٣٣</sup> وهذا أوصى بإقامة مكتب كُردي (Kurdish Bureau) في بغداد، مهمته التأثير في مواقف الكرد الجنوبيين عن طريق الدعاية وتوزيع الأموال بغية كسبهم إلى جانب البريطانيين في القتال ضد الأتراك.<sup>١٣٤</sup> مع ذلك، لم يكن بإمكان البريطانيين التدخل في شؤون الأهالي من الكرد الخاضعين للاحتلال العسكري الروسي، وذلك لأن الجوانب العسكرية من اتفاقيات الحلفاء خلال الحرب منعت البريطانيين من التدخل في شؤون آية منطقة تخضع للاحتلال الروسي حتى وإن كانت ضمن مجال النفوذ البريطاني.<sup>١٣٥</sup>

كانت الحكومة البريطانية تخشى فعلاً من احتمال الدخول في ((مصالحات جدية مع الروس)) خلال الحرب، في الوقت الذي كانت هي في حاجة ماسة إليهم لمحاربة الأتراك في كُردستان.<sup>١٣٦</sup> لذلك، امتنع البريطانيون عن بسط سيطرتهم على مناطق كُردية مهمة، مثل بدرة وقرطبا وسلسلة جبال حمراء، لكي لا يغضب الروس. وكان إخلاء القوات الروسية لمواعدها في المناطق الکردية القريبة من بغداد وعودة الأتراك إليها مجدداً هو العامل الذي أجبر البريطانيين على دخول كُردستان الجنوبية في نهاية العام ١٩١٧، أملاً في تعزيز أمن ميزوبوتاميا العربية. فضلاً عن ذلك، أدى وصول البلشفيين إلى السلطة في روسيا ومن ثم انسحاب جيوشها من الحرب إلى خلق فراغ عسكري وسياسي خطير في كُردستان الجنوبية والشرقية. وهذا التطور المفاجئ عَرَّضَ الوجود البريطاني في المناطق المجاورة والقريبة إلى تهديدات تركية جديدة.

<sup>١٣١</sup> Cox, Baghdad, 18 May 1917, AIR20/504, PRO.

<sup>١٣٢</sup> Précis of Affairs .., op. cit., p.3.

<sup>١٣٣</sup> Cox, Memorandum, 7 December 1918, F0371/3407, PRO, p.6.

<sup>١٣٤</sup> Cox, Baghdad, 18 May 1917, AIR20/504, PRO.

<sup>١٣٥</sup> Précis of Affairs .., op. cit., p.2.

<sup>١٣٦</sup> Ibid, pp.3 & 5.

وبتعبير آخر، لم تكن فكرة الزحف شمالاً نحو كُردستان الجنوبية ضمن مخططات البريطانيين الأولية.

حالما بدأت القوات البريطانية بالتقدم في اتجاه الشمال، سارعت شخصيات من مناطق كُردية عدّة، كخانقين وكفرني وكركوك والسليمانية، الى إبداء استعدادها للتعاون معها ضد الأتراك. وأشار الكولونييل ويلسون، خليفة كوكس في إدارة ميزوبوتاميا العربية، في أحد تقاريره المؤرخة ١٥ تشرين الأول ١٩١٨ الى ان غالبية القبائل الـكُردية الموجودة الى الشرق من نهر الزاب الصغير كانت «معادية للأتراك بفعالية» وإنهم «متحمسون للتخلّي عن ولائهم الى تركيا والوقوع تحت النفوذ البريطاني». <sup>١٣٧</sup> ان الطريقة التي تقدم بها البريطانيون نحو الشمال واحتلالهم لمدن كُردية رئيسة، كخانقين وكفرني وكركوك، من دون ان يواجهوا مقاومة تذكر ترجع أسبابه جزئياً الى رفض الـكُرد مساعدة الأتراك سواء بالمقاتلين الرجال أو بالمؤونة. فالقبائل والطوائف الـكُردية القوية، مثل الداوديين والطالبانين، قاومت جميع محاولات الأتراك لـإجبارها على إرسال المؤونة أو الرجال دعماً لمجهودهم الحربي. وعرض الـهمانديون الـكُرد على القوات البريطانية تزويدهم بالمؤونة في الوقت نفسه الذي رفضوا فيه إرسال أي شيء الى الجانب التركي.

ومن اجل تفادي الضغوط التركية لإرغامها على تسليم الأغذية، قامت القبائل الـكُردية الصغيرة، خاصة في منطقة كفرني، بترك المناطق الخاضعة للسيطرة التركية لتنتجه الى مناطق أخرى خاضعة للسيطرة البريطانية. <sup>١٣٨</sup> وأرجعت مذكرة بريطانية فشل الدعاية التركية في تعبئة السكان الـكُرد ضد القوات البريطانية الـزاحفة شمالاً الى موقف رجال الدين الـكُرد المعادية للأتراك، الذين رفضوا إطلاق دعوة ((الجهاد)) عند مطالبة الأتراك لهم بذلك. وصرح هؤلاء بأن الحرب التي دخل فيها الأتراك هي حرب من اجل ((زيادة شأنهم))، وأنهم ((أعداء الـكُرد بالتوارث)). <sup>١٣٩</sup> وأدت المواقف الـكُردية المعادية للأتراك بعض الدور في إرغام الأتراك على القيام بانسحاب عاجل من كُردستان الجنوبية دون إبداء مقاومة حقيقة، على النقيض مما فعلوه في ميزوبوتاميا العربية.

<sup>137</sup> Political, Baghdad, 15 October 1918, F0371/3407, PRO.

<sup>138</sup> Précis of Affairs .., op. cit., p5.

<sup>139</sup> Cox, Memorandum, 7 December 1918, F0371/3407, PRO, p.6.

على الرغم من سياسات الاحتلال الوحشية التي اتبعتها القوات الروسية في مناطقهم، لم يفقد الكُرد الثقة والأمل في أن يسمح لهم البريطانيون بإقامة حكم ذاتي كُردي بعيداً عن أي تسلط تركي. وتصاعدت الآمال الكُردية بشكل ملحوظ تحت تأثير دعایات الحرب التي أطلقها البريطانيون بعد دخولهم مدينة بغداد في العام ١٩١٧، وصرحت جريدة (تیکه یشتنتی پاستی - فهم الحقيقة) التي صدرت باللغة الكُردية في عددها الأول في ١٢ كانون الأول ١٩١٨ انه:

حالما سtribع بريطانيا الحرب... فإنها ستخلاص ألم العالم أجمع من دون استثناء، خاصة عرب وكرد ميزوبوتاميا وجيرانها، من الشقاء لتمنحهم فرحة التحرير والحرية والوحدة. إن تحقيق مثل هذه المطالب المقدسة سيكون مستحيلاً من دون مساعدة حكومة عادلة، حكومة بريطانيا العظمى، ثعمال  
 (الش) بصورة متساوية.<sup>١٤٠</sup>

أخذ الکُرد هذه الوعود محمل الجد. فحين حاول البريطانيون بسط سيطرتهم السياسية، لم يجدوا أنفسهم في موقف يدعوهم الى إرسال قوات عسكرية إضافية لاحتلال المدن والقرى الکُردية، التي حُررت من الأتراك بمبادرات محلية، كما كان الحال في السليمانية وكوي سنجق ورانية وراوندوز.<sup>١٤١</sup>

٣- الشيخ محمود الحفيـد والتقدـم البرـيطـانـي نحو كـرـدـسـتـانـ الـجنـوـبـيـةـ

من المهم جداً، في سياق تفسير الظروف المحيطة بـمـدـ النـفوـذـ البرـيطـانـيـ إـلـىـ منـاطـقـ

كـرـدـسـتـانـ الـجـنـوـبـيـةـ، تـسـليـطـ الضـوءـ عـلـىـ نـشـاطـاتـ الشـيـخـ مـحـمـودـ الـحـفـيـدـ وـمـوـاقـعـهـ لـماـ

أـدـاهـ مـنـ دـورـ مـؤـثـرـ وـوـاضـحـ فـيـ صـيـاغـةـ الـعـلـاقـاتـ الـبـرـيطـانـيـةـ- الـكـرـدـيـةـ فـيـ مـراـحلـهاـ

الـمـبـكـرـةـ. بـفـضـلـ مـكـانـتـهـ الـدـينـيـةـ الـبـارـزـةـ وـمـوـقـعـهـ الـاجـتمـاعـيـ كـاـرـسـتـقـرـاطـيـ عـقـارـيـ كـبـيرـ

وـدـورـهـ السـيـاسـيـ الـمـشـهـودـ خـلـالـ الـمـراـحلـ الـأـوـلـىـ مـنـ الـحـربـ، كـانـ الشـيـخـ مـحـمـودـ

الـشـخـصـيـةـ الـكـرـدـيـةـ الـأـوـسـعـ نـفـوذـاـ وـالـأـرـقـىـ سـمعـةـ مـنـ غـيـرـهـ فـيـ كـرـدـسـتـانـ الـجـنـوـبـيـةـ سـوـاءـ

خـلـالـ فـتـرـةـ الـحـربـ أـوـ فـيـ أـعـقـابـهـ.<sup>١٤٢</sup> اـنـ الـمـسـاعـيـ السـيـاسـيـةـ الـتـيـ بـذـلـهاـ الشـيـخـ خـاصـةـ

خـلـالـ فـتـرـةـ الـحـربـ هـيـ الـتـيـ جـعـلـتـ مـنـ مـدـيـنـةـ السـلـيـمانـيـةـ مـرـكـزاـ مـهـماـ لـلـحـرـكـةـ الـقـومـيـةـ

<sup>140</sup> Quoted by Ahmad, **Kurdistan During The First World War**, p-107.

<sup>141</sup> Political, Sulaimaniya, to Political, Baghdad, 19 November 1918, AIR20/512, PRO.

١٤٢ حلمي، رفيق، *ياداشت*، ج١، بغداد: ١٩٨٨، ص ٣٥-٣٦.

الكردية، وهي المكانة التي ما زالت تحتلها حتى هذا اليوم. كما تم الإشارة إليه آنفًا، حاول الشيخ محمود الاقتراب من الروس أملًا في تعبئة الكرد ضد الأتراك بمساعدتهم. لكن خيبة محمود بـ«مواقف الحفاء»، من جانب، ووعود حكومة تركيا الفتاة بمنح الشعوب التركية الحكم الذاتي، من جانب ثان، هي التي دفعته على ما يبدو إلى تعبئة بعض قوات الخيالة الكردية التي قاتلت، جنباً إلى جنب مع مقاتلي بعض العشائر العربية الجنوبية، مع الجيش التركي ضد القوات البريطانية في المراحل الأولى من الحرب العالمية الأولى.

لم يمض وقت طويلاً حتى قام الشيخ محمود بسحب قواته من الحرب بعد أن خسر ثقته تماماً بالأتراك وبوعودهم الكاذبة، ولكنه بادر إلى قيادة قوات كردية قامت بمقاتلة القوات الروسية الغازية، التي كانت ترتكب مجازر بحق أهالي بعض مناطق كردستان الشرقية. وموقف الشيخ محمود القومي هذا خلق له شعبية واسعة بين المحليين الكرد القاطنين على جانبي الحدود القاجارية - العثمانية.<sup>١٤٣</sup> وكغيره من القوميين الكرد، كان الشيخ محمود يمتلك معلومات جيدة عن التداعيات المهمة المرتبطة بالتطورات الدولية الحاصلة خلال زمن الحرب، في مقدمتها إعلان الرئيس الأمريكي ويلسون لنقاطه الأربع عشرة ووقوع الثورة البلشفية في روسيا، التي أثرت بشكل ملموس في الطموحات القومية للشعوب غير التركية الخاضعة لحكم السلطان العثماني. في أعقاب تقهقر القوات التركية وانسحابها بعد سقوط بغداد، بادر الشيخ محمود، كغيره من الشخصيات الكردية المحلية، إلى الاتصال بالسلطات البريطانية الميدانية بغية التنسيق معها بشأن طرد الأتراك من المناطق الكردية.

كان الشيخ يأمل بإقامة حكومة كردية تحت إشراف بريطاني<sup>١٤٤</sup>، ولهذا الغرض قام بإرسال شخصيتين كرديتين إلى بغداد، حاملين معهما رسالة منه إلى البريطانيين ناشد فيها حكومتهم «بأن لا تستثنى كردستان من قائمة الشعوب المتحررة».<sup>١٤٥</sup> كما طلب الشيخ محمود من البريطانيين تصوراتهم عن كيفية طرد القوات التركية من كردستان الجنوبية.<sup>١٤٦</sup> ولكنه، لم ينتظر القوات البريطانية طويلاً إذ بادر إلى عقد

<sup>١٤٣</sup> Ibid. p.50.

<sup>١٤٤</sup> Ibid, p.51.

<sup>١٤٥</sup> Political, Baghdad, 1 November 1918 f F0371/3407, PRO.

<sup>١٤٦</sup> Ibid.

اجتماع كبير حضره جميع الشخصيات المحلية في السليمانية والمناطق المحيطة بها، بُحث خلاله رسم مستقبل الْكُرد في ضوء المستجدات الجديدة، خاصة تراجع القوات التركية والفراغ السياسي الناجم عن ذلك. وكان أهم نتائج ذلك الاجتماع الواسع هو تشكييل حكومة كُردية برئاسة الشيخ محمود.<sup>١٤٧</sup>

في أعقاب الاحتلال البريطاني لبغداد، ازدادت بسرعة القيمة السياسية والعسكرية للدور الْكُردي بالنسبة إلى الطرفين المتحاربين: البريطاني والتركي. فالْكُرد ليس بإمكانهم تقديم مقاتلين أشداء فحسب، بل أيضاً في إرسال المؤونة والمعلومات إلى الأطراف المتحاربة، فضلاً عن حماية الطرق اللوجستية. وأدى هذا الوضع بدوره إلى ازدياد أهمية الشيخ محمود بوصفه الشخصية الأكثر نفوذاً سياسياً واجتماعياً ودينياً في المناطق الواقعة إلى الشرق من نهر الزاب الكبير. وهذا يفسر لماذا أطلق الأتراك سراح الشيخ بعد إعادة احتلال مدينة كركوك رغم علمهم بقيامه باتصالات مع الجانب البريطاني. وكان الأتراك يأملون باقناع الشيخ مجدداً بفكرة تعبئة المحليين الْكُرد للقتال معهم ضد البريطانيين.<sup>١٤٨</sup> وذهب الأتراك في محاولات استدراجه الشيخ إلى حد تنصيبه قائمقام السليمانية. في أثناء ذلك، شعر البريطانيون بالقلق جراء التغيير الحاصل في السياسة التركية تجاه الوضع الْكُردي، خاصة بعد أن أحرزت القوات التركية تقدماً عسكرياً كبيراً في كُردستان الشرقية على حساب القوات الارمنية واليسوعية الأخرى المناصرة للحلفاء. وكل هذه التطورات، كما أشارت تقارير السلطات البريطانية في بغداد، تزامنت مع تطورات عسكرية سلبية في أوروبا:

كان في مقدور الأتراك في حينها تحقيق مكسب سياسي كبير من الانتصارات العسكرية الألمانية وتراجع الحلفاء في الجبهة الغربية. واتخذ القائد التركي أيضاً موقفاً إرضائياً تجاه القبائل (الْكُردية)، الأمر الذي أعطى ثماراً جيدة ... كل هذا، بالإضافة إلى عدم الثقة التي ولدها إخلاؤنا لكركوك ... عمل على تغيير الموازين السياسية لغير صالحنا.<sup>١٤٩</sup>

على الرغم من كل شيء، ظلَّ الشيخ محمود يُعلق آماله على البريطانيين، وحالما استطاعوا إعادة احتلال مدينة كركوك، لم يستأنف اتصالاته معهم فحسب بل أيضاً

<sup>١٤٧</sup> Précis Affairs... op. cit., pp. 5-6.

<sup>١٤٨</sup> حلمى، رفيق، ياداشت، ج ١، ص ٥٢-٥٣.

<sup>١٤٩</sup> Précis Affairs ... op. cit., p.6.

قام بأسر الجنود الأتراك الموجودين في منطقته معلنًا نهاية الحكم التركي. وحذت بقية المناطق الـكردية حذو السليمانية، مثل كوييسنجر ورانيه. في غضون ذلك، دعت شخصيات كردية محلية أخرى البريطانيين إلى إرسال ممثلي عنهم إلى كردستان الجنوبية بغية وضع ترتيبات لإدارة شؤونها المحلية. وحقيقة أن التوغل البريطاني بدأ بالكاد في كردستان الجنوبية حينما وقعت هدنة مودروس في ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨ هي التي جعلت مبادرة الكرد بطرد بقايا القوات التركية والموظفين الأتراك وإعلان الولاء إلى الجانب البريطاني ذات أهمية ملموسة من الناحية السياسية. فعن طريق التعامل مع بعض الشخصيات الـكردية كممثلي مدنيين لهم مع إبقاء قوة عسكرية تركية صغيرة في معظم مناطق كردستان الجنوبية، حاول الأتراك التأكيد على خضوع تلك المناطق لحكمهم بشكل قانوني، من دون أن يتأثر مصيرها بشروط هدنة مودروس. ولكن، مبادرة الكرد بالوقوف إلى جانب السلطات البريطانية ودعوتهم لممثليها بزيارة مناطقهم، هي التي وضعت عملياً اغلب مناطق كردستان الجنوبية تحت النفوذ السياسي البريطاني من دون اللجوء إلى وسائل الاحتلال العسكري.

ان تقدم القوات البريطانية الأولى داخل كردستان الجنوبية في المراحل الأخيرة من الحرب قد تزامنت مع تطورات سياسية وعسكرية مهمة كانت لها تأثيرات مباشرة في سير الأحداث اللاحقة في منطقة الشرق الأوسط. تمثلت واحدة من أهم تلك التطورات بالانسحاب الروسي من الحرب، الذي أعقبه إدانة البلشفيين وفضحهم لبنيود الاتفاقيات والمعاهدات السرية التي توصل إليها الحلفاء في زمن الحرب المتعلقة بتجزئة الإمبراطورية العثمانية وتقسيم إيران القاجارية إلى مجالات نفوذ. وساهمت هذه التطورات غير المتوقعة في التأثير بشكل مباشر في موقف صناع القرار البريطانيين تجاه المستقبل السياسي للإمبراطورية العثمانية وأقاليمها غير التركية. وكما أشير إليه آنفًا، وافقت بريطانيا على تقسيم ولاية الموصل مع فرنسا بهدف خلق «(وتد إقليمي فرنسي)» بين منطقة نفوذها في كردستان وتلك التي كانت عائدة لروسيا.<sup>١٥٠</sup> على أثر اختفاء روسيا مؤقتاً بوصفها قوة رئيسة من الساحة الإقليمية الشرق أوسطية في أعقاب الثورة البلشفية لم يُعد توطيد المصالح الإستراتيجية البريطانية يتطلب تقسيم ولاية الموصل مع فرنسا. بهذا الشكل، تخلت لندن عن فكرة التوفيق

<sup>١٥٠</sup> Macdonogh to Nicholson, 6 January 1916, F0371/2767, PRO.

بين المصالح البريطانية والفرنسية في تلك الولاية لصالح فرض سيطرة بريطانية عليها. وبدأ تعديل بنود اتفاقية سايكس- بيكر الخاصة بولاية الموصل الطريقة المُثلَّى لتعزيز الموقف البريطاني في ميزوبوتاميا على المدى الطويل. وفي أعقاب اجتيازهم حدود كُردستان الجنوبية على أثر انسحاب القوات الروسية، صار البريطانيون في موقف سياسي أقوى بكثير من السابق من حيث إمكانية تجريد الفرنسيين من منطقة نفوذهم في ولاية الموصل.

ان قرار البريطانيين القاضي باحتلال مدينة الموصل، التي كانت بمثابة إشارة واضحة عن عزمهم على فرض سيطرتهم بصورة منفردة على ولاية الموصل بأكملها، كان قد حفرته أيضاً حسابات بتولية. ففي لقاء لحكومة الحرب المصغرة جرى قبل شهرين من انتهاء الحرب مع الإمبراطورية العثمانية، لفت وزير الخارجية البريطاني، آرثر بلفور، أنظار الحاضرين إلى مستقبل التطور البتولي الباهر في ميزوبوتاميا، داعياً في نفس الوقت إلى تسوية سياسية حول مصير هذه البلاد بحيث تتمكن الإمبراطورية البريطانية من تأمين سيطرتها على مصادرها البتولية الكامنة.<sup>١٥١</sup> بهذا النحو أصبحت الحاجة الملحة لتعديل بنود اتفاقية سايكس- بيكر بطريقة تجعل البريطانيين قادرين على فرض سيطرتهم على ولاية الموصل بأكملها. ولهذا صرَّ بلفور ولورد كورزون في آب العام ١٩١٨ بأن بنود اتفاقية سايكس- بيكر أصبحت (قديمة)، وهو الأمر الذي سرعان ما نال قبول اللجنة الشرقية.<sup>١٥٢</sup>

وكانت حكومة الحرب المصغرة قد شكلت اللجنة الشرقية من أجل التعامل بشكل خاص مع جملة قضايا ترتبط بأقاليم كثيرة تمتد من حدود الهند الغربية حتى السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط. ترأس لورد كورزون هذه اللجنة، التي ضمت بين أعضائها البارزين، فضلاً عن بلفور، إيدوين مونتغيو، وزير الهند، وهنري هيوز، رئيس هيئة الأركان العامة. وفي هذا المقطع الزمني تحديداً أثيرت مسألة تقدم القوات العسكرية البريطانية في اتجاه مدينة الموصل، التي سرعان ما نالت تأييد لويد جورج، رئيس الوزراء البريطاني الجديد.<sup>١٥٣</sup> ولتحقيق هذا الهدف الجديد، تقرر ان

<sup>١٥١</sup> Imperial War Cabinet, 13 August 1918, CAB23/7, PRO.

<sup>١٥٢</sup> War Cabinet Minute No.457, 13 August 1918, CAB23/7 & Eastern Committee Minute N0.34, 3 October 1918, CAB27/24, PRO.

<sup>١٥٣</sup> War Cabinet Minute No.457.13 August 1918, CAB23/43 & War Cabinet Minute No.482A. 3 October 1918, CAB23/14, PRO.

تقوم بريطانيا بفرض سيطرتها على مدينة الموصل قبل انتهاء الحرب. على الرغم من بذل جهود عسكرية كبيرة، لم يستطع البريطانيون تحقيق غايتهم قبل ان تنتهي الحرب إذ وقعت تركيا على هدنة مودروس في ٣٠ تشرين الأول. ولكن لم تمنع تلك الهدنة القوات البريطانية من السيطرة على مدينة الموصل بعد مرور أسبوع على توقيعها. ان دراسة بنود شروط هدنة مودروس بين بريطانيا وتركيا تبين انه في الوقت نفسه الذي نصت فيه صراحة على انسحاب تركي من كردستان الشرقية، لم تُشر، لا من قريب أو من بعيد، الى اتخاذ إجراء مماثل له في كردستان الجنوبية.<sup>١٥٤</sup> وكان مصطلح (ميزوبوتاميا) الذي استخدم في بنود الهدنة غامضاً في فحواه. بعبارة أخرى، لم توضح اتفاقية الهدنة مسألة هل كانت كردستان الجنوبية جزءاً من ميزيوبوتاميا أم لا؟ وهذا يفسر، مثلاً، لماذا أصرّ الأتراك باستمرار بعد انتهاء الحرب على عدم شرعية احتلال البريطانيين لولاية الموصل. ولهذا طالب الأتراك بعودة تلك الولاية لسيطرتهم. والجدير بالإشارة ان مسألة مصير تلك الولاية أصبح أحد الأسباب الرئيسية لرفض تركيا الكمالية الاعتراف بالدولة العراقية خلال المدة ١٩٢٣-١٩٢٥.

ويمكن إرجاع السبب في تغير الموقف البريطاني تجاه بنود اتفاقية سايكس-بيكو الى جملة تطورات سياسية وعسكرية إقليمية ودولية. وشكل دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب بصورة متاخرة احد تلك العوامل التي لم يكن بمقدور بريطانيا تجاهلها لدى وضع سياستها لمرحلة ما بعد الحرب، خاصة وان أمريكا عُرفَ عنها معارضتها الشديدة لظاهرة الاستعمار القديم بسبب عرققتها لحركة الاستثمار والتجارة الحرة. ومع غياب روسيا والمانيا من الساحتين الإقليمية والدولية، تبدل الوضع إذ بدأت بريطانيا تجد في فرنسا منافساً رئيساً لها في محاولاتها لتوسيع مصالحها السياسية والاقتصادية في الشرق الأوسط الجديد. ولذلك توجب على الساسة البريطانيين اتخاذ خطوات عاجلة لاحتواء توسيع النفوذ الفرنسي السياسي والاقتصادي. على صعيد آخر، خلقت الحرب بسبب طولها ضغوطاً اقتصادية ومالية وسياسية لم يسبق لها مثيل مما أجبر حكومة لندن على التفكير بصورة جدية في تقليل مسؤولياتها العسكرية وخفض التزاماتها المالية، فضلاً عن تسريح أعداد كبيرة من قواتها العسكرية بصورة عاجلة. نظراً لاستحالة خيار توسيع الإمبراطورية

<sup>154</sup> British And Foreign Papers, 1917-1918, V. CXI, (HMSO), pp. 611-613.

البريطانية إقليمياً أمام الرأي العام تتحم على صناع القرار البريطانيين ان يعيدوا النظر في النظام الذي وضعوه للشرق الأوسط في أثناء الحرب.

### خاتمة الفصل

تدل دراسة موقع كُردستان في سياسات بريطانيا تجاه الدولتين العثمانية والقاجarie قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى وخلالها على ان المسؤولين البريطانيين نظروا الى الشؤون الكُردية من زاوية إستراتيجية بدرجة رئيسة، وزاوية اقتصادية - بتولية بدرجة ثانوية. ونظراً لارتباط مصالح بريطانيا الإستراتيجية بمسألة توطيد الوحدة الإقليمية لكلا الدولتين العثمانية والقاجارية، فإن ساستها ظلوا يعارضون بشدة سعي أية قوة داخلية الى تغيير الوضع القائم. وهذا يفسر تناقض الفوران القومي الكُردي مع مصالح بريطانيا الإستراتيجية والاقتصادية، كما دلت على ذلك انتفاضة الشيخ عبيد الله في ١٨٨٠-١٨٨١. وفي نهاية العقد الأول من القرن العشرين، بدأ البريطانيون التفكير في بسط نفوذهم السياسي والاقتصادي على الأقاليم العثمانية الداخلية، بما في ذلك المناطق الجنوبية من كُردستان. وعكس هذا التوجه الجديد دخول بريطانيا في منافسة قوية مع بقية القوى الأوروبية، خاصة المانيا، وكذلك ظاهرة التدهور المستمر في قوة الإمبراطورية العثمانية والمملكة القاجارية، اللتين كانتا تعانيان منها لعقود طويلة. وبعد مضي بعض الوقت على نشوب الحرب العالمية الأولى، سارعت بريطانيا بصورة حثيثة الى إعادة رسم خارطة الشرق الأوسط الجيوسياسية بهدف بسط نفوذها السياسي والاقتصادي وتوطينه في المناطق الحيوية من آسيا العثمانية. وما كان تقرير لجنة بونسن ومراسلات حسين - مكماهون واتفاقية سايكس - بيكيو الثلاثية سوى دليل على عزم بريطانيا على تجزئة كُردستان العثمانية.

في نهاية الحرب، تضافت معًا جملة حسابات إستراتيجية وسياسية واقتصادية، أجبرت بريطانيا على إعادة النظر في سياستها لمرحلة ما بعد الحرب تجاه الأقاليم العثمانية غير التركية السابقة، كأرمينيا وكُردستان وميزوبوتاميا العربية. ونظراً لكون بنود الاتفاقيات التي أبرمتها الحلفاء خلال الحرب أصبحت قدية وغياب أية إشارة الى مسألة فرض بريطانيا لسيطرتها على كُردستان الجنوبية، تفسر لماذا لم يكن لدى البريطانيين خطة محددة لإدارة ذلك الإقليم بصورة مباشرة، فضلاً عن تحديد مستقبل كُردستان السياسي على المدى الطويل ضمن سياق بناء نظام شرق أوسطي جديد.

وبينما كانت هي تنتظر انعقاد مؤتمر السلام وتبلور سياسة محددة تجاه مستقبل كُردستان، قامت لندن بتحويل الكولونيل ويلسون صلاحية اتخاذ إجراءات إدارية وسياسية تضمن الاستقرار واستتاب الأمن والنظام واستئناف النشاطات الاقتصادية في كُردستان الخاضعة للنفوذ البريطاني. مع ذلك، أكدت لندن بوضوح انه ينبغي على الموظفين البريطانيين العيدانيين تجنب أية إجراءات تؤدي الى المزيد من الالتزامات العسكرية والمالية والسياسية في المناطق الـكُردية. وكما سُيُّبَين الفصل الآتي كيف كانت للظروف المحيطة ببسط سيطرة البريطانيين على كُردستان الجنوبيَّة تأثيرات مباشرة على سياستهم العيدانية، التي أدت دوراً مهماً في التأثير على التطورات السياسية اللاحقة في ذلك الإقليم في السنوات ١٩١٨-١٩٢٣. علاوة على ذلك، أدت سيطرة البريطانيين على كُردستان الجنوبيَّة الى تورطهم في شؤون كُردستان الشماليَّة والشرقية، إذ استند أمن مصالحهم في ميزوبوتاميا العربية الى الاستقرار السياسي والأمني في المناطق الـكُردية المجاورة والخارجية عن سيطرتهم.





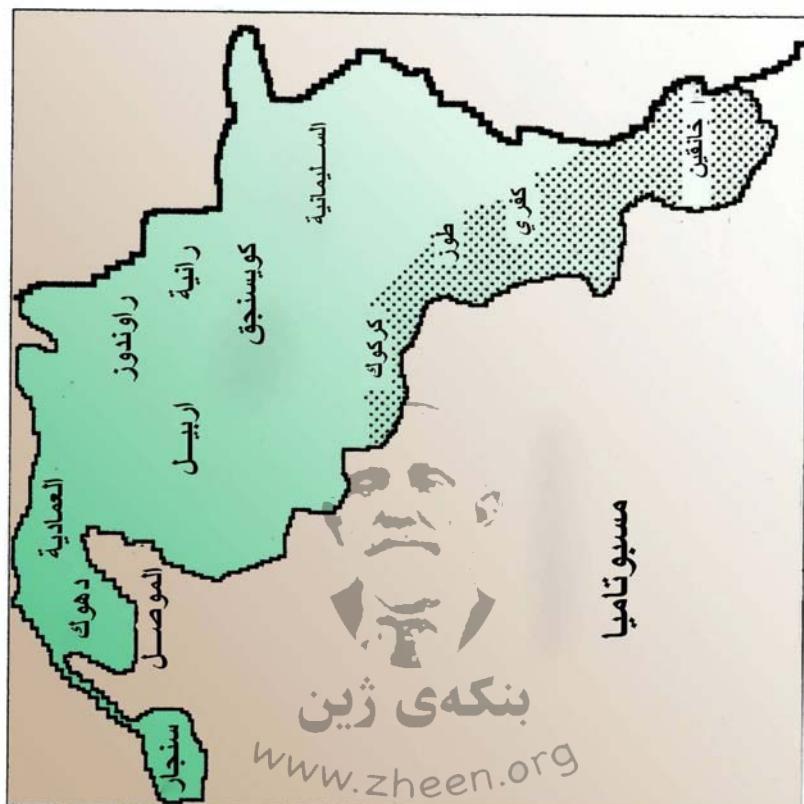
## الفصل الثاني

### السياسة البريطانية في كُردستان الجنوبية:

تشرين الأول ١٩١٨ - آب ١٩٢٠

وقع على عاتق وزارة الهند مسؤولية إدارة ممتلكات بريطانيا الإقليمية الجديدة في كُردستان وميزوبوتاميا، في حين أبقيت وزارة الخارجية إشرافها على السياسة الحكومية العامة لحين انعقاد مؤتمر السلام القادم، الذي سيقرر مستقبل تلك الأقاليم ضمن إطار تسوية سياسية سلمية للإمبراطورية العثمانية. وفي غضون ذلك، أدار الكولونيل ويلسون، بوصفه المفوض المدني وكالة والموظفي السياسي الرئيس، سياسة بريطانيا الميدانية. هذه السياسة التي أدت دوراً حساساً للغاية في تحديد مسار الأحداث في غياب موقف رسمي عام واضح المعالم والغايات. وساعد ويلسون في تصريف الشؤون الإدارية والسياسية عدد من الموظفين السياسيين، الذين قاموا بتمشية القضايا المحلية كلّ في مقاطعاته، فضلاً عن رفع مقترنات حول الأسلوب الأمثل والممكن في عملية الإدارة. وقدرت السلطات العسكرية الميدانية من جانبها تصورات عن أولوياتها وأهدافها بقدر تعلق الأمر بالقضايا الإستراتيجية والأمنية.

لقد تمثلت المهمة الرئيسية للسلطات البريطانية في بغداد بعد انتهاء الحرب بإعادة الحياة الإدارية والاقتصادية والاجتماعية في كُردستان الجنوبية إلى أوضاعها الطبيعية. وهذا الفصل يتناول جملة أوضاع عسكرية وسياسية أثرت في القرار البريطاني بشأن الموافقة على مشروع إقامة كيان كُردي يتمتع بحكم ذاتي تحت إشرافهم السياسي بين نهاية تشرين الأول وبداية تشرين الثاني من العام ١٩١٨. غالباً ما أشار المسؤولون البريطانيون في لندن والموظفون الميدانيون البريطانيون في الشرق الأوسط إلى ذلك الكيان بوصفه ((دولة كُردية)), بالرغم من عدم تمعتها باستقلال تام أو هوية متكاملة. وفي صيف العام ١٩١٩، تم التخلص من هذه الدولة، بعد أن تغلبت القوات البريطانية على التحدي العسكري والسياسي الذي شكله الشيخ محمود، حاكم الكيان الكُردي. ولذلك من المهم تقديم تحليل مفصل بعض الشيء حول أسباب الانقلاب الحاصل في السياسة البريطانية الميدانية وتداعياتها بالنسبة إلى مستقبل كُردستان الجنوبية على المديين القصير والطويل.



الخارطة (٩): تقدم القوات البريطانية في كردستان الجنوبية في اثناء الحرب

المناطق الكردية الخاضعة لسيطرة البريطانية

الحدود العثمانية الایرانية

**السيطرة البريطانية غير المباشرة وتشكيل دولة الحكم الذاتي في كردستان الجنوبية: الظروف والغايات**

في المراحل الأولى من الوجود البريطاني في كُردستان الجنوبية، خضعت عملية صنع القرار الميداني البريطاني لجملة شروط، كان من أهمها عدم وجود قوات الاحتلال بشكل كاف أو إداريين مدنيين مؤهلين.<sup>١٥٠</sup> ولم يكن موقف بريطانيا السياسي والعسكري مستقراً ومأموناً بعد في المناطق الْكُرْدية الجنوبية المُشرفة على سهول ميزوبوتاميا الواقعة إلى الجنوب منها. وقبل التوصل إلى هدنة مودروس، كان التوغل البريطاني قد بدأ تواً في كُردستان الجنوبية (انظر الخارطة رقم ٩)، ولذا أصبح من ضروري ان تُطيل السلطات البريطانية في بغداد أمد حُسن النوايا التي أبداها الأهالي الْكُرْد تجاههم، خصوصاً وإن الآخرين هم الذين بادروا إلى تحرير العديد من مدنهم وقرائهم من الوجود التركي، ودعوا في الوقت نفسه البريطانيين إلى زيارة مناطقهم بهدف تقديم المساعدة على وضع ترتيبات سياسية وإدارية تتلاءم مع الأوضاع الجديدة. ان مواقف الْكُرْد الجنوبيين المعادية للأتراك والمؤيدة لبريطانيا شكلت العامل الذي سهل على البريطانيين إنجاز مهمتهم الفورية المتمثلة بتحقيق الاستقرار الأمني وتطبيع الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية من دون الحاجة إلى إقامة إدارة مباشرة عسكرية أو مدنية متصلة وبإشراف التحالف.

ان موقف الکُرد الایجابی المذکور اتّاح للبريطانيين فرصة لخض مسْتوى الالتزامات العسكرية والمالية القائمة آنذاك في ميزوبوتاميا، وجعلهم في موقف جديد أصبحوا من خالله قادرین على تعزيز نفوذهم السياسي بسهولة في كافة إرجاء کُردستان الجنوبية. وينبغي التذکیر بهذا الشأن، انه لم تكن في البدء لدى البريطانيين أية نية لتوسيع الرقعة الجغرافية للاحتلال العسكري حين دعا الشيخ محمود مثليهم للقدوم الى مناطق کُردية حساسة من الناحية الإستراتيجية. يقول تقرير بريطاني مطول بهذا الخصوص:

كان الاحتلال العسكري (الكردستان الجنوبية) أمراً مستبعداً إلى حد كبير، وذلك لأنَّه حتى بعد إلحاق الهزيمة بـ«الأتراك»، تضافرت معاً (عوامل) التجهيزات

<sup>155</sup> W.R. Hay, *Two Years In Kurdistan* (London: Sifgwick & Jackson Ltd, 1921), p-6

ومصاعب أخرى لتجعل من المستحيل الاحتلال بواسطة حامية حتى نقطة قريبة جداً في متناول اليد ومهمة للغاية سياسياً بالنسبة لنا، كالسليمانية. لهذا توجَّبَ (عليها) تبني خيار الاعتماد على الوسائل السياسية البحتة، وتولد شعور (لدينا) بأن أفضل الوسائل لتحقيق ذلك (الهدف) هي استغلال الحس الشرعي تماماً للقومية الكردية التي كانت ولحقبة زمنية طويلة ثبتت نفسها بين القبائل الكردية الجنوبية.<sup>١٥٦</sup>

يتضح من كل ذلك أن نوئيل كان منطقياً في خياره وهو أن لا يحصل تدخل بريطاني مباشر، وأن يقتصر الدور البريطاني على إسداء نصائح سياسية وأمنية وإرشادات إدارية وفنية للزعامة الكردية، التي ترك لها أمر الإدارة الفعلية للشؤون المحلية.

ان وجود تطلعات قومية أولية في أوساط الزعامات الكردية شكل واحداً من أهم العوامل التي أثرت في صنع القرار الميداني البريطاني في مراحله الأولى. لقد عَدَ أهالي كُردستان الجنوبية قدوم القوات البريطانية إلى ديارهم تحريراً من الحكم التركي ومساواة وفرصة لبناء إدارة محلية تتوافق مع رغباتهم الخاصة. وبحسب ما ذكره برسي كوكس:

كانت فكرة الحكم الذاتي الكردي، بعد أن نمت وترعرعت في عهد النظام الدستوري (العماني)، قد أحبت من جديد وقد حفظتها إلى حد كبير بنود بياننا الموجه للعرب الذي أثبت وجود موقف مغاير تجاه الحساسيات والتطلعات العرقية عن تلك التي كان يتبنّاها الأتراك.<sup>١٥٧</sup>

ودليل الترحيب الحار والودي الذي تلقاه الميجر ادورد نوئيل من لدن ممثلي المدن والقرى الكردية في منطقة السليمانية على تصاعد آمال الكرد.<sup>١٥٨</sup> ويُذكر أن نوئيل عمل وكيلًا في الاستخبارات العسكرية البريطانية حيث مارس نشاطه في منطقة القوقاز خلال الحرب العالمية الأولى وفي شمال إيران في العام ١٩١٩، كما عينه الكولونيل ويلسون موظفاً سياسياً مسؤولاً ميدانياً عن الشؤون الكردية.<sup>١٥٩</sup>

<sup>156</sup> Précis of Affairs..

<sup>157</sup> Ibid, p.4.

<sup>158</sup> Political Officer, Sulaimaniya, to Political, Baghdad, 16 November 1918, AIR20/512, PRO.

<sup>159</sup> Political, Baghdad, to Political, Mosul, 20 November 1918, AIR20/512 & E.W.L. Noel, Note -in- Colonial Office Minute No.4958, 22 July 1922, C0730/13, PRO.

ان قرار السلطات البريطانية في بغداد في خوض تجربة السيطرة غير المباشرة في إدارة المنطقة الكردية (B) قد استند أساساً إلى النصيحة التي أسدتها نوئيل، الذي رأى في ذلك النظام الإداري- السياسي حلّاً منطقياً على ضوء التطلعات والرغبات المحلية السائدة في كُردستان الجنوبية. بتعبير آخر، لم تكن السلطات البريطانية في ميزوبوتاميا في وضع عسكري أو أيّ موقف سياسي يسمح لها ان تتجاهل وجود مشاعر وتطلعات قومية في أوساط النخبة الكردية المحلية، التي نشطت تحت تأثير وعود أطلقها الحلفاء، خاصة بريطانيا العظمى. وكان الشيخ محمود وحلقه القومي المتمركزة في منطقة السليمانية هي التي بادرت الى إطلاق عملية تشكيل حكومة كردية قبل انتهاء الحرب بوقت قصير. وكان الهدف من وراء ذلك، على ما يبدو، نيل إقرار بريطاني بالوضع الجديد، وجعل المسؤولين البريطانيين يدركون أهمية التعامل بشكل إيجابي مع التطلعات الكردية في أعقاب طرد رموز النظام التركي من كُردستان الجنوبية. وفضلاً عن ثقته الأولية بالوعود السياسية البريطانية، تعامل الشيخ محمود مع الأوضاع السائدة آنذاك بأسلوب سياسي ذرائي، فمن جانب، أبدى الشيخ استعداداً ملماساً لاحترام مصالح بريطانيا في كُردستان الجنوبية، ومن جانب ثانٍ، ربط ذلك الأمر بتمتع الكرد بحكم ذاتي في مناطقهم الأصلية. بهذا التحוו، سعت الزعامة الكردية الجنوبية منذ البداية وعلى النقيض من نظيرتها العربية، الى التوفيق بين تطلعاتها ومصالح بريطانيا لدى ملء الفراغ السياسي والإداري الناجم عن طرد الأتراك.

أدى نوئيل دوراً مهماً في إقناع السلطات البريطانية في ميزوبوتاميا بضرورة اللجوء الى التعامل السياسي المنفتح مع الزعامة الكردية لتحقيق هدفها في تعزيز نفوذها في كُردستان الجنوبية. وتمثل ذلك التعامل السياسي باحترام التطلعات القومية الكردية الأولية واحتضانها في السياسة البريطانية، سواء المحلية الميدانية منها أو الدولية الرسمية. ففي أعقاب زيارته الأولى الى السليمانية، بعث نوئيل تقريراً الى رؤسائه في بغداد أكد فيه ان الحركة القومية الكردية ((قوية جداً الى الحد الذي لا ارى فيه صعوبة تذكر في تشكيل دولة كردية تحت حمايتنا وسيطرة موظفين سياسيين على النهج العام، شريطة ان نتخذ حالاً مبادرة سريعة ونشطة)).<sup>160</sup> تلك كانت خلفية إصدار السلطات البريطانية في بغداد تعليمات خاصة أرسلتها الى نوئيل تؤكد للكرد الجنوبيين بأنه ليس في نية بريطانيا فرض ((إدارة غريبة عن عاداتهم وأمالهم)).<sup>161</sup>

<sup>160</sup> Political, Baghdad, 17 November 1918, AIR20/512, PRO.

<sup>161</sup> political, Baghdad, to SIS for India, 31 October 1918, AIR20/512,PRO.

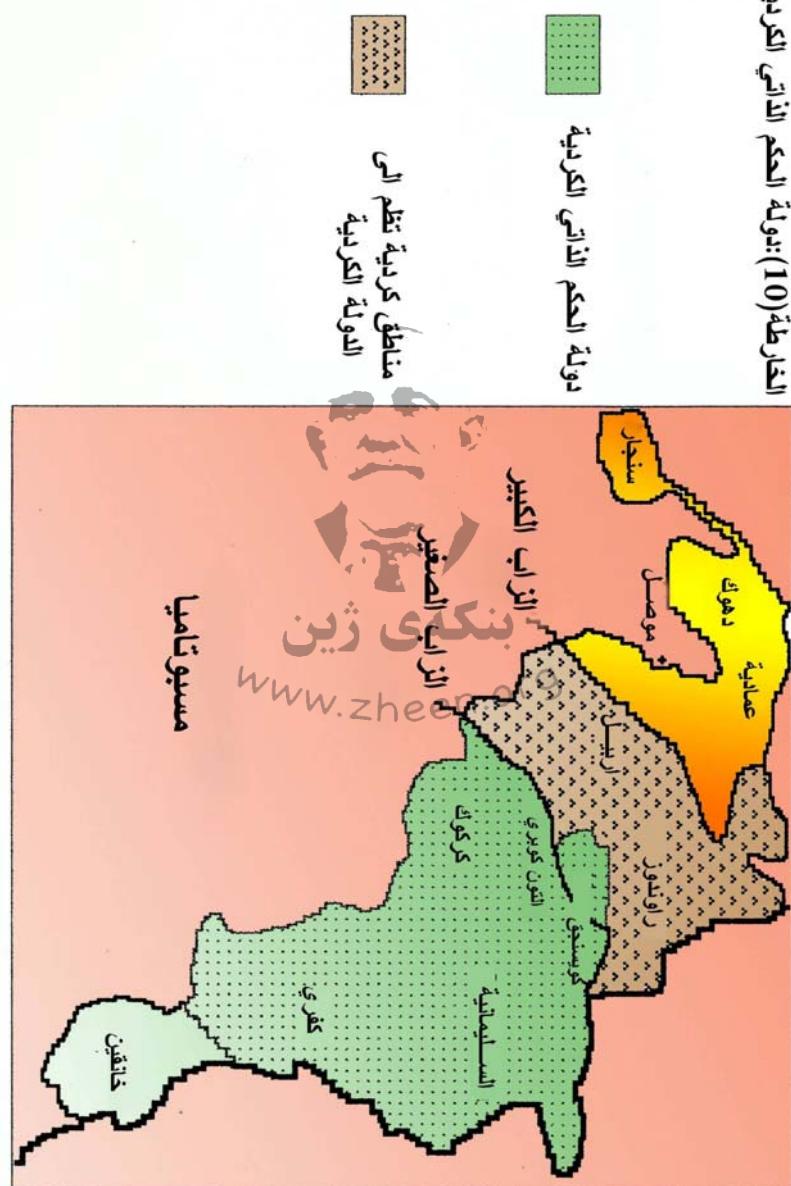
وبهذا الشكل بدأ تزايد النفوذ البريطاني في كردستان الجنوبية يرتكز إلى التّفُّهُ الذي أبداه نوئيل نحو التطلعات القومية الْكُرديَّة، من جانب، وإلى استعداد الشّيخ محمود للتعاون مع البريطانيين بطريقة تحترم مصالحهم، من جانب ثان (انظر الخارطة رقم ١٠). وتجسد التفاهم المشترك في قيام دولة كُرديَّة تتمتع بحكم ذاتي تحت إشراف بريطاني، تألفت مكوناتها الأساسية من: حُكُومَة كُرديَّة، ومستشارين بريطانيين في مجالات عسكريَّة ماليَّة وإداريَّة وقضاء محليٍّ ونظام جبائيٍّ للضرائب وقوة ليفي محلية (وحدة عسكريَّة تألفت من عناصر كُرديَّة). وعيَّن البريطانيون الشّيخ محمود حاكِماً على المنطقة (B) الممتدة من نهر الزاب الصغير شرقاً حتى الحدود العثمانيَّة- القاجاريَّة القديمة غرباً. وفضلاً عن نوئيل، بوصفه الموظف السياسي، ساعد الشّيخ محمود موظفان بريطانيان هما: الميجير دانيالز، المشرف على تشكيل قوات الليفي الكُرديَّة وتدربيها، والكولونييل غوردون ولكر، المشرف على شؤون الدخل والضرائب. والجدير بالإشارة، أن الموظفين البريطانيين في لندن وفي الشرق الأوسط قاموا لاحقاً بربط نظام السيطرة غير المباشرة بنوئيل، وهو النظام الذي كان يتقطع جوهرياً مع نظام السيطرة المباشرة الذي دعا إليه الكولونييل ويلسون. وحصل الاعتراف البريطاني بسلطة الشّيخ محمود قبل أن تشرف الحرب على نهايتها.<sup>١٦٢</sup> وهذا الاعتراف جاء منسجماً مع إرادة محلية تمُّثِّلُها انتخاب الشّيخ رئيساً لحكومة محلية اعترفت بها الرُّعَامَات الْكُرديَّة في منطقة السليمانية قبل أن يُجبر الأتراك على الخروج من السليمانية.

ولخيار السيطرة غير المباشرة مزايا سياسية وإستراتيجية متعددة بقدر ما يتعلق الأمر بالبريطانيين. فلمسالة اصطدام الْكُرد وتعاونهم مع البريطانيين أهمية خاصة بوصفها نقطة انطلاق مُمكِنة لتوسيع الرقعة الجغرافية للسيطرة البريطانية في اتجاه مناطق كردستان الثانية. أما وجود كُردستان جنوبيَّة معادية فسيُمكِّن الأتراك من العودة إليها، سواء بوسائل سياسية أو بطرق عسكريَّة. لهذا، تلخصت مهمة نوئيل الأساسية في كسب ((تعاطف الْكُرد عن طريق تشجيع الشعور القومي المناقض للنزعَة الإسلامية)),<sup>١٦٣</sup> التي كان يُروج لها الأتراك. ولم يكن خافياً على البريطانيين أن عودة

<sup>١٦٢</sup> Précis of Affairs-, op. cit. p6.

<sup>١٦٣</sup> E.W.L. Noel, Note -in- Colonial office Minute No.4958, 22 July 1922, C0730/13, PRO.

الخارطة(10): دولة الحكم الذاتي الكردية



الحكم التركي الى إقليم كُردستان الجنوبي سيشكل تهديداً مباشراً لسيطرتهم على مينزوبوتاميا العربية. وكانت المنطقة الأخيرة ما زالت تشهد مؤامرات يحوكها الأتراك وأعوانهم، الذين كانوا يحثون سكانها العرب على محاربة أعداء الإسلام والمسلمين (أي البريطانيين). وبهذا الشكل، تحتم على السلطات الميدانية البريطانية تجنب موقف تواجه فيه خصمين بصورة متزامنة، أي الأتراك والكرد. وتطلب تحقيق تلك الغاية قيام البريطانيين بتطبيع الأوضاع العامة في المناطق الـكـرـدية من خلال تقديم المساعدة لزعماـئـتها لإعادة الاستقرار الأمنـي وتسهيل استئناف النشـاطـاتـ الـاـقـتصـاديـةـ.

علاوة على كل ذلك، كانت للسيطرة غير المباشرة منفعة سياسية إضافية تمثلت بضرورة التصدي للدعـاءـيةـ السـيـاسـيـةـ المعـادـيـةـ لـبـرـطـانـيـاـ،ـ التيـ وـقـفـ الـبـلـشـفـيـوـنـ وـرـاءـهـاـ.ـ لقدـ شـكـلـتـ المـفـاهـيمـ الـإـيـديـيـوـلـوـجـيـةـ الـثـوـرـيـةـ الـمـتـعـلـقـةـ بـحـقـ الشـعـوبـ الـخـاصـةـ فيـ تـقـرـيرـ مـصـيرـهـاـ وـالـتـضـامـنـ الـأـمـمـيـ تـهـدىـداـ حـقـيقـيـاـ لـلنـفـوذـ الـأـمـبـرـيـالـيـ الـبـرـطـانـيـ فيـ إـيـرانـ وـتـرـكـياـ وـغـيرـهـاـ منـ بـلـدانـ الـشـرـقـ الـأـوـسـطـ.ـ فـيـ ظـلـ تـلـكـ الـظـرـوفـ،ـ أـصـبـحـ تـشـكـيلـ حـكـومـةـ ذـاتـيـةـ كـرـدـيـةـ فـكـرةـ مـقـبـولـةـ عـلـىـ إـذـ سـيـصـبـحـ بـالـإـمـكـانـ تـصـوـيرـ المـوـاـقـفـ الـبـرـطـانـيـةـ عـلـىـ اـنـهـاـ مـنـسـجـمـةـ مـعـ النـقـاطـ الـأـرـبـعـةـ عـشـرـ الـتـيـ أـطـلـقـهـ الرـئـيـسـ الـأـمـرـيـكـيـ وـيـلـسـونـ.ـ وـهـذـهـ النـقـاطـ اـسـتـنـدـتـ إـلـيـهـاـ مـنـاشـدـاتـ الـزـعـامـاتـ الـكـرـدـيـةـ الـخـاصـةـ بـضـرـورةـ منـحـ حـقـ تـقـرـيرـ الـمـصـيرـ الـشـعـوبـ غـيرـ الـتـرـكـيـةـ،ـ فـيـ مـقـدـمـتـهـاـ الـشـعـبـ الـكـرـدـيـ.ـ فـوـقـ ذـلـكـ،ـ سـتـسـاعـدـ هـذـهـ الـواـجـهـةـ السـيـاسـيـةـ الـمـتـمـثـلـةـ بـمـنـحـ الـأـهـالـيـ حـقـ إـدـارـةـ شـؤـونـهـمـ الـبـرـطـانـيـنـ فيـ تـقـويـةـ صـلـاتـهـمـ مـعـ الـحـلـقـاتـ الـقـومـيـةـ الـناـشـطـةـ فيـ أـجـزـاءـ كـرـدـسـتـانـ الـأـخـرـىـ أوـ الـمـوـجـودـةـ فـيـ الـمـنـفـىـ.

على صعيد آخر، تأثرت السياسة البريطانية في كُردستان الجنوبي بالتغييرات الحاصلة في الاصطفاف الدولي والتحالفات بين القوى الكبرى، التي حصلت خلال الحرب العالمية الأولى. ان وقوع ثورة أكتوبر وإدانة روسيا البلشفية للاتفاقيات السرية المتعلقة بتجزئة الإمبراطورية العثمانية بصورة كاملة وتقسيم إيران القاجارية الى مجالات نفوذ بين روسيا القيصرية وبريطانيا قد جعلت الساسة البريطانيين يستغنون عن فكرة إقامة حزام فرنسي يفصل المنطقة البريطانية عن المنطقة الروسية في كُردستان العثمانية في حالة تنفيذ مشروع التقسيم المتفق عليه. وحالما وضعت الحرب أوزارها، عمل البريطانيون بسرعة على إخضاع المناطق التي احتلوها الى سيطرتهم السياسية. وبينما سعت حكومة لندن الى فرض سيطرة بريطانية

عسكرية وسياسية في المنطقة (A)، أبلغت الكولونيل ويلسون بتفاؤلها بشأن إقناع حكومة باريس ((بالتخلي عن ادعاءاتها في منطقة الموصل))، ناصحة إياه بضرورة أن لا يشعر الفرنسيون بأن البريطانيين ينتهكون بنود اتفاقية سايكس- بيكيو القديمة.<sup>١٦٤</sup> ومثلت تعليمات الحكومة البريطانية تلك واحدة من الإشارات المبكرة حول التغير الحاصل في وجهات نظرها بشأن الخارطة السياسية للأقاليم العثمانية السابقة لمرحلة ما بعد الحرب. لقد خضعت قضية إنهاء الوجود الفرنسي في كُردستان الجنوبيّة إلى حسابات إستراتيجية أساسية مرتبطة بسيطرة البريطانيين على ميزوبوتاميا العربية. فقوة الموقف البريطاني في ميزوبوتاميا العربية يعدّ أمراً حيوياً بالنسبة إلى أمن المسالك البحرية والبرية المؤدية إلى الهند. فضلاً عن ذلك، أصبح الإقرار بسيطرة البريطانية الكاملة على ولاية الموصل أمراً مرغوباً فيه من أجل استغلال إمكانياتها الاقتصادية عاجلاً أم آجلاً. ولذلك، أصبح ضرورياً أن يُعاد النظر في بنود اتفاقية سايكس- بيكيو أو حتى التخلّي عنها تماماً من خلال إقناع الفرنسيين بالتنازل عن مجال نفوذهم السياسي في المنطقة (A).

بفضل سياستها المرنة في ظاهرها، التي استوّعت فكرة تشكيل حكومة ذاتية كُردية تحت إشراف موظفيها، أصبحت بريطانيا في موقف أقوى لكسب تأييد المحليين الكُرد في المنطقة (A)، الذين لم يكونوا يتقدّمُوا ببنوايا الفرنسيين بسبب دعمهم للجماعات المسيحية المحلية. ولم يُبُدِّ الكُرد أية رغبة تذكر في الخضوع لسيطرة فرنسية، في الوقت الذي كانت الحماية البريطانية تعني مستقبل أكثر إشراقاً لهم مما كان قائماً. وكانت لندن تُفكّر بالفعل في بسط نظام السيطرة غير المباشرة على المنطقة (A) كلها، تمهدًا لدمجها بالدولة الكُردية الفتية الجديدة، شريطة أن تتحقّق النواحي العربية من تلك المنطقة، كمدينة الموصل والقرى العربية إلى الجنوب منها، بميزوبوتاميا العربية الخاضعة للإدارة البريطانية المباشرة. وظهرت السلطات البريطانية في بغداد بالموافقة على نظام السيطرة غير المباشرة (أي توحيد كُردستان الجنوبيّة بعد إلغاء مجال النفوذ الفرنسي في جزء منها)، حتى أنها اقترحت تشكيل ((مجلس مركزي لكُردستان الجنوبيّة يتّالف من القادة التقليديين، تحت رعاية بريطانية)).<sup>١٦٥</sup>

<sup>١٦٤</sup> SIS to Civil Commissioner, Baghdad, Confidential, (undated) F0371/3386, PRO.

<sup>١٦٥</sup> Political, Baghdad, to SIS for India, 30 October 1918, AIR20/512, PRO.

بقدر ما يتعلّق الأمر بالكولونيل ويلسون، مثّلت فكرة قيام الكُرد بتقرير مصيرهم فرصةً ثُمكّنه وزارة الهند من مقاومة أي مشروع لإقامة حكم عربي أو بسطه على كُردستان الجنوبية، بحسب نقاط الاتفاق التي تضمنتها مراسلات حسين- مكماهون في أثناء الحرب. فمن وجهة نظره، ان اتخاذ ترتيبات سياسية وإدارية وفرضها كأمر واقع بمساعدة الكُرد أنفسهم سيكسبها شرعية لا يستطيع الفرنسيون أو الشريفيون العرب التشكيك فيها. وتضمنّت احدي مذكرات وزارة الهند إشارة واضحة الى هذا الأمر:

من الواضح، بقدر ما يتعلّق الأمر بـ كُردستان الجنوبية في أقل تقدير فإن الأهالي قد مارسوا حق تقرير المصير واختاروا (عدا استثناءات معينة) في ان يتحوّلوا الى كونفدرالية منفصلة في ظل إرشاد بريطاني. ان هذا الإعلان وقبوته رسميًا من قبل المفوض المدني يبدو انه ينفي (على اي حال فيما يتعلق بالكُرد الجنوبيين) اقتراح الكولونيل لورنس الخاص بمملكة عربية- كُردية. لكن، سيبقى الأمر صعباً مع فرنسا، وان التطورات الأخيرة في كُردستان تؤكّد ضرورة ضمان إعادة نظر، في الأقل، في ذلك الجزء من اتفاقية سايكس- بيکو، الذي يتعلّق بمقاطعة (district) الموصل وأعلى وادي دجلة. ان الرغبة في الوحدة التي عبر عنها الكُرد في السليمانية يجعل من غير الممكن الدفاع أكثر من ذي قبل عن تقسيم إقليمهم الى ثلاثة مناطق بشكل اعتباطي.<sup>١٦٦</sup>

بهذا النحو، جاء كيان الحكم الذاتي في كُردستان الجنوبية الى الوجود نتيجة لتضافر عوامل عدّة هي: أولاً، لم تكن بريطانيا في موقف يجعلها تقبل بالتزامات عسكرية أو مالية إضافية بعد انتهاء الحرب، في وقت كانت هي في حاجة ماسّة الى تسريح قواتها العسكرية وخفض نفقاتها الامبرialisية. ثانياً، تطلّب تعزيز موقف بريطانيا في ميزوبوتاميا (ذات الأهمية الإستراتيجية بالنسبة الى أمن الطرق البرية والبحرية الى الهند) ان تبقى كُردستان الجنوبية هادئة وحليفة او في أقل تقدير صديقة للبريطانيين. ثالثاً، لم يكن بإمكان البريطانيين التغاضي عن او حتى ترويض التطلعات السياسية الكُردية الجامحة في المراحل الأولى من انتشار نفوذهم في كُردستان الجنوبية. رابعاً، لقد كان بإمكان تلك السياسة المرتّبة ان تفشل دعائيات

<sup>١٦٦</sup> J.E. Shuckburgh, India Office, Memorandum, 14 December 1918, F0371/3386, PRO.

الحرب المعادية لبريطانيا، التي أطلقها الأتراك والبلشفيفيون ضدهم. وأخيراً، يمكن أن تكون كُردستان الجنوبية في حال تمعتها بحكم ذاتي وسيلة على المدى القصير بيد ويلسون لإفشال محاولات أنصار الحركة الشرفية في إقامة دولة عربية تشمل ولاية الموصل، فضلاً عن ولايتي بغداد والبصرة.

### نهاية دولة الحكم الذاتي الكردية: الملابسات والخيارات

#### ١. مواقف الموظفين البريطانيين الميدانيين

عرف عن الكولونييل ويلسون (سواء في الدوائر البريطانية الموجودة في لندن أو الموجودة في الشرق الأوسط) انه كان موظفاً تقليدياً ذا نزعة امبريالية سافرة،<sup>١٦٧</sup> وذلك بسبب إيمانه الشديد بضرورة تحويل الأقاليم المفتوحة في ميزوبوتاميا وكُردستان الى مستعمرات بريطانية بحثة وبشكل صريح. ولم يخف ويلسون رغبته المبكرة في جعل كُردستان الجنوبية (محمية بريطانية)<sup>١٦٨</sup> في تقييماتها الأولى بشأن المناطق الكردية:

من الناحيتين السياسية والإستراتيجية، هناك الكثير للتحدث عن تبني خط (نهر) الزاب الصغير حدوداً لدولة العراق، شاملة التون كويري والسليمانية وبنجويين: ان مقاطعتي السليمانية وحلبة الغنيتين<sup>١٦٩</sup> قابلتان لتطور كبير، وان منتجاتها هي أساسية بالنسبة الى صناعات العراق ورفاهيته، اي البتول والفحm الحجري والحبوب والجوز ومواد الأصباغ والتبغ. ان للمادتين الأوليتين على الخصوص، وكما تعلم حكومة صاحب الجلالة، قيمة عظيمة كامنة.<sup>١٦٩</sup>

وطوال وجود ويلسون في ميزوبوتاميا بين عامي ١٩١٨ و١٩٢٠، لم يُبدِ حتى لمرة واحدة تعاطفاً يُذكر تجاه مطالب الحكم الذاتي الكردية او يقرّ بوجود تطلعات قومية كُردية. ولم يخف القوميون الكرد أنفسهم في ملاحظة الاختلاف الكبير بين موقف

<sup>١٦٧</sup> انظر على سبيل المثال لا الحصر المصدر الآتي:

Foreign Office Minute on 'the Administration Report on the Sulaimaniya division for Year 19191, 23 July 1920, F0371/5069r PRO.

<sup>١٦٨</sup> Political, Baghdad, to Political Sulaimaniya, 26 November 1918, AIR20/512, PRO.

<sup>١٦٩</sup> Political, Baghdad, 15 October 1918, F0371/3407, PRO.

ويلسون ومرؤوسه نوئيل تجاه الوضع الكردي. ففي مذكراته الشخصية، أشار رفيق حلمي، الذي عمل لفترة مترجمًا مع البريطانيين، إلى أن ويلسون لم يخف معارضته لوجود كيان كردي يتمتع بحكم ذاتي ولقيادة الشيخ محمود السياسية.<sup>١٧٠</sup> وادعى ويلسون أنه نظرًا لأنقسام الكرد (حالهم في ذلك حال العرب) وعجزهم عن حكم أنفسهم فإنه ينبغي على بريطانيا ان تفرض الحماية المباشرة بصورة تجعل الموظفين البريطانيين مسؤولين وحدهم عن وضع السياسات وتتنفيذها على الأرض.<sup>١٧١</sup> وليس غريبًا إذن ان لا يدخل ويلسون جهادًا وقتًا في انتقاد تجربة الحكم الذاتي الكردية وتعريفها في التقارير التي كان يبعثها إلى لندن، والإدعاء بأن المصالح البريطانية تستلزم إعادة النظر في الترتيبات الإدارية العثمانية القديمة.<sup>١٧٢</sup>

لقد جسّدَ نوئيل حالة استثنائية بالمقارنة مع معاصريه من الموظفين السياسيين البريطانيين العاملين في كُردستان الجنوبية من حيث دفاعه المستميت والثابت عن نظام السيطرة غير المباشرة، بالرغم من إقراره بوجود بعض النواقص فيه. أما بقية الموظفين البريطانيين فكانوا يتتفقون مع موقف ويلسون المعارض لفكرة قيام كُردستان جنوبية تتمتع بحكم ذاتي. وعكس وجود تلك المواقف رغبات المناذين بها في ممارسة سيطرة شاملة في إدارة الشؤون الكردية، كما عكست سماتهم ورغباتهم الشخصية. والجدير بالذكر ان جميع هؤلاء الموظفين ومساعديهم قد جاءوا من صفوف الجيش البريطاني بسبب فقدان الكادر الإداري المدني المؤهل،<sup>١٧٣</sup> وكذلك قلة الأشخاص من أصحاب الخبرة العملية في الشؤون الشرقية. وهذا الأمر ربما يفسر الصراحة الشديدة التي تبناها الموظفون البريطانيون الميدانيون خلال التعامل مع أهالي كُردستان الجنوبية.

ويصف أحد المعاصرين الكرد، رفيق حلمي، الميجري بي سون (خليفة نوئيل) بأنه متكبر جداً وفظ في تعامله مع السكان.<sup>١٧٤</sup> وحين أصبح سون الموظف السياسي لمقاطعة السليمانية في العام ١٩١٩، سارع إلى استبدال أغلبية الموظفين الكرد بهنود

<sup>١٧٠</sup> حلمي، ياداشت، ج١، ص٧١.

<sup>١٧١</sup> Political, Baghdad, to Political, Sulaimaniya, 26 November 1918, AIR20/512, PRO.

<sup>١٧٢</sup> Political, Baghdad, 7 December 1918, F0371/3386, PRO.

<sup>١٧٣</sup> Hay, Two Years in Kurdistan, pp.5-6.

<sup>١٧٤</sup> حلمي، ياداشت، ج١، ص١٠٨.

وفرض وعرب. واستهدف هذا الإجراء إزالة الطابع الـكـردي عن الإدارة المحلية.<sup>١٧٥</sup> ولم يكن الموظف السياسي لمقاطعة الموصل، الكولونيل جي إي لجمن، يخفي تشكـه أو حتى كراهـته تجاه الـكـرد بسبب إيمـانـه الثابت باقتـارـافـهم مجازـر ضدـ المسيـحـين المحليـين في أثناءـ الحـربـ. ولـهـذا عـاـمـ لـجمـنـ المـحـلـيـنـ الـكـرـدـ بـقـسـوةـ حيثـ قـامـ بـتـهـجيـرـهم منـ مقـاطـعـتـهـ.<sup>١٧٦</sup> وفيـ مـذـكـرـاتـهـ الشـخـصـيـةـ، يـوضـحـ هوـمـفـريـ بـومـانـ، مدـيرـ التـعـلـيمـ فيـ مـيـزوـبـوتـامـياـ، كـيـفـ انـ تـعـاطـفـ لـجمـنـ معـ (ـنـكـبةـ)ـ المـسيـحـيـنـ أـضـفـتـ عـلـيـهـ صـفـةـ القـسـوةـ بـيـنـ المـحـلـيـنـ الـكـرـدـ.<sup>١٧٧</sup> كماـ عـرـفـ عنـ لـجمـنـ اـتـخـاذـ إـجـرـاءـاتـ قـاسـيةـ ضدـ عـربـ مـيـزوـبـوتـامـياـ، الـذـيـنـ قـامـواـ بـقـتـلـهـ فـيـ نـهاـيـةـ الـأـمـرـ خـلـالـ أـحـدـاثـ حـالـاتـ التـمـرـدـ فـيـ الـعـامـ ١٩٢٠ـ.ـ وـالـجـيـرـ بـالـإـشـارـةـ، انـ خـلـيقـةـ لـجمـنـ، جـيـ أـجـ بـيلـ، كانـ قدـ حـذـرـ السـلـطـاتـ الـبـرـيطـانـيـةـ الـمـيـدـانـيـةـ منـ وـقـوعـ عـوـاقـبـ وـخـيـمةـ فـيـ حـالـةـ استـغـلـالـ الـلـاجـئـيـنـ الـمـسيـحـيـيـنـ الـأـثـورـيـيـنـ فـيـ قـمـ الـمـحـلـيـنـ الـكـرـدـ بـوـصـفـهـ وـسـيـلـةـ عـمـلـيـةـ لـتوـطـيـدـ النـفـوذـ الـبـرـيطـانـيـ.<sup>١٧٨</sup> وـيـفـسـرـ نـهجـ التـفـرقـةـ الـدـيـنـيـةـ لـماـذـاـ اـتـخـذـتـ أـوـلـىـ الـأـنـتـفـاضـاتـ الـكـرـدـيـةـ فـيـ مـقـاطـعـةـ الـمـوـصـلـ بـعـدـ دـيـنـيـاـ وـاـضـحاـ، إـذـ كـانـتـ رـدـ فعلـ مـباـشـرـ عـلـىـ توـطـيـنـ الـبـرـيطـانـيـيـنـ الـلـاجـئـيـنـ الـأـثـورـيـيـنـ الـغـرـبـاءـ فـيـ أـرـاضـ تـعـودـ مـلـكـيـاتـهـ إـلـىـ الـكـرـدـ.

وبـالـنـسـجـامـ معـ موـاـقـعـهـ العـدـائـيـةـ الـتـيـ اـتـخـذـهـ تـجـاهـ الـمـحـلـيـنـ الـكـرـدـ فـيـ مـقـاطـعـتـهـ، أـبـدـىـ لـجمـنـ وـبـشـكـلـ طـبـيعـيـ مـعـارـضـتـهـ الشـدـيـدةـ لـنـظـامـ السـيـطـرـةـ غـيرـ المـبـاشـرـةـ الـتـيـ اـرـتـبـطـ بـهـ كـيـانـ الـحـكـمـ الـذـاتـيـ الـكـرـدـيـ.ـ وـعـبـرـتـ تـلـكـ المـعـارـضـةـ عـنـ نـفـسـهـاـ فـيـ حـادـثـةـ خـوـشـنـاوـتـيـ الـتـيـ بـدـأـتـ فـيـ بـدـايـةـ شـهـرـ كـانـونـ الثـانـيـ عـامـ ١٩١٩ـ.ـ فـيـ حـيـنـهاـ، أـخـبـرـ نـوـئـيلـ رـئـيـسـهـ وـيـلـسـونـ بـرـغـبـةـ أـشـرـافـ مـنـطـقـةـ خـوـشـنـاوـتـيـ الـوـاقـعـةـ ضـمـنـ مـقـاطـعـةـ الـمـوـصـلـ بـالـانـضـمامـ إـلـىـ كـيـانـ الـحـكـمـ الـذـاتـيـ الـكـرـدـيـ الـذـيـ تـرـأـسـهـ الشـيـخـ مـحـمـودـ.<sup>١٧٩</sup> وـحـالـمـاـ عـلـمـ بـقـرارـ وـيـلـسـونـ بـالـمـوـافـقـةـ مـنـ حـيـثـ الـمـبـدـأـ عـلـىـ مـاـ اـقـرـحـهـ نـوـئـيلـ، سـارـعـ لـجمـنـ إـلـىـ التـعـبـيرـ عـنـ مـعـارـضـتـهـ الشـدـيـدةـ لـمـاـ حـصـلـ، طـالـبـاـ مـنـهـ الـعـدـولـ عـنـ ذـلـكـ الـقـرـارـ.<sup>١٨٠</sup> وـبـعـدـ اـطـلاـعـهـ

<sup>١٧٥</sup> المصدر السابق، ص ٧٧ و ٨٤-٨٨.

<sup>١٧٦</sup> Political, Mosul, to Noel, Rowanduz, 11 January 1919 & Political, Mosul, to Political, Baghdad, 18 January 1919, AIR20/12, PRO.

<sup>١٧٧</sup> Humphrey Bowman, Middle East Window (London & Toronto: Longmans & Green Co., 1942), p.241.

<sup>١٧٨</sup> J. H. Bill to Civil Commissioner, Memorandum on the Future of the Qaza of Amadia, 21 October 1919, F0371/4193, PRO.

<sup>١٧٩</sup> Noel, Rowanduz, to Political, Baghdad, 10 January 1919, AIR20/512, PRO.

<sup>١٨٠</sup> Political, Mosul, to Political, Baghdad, 11 January 1919, AIR20/521, PRO.

على معارضته لجمن، أرسل نوئيل برقية أخرى الى ويلسون احتج فيها على إلغاء قراره حول توسيع الرقة الجغرافية للكيان الكردي كي يشمل منطقة خوشاوتى: أنا لا ارى اي داع في ان تعيد النظر في قرارك. اولاً، لا يوجد هناك سبب قوي يجعلنا نلتزم بالتقسيم (الإداري) التركي للمقاطعات، حتى لو كان الأمر كذلك، فان القبيلة المعنية كانت خاضعة لحكومة راوندوز بين عامي ١٩١٤ و ١٩١٦. ثانياً، جاء ممثلو القبيلة الواقعة في هذا الجانب من (نهر) الرازب لرؤيتى، معتبرين عن رغبتهم في القبول (بسلطنة) الشيخ محمود. ثالثاً، ان الحركة القومية التي بدأت تنمو يومياً من حيث القوة، وهي تحوي (بذور) التطور الطبيعية والصحية و... قد تجذب وتستوعب العناصر الكردية النقية جميعها، (التي) ستفضل بطبيعة الحال على شكل الإدارة المختلفة في الموصل.<sup>١٨١</sup>

لقد مثلت قضية الموقف من تلبية رغبة إشراف منطقة خوشاوتى في الانضمام الى كيان الحكم الذاتي أولى إشارات الانقسام الحاصل في مواقف الموظفين البريطانيين والميدانيين تجاه النظام الأمثل القادر على توطيد الموقف البريطاني في كردستان الجنوبية. ولم تخف بقية الموظفين الميدانيين البريطانيين معارضتها القوية لوجود دولة كردية، ناهيك عن توسيع رقعتها الجغرافية. وضمن هذا التوجه، طلب الكابتن ستيفان لونغريغ، الموظف السياسي المساعد في كركوك،<sup>١٨٢</sup> من ويلسون إخراج مقاطعة كركوك من سيطرة الحكومة الكردية في السليمانية. وفي عشية الانتفاضة الكردية، التي أعلنتها الشيخ محمود في ٣ أيار ١٩١٩، حذر الموظف المساعد في اربيل من خطورة التأثيرات الصادرة عن كيان الحكم الذاتي الكردي على المقاطعة التي يُديرها، مُبدياً معارضته للطبيعة المرنة لنظام السيطرة البريطانية المباشرة المطبقة في كردستان الجنوبية، التي منحت الموظفين الكرد دوراً محدوداً في الإدارة المحلية. كما دعا الموظف المساعد الى توحيد جميع أنظمة السيطرة بصورة عاجلة لمنع ظهور مطالب أخرى بالحكم الذاتي، على غرار ما حصل في السليمانية.<sup>١٨٤</sup> ان شيوخ هذه

<sup>181</sup> Noel, Rowanduz, to Political, Baghdad, 10 January 1919, AIR20/512, PRO.

<sup>182</sup> كتب ستيفان لونغريغ كتابين عن العراق استند فيما الى تفسير الأحداث والتطورات من وجهة نظر بريطانية صرفة.

<sup>183</sup> Administration Report of the Sulaimaniya F0371/5069, PRO, p.3.

<sup>184</sup> Assistant Political Officer, Arbil, to Political Officer, Mosul, 3 May 1919, F0371/4193, PRO.

الآراء المساندة لإقامة إدارة بريطانية مباشرة بين الموظفين الميدانيين والضباط العسكريين في ميزوبوتاميا هو العامل الذي سهل من مهمة ويلسون في منع عملية ظهور كُردستان جنوبية تتمتع بحكم ذاتي، وكذلك القضاء على جميع آثار إدارة الحكم الذاتي الكردي القائمة في السليمانية.

وانتسمت عملية فرض السيطرة المباشرة بطابعها التدريجي واستغلال الموظفين البريطانيين للتناقضات القبلية والمناطقية. وفي الوقت نفسه، عبرت العملية عن وجود تناقض بين المشروع الذي كانت تفضله حكومة لندن والمتمثل بقيام كُردستان جنوبية على أساس دولة واحدة أو عدة دول، ومشروع ويلسون الميداني الهدف إلى دمج جميع المناطق الكردية بالإدارة البريطانية المباشرة في بغداد. وكان لتوقيت الانقلاب في السياسة البريطانية الميدانية أهمية خاصة لأنها جاءت بعد قبول باريس المبدئي بإعادة النظر ببنود اتفاقية سايكس-بيكو في ١٨ كانون الأول ١٩١٨ بطريقة تسمح بدمج المنطقة (A) الفرنسية بمنطقة النفوذ البريطاني في كُردستان الجنوبية. وهذا يفسر جزئياً لماذا تراجع ويلسون عن فكرة توحيد إدارة إقليم كُردستان الجنوبية على أساس الحكم الذاتي والسيطرة البريطانية غير المباشرة. وبدلاً منها، اقترح ويلسون «تجزئة» كُردستان الجنوبية بين الكيان السياسي الكردي القائم وميزوبوتاميا العربية الخاضعة للإدارة البريطانية المباشرة. وتتضمن هذا الاقتراح دمج المناطق المنخفضة من كُردستان بيدارة ميزوبوتاميا البريطانية، في حين تلحق المناطق المرتفعة بكيان الحكم الذاتي الكردي.<sup>١٨٥</sup> وكانت غاية ويلسون من وراء كل ذلك منع تقسيم المنطقة (A) بين دولة الحكم الذاتي الكردي والدولة العربية المستقبليّة، كما أوصت لندن بذلك. وادعى ويلسون في أحد تقاريره انه وبالرغم من غياب التجانس الأثني والديني، فإن الرأي العام في مقاطعة الموصل مال لصالح خيار (دولة واحدة) تحت إدارة بريطانية بحيث تشمل كُردستان الجنوبية والولايتين ذات الأغلبية العربية: بغداد والبصرة.<sup>١٨٦</sup>

ألقي ويلسون المسؤولية على عاتق الكولونيل لجمن في إعادة تنظيم مقاطعة الموصل وفق نظام سيطرة الموظفين البريطانيين المباشرة. ونتيجة تنفيذ قرار

<sup>185</sup> A.J.Toynebee, Foreign Office Minute No.207981, 21 December 1918, F0371/3386, PRO.

<sup>186</sup> Ibid.

ويسون، ظهر نظامان من السيطرة في كُردستان الجنوبية لمدة ستة إلى سبعة أشهر: تمثل الأول بكيان الحكم الذاتي الْكُردي القائم في المناطق الواقعة بين نهر الزاب الكبير غرباً والحدود العثمانية-القاجارية القديمة شرقاً، وتجسد الثاني في الإدارة البريطانية المباشرة الذي غطّت المناطق الواقعة إلى الشرق من نهر الزاب الكبير بما في ذلك منطقة سنمار الْكُردية. وبعد أن استقرت إدارة بريطانية مباشرة في جزء من كُردستان الجنوبية، اتخذ ويسون الاستعدادات لبسط سيطرتها على جميع أرجاء الإقليم المذكور. وتبين زيارة بومان في نيسان عام ١٩١٩ كيف كان قرار ويسون في إلغاء الحكومة الْكُردية سراً مفتوحاً بين الموظفين البريطانيين، بحيث كان تطبيق السياسة الجديدة مجرد مسألة وقت.<sup>١٨٧</sup> لقد استهدفت السياسة الانقلابية الجديدة من توسيع كيان الحكم الذاتي الْكُردي جغرافياً لكي لا يشمل مناطق جديدة، مثل راوندوز وخوشناتي. وفي الوقت نفسه، لجأ الموظفون البريطانيون إلى سياسة تفرقة الصنوف بهدف إضعاف سلطة الحكومة الْكُردية. وضمن هذا التوجه، قام الموظفون البريطانيون بِحَثٍ بعض القبائل الْكُردية، خاصة تلك التي كانت لها مشاكل عالقة مع أسرة الحفيد كالجاف، على التعبير عن معارضتها لحكومة الشيخ محمود تمهيداً لِإخراجها من سلطتها.<sup>١٨٨</sup> وفي مذكراته الشخصية، تحدث رفيق حلمي عن الكابتن أج بيل، الذي عمل معه مترجمًا في كويستنج، كيف كان يدون تفاصيل الخلافات القبلية والعداوات الشخصية، خاصة تلك التي تعلقت بالشيخ محمود.<sup>١٨٩</sup>

على الصعيد الإداري، قام ويسون بتعيين عدد من الموظفين السياسيين ومعاونיהם من كانوا يؤمنون بقوة بفرض سيطرة بريطانية مباشرة على كُردستان الجنوبية، ومنهم الميجر سون في السليمانية، والميجر دبليو آر هي في أربيل،<sup>١٩٠</sup> وكابتن أي جي راندل في كويستنج. وعمل الموظفون البريطانيون على توسيع صلاحياتهم وتدخلاتهم على حساب حكومة الشيخ محمود، مبررين ذلك بوصفه رد فعل على السياسات غير العادلة التي كان ينتهجها ممثلو الحكومة الْكُردية. ففي قضاء كويستنج، ادعى مساعد الموظف السياسي البريطاني في تقرير له كيف أنه «أُجبر

<sup>١٨٧</sup> Bowman, Middle East Window, p.228.

<sup>١٨٨</sup> حلمي، ياداشت، ج.١، ص.٧٨.

<sup>١٨٩</sup> المصدر السابق، ص.٨٠-٨١.

<sup>١٩٠</sup> راجع كتابه عن ذكرياته في كُردستان: Two Years in Kurdistan.

على التدخل) في إدارة شؤون القضاء لكي ((يمنع التصادم أو الظلم)).<sup>١٩١</sup> وكانت احدى نتائج السياسة الانقلابية الجديدة فصل مقاطعتي كركوك وكفرى عن السليمانية وضمنيا عن كيان الحكم الذاتي في شباط ١٩١٩. وبالتناسب مع انحسار الرقعة الجغرافية لكيان الحكم الذاتي الكردي واقتصرها على السليمانية والمناطق المحاذية لها، انكمش نفوذ الشيخ محمود وقتل صلاحيات حكومته بشكل كبير. واستمرت عملية تحجيم الكيان الكردي بفصل مقاطعة راوندوز عنه في شهر حزيران ١٩١٩، في حين تم نقل كوييسنجرج إدارياً إلى لواء اربيل الحديث التكويين.<sup>١٩٢</sup> لقد استهدفت سياسة ويلسون الانقلابية تجزيق أوصال كُردستان الجنوبية إدارياً وسياسيًا بطريقة تمنع السليمانية من أن تبقى بؤرة للتحرك السياسي أو تصبح نواة لتشكيل دولة كُردية كبيرة. كما سعى ويلسون ومرؤوسه إلى سد الطريق أمام ظهور قيادة سياسية موحدة ذات شرعية بين صفوف الكرد الجنوبيين.

## ٢. التفسيرات البريطانية في مواجهة التفسيرات الكردية عن الدولة الكردية

خضعت الظروف المحيطة بقيام الدولة الكردية وبأسباب تدميرها إلى تأويلات مختلفة قدمها معاصرون كُرد وبريطانيون. ففي أعقاب إسقاط حكومة الشيخ محمود، سارع ويلسون إلى التقليل من شأنها، وتشويه وظيفتها، واصفاً إياها بأنها نظام إقطاعي خاضع لسيطرة بريطانية مباشرة.<sup>١٩٣</sup> وفي اتصالاته مع رؤسائه في لندن، استخدم ويلسون مصطلح (الكونفدرالية) لدى تحدثه عن كيان الحكم الذاتي الكردي، مدعياً أنه لم يكن سوى اتحاد بين قبائل كُردية يستند إلى توافق جماعي تقليدي، وليس بوصفه ترتيباً سياسياً وإدارياً خاصاً اتفق عليه британцы، من جانب، والشيخ محمود، من جانب ثانٍ. وبالطريقة نفسها، وصف الميجر سون الحكومة الكردية بأنها مجرد نظام قبلي متاخر. لقد سعت السلطات البريطانية الميدانية من وراء إطلاق تلك الصفات على كيان الحكم الذاتي الكردي إلى استباق أي انتقاد يوجه ضدها بسبب إفشالها تجربة السيطرة غير المباشرة، وكذلك التهرب من المسؤولية في حالة تدهور الأوضاع السياسية والأمنية.

<sup>١٩١</sup> Administration Report on Keuisenjaq for the Year 1919,

<sup>١٩٢</sup> The Administration Report on the Sulaimaniya division for Year 1919, F0371/5069, PRO, p.3.

<sup>١٩٣</sup> Ibid, p9.

لكن الواقع، خاصة الظروف المحيطة ببسط النفوذ البريطاني على المناطق الكردية تتناقض بصورة جلية مع ادعاءات ويلسون وسون وغيرهما من الموظفين البريطانيين بشأن تركيبة الكيان الكردي ووظيفته وطبيعة صنع القرار ومصدره. فلم يكن الشيخ محمود رئيساً صورياً للإدارة الكردية القائمة في عهده، ولم يُبدِ أي استعداد في أن يكون حاكماً مجرداً من صلاحيات فعلية. إن سماته الشخصية العنيدة القوية تعارضت مع الدور الأسمى المحدود الذي رسمه له ويلسون. لقد مارس الشيخ محمود صلاحيات كبيرة لدى تصريف الشؤون الحكومية بما في ذلك تعين الموظفين الكرد في جميع المناطق الخاضعة لسلطته. أما الموظفون البريطانيون، وفي مقدمتهم نوئيل، فاقتصر دورهم على تقديم الاستشارة والتنسيق بين الحكومة الكردية والإدارة البريطانية في بغداد. بتعبير أدق، مارس المستشارون البريطانيون نفوذهم من خلال الشيخ محمود، ولم يكن الموظفون الكرد مسؤولين أمامهم. على سبيل المثال لا الحصر، يُبين التقرير الإداري الخاص بقضاء كويسنجرج كيف ان حاكم المدينة (حاكمي شار) كان مسؤولاً بصورة مباشرة إمام الشيخ محمود، في حين مارس الموظف المساعد البريطاني عمله بصفته مستشاراً له في القضايا الإدارية.<sup>194</sup> وتميزت الإدارة المحلية بطابعها الكردي البخت، إذ جاء جميع المنتسبين من الكرد. كما كان للحكومة الكردية قوة عسكرية كردية (الليفي)، نظمها ضباط كرد، ووضعت تحت إمرة الشيخ محمود.<sup>195</sup> وكانت اللغة الكردية اللغة الرسمية في إدارة الحكم الذاتي. أما القوانين فقد عُدلَت لتتنماشى مع العادات والتقاليد المحلية. وفضلاً عن كل ذلك، كان لكيان الحكم الذاتي ميزانيته الخاصة القائمة على نظام جباية الضرائب. واستخدمت موارد الكيان في مجالات تحسين المرافق العامة، إلا ان الفائض منها كان يُرسل الى السلطات البريطانية في بغداد.

لم تكن الإدارة الكردية من وجهة النظر الشيخ محمود وأنصاره مجرد ترتيب مؤقت جاء ليلبّي حاجات آنية وإنما هي مثلت نواة دولة كردية كبيرة تضم جميع مناطق كردستان الجنوبية. فاضافة الى ذلك، لم يعتبر الكرد تشكيل تلك الإدارة اعترافاً صريحاً بسلطة الشيخ محمود بوصفه زعيماً قومياً فحسب بل أيضاً إقراراً بريطانياً ضمنياً بأن كردستان الجنوبية تمثل وضعية سياسية وإدارية خاصة تختلف

<sup>194</sup> Administration Report on Keusenjaq.., op. cit., p.31.

<sup>195</sup> Précis of Affairs-, op. op. cit., p.16.

عن بقية مناطق ميزوبوتاميا العربية الخاضعة لسيطرة بريطانية مباشرة، التي لا تؤدي نخبها العربية المحلية دوراً يُذكر في الإدارة المحلية. وينبغي التأكيد هنا ان من الصعب جداً التأكيد من ان الميجر نوئيل قام بإطلاق الجانب الكردي أم لا بالطابع المؤقت للترتيبات السياسية والإدارية التي أحاطت بتشكيل كيان الحكم الذاتي الكردي. فبالنسبة الى المعاصرين الكرد، ومنهم رفيق حلمي والشيخ قادر الحميد (شقيق الشيخ محمود)، لا يرفضون تلك المزاعم المتعلقة بالطابع المؤقت والتجريبي للادارة الكردية فحسب، بل أيضاً يؤمنون بأن الوعود البريطانية قد انطوت على توسيع الرقعة الجغرافية لكيان الحكم الذاتي. ان الأمر الذي شجع على خلق هذا الانطباع عند هؤلاء الكرد هو موافقة البريطانيين على إلحاق مناطق جديدة تقع بين نهري الزاب الكبير والزاب الصغير بـ**كيان الحكم الذاتي الكردي**.

وكان نوئيل قد قدم بنفسه طلباً الى السلطات البريطانية في بغداد يحثها فيه على الموافقة على توحيد بقية مناطق كردستان الجنوبية عن طريق دمجها بـ**كيان الكردي القائم**. والجدير بالإشارة، ان بعض مناطق كردستان الشرقية المحاذية للحدود العثمانية- القاجارية قد قدمت هي الأخرى طلباً تؤكد فيه رغبتها بالانضمام الى الكيان الكردي. ولم تستطع السلطات البريطانية في بغداد ان تتهرب من انها هي التي كانت قد أطلقت فكرة ((**كردستان للكرد**) تحت الحماية البريطانية بما في ذلك إنشاء دولة كردية، وإن هذه الفكرة لاقت ((شعبية حقيقة)) الى درجة ان ((إشارات صدرت عن جميع القبائل المجاورة تؤكد رغبتها في الانضمام الى الكونفدرالية الكردية)).<sup>196</sup>

وفي ضوء هذه التطورات، قام البريطانيون بالموافقة على الصيغة الآتية:

سيُسمح للقبائل الكردية (الموجودة) بين (نهري) الزاب الكبير و دياري (عدا تلك القبائل الموجودة في الإقليم الفارسي)، التي تقبل بإرادتها الحرة بقيادة الشيخ محمود، ان تفعل ذلك، وان الأخير سينال دعمنا الأخلاقي في المناطق المذكورة آنفاً نيابة عن الحكومة البريطانية.<sup>197</sup>

بحسب الشهادة التي قدمها نوئيل في وقت لاحق، كانت كردستان الجنوبية ((**هادئة وقائمة**) خلال الأشهر الأولى من حياة الحكومة الكردية.<sup>198</sup> ويبدو ان توطيد

<sup>196</sup> Ibid, p10.

<sup>197</sup> Ibid.

<sup>198</sup> E.W.L. Noel, Note -in- Colonial Office Minute No.4958, 22, July 1922, C0730/13, PRO.

أركان الكيان الكردي وبسط نفوذ حكومة الشيخ محمود على مناطق كردية أخرى هي التي أثارت المخاوف عند ويلسون ودفعت به إلى التحجيل بتعديل السياسة الميدانية بما في ذلك وضع نهاية لتجربة الحكم الذاتي. ومنذ بداية كانون الأول ١٩١٨، بدأت كُردستان الجنوبية تشهد، سواء بصورة علنية أو خلف الكواليس، تصعيدياً تدريجياً للخلافات البريطانية- الكردية حول المستقبل السياسي والإداري للمناطق الكردية الواقعة خارج كيان الحكم الذاتي. فمن جهة، عَدَ ويلسون والموظفوون البريطانيون من الذين شاطروه الرأي والموقف تزايد نفوذ الحكومة الكردية خطراً ينبغي التصدي له بالسرعة الممكنة قبل أن يفوت الأوان. ومن جهة ثانية، شدَّ الشيخ محمود إصراره على توسيع الرقعة الجغرافية لكيان الحكم الذاتي من خلال إلحاق مناطق كردية أخرى ببناء على رغبات زعماتها المحلية. وعدَ الشيخ محمود ما كان يتطلبه أمراً طبيعياً ومنسجماً لا مع الرغبات الكردية المحلية فحسب، بل أيضاً مع روح الاتفاق الذي ابرمه مع البريطانيين ومع توجهات السياسة البريطانية العامة التي كان يتعامل معها. وشكلت زيارة ويلسون إلى مدينة السليمانية في ١ كانون الأول ١٩١٨ نقطة الانعطاف في العلاقات الكردية- البريطانية. خلال تلك الزيارة، عقد ويلسون اجتماعاً موسعاً مع أعضاء الحكومة الكردية بحضور نحو ٦٠ شخصية كردية محلية جاءت من مناطق كُردستان الجنوبية ومن بعض مناطق كُردستان الشرقية. ففي هذا اللقاء، حاول الجانب الكردي جاهداً الحصول على وعد بريطاني لا يضمن المستقبل السياسي لكردستان الجنوبية فحسب، بل أيضاً مستقبل أجزاء كُردستان الأخرى، من خلال قيام كُردستان موحدة مستقلة تحت حماية بريطانية.<sup>١٩٩</sup>

وبحسب رأي رفيق حلمي، فإن الرغبة بالوحدة السياسية تحت قيادة الشيخ محمود، التي عبرت عنها الزعامات الكردية الجنوبية والشرقية على حد سواء، هي التي أقنعت ويلسون بضرورة التخلص من الحكومة الكردية ورئيسها.<sup>٢٠٠</sup> لقد عدت السلطات البريطانية الميدانية، من جانبها، نشاطات محمود السياسية وتقديمه لمطالب جديدة انحرافاً عن الاتفاقيات السابقة بينها.<sup>٢٠١</sup> وبين ليلة وضحاها، أضفت التقارير البريطانية على الشيخ محمود صفة الطاغية، ولجأت إلى ماضيه في محاولة

<sup>199</sup> India Office, Political Department, 27 August 1919, F0371/5069, p.2.

<sup>200</sup> حلمي، ياداشت، ج ١، ص ٩٤.

<sup>201</sup> Administration Report of the Sulaimaniya division.., op. cit.

منها للتأكيد على شخصيته المتمردة التي لا يمكن الوثوق بها. وادعت تلك التقارير بان سعي الشيخ الى توسيع كيانه من خلال إلحاق مناطق غير مرغوب فيها بحسب المقاييس والمصالح البريطانية (كاربيل ومقاطعة الموصل)، ومحاولة كسبه ولاء جهات كردية معادية للحلفاء قد حولته الى خطر يهدد مستقبل السلام في البلاد.<sup>٢٠٢</sup> ولهذا ت Hutchinson، بحسب إدعائه، اتخاذ خطوات عاجلة لكيج جماح الشيخ محمود ومنع نفوذه من الانتشار الى «مناطق غير ضرورية او يعرض عليه، وحيث يُشكل في المستقبل خطراً محتملاً يهدد السلام».<sup>٢٠٣</sup>

ويُمكن القول، عند تلخيص موقف ويلسون تجاه الشيخ محمود، ان الأول وافق على إقامة حكومة كردية على مضض لأسباب موضوعية تتعلق بضعف الموقف البريطاني العسكري والسياسي في شمال ميزوبوتاميا، وإنه عَدَ الحكومة الكُردية ترتيباً سياسياً وإدارياً مؤقتاً وليس بديلاً عن الإدارة البريطانية المباشرة، كما يتضح من التقرير البريطاني الآتي:

«من دون التعاون والمساعدة الكاملتين التي كان يمنحك إياها (الشيخ) محمود) في ذلك الوقت، لا أصبح من الضروري إدخال حامية (بريطانية) قوية، وهو الأمر الذي كان مستحيلاً في حينه. ومن وجہ النظر السياسية، كان من المهم جداً أن نعزز النظام في المنطقة (الكردية)، في نفس الوقت الذي تتجنب فيه مظهر من يستخدم القوة لهذا الغرض».<sup>٢٠٤</sup>

وحالما أقتنع ويلسون بأنه لم تعد هناك حاجة لوجود حكومة كردية بعد توطيد النفوذ السياسي والعسكري البريطاني، لم يتردد في اتخاذ السبل اللازمة لتدمیرها. وتصاعدت مخاوف ويلسون بسرعة وذلك لأن القبول المتزايد الذي اكتسبتها تجربة الحكم الذاتي بين أوساط الکُرد في المناطق غير الخاضعة لسلطة الشيخ محمود قد تُجرِّه على تطبيق نظام السيطرة غير المباشرة في مناطق ميزوبوتاميا العربية.<sup>٢٠٥</sup> لتلك الأسباب، لم يدخل ويلسون وقتاً أو جهداً في اتخاذ إجراءات عاجلة للقضاء على تجربة الحكم الذاتي حالما أعتقد بامتلاكه للإمكانيات السياسية والعسكرية اللازمة لإدارة كُردستان الجنوبية بواسطة الموظفين البريطانيين. وبحسب شهادة نوئيل، كان

<sup>202</sup> Précis of Affairs-, op. cit., p15.

<sup>203</sup> Ibid.

<sup>204</sup> Ibid, p.12.

<sup>205</sup> E.W.L. Noel, Note -in- Colonial Office Minute, No.4958, 22 C0730/13, PRO.

ويسون هو الذي اتخذ لوحده قرار إنهاء الحكومة الكردية، من دون ان يستشير في ذلك الموظفين البريطانيين العاملين في تلك الحكومة. وقام بتنفيذ القرار الموظف السياسي الجديد، الميجر سون.<sup>٢٠٦</sup>

### عواقب فرض الحكم البريطاني المباشر على كردستان الجنوبية بالنسبة إلى المسألة الكردية

لم تترك سياسة ويسون الانقلابية تجاه الحكومة الكردية خياراً أمام الشيخ محمود وحلقته القومية سوى تحدي السلطات البريطانية في بغداد، متهمًا إياها بنكث الوعود السابقة. ولم يكن هذا التحدي في جوهره معاديًا لبريطانيا أو يستهدف إنهاء نفوذها، وإنما كان رد فعل مباشر على الانقلاب الكبير الحاصل في سياسة ويسون الميدانية القائمة، التي تزامنت مع تغيير الكادر الاستشاري البريطاني العامل ضمن الدولة الكردية. ولم يكن للتحدي الكردي أي ارتباط، لا من بعيد ولا من قريب، مع نشاطات حركة تركيا الفتاة المعادية للبريطانيين، كما يدعى المؤرخ بريتون سبيوش.<sup>٢٠٧</sup> لقد كان الهدف الرئيس للكرد الرافضين للانصياع إلى أوامر بغداد هو العودة إلى الوضع السياسي والإداري السابق، إي قبل أن يُقلب ويسون السياسة الميدانية رأساً على عقب لصالح فرض إدارة بريطانية مباشرة. ولم يكن الشيخ محمود غافلاً عن حقيقة أنه كان في حاجة ماسة إلى مساندة الحكومة البريطانية، خاصة وأنه كان يأمل منها أداء دور مؤثر في مؤتمر السلام الدولي القادم في اتجاه الاعتراف بطلعات السياسية القومية الكردية.

بدأ التحدي الكردي في ٢٢ أيار ١٩١٩ بدون ان تراق آية دماء حيث اعتقلت حكومة الشيخ محمود جميع الموظفين البريطانيين، العسكريين منهم والمدنيين، في مدينة السليمانية. وسرعان ما تلقت الانتفاضة مساندة قوية من جانب بعض القبائل الكردية الواقعة على الطرف الآخر من الحدود العثمانية - القاجارية القديمة، وهذا الأمر سهل تحرير منطقة شهروزور بما في ذلك مركزها مدينة حلبة. وبينما كان الشيخ محمود يُعلق آماله على إلزام الجانب البريطاني على الدخول بسرعة في مفاوضات لمنع وقوع مصادمات عسكرية، أصر ويسون على اللجوء إلى القوة لجسم الموقف لصالح

<sup>206</sup> Ibid.

<sup>207</sup> Briton C. Busch, Mudros to Lausanne: Britain's Frontier in West 1918-1923 (New York: State University of New York Press, Albany, 1976), p.186.

البريطانيين، ولم يكن هدفه الأساس قمع المنتفضين الكرد بقدر ما كان تدمير كيان الحكم الذاتي الكردي بشكل نهائي. ويذكر ان ويلسون قد أصر بعد قمع الانتفاضة على شنق الشيخ محمود خلال المحاكمة العسكرية التي أجريت له<sup>٢٠٨</sup> بدلاً من نفيه إلى الخارج، كما كانت تطالب السلطات العسكرية الميدانية. أراد ويلسون من وراء ذلك أن يقطع جميع الصلات مع القوميين الكرد بصورة نهائية لكي يتمنى له توحيد إدارتي كردستان الجنوبية وميزوبوتاميا العربية وفق نظام الحكم البريطاني المباشر.

على الرغم من قمع التحدي الكردي وأسر قائده الشيف محمود خلال القتال، استمرت المقاومة الكردية للحكم البريطاني المباشر، حيث واصل أنصار الشيف من الكرد الجنوبيين والكرد الشرقيين نشاطاتهم بمهاجمة الواقع البريطانية بصورة متقطعة.<sup>٢٠٩</sup> وفي الوقت نفسه، لم تتلقّ سياسة ويلسون الانقلابية في القضاء على كيان الحكم الذاتي الكردي وإلهاقها بالإدارة البريطانية في ميزوبوتاميا العربية تأييداً يذكر من الزعامات الكردية المحلية الأخرى، باستثناء قلة من (المتنورين بدرجة اكثـر)، على حد وصف تقرير بريطاني.<sup>٢١٠</sup> إن انتشار الفوضى واحتلال الأمن والنظام في المناطق الكردية، خاصة الجبلية منها، أصبح السمة السائدة للحياة في كردستان الجنوبية في المرحلة التي أعقبت احتفاء كيان الحكم الذاتي الكردي.<sup>٢١١</sup> والجدير بالإشارة، ان نظام الحكم البريطاني المباشر لم يفشل في كردستان الجنوبية فحسب، بل أيضاً في ميزوبوتاميا العربية. فقد شهدت الأخيرة وقوع حالات من التمرد في العام ١٩٢٠ نجم عنها مقتل ٤٢٦ جندياً بريطانياً وجرح ١٢٢٨، فضلاً عن ٦١٥ آخرين من اعتبروا في عداد المفقودين أو الأسرى.

واختلفت الأساليب التي عبرت من خلالها الزعامات الكردية المحلية عن معارضتها للحكم البريطاني المباشر، حيث لجأ بعض منها إلى الحوار المباشر وإسداء

<sup>208</sup> A.Tabot Wilson, Mesopotamia, 1917-1920: A Clash of Loyalties, London: Oxford University Press, 1931], p.142.

<sup>209</sup> في أول مواجهة عسكرية مع القوات البريطانية، أحقت القوات الكردية هزيمة بها. لكن سرعان ما أعد ويلسون حملة عسكرية جديدة نجحت في قمع الانتفاضة وأسرت الشيف محمود بعد اصابته بجروح. وقدم محمود إلى المحاكمة ونفي إلى الهند، وظل فيها معتقلًا حتى منتصف العام ١٩٢٢.

<sup>210</sup> Précis of Affairs, op. cit., p.12.

<sup>211</sup> Sulaimaniya Monthly Progress Report for the Month of August 1919, F0371/5070 & Administration Report of the Kirkuk division for Period January 1st 1919-December 31st 1919, F0371/5069, PRO.

النصح، في حين لجأ بعض آخر إلى قوة السلاح. ولم تقتصر المعارضة الكردية لفرض الحكم البريطاني المباشر على المناطق، التي كانت ضمن كيان الحكم الذاتي الكردي، فحسب، بل شملت العديد من المناطق الكردية الأخرى. وفي أربيل، طالبت زعامات الكرد الذهنيون البريطانيين بوضع ترتيبات سياسية وإدارية شبيهة بتلك التي كانت موجودة في المناطق الواقعة إلى الشرق من نهر الزاب الصغير (أي كيان الحكم الذاتي). ولم تؤدي إجراءات تجميلية اتخاذها موظفون بريطانيون لم تمس بنية الحكم البريطاني المباشر وألياته، كمنح بعض الزعامات الكردية مراتب شرفية أو دوراً استشارياً محدوداً في القضايا الإدارية، إلى الحد من انتشار الاضطرابات أو حدة المعارضة. ففي مقاطعة الموصل، وجد الموظفون البريطانيون صعوبة أكبر في التعامل مع سكان مناطق كردية، كزاخو وعقرة، بالمقارنة مع سكان الأقضية القريبة من السليمانية، حين عملوا على إعادة تنظيمها إدارياً وسياسياً وفق نظام الحكم البريطاني المباشر.<sup>212</sup> وفي بداية شهر نيسان ١٩١٩، تفاقمت الاضطرابات في زاخو بحيث أدت إلى مقتل الموظف السياسي المساعد فيها، كابتن سي بيرسون.<sup>213</sup> وبينما يقطع من يوميات الموظف السياسي البريطاني في أربيل كيف كان السورجيون والبارزانيون نشطين في معاداة الوجود البريطاني.<sup>214</sup> ويذكر أن البارزانيين كانوا قد تحالفوا قبل ذلك مع خصومهم الزيباريين خلال اتفاقاً بينهم ضد البريطانيين، التي أدت إلى مقتل الموظف السياسي في مقاطعة الموصل، الكولونيل بيل (خليفة لجمن) والموظف السياسي المساعد في عقرة، كابتن كي سكوت.<sup>215</sup>

إن العامل الديني هو الذي صعد من الموقف السياسي المتآزم وضاعف من غضب الكرد العام من الموظفين البريطانيين في مقاطعة الموصل والمتمثل ب موقفهم الداعم لللاجئين المسيحيين الآثوريين على حساب مصالح الأغلبية الكردية المحلية. لقد قام البريطانيون بإعادة توطين هؤلاء اللاجئين القادمين من إيران في أراضٍ تعود للكرد ومن ثم استخدامهم كأداة للسيطرة البريطانية على السكان الأصليين. ومن أجل تعزيز الحكم البريطاني المباشر لجأ بعض الموظفين البريطانيين إلى نهج تفريغ

<sup>212</sup> Précis of Affairs, op. cit., p.10.

<sup>213</sup> G.L.Bell, Northern Kurdistan, 8 March 1920, AIR20/513, PRO.

<sup>214</sup> Extract from the Diary of Political Officer, Arbil, for Month of January 1920, F0371/5068, PRO.

<sup>215</sup> Political, Baghdad, 4 November 1919, F0371/4193, PRO.

الصفوف على أساس الدين. وكان لجمن أول مسؤول بريطاني لجأ إلى ذلك النهج الهدام من الناحية الاجتماعية في المنطقة الكردية الواقعة ضمن مسؤوليته الإدارية. وأبدى عدد قليل من الموظفين البريطانيين شكوكهم بجدوى تبني ذلك النهج لما له من خطورة على السلم الأهلي والتعايش الاجتماعي بين السكان الأصليين والوافدين كوسيلة لتوطيد أركان الحكم البريطاني المباشر في بعض مناطق كردستان الجنوبية. ففي عشية انتفاضة العمامية، عبر الكولونيل بيل عن مخاوف كبيرة تجاه تنفيذ فكرة إرسال اللاجئين الآثوريين إلى المناطق الكردية<sup>٢١٦</sup> قبل أيام فقط من وقوع حادثة قتله على يد المنتقضين الكرد:

ان الاعتبار الوحيد الذي يدفع بالقبائل (الكردية) الى إبداء معارضة عتيدة هو فكرة اننا مصممون على دعم المسيحيين ضد المسلمين بأية طريقة ممكنة...  
<sup>٢١٧</sup>  
في الوقت الذي نسعى فيه الى التوصل الى ترتيب توقيفي مع المسلمين.

أما ويلسون فأنكر وجود أية علاقة مباشرة أو غير مباشرة بين إرسال اللاجئين المسيحيين وإسكانهم في مناطق كردية واندلاع انتفاضة العمامية، التي أجبرت مرؤوسيه على مغادرة عقرة.<sup>٢١٨</sup> عموماً، رفض ويلسون الاعتراف ان المصدر الحقيقي للمتابعة الشديدة التي كان يواجهها البريطانيون على الأرض تكمن في تجاهل الرغبات الكردية في الإدارة الذاتية.<sup>٢١٩</sup> أما رفيق حلمي فعزى انتشار السخط الكردي إلى النهج القاسي التي أتبّعها البريطانيون بعد نفي الشيخ محمود إلى الهند.<sup>٢٢٠</sup>

وتخطّط الموظفون البريطانيون الميدانيون في محاولاتهم لتبرير وقوع الاضطرابات الحادة التي كانوا يواجهونها في المناطق الكردية الخاضعة لسيطرتهم المباشرة. وأرجع بعض منهم أسباب الانتفاضات الكردية، ومنها انتفاضة العمامية في تشرين الثاني ١٩١٩، إلى الدعاية التركية المعادية للمسيحيين وكذلك إلى الدعاية الفرنسية المناصرة للمسيحيين، مدعين أن موقف الفرنسيين هو الذي أثار مخاوف واسعة بين الأهالي الكرد.<sup>٢٢١</sup> عموماً أرجع الموظفون الميدانيون التغيير الطارئ في المواقف

<sup>216</sup> Foreign Office Minute No. 168555, 8 January 1920, F0371/4193, PRO.

<sup>217</sup> H. Bill to Civil Commissioner, Baghdad, Memorandum on the future of the Qaza of Amadia, 21 October 1919, F0371/4193, PRO.

<sup>218</sup> Civil Commissioner, Baghdad, 9 November 1919, F0371/4193, PRO.

<sup>219</sup> Civil Commissioner, Baghdad, 20 November 1919, F0371/4193, PRO.

<sup>220</sup> حلمي، ياداشت، ج١، ص٨-١٤.

<sup>221</sup> Précis of Affairs-, op. cit., p.11.

الكردية تجاههم الى عاملين رئيسيين هما: أولاً، سمات الكرد القومية، ومنها ((كراهيتهم المعتادة للقانون)), و((الطموحات الشخصية لقادتهم المحليين)) وخلافاتهم الداخلية، وثانياً، التأثيرات الخارجية وأهمها نشاطات الكماليين المعادية لبريطانيا (نسبة الى مصطفى كمال زعيم النزعة التركية الطورانية) بين الأوساط المحلية الكردية القائمة على استغلال المشاعر الدينية والنزاعات القبلية الداخلية،<sup>٢٢٢</sup> وانتشار الظروف البلاشفية القادمة من إيران وتركيا،<sup>٢٢٣</sup> وعودة أسرى الحرب الكرد من الهند الى ديارهم،<sup>٢٢٤</sup> الذين سردوا حكايات عن كيفية اضطهاد البريطانيين للهنود.

لقد اتخذت المعارضة الكردية للسيطرة البريطانية المباشرة أشكالاً متعددة.

ففي حين لجأ أنصار الشيخ محمود الى أساليب الكر والفر في مواجهة الواقع الخاضعة للسيطرة البريطانية، انتفضت قبائل كردية سواءً بمفردها أو بالتحالف مع قبائل أخرى خاصة في المناطق الجبلية الوعرة والنائية. ويلاحظ أن حالات التمرد المحلية لم تتطور الى انتفاضة كردية عامة شاملة لغياب التنسيق والحساسيات القبلية والمناطقية. وهذا الأمر ساعد البريطانيين على الحدّ من خطورة حالات التمرد تلك، بالرغم من فشلهم في القضاء عليها قضاءً مربماً، كما لم تكن حالات التمرد حصرًا على منطقتي الموصل والسليمانية، إنما شملت التواحي الغربية من كردستان بما في ذلك منطقة جزيرة ابن عمر. ونظرًا لعجز السلطات البريطانية الميدانية عن وضع حد للاضطرابات فقدان السيطرة على الأوضاع في عموم إقليم كردستان الجنوبية، بدأت المخاوف تثار في بعض الدوائر الرسمية في لندن، وذلك لأنّ وقوع انتفاضة كردية عامة ضد الوجود البريطاني سيلقي بظلال الشك على جميع الالتزامات البريطانية في كردستان.<sup>٢٢٥</sup> وساهم بروز تلك المخاوف جزئياً في ظهور دعوات أطلقها الدوائر الرسمية البريطانية المختلفة تؤثر على اتخاذ سياسة عامة مشخصة تجاه كردستان ومستقبلها بأسرع وقت ممكن.

وأثار تآزم العلاقة بين الكرد الجنوبيين والموظفين البريطانيين مخاوف حقيقة في أوساط الحلقات القومية في كردستان الشمالية، التي ربما كانت تخشى ان يقود الوضع المتدهور في المناطق الكردية الخاضعة للإدارة البريطانية المباشرة الى ردود فعل

<sup>222</sup> Civil Commissioner, Baghdad, Priority, 11 November 1919, F0371/4193, PRO.

<sup>223</sup> Civil Commissioner, Baghdad, 27 March 1920, F0371/5068, PRO.

<sup>224</sup> Administration Report Of the Sulaimaniya Division-, op. cit.

<sup>225</sup> Parliamentary Question, No.151967, 14 November 1919, F0371/4193, PRO.

سلبية في لندن بحيث تؤثر على موقفها الرسمي تجاه المسألة الكردية في مؤتمر السلام القادم، مما قد يجعلها ترفض فكرة إخضاع كُردستان لانتداب بريطاني منفصل. وكما خشيَّ القوميون الكرد من قيام الأتراك باستغلال الوضع المتأزم القائم لإعادة نفوذهم إلى كُردستان الجنوبية وإيجاد فريق من المناصرين لهم بين الكرد الرافضين للحكم البريطاني المباشر. ورأى هؤلاء القوميون الكرد في السياسة الميدانية القائمة على الحكم المباشر السبب الرئيس للمشكلات التي كان يواجهها البريطانيون في المناطق الكردية. ففي أعقاب حادثة عقرة، أبلغت لجنة الاستقلال الكردية في كُردستان الشمالية الحكومة البريطانية بوجود أسباب داخلية وراء الاضطرابات السائدة في المناطق الكردية الخاضعة لسيطرتها. ومن خلال تأكيدها على إقرار البريطانيين أنفسهم في أن القبائل الكردية المنتفحة ضدتهم كانت هي تلك القبائل نفسها التي رحبت بقدومهم في نهاية الحرب، ألت لجنة الاستقلال الكردية باللوم بشكل رئيس على النهج الذي اتبعه الموظفون الميدانيون البريطانيون الذي تجاهل مشاعر الكرد وتقاليدهم القومية. كما ان اللجنة ذاتها حذرت من تنامي مشاعر كردية معادية لبريطانيا، داعية في الوقت نفسه البريطانيين إلى تهدئة الأوضاع الملتهبة على المدى القصير من خلال تعين موظفين بريطانيين جدد لهم ((معرفة جيدة بسلوك القبائل النفسية وبشخصيتها)).<sup>226</sup> واتفق توقيل مع هذا الرأي إلى حد كبير حيث أكد على ان الانقلاب الحاصل في السياسة الميدانية البريطانية من احتضان النزعة القومية الكردية إلى معاداتها هو السبب الرئيس للمتابعة التي كان الموظفون البريطانيون يواجهونها في كُردستان العثمانية.<sup>227</sup>

بدأت تتصاعد أصوات بعض الموظفين البريطانيين الميدانيين والوجهاء المحليين الكرد الداعين إلى إعادة نظام السيطرة غير المباشرة القديم من أجل فسح المجال أمام قيام حكم ذاتي كردي جديد. وكانت هذه الدعوات ولidea قناعات متزايدة بضرورة اتخاذ إجراء عاجل للسيطرة على انتشار المعارضة الكردية للحكم البريطاني المباشر. وعلى الرغم من إيمان الميجر سون العميق بالحكم البريطاني المباشر وإبداء تحفظات شديدة حول منح الكرد حكماً ذاتياً،<sup>228</sup> عَدَ تشكيل حكومة كردية برئاسة حمدي بك

<sup>226</sup> Residence, Cairo, to Curzon, 9 December 1919, F0371/4193, PRO.

<sup>227</sup> E.W.L. Noel, Note -in- Colonial Office Minute No.4958, 22 July 1922, C0730/13, PRO.

<sup>228</sup> Soane, Sulaimaniya, to Civil Commissioner, Baghdad, 11 January 1920, F0371/5068, PRO.

بابان (وهي إحدى الشخصيات الكردية ذات الميول البريطانية والمقيمة في أسطنبول)، اقتراحًا ((أكثر عقلانية)) من غيره، وان ((مثل هذه الخطوة ستثال التزكية عاجلاً أم آجلاً من أجل نزع سلاح الدعائين)) (أي أنصار الشيخ محمود، الذين ادعوا تراجع البريطانيين عن وعود سابقة قطعواها على أنفسهم).<sup>٢٢٩</sup> والتمس موظفون مساعدون بريطانيون، من ضمنهم الكابتن سي تي بيل، من ويلسون ان يدرس فكرة إنشاء نظام سيطرة غير مباشرة في منطقة راوندوز من خلال إقامة ((دولة)) كُردية صغيرة تعمل على إعادة الاستقرار واستتباب الأمن، بعد ان فشل البريطانيون في فرض سيطرتهم المباشرة عليها.<sup>٢٣٠</sup> والجدير بالذكر ان لمنطقة راوندوز أهمية إستراتيجية بفضل إشرافها على احدى الطرق الرئيسية المؤدية الى كُردستان الشرقية. ورشح الموظفون البريطانيون الميدانيون السيد طه، حفيد الشيخ عبید الله نهري، بوصفه الحاكم المؤهل لإدارة كيان الحكم الذاتي بحكم تتمتعه بنفوذ ملحوظ بين أهالي تلك المنطقة. والغريب انه حتى الكولونيال لجمن أوصى بتنصيب السيد طه حاكماً على راوندوز.<sup>٢٣١</sup>

يتضح مما سبق ان الدعوات بشأن إعادة تشكيل حكومة ذاتية في كُردستان الجنوبية لم تكن مقتصرة على العناصر القومية في السليمانية، إذ جاءه ويلسون مطالب قدماها وجهاً محيلين كُرد (من عارضوا الشيخ محمود أو اتخذوا موقفاً محايدها من نزاعه مع السلطات البريطانية في بغداد) تدعوه الى تشكيل حكم ذاتي كُردي بوصفه الضمانة ضد أي محاولة لـإلحاق كُردستان الجنوبية بـدولة ميزوبوتامية عربية مستقبلية. وفي بداية تموز عام ١٩٢٠، رفعت مذكرة مذيلة بتوقيع ٦٢ شخصية كُردية (أغلبها من زعماء القبائل ووجهاء المدن ومن مناطق السليمانية واربيل) طالبت بصريح العبارة بتحويل كُردستان الى دولة مستقلة تحت انتداب بريطاني منفصل<sup>٢٣٢</sup> بالانسجام مع وعود الحكومة البريطانية السابقة. كما نصّت تلك المذكرة على ضرورة وجود ممثل عن أهالي كُردستان الجنوبية في مؤتمر السلام الدولي القادم.<sup>٢٣٣</sup> وفي شهر

<sup>229</sup> Confidential Memorandum From Political Officer, Sulaimaniya, to Civil Commissioner, Baghdad, 4 August 1920, F0371/5069, PRO.

<sup>230</sup> Beale, Rowanduz, to Political, Baghdad, 29 May 1919, AIR20/714, PRO.

<sup>231</sup> Beale, Mosul, to Political, Baghdad, 6 June 1919, AIR20/714, PRO.

<sup>232</sup> Civil Commissioner, Baghdad, 3 July 1920, F0371/5069, PRO.

<sup>233</sup> Translation of [an] Undated Persian Document, Civil Commissioner, Baghdad, 17 August 1920, F0371/5069, PRO.

آذار، رفع الكابتن سي أي روندل تقريراً إلى ويلسون أشار فيه إلى لقاءاته مع اثنين من الرعماء المحليين العاملين في الإدارة البريطانية في أربيل وهما الملا محمود أفندي، حاكم المدينة، ونائبه، جميل آغا. وكان الملا محمود أفندي ((مؤكداً لأقصى حد في رأيه انه ينبغي تعين حاكم كردي)) وان هذا ((الحاكم يجب ان يتلقى دعم البريطانيين وإرشاداتهم)).<sup>٢٣٤</sup> واقتراح الزعيمان الكرديان ان تخُص الدولة الكردية المقترحة ((جميع كردستان الواقعه ضمن منطقة الانتداب البريطاني)).<sup>٢٣٥</sup> وفضلاً عن الإيمان بضرورة وضع حد لحالة عدم الاستقرار المنتشرة في كردستان الجنوبية لما تسببه من أضرار للجانبين البريطاني والكردي، عبرت تصورات تلکما الشخصيتين عن وجود مخاوف كردية متزايدة بشأن إمكانية عودة الحكم التركي إلى المناطق الكردية أو احتمال إلهاقها بدولة عربية في ميزوبوتاميا.<sup>٢٣٦</sup> وعلى الرغم من تزايد الصعوبات المتعلقة بظهور التزامات مالية وعسكرية إضافية وبقضايا حساسة أخرى، مثل سحب الجنود البريطانيين أو إبقاءهم بصورة دائمة في كردستان الجنوبية، ظلّ ويلسون متمسكاً ب موقفه السابق بعناد كبير، مُصرًا على استمرار نظام الحكم البريطاني المباشر، رافضاً في الوقت نفسه أية مقترفات (كردية أو بريطانية) تدعو إلى قيام كيان حكم ذاتي كردي مهما كانت مساحته الجغرافية أو درجة الصالحيات الممنوحة لقادته.

#### مواقف لندن تجاه شؤون كردستان الجنوبية

ان الجانب اللافت للنظر في طريقة تعامل ويلسون الميدانية مع الشؤون الكردية هو قدرته على إتباع نهج يختلف بشكل كبير عما كان يطرحه على حكومة لندن. ففي إحدى لقاءات كونفرانس شؤون الشرق الأوسط لما بين الوزارات (Interdepartmental Conference of Middle Eastern Affairs مناقشة إدارة ميزوبوتاميا المستقبلية (١٧ نيسان ١٩١٩)، عقدت برئاسة لورد كورزون من أجل تحويل كردستان إلى وحدة إدارية تتمتع بحكم ذاتي خطة لإقامة عدد من دول الحكم

<sup>234</sup> Confidential Memorandum From Capt. A.G. Rudly, Arbil, to Civil Commissioner, Baghdad, March 1920, F0371/5069, PRO.

<sup>235</sup> Confidential Memorandum From Political Officer, Arbil, to Civil Commissioner, Baghdad, 17 July 1920, F0371/5069, PRO.

<sup>236</sup> Ibid.

ينبغي منح ويلسون صلاحية اتخاذ خطوات من أجل إقامة خمس مقاطعات في العراق، كما اقترح الكولونيال (إيفلين) هاول...، ومقاطعة عربية في الموصل، يحيطها شريط من دول الحكم الذاتي الكردية تحت زعامة الأشراف الكرد مع مستشارين سياسين بريطانيين.<sup>٢٣٨</sup>

لكن ويلسون لم يبادر الى تنفيذ تلك الخطوة، وإنما أسرع الى إعادة تنظيم إدارة كُردستان الجنوبية وفق نظام السيطرة البريطانية المباشرة، مانحاً أولية استثنائية لمسألة تدمير تجربة الحكم الذاتي الكردي الجارية آنذاك في السليمانية.

ان التحليل الآتي لبنية السيطرة البريطانية في كُردستان الجنوبية يكشف بوضوح ان إدارة ويلسون كانت تُعيد ترتيبها على وفق نظام السيطرة المباشرة. فمنذ شهر كانون الأول ١٩١٨، حين أصبح ضم المنطقة (A) الى مجال النفوذ البريطاني أمراً محسوماً، قام ويلسون بتسخير جهوده من اجل تعليمي نظام السيطرة المباشرة على جميع أرجاء كُردستان الجنوبية. واتخذت السيطرة المباشرة في حينها شكلين رئيسيين: كان الشكل الأول نظاماً قبلياً، حيث عُدّت القبيلة الْكُرْدية (تشكيلياً سياسياً) تحت السلطة الاسمية لزعماء تقليديين، يتم اختيارهم من قبل السلطات البريطانية بحسب مستوى الولاء. وكان على هؤلاء الزعماء الخاضعين لمراقبة الموظفين المساعدين البريطانيين تنفيذ الأوامر والتقييد بالتعليمات الصادرة عن السلطات البريطانية في بغداد. غالباً ما طُبق هذا الشكل من نظام السيطرة المباشرة في التواحي الجبلية، مثل قلعه دزه، وعلى بعض القبائل الكبيرة القوية، مثل الحاف،

237 استثنى ويلسون عدة مناطق ومدن كُردية من خطة اقامة سلسلة من الدوليات الكُردية مثل اربيل وزاخو وعقرة كي يلحقها بمقاطعة عربية في الموصل التي ستكون خاضعة الى الادارة البريطانية في ميزوبوتاميا.

<sup>238</sup> Interdepartmental Conference on middle Eastern Affairs (IDCM), Minute No-16, 17 April 1919, F0371/4149, PRO.

وفي المناطق النائية، التي يصعب الوصول إليها. أما الشكل الآخر للسيطرة المباشرة فكان أكثر تشدداً من الأول، إذ احتكر الموظفون البريطانيون السلطة والصلاحيات. وتبعاً لهذا الشكل من السيطرة المباشرة قُسمت مقاطعة السليمانية على خمس مقاطعات ثانوية وهي السليمانية وشارياثير وججمال وحلبة ورانيه. وكان لكل واحدة من هذه المقاطعات الثانية موظف مساعد بريطاني لإدارة شؤونها المحلية. وقُسمت هذه التشكيلة الإدارية على مديرية (مديرل) يديرها موظفون بدرجة مدير، قد يكون بعضهم من الكُرد. غالباً ما طبق هذا الشكل من الإدارة المباشرة في المناطق السهلية والمدن، حيث كان من السهل على البريطانيين نشر قواتهم بسرعة في الحالات الضرورية.

وخر الكُرد سيطرتهم على قوات الليفي المحلية في شهر أيار من العام ١٩١٩، حين سُلمت قيادتها إلى ضباط بريطانيين. وتناقص عدد الضباط الكُرد بوتيرة سريعة. فبعد أن بلغ عددهم ٣٦ ضابطاً في عهد حكومة الشيخ محمود، عاد لينخفض إلى ٩ ضباط. كما أجبر لمجندون الكُرد على أداء الخدمة باسم الحكومة البريطانية بدلاً من الإدارة الكُردية.<sup>٢٣٩</sup> وأخضعت مقاطعة كركوك، التي كانت ضمن كيان الحكم الذاتي الكُردي حتى شهر شباط ١٩١٩، إلى سيطرة بريطانية أكثر تشدداً من باقي المقاطعات الكُردية.<sup>٢٤٠</sup> وسارع ويلسون إلى تنظيم مقاطعة أربيل الحديثة التشكيل وفق نظام السيطرة البريطانية المباشرة.<sup>٢٤١</sup> وكان من المفترض أن يكون لكل المقاطعات الكُردية مجلس إقليمي خاص بها خاضع لسيطرة بريطانية قوية، تمهدأً لضم كُردستان الجنوبية إلى الإدارة البريطانية في ميزوبوتاميا.

في تعليقه على التقرير الإداري لمقاطعة السليمانية للعام ١٩١٩، وصف هيوبرت يانغ، أحد أبرز خبراء الشؤون العربية والشرق الأوسطية في وزارة الخارجية البريطانية، خطوات ويلسون الإدارية المشار إليها آنفاً على أنها ((توضيح جلي جداً بشأن إلغاء خطوات اتخذت في الأصل لتشكيل كُردستان ذات حكم ذاتي، ومن أجل إقامة إدارة مباشرة بدلاً عنها)).<sup>٢٤٢</sup> والجدير بالتنويه أن بنية الحكم البريطاني المباشر في إقليم

<sup>239</sup> Administration Report of the Sulaimaniya division., op. cit.

<sup>240</sup> Administration Report of the Kirkuk division for Period January 1st, 1919 to December 31st 1919, F0371/5069, PRO.

<sup>241</sup> Administration Report of the Arbil division for the Year 1919, F0371/5069, PRO.

<sup>242</sup> H.W. Young, Foreign Office Minute on the Administration Report on the Sulaimaniya, division for Year 1919, No.4958, 23 July 1920, F0371/5069, PRO.

كردستان الجنوبية كانت مختلفة عن تلك التي كانت قائمة في ميزوبوتاميا العربية، وذلك بسبب تميز المنطقتين الواحدة عن الأخرى من حيث درجة خضوعهما إلى سيطرة البريطانيين السياسية ومن حيث سماتهما الجغرافية والاجتماعية. هذا من جانب، ومن جانب آخر، كانت حكومة لندن تتدخل بصورة أكثر في عملية صنع القرار الخاص بشؤون ميزوبوتاميا العربية السياسية والإدارية والعسكرية، في حين تركت مساحة أوسع من الحرية للسلطات البريطانية الميدانية في أسلوب إدارة شؤون إقليم كردستان الجنوبية. وعبرَ هذا الوضع عن مستوى الوضوح في التصورات التي كونتها حكومة لندن حول مستقبل ميزوبوتاميا العربية السياسي ومقدار رغبتها في تحديد مسار التطورات فيها، بالمقارنة مع كردستان الجنوبية، التي افتقدت وجود خطوط عامة واضحة بشأن مصيرها على المدىين القريب والمتوسط.

لقد خلق قلب ويلسون للسياسة الكردية رأساً على عقب، كما أشير إليه، حالة من عدم الاستقرار السياسي واسعة الانتشار، بحيث أجبر البريطانيون على القيام بسلسلة عمليات عسكرية انتقامية، شملت قصف قرى كردية بشكل عشوائي بغية السيطرة على الأوضاع المنفلترة. ولكن، بدلاً من أن تعزز السيطرة البريطانية، مكنت تلك الإجراءات القاسية الأتراك من استعادة بعض النفوذ في بعض المناطق الكردية، خاصة الجبلية. وكان من الطبيعي أن تنزعج حكومة لندن من التطورات السياسية والعسكرية السلبية الحاصلة في كردستان الجنوبية. ففضلاً عن رفضها القاطع لتقديم أية التزامات عسكرية أو مالية إضافية، خشيت حكومة لندن من أن تجعل سياسة ويلسون القائمة على تجاهل التطلعات السياسية الكردية من كردستان الجنوبية مصدر تهديد دائم للمصالح البريطانية في ميزوبوتاميا العربية وكذلك في إيران. حتى وزارة الهند، التي كانت تفضل بصورة عامة سياسة ويلسون في إخضاع إقليم كردستان الجنوبية لسيطرة الموظفين البريطانيين الميدانيين، تولدت عندها شكوك بجدوى محاولات ويلسون في فرض حكم بريطاني مباشر على مناطق كردية نائية (العامادية)، التي كان يتعرض فيها موظفون بريطانيون إلى عمليات قتل على يد المحليين.<sup>243</sup> ولهذا أرسلت وزارة الهند برقية إلى ويلسون في شهر آب (1919) أكدت فيها على القلق العام الناشئ في لندن بسبب تدهور الوضع الكردي.

<sup>243</sup> India Office, Political Department, 27 August, 1919, F0371/4192, PRO, p.2.

وفضلاً عن مصاعب مالية حادة وعدم معرفة المصير الذي ستؤول إليه كُردستان، أشارت برقية وزارة الهند الى وجود رغبة واضحة لدى لندن في عدم اللجوء الى إدارة بريطانية مباشرة أو الى الاحتلال العسكري السافر، مفضلة عليهما نظام الإشراف السياسي العام بوصفه الوسيلة الرئيسة لتأمين صالح بريطانيا الإستراتيجية في كُردستان. وذكرت وزارة الهند ويلسون ان المسؤولين في حكومة لندن قد قاموا: لحد الآن بدعم سياسة بسط النفوذ البريطاني على كُردستان الجنوبية لاعتقادهم ان الأهالي سيرحبون بذلك. فعلى أساس هذا التصور، قاموا بالموافقة على اقتراح القاضي بتشكيل دول الحكم الذاتي الكُردية تحت زعامة الأشراف الكُرد مع مستشارين سياسيين بريطانيين... يبدو الآن ان ذلك التصور لم يكن في محله الصحيح، وان الأهالي، بدلاً من الترحيب بالنفوذ البريطاني، عبروا عن عدائهم بشكل فعال الى الحد الذي يتطلب التصدي لهم. ففي ظل هذه الظروف، لا يكون انسحاب موظفينا السياسيين... وترك الكُرد و شأنهم المسار الأفضل؟ ان خيار تعزيز النظام عن طريق استخدام القوة ضد رجال القبائل الجبلية غير الراغبة (في الخضوع لحكم بريطاني) سيفتح الباب أمام إمكانية (نشوء) التزامات عسكرية، تنظر إليها حكومة صاحب الجلة بخشية كبيرة. ان الأمر الأخير الذي لا ترغب في حدوثه هو خلق مشكلة على حدود العراق الشمالية- الشرقية، شبيهة بمشكلة حدود (الهند) الشمالية- الغربية.<sup>244</sup>

وتكشف هذه البرقية كيف كانت الحكومة البريطانية مخطئة في اعتقادها بأن ويلسون كان يقوم بتنظيم إدارة كُردستان الجنوبية وفق خطة دول الحكم الذاتي. ويبعدو ان السبب في التباس الأمر على لندن يكمن في المعلومات التي أرسلها ويلسون بشأن طبيعة الإجراءات الميدانية التي اتخذها من قبله. باختصار، ان المصاعب البريطانية في كُردستان، وكما كان هو الحال في ميزوبوتاميا العربية، قد أমّاطت اللثام عن عيوب جدية في نظام الحكم البريطاني المباشر، فهو مُكلف من الناحية المالية ومخاطرة من الناحية العسكرية وضار من الناحية السياسية. ومع إن سياستها الكُردية قد شابتها مصاعب جمة لم يكن بالإمكان التستر عليها، أرجعت السلطات البريطانية الميدانية سبب الانقلاب في تلك السياسة والتخلي

<sup>244</sup> Ibid.

عن تنفيذ مهمتها الأصلية في إقامة ((كردستان جنوبية مستقلة)) تحت رعاية بريطانية الى طابعها غير العملي وغير المنسجم مع ((وضع البلاد المتأخر وغير المتتطور وغياب الاتصالات والانشقاقات بين القبائل)). فبهذا الشكل، صورت السلطات البريطانية الميدانية عملية التجزئة الإدارية لكردستان الجنوبية ومن ثم دمجها بالإدارة القائمة في ميزوبوتاميا العربية على أنها إجراء ضروري ومبرر مع إنها أقرت بأنها ((خيّبت تطلعات)) العديد من الكرد.<sup>٢٤٥</sup> وفي برقيات لاحقة تبادلتها وزارة الهند مع ويلسون حول شؤون كردستان الجنوبية، واصل الآخرين دفاعه المستميت عن سياسته الكردية، مدعياً ان الحكم الذاتي الكردي كان خياراً غير قابل للديمومة أو البقاء. وادعى ويلسون عدم وجود أية ضرورة تستوجب تشكيل الحكومة الكردية في العام ١٩١٨: ان الفكرة المتجسدة في نقاط الرئيس ويلسون الأربع عشر، التي أكدّها الإعلان الانكلو- فرنسي في ٨ تشرين الثاني، والمتمثلة بإحلال القومية أو الدين أو العرق كمعيار لـ(قيام) الحكومة في الشرق الأوسط بفضل قدرتها ومقدرتها على الحكم قد فجرت العادات الخاملة في القرون الأخيرة. وتبني (هذه الفكرة)، التي جاءت في خضم بُؤس حاد انتجه الحرب، كل عرق وكل طائفة، لِتُفسّرُها بحسب سماتها العرقية الخاصة.<sup>٢٤٦</sup>

على صعيد آخر، أشارت الصحف الوطنية البريطانية في تقارير لها الى انتشار ظاهرة النشاطات المعادية لبريطانيا في كردستان الجنوبية.<sup>٢٤٧</sup> وكما أثيرت مسائل في البرلمان البريطاني بشأن طبيعة السياسة البريطانية تجاه ذلك الإقليم على المدى الطويل.<sup>٢٤٨</sup> ومع ذلك، واصل ويلسون دفاعه عن موقفه، مدعياً ان أغلبية الأهالي من الكرد قد أبدوا ترحيبهم بسياسة الحكم المباشر، التي لم تستند، على حد زعمه، الى ((القوة بل الى الرضا)), وان الشعب الكردي، بحسب ادعائه، قد طالب برفع مستوى إشراف البريطانيين على شؤونه بعد أن ((ذاق طعم الفوضى القومية لفترة وجيزة)) في عهد حكومة الشيخ محمود.<sup>٢٤٩</sup> ولكي يُسكن مخاوف حكومة لندن من زيادة نفقاتها، أدعى ويلسون ان ثروة كردستان الجنوبية المادية لن تفسح المجال لحصول أية زيادة

<sup>245</sup> Précis of Affairs-, op. cit., p.12.

<sup>246</sup> Political, Baghdad, Priority, 29 August 1919, F0371/4192.

<sup>247</sup> Extract from Glasgow Herald, No.153000, 13 November 1919, F0371/4193.

<sup>248</sup> Parliamentary Question, 14 November 1919, F0371/4193.

<sup>249</sup> Ibid.

في الالتزامات المالية، وان مستقبل الإدارة البريطانية أكثر إشراكاً مما كان يبدو عليه، وذلك بسبب وجود حقول بترولية وأراضٍ خصبة لزراعة القمح. وصورَ ويلسون قراره في إلغاء الحكومة الكُردية على أنه السبيل الوحيد لإحباط محاولات «العاصر غير المنظمة» في السيطرة على إقليم كُردستان الجنوبية، وأنه من دون ذلك الإجراء يتحتم على البريطانيين تقديم التزامات عسكرية إضافية لحماية أربيل وكركوك وكفري.

لقد أخضع ويلسون اقتراح لندن الخاص بتشكيل كُردستان جنوبية تتمتع بحكم ذاتي إلى حسابات إستراتيجية، وهي إنه ينبغي تحديد أشكال السيطرة البريطانية وإتساعها (أي أن تكون مباشرة أو غير مباشرة، أو تشمل رقعة جغرافية كبيرة أو محدودة). وطبقاً لتلك الحسابات الإستراتيجية، كان على السليمانية، التي مثلت بؤرة النشاط السياسي القومي، ان تخضع لإشراف بريطاني بصورة اشمل وأوسع مقارنة بمناطق كُردية أخرى/ وذلك بسبب أهميتها الجيوسياسية والعسكرية. علاوة على ذلك، ادعى ويلسون ان قيام كُردستان جنوبية تتمتع بحكم ذاتي سيؤدي لا محالة إلى تخلية هذا الإقليم من الوجود البريطاني بصورة كاملة، وهو الأمر الذي سيُضعف موقف بريطانيا الاستراتيجي في ولائيتي بغداد والبصرة، فضلاً عن خلق حالة من عدم الاستقرار السياسي الخطير.<sup>٢٥٠</sup> وستكون عاقبة كل تلك التداعيات، بحسب ادعاء ويلسون، إرغام بريطانيا على تقديم التزامات عسكرية ومالية أكثر بكثير مما كانت ستتحمله في حالة خضوع كُردستان الجنوبية لنظام السيطرة المباشرة. وبالرغم من فشلها كنظام إداري وسياسي، استمرت السيطرة المباشرة في المناطق الكُردية، وذلك بسبب التأثير الحاسم الذي كان يمارسه الموظفون البريطانيون الميدانيون على مسرح الأحداث واتجاهاتها. وبهذا الصدد، تكشف مقدمة إحدى ملفات وزارة الخارجية عن قدرة سون، بوصفه الموظف السياسي، على سد الطريق أمام اتخاذ أسلوب جديد في إدارة الشؤون الكُردية، وذلك حين أحبط محاولة لتعيين حاكم كُردي.<sup>٢٥١</sup>

وكانت الحكومة البريطانية قد رفضت مقترحاً رفعه ويلسون لبناء خط للسكك الحديد، يمتد من قوزلريباط إلى كفري وكركوك، وذلك بسبب مخاوفها من ان يستغلها في تحقيق أهداف سياسية وعسكرية، أولها تعزيز أركان نظام السيطرة المباشرة،

<sup>250</sup> Civil Commissioner, Baghdad 13 February 1920, F0371/5070, PRO.

251 Foreign Office Minute No.15161, 3 December 1920, F0371/5069, PRO.

وثنائيهما قمع الانتفاضات الکردية. وبالرغم من الموافقة المبدئية التي أبداها وزير الدولة لشئون الهند، إدوين مونتيفيو، على خطة ويلسون المتعلقة بدمج كُردستان الجنوبية بميزوبوتاميا البريطانية لداعٍ إستراتيجية<sup>٢٥٢</sup>، فإنَّ أغلبية المسؤولين البريطانيين المدنيين والعسكريين ممن حضروا اللقاء الذي عُقد في وزارة الهند قد أوصوا بإقامة دويلات كُردية: واحدة في السليمانية والثانية في جزيرة ابن عمر.<sup>٢٥٣</sup> مع هذا، لا شيء من هذا القبيل قد تُرجم إلى واقع ملموس بالتماشي مع توصيات ذلك اللقاء، هذا لأنَّ الدوائر الرسمية البريطانية المختلفة كانت وما زالت غير متتفقة بشأن مستقبل كُردستان الجنوبية على المدى الطويل، أي إلى ما وراء فرض الانتداب البريطاني على ميزوبوتاميا.

#### **عواقب فرض الحكم البريطاني المباشر على كُردستان الجنوبية بالنسبة إلى المسألة الکردية**

ان الجانب الأبرز والأهم في تجربة الحكم الذاتي الکردي هو القرار اللاحق الذي اتخذته السلطات البريطانية الميدانية في إنهايتها قبل أن تنضج وأن تُكمل دورتها. واتخاذ هذا القرار لا يرجع إلى فشل تلك التجربة، إذ أنَّ الحكومة الکردية نجحت في أداء مهام رئيسة أُقيمت على عاتقها، في مقدمتها ملء الفراغ السياسي والإداري الناشئ عن إنهاء الحكم التركي وعودة الاستقرار وتطبيع الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية من دون أن تُنتقل كاهل البريطانيين مالياً أو عسكرياً. كما ان تجربة الحكم الذاتي ولدت انتساباً إيجابياً عاماً بين الأهالي عن البريطانيين، وساعدت هذا العامل على بسط نفوذهم في إقليم كان يزداد أهمية مع مرور الوقت من الناحية الجيوسياسية وبالموازاة مع تصاعد التهديدات التركية. ومكّن هذا الإقليم البريطانيين من الاتصال برياً بشمال غرب إيران حيث كَمِنَ الخطر البلشفي. ولأنَّ الإقليم كان محاذياً لمجال النفوذ الفرنسي ومناطق مهمة أخرى إلى الشمال منها، أصبح يامكان البريطانيين التأثير في مسار التطورات السياسية في أقاليم كُردستان الشمالية وارمينيا وأناضوليا.

252 A. Hirtzel, India Office, 25 November 1919, F0371/4193, PRO.

253 Minute of a Meeting Held at the India Office, 6 December 1919, F0371/4193, PRO.

ترأس اللقاء ارشد هيرتزل، الوزير المساعد في وزارة الهند، من أجل مناقشة مقترن ويلسون حول تحديد الحدود بين ميزوبوتاميا وكُردستان الجنوبية في ٢٧ تشرين الثاني.

على ضوء ما سبق ذكره، لا يصح أن يُعزى العامل الذي دفع بويلسون إلى إسقاط الحكومة الكردية إلى فشلها، بوصفها تجربة غير مدروسة في الإدارة المحلية، وإنما يجب التركيز على مخاوف حقيقة أثارتها تلك الحكومة، بسبب عدم قدرة الموظفين البريطانيين على التحكم بالتطورات السياسية، التي تعدّت تأثيراتها حدود الرقعة الجغرافية الأصلية للكيان الكردي. فلكونها ارتبطت بنظام إداري وسياسي جديد أثبت قدرته على التوفيق بين مصالح بريطانيا العليا وتطلعات الكُرد النامية، تولدت لدى ويلسون مخاوف من أن يقود نجاح تجربة الحكم الذاتي الكردي في السليمانية إلى قيام دولة موحدة تشمل كُردستان الجنوبية كلّ أو حتى تطبيق التجربة ذاتها في ميزوبوتاميا العربية (أي ولايتي بغداد والبصرة السابقتين، اللتان كانتا خاضعتين إلى إدارة بريطانية مباشرة وسافرة). ويعني كل ذلك عملياً إنهاء نظام الحكم الاستعماري المباشر، الذي كان ينادي به ويلسون ويدافع عنه لأسباب إستراتيجية واقتصادية سبق الإشارة إليها. وشارك ويلسون في رأيه هذا مجموعة قوية من الموظفين السياسيين والضباط العسكريين الميدانيين. وهذا العامل جعل من الصعب جداً إعادة تطبيق تجربة الحكم الذاتي في كُردستان الجنوبية في ظل وجود سلطات ميدانية تعارضها بشدة. وكما سُيُّبِّن الفصل السادس، عجزت الحكومة الكردية الثانية عن الاستمرار هي الأخرى، لكونها جاءت إلى الوجود في ظروف سياسية غير ملائمة، إذ أنها هي أيضاً واجهت معارضة شديدة من السلطات البريطانية الميدانية منذ لحظة قيامها في خريف العام ١٩٢٢.

إن للحقبة الزمنية ١٩٢٠-١٩١٩ أهمية سياسية استثنائية بسبب العوائق السلبية التي تركها نظام السيطرة المباشرة، والمتمثلة بضياع فرصة ثمينة بالنسبة إلى الكرد لتحقيق بعض تطلعاتهم السياسية في الحكم الذاتي. كما تحول نوح ويلسون الميداني إلى نموذج يمكن الاقتداء به مستقبلاً، لأنّه استند إلى آلية لإخضاع كُردستان الجنوبية، ولكونه أوجد تبريرات إستراتيجية واقتصادية للاحتجاج المقاطعات الكردية بالإدارة القائمة في ميزوبوتاميا العربية. وكل تلك الأمور تُفسّر لماذا وجد من خلف ويلسون في الإداره من السهولة نسبياً إدماج إقليم كُردستان الجنوبية بالدولة العربية، بدلاً من تحويله إلى كيان سياسي منفصل.

ان تقارير ويلسون خلال المدة ١٩١٨-١٩٢٠ ثُبّين لدى دراستها انه ومرؤوسيه قاموا بتشویه معلومات جغرافية وديمغرافية وسياسية عن كُردستان الجنوبية، في

مقدمتها سعة الإقليم جغرافياً وتوزيع السكان فيها وتوجهات الـكُرد السياسية وطبيعة علاقاتهم الاقتصادية بالأقاليم المجاورة. لقد ادعى ويلسون، على سبيل المثال لا الحصر، ان سكان اربيل وكركوك لم يكونوا من الـكُرد، وإنما كانوا من الآتراك<sup>٢٥٤</sup>، وأن تواجد الـكُرد قد اقتصر على المناطق الجبلية، وانهم اعتمدوا اقتصادياً على ميزوبوتاميا العربية. كما زعم ويلسون بأن الـكُرد منقسمون أثنياً إلى مجموعتين: الأولى كُردية من حيث الأثنية ((وتشمل كل الأفراد الذين ينتمون إلى القبائل)) والثانية غير كُردية ((أي كل الأفراد الذين لا ينتمون إلى أية قبيلة)). بالإضافة إلى ذلك، لم يُعد ويلسون أهالي كُردستان من معتنقى ديانة أخرى غير الإسلام، كالإيزدية واليهودية والمسيحية من الأثنية الـكُردية. ومن أجل احتواء المشاعر القومية الـكُردية النامية، لجأ ويلسون ومرؤوسه إلى وسائل تركية قديمة، استندت أساساً إلى سياسة تفريغ الصفوف من خلال تشجيع النزعات القبلية والمحلية، حتى أنه أضفى عليها طابعاً مؤسساتياً ضمن نظام الحكم المباشر.

على صعيد آخر، تقارب آراء الدوائر السياسية والعسكرية الميدانية في ميزوبوتاميا بشأن إقامة مستوطنات في بعض المناطق الـكُردية الإستراتيجية، كالعمادية، يشغلها اللاجئون الآشوريون القادمون من إيران خلال الحرب العالمية الأولى. وتكمّن غاية البريطانيين الرئيسة من وراء مشروع الاستيطان في إعادة تنظيم الآشوريين من الرجال في وحدات مسلحة جديدة، مهمتها الأساسية هي قمع الانتفاضات الـكُردية. وقد تضمنت إحدى مقررات ويلسون، التي بعثها إلى اللورد كورزون، فكرة استغلال حادثة قتل أحد الموظفين البريطانيين على يد المحليين الـكُرد، وذلك عن طريق تنفيذ مشروع استيطاني لللاجئين الآشوريين يُنفذ في مناطق كُردية وقعت ضمن خط الهدنة.<sup>٢٥٥</sup> وكانت الدوائر العسكرية الميدانية البريطانية تفكر بعض الوقت في مشروع إعادة تسلیح اللاجئين الآشوريين، بوصفه وسيلة لتعزيز سيطرتها في مناطق كُردية صعب على البريطانيين إخضاعها، منها العمادية، التي كانت مسرحاً لانتفاضة كبيرة:

<sup>254</sup> Civil Commissioner, Baghdad, 8 November 1919, F0371/4193, PRO. It should be said many of the Kurdish population of Arbil spoke (and still speak) Turkish alongside Kurdish.

<sup>255</sup> Letter From Young to Kidston, 15 September 1919. F0371/4192, PRO.

لقد كان الأثوريون يحاربون الـكُرد عدّة أجيال ... سيكون من الأفضل كثيراً أن يُسمح لقائد اللاجئين (الأثوريين) في معسكر بعقوبة بان يدعو ملك خوشابا ... وضباط آخرين ... الى تشكيل ثلاثة افواج (drogin) او ثلاثة آلاف رجل تحت إمرة قائد بريطاني لبعض الوقت في العمادية.<sup>٢٥٦</sup>

ومن الإجراءات العسكرية غير المكلفة، التي دعا الى اتخاذها ويلسون وضباط عسكريون آخرون بهدف تعزيز الموضع البريطاني في المناطق الجبلية من إقليم كُردستان الجنوبية، استخدام سلاح الجو الملكي.<sup>٢٥٧</sup> ومنذ تلك المدة، صار استخدام القوة الجوية الملكية وسيلة رئيسية لتوطيد السيطرة البريطانية على المناطق الـكُردية المتمرة. ووسائل السيطرة القسرية هذه، التي طورت واستُخدمت لأول مرة في عهد إدارة ويلسون، أصبحت جزءاً لا يتجزأ من السياسة البريطانية المستقبلية في إخضاع الـكُرد وإبقاء كُردستان الجنوبية ضمن الدولة العربية طوال العهد الملكي.

كان لفرض نظام السيطرة المباشرة وإنهاء تجربة الحكم الذاتي تأثيرات سياسية طويلة المدى على مستقبل المسألة الـكُردية. فالقضاء على التحدى السياسي الذي شكله الشيخ محمود وتفريق صفوف انصاره من القوميين أدى الى عرقلة التطور الكمي والكيفي للحركة القومية الـكُردية الفتية وكبح جماحها في كُردستان الجنوبية. ولا يمكن التقليل من أهمية وجود زعامة قوية، كزعامة الشيخ محمود، بالنسبة الى الـكُرد الجنوبيين، حتى أن السلطات البريطانية في بغداد قد أقرت بذلك صراحةً:

على الرغم من عيوبه، شكّلَ (محمود) في ذلك الوقت قيمة سياسية كبيرة. ففي كُردستان الجنوبية، يوجد مقابل كل شخص عارض تعينه (حاكماً) أربعة اشخاص رحبوا بذلك، وهذه نسبة واطئة من الاعتراضات في بلد حيث الروابط العائلية والعداوات الداخلية لها دور كبير ... يبقى العامل الأبرز هو ان الشيخ

<sup>256</sup> Ex. Commander-in-Chief to General Officer Commanding, 5 August 1919, AIR20/513, PRO.

257 Civil Commissioner, Baghdad, February 1920, F0371/5067, PRO.

لربما كان الاول من نوعه في التاريخ الحديث ان يقع قصف جوي ضد مراكز مدنية كوسيلة لاحماد الانتفاضات، كما فعل البريطانيون في كُردستان الجنوبية. للتفاصيل راجع:

David C. Omissi, Air Power and Colonial Control: the Royal Air Force, 1919-1939, (Manchester: 1990).

محمد كان قوة في البلاد، وعلى هذا الأساس كان لتعيينه قيمة متميزة في  
<sup>٢٥٨</sup> معاملتنا مع غالبية القبائل.

ولم يقتصر نفوذ الشيخ محمود على مناطق كُردستان الجنوبية فقط، وإنما امتد إلى مناطق مجاورة في كُردستان الشرقية، التي عبرت زعاماتها المحلية عن رغباتها في الانضمام إلى كيان الحكم الذاتي الْكُردي والاعتراف بقيادتها.

وأصبح غياب قيادة كُردية في الداخل (أي قيادة الشيخ محمود)، بوصفها بديلاً سياسياً جاهزاً عن حكم الموظفين البريطانيين، عاملاً أطال من أمد نظام السيطرة المباشرة، بالرغم من وجود مشاعر عدم الارتياح إزاءه، أبدتها لندن في أكثر من مناسبة. وكان لهذا النظام تداعيات سياسية، من جملتها أنها عَبَّدت الدرب أمام ضم كُردستان الجنوبية إلى الانتداب البريطاني على ميزوبوتاميا. وهذا التطور كان بمثابة تقسيم الأمر الواقع لكُردستان العثمانية. كما يمكن للمرء أن يعزو تَعَرُّف تطور كُردستان الجنوبية سياسياً وإدارياً (بالمقارنة مع ميزوبوتاميا العربية) إلى غياب قيادة سياسية كُردية قادرة على تعبئة الأهالي أنتانياً أو دينياً أو قبلياً. وهذا الأمر جعل من السهل نسبياً على البريطانيين تركيز الجهد في إنجاح مشروع منح ميزوبوتاميا العربية شكلاً من أشكال الإدارة الذاتية ضمن صيغة الانتداب اعتباراً من أواخر العام ١٩٢٠، وأن تجري العملية السياسية على حساب مستقبل إقليم كُردستان الجنوبية.

#### خاتمة الفصل

لقد مَثَّلَ انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الأولى وانهيار الإمبراطورية العثمانية نهاية للنظام الإقليمي الشرقي الأوسطي القديم، وببداية عملية جديدة ثُبِّدَ رسم خارطة تلك المنطقة الحساسة لمرحلة ما بعد الحرب. ومنحت هذه التحولات فرصاً متفاوتة لنخب القوميات الجديدة غير التركية (الْكُرديَّة والعَرَبِيَّة والأرمنيَّة) من أجل تحقيق تطلعاتها السياسيَّة. ونشطت الحركات القوميَّة في كُردستان العثمانية وكُردستان القاجارية تحت تأثير ظروف الحرب وما رافقها من أحداث سياسية وتطورات عسكريَّة غير متوقعة، بدءاً بإعلان ويلسون لنقطه الأربع عشر، بوصفها أساساً يرتكز عليه النظام العالمي الجديد، وانتهاءً بثورة أكتوبر، المُنادِيَة بتحرير

<sup>258</sup> Précis of Affairs-, op. cit., p.13.

جميع شعوب الشرق الخاضعة. ففي كُردستان الجنوبية، تصاعدت آمال الزعامات المحلية والأهالي على حد سواء مع توغل البريطانيين سياسياً وعسكرياً. وعدت الأكثريّة من كُرد الجنوب البريطانيين محررين، لا مستعمرین. وبالفعل، مثلَ شعار ((كُردستان للكرد)) (الذي رفعه البريطانيون بوصفه محوراً للإجراءات الإدارية والسياسيّة التي تبنوها بعد انتهاء الحرب مباشرة) بدايةً لعهد جديد يبشر بالخير، من وجهة النظر الكُردية.

ان التغييرات اللاحقة، التي طرأت على السياسة الميدانية المتمثلة باستبدال نظام السيطرة غير المباشرة بنظام السيطرة المباشرة في حزيران ١٩١٩، ثبّتَن بجلاءً كيف كان تفاؤل الكُرد سابقاً لأوانه حتى درجة الإفراط. ففي غياب سياسة رسمية نهائية محددة المعالم نحو مستقبل كُردستان السياسي على المدى المتوسط أو المدى البعيد، اتخذت إجراءات الموظفين الميدانيين البريطانيين أهمية فاقت ما هو معتاد عليه، حتى إنها أصبحت العامل المؤثر الرئيس سواءً في سير التطورات السياسية اللاحقة، أو في النهج الذي ستتعامل فيه لندن مع المسألة الكُردية في أثناء مؤتمر السلام القادم. ان التبريرات والتصورات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية المتعلقة بأفضل السُّبل الالزمة لتعزيز موقف بريطانيا في ميزوبيوتاميا العربية وكُردستان الجنوبية، التي قدمها الموظفون الميدانيون (في مقدمتهم ويلسون)، قد أثرت بشكل مباشر وكبير في الطريقة التي صاغت فيها لندن قرارها القاضي بضم كُردستان الجنوبية إلى منطقة الانتداب البريطاني في ميزوبيوتاميا. ويعني كل ذلك انه أصبح من الصعب ان تتحول كُردستان الجنوبية إلى كيان إداري وسياسي قائم بذاته أو يمكن فصل مصيرها عن مصير بقية المناطق الكُردية الواقعة إلى الشمال والغرب منها. وكانت هذه بمثابة مؤشرات مُبكرة عن توجهات البريطانيين، التي تقاطعت مع مشروع قيام كُردستان موحدة، الذي طالب به القوميون الكُرد.

لقد كان لقمع القوميين الكُرد الجنوبيين وإلغاء حكومة الشيخ محمود الأولى تداعيات سلبية واسعة تعدّت حدود المناطق الكُردية الخاضعة للسيطرة البريطانية. فالتحول الجذري الحاصل في السياسة الميدانية ((وهي المسؤولة عن حالة الإرباك، الذي شاب الجهد الرامي إلى تنسيق موقف القوميين الكُرد على صعيد كُردستان الكبرى وعن خلق انطباع مشوش عن الوضع الكُردي لدى الدوائر الرسمية المعنية في

لندن»)، قد تسببت في عرقلة عملية النضوج الطبيعي للحركة القومية وفي تحجيم الرقعة الجغرافية لانتشار النزعة القومية. إن غياب قيادة قومية، كالتي مثلها الشيخ محمود، عن ميدان النشاط السياسي بعد حزيران ١٩١٩ كان مسؤولاً بشكل جزئي عن عدم وجود تنسيق يُذكر في الجهود السياسية والدبلوماسية للكُرد الشماليين والكُرد الجنوبيين، خاصة وإنه تزامن مع مقطع تاريخي بالغ الحساسية والأهمية (أي عشية مناقشة مستقبل كُردستان السياسي في مؤتمر باريس للسلام). لقد أنهى الشیخ محمود، قبل نفیه الى الهند، في تهيئة ظروف مؤاتیة لحضور کردي جنوبی في المؤتمر المذکور. فضمن هذا السياق، منح الشیخ محمود الجنرال شریف باشا تفویضاً، على صیغة عریضة ذیلتها إمضاءات عدد من الزعامات المحلية في كُردستان الجنوبية، تُشير الى تمثیله لمصالح الكُرد سواء أكانوا من الجنوب أم من الشمال.<sup>٢٥٩</sup> كما جاء توثيق علاقات الشیخ محمود مع زعامات محلية في كُردستان الشرقية ومحاولة ضمّهم الى کيان الحكم الذاتي ضمن إطار جهوده السياسية الramaticية الى خلق حالة جديدة من التعاون والتنسيق على أوسع نطاق ممكن. وكما أُشير إليه آنفاً، عارض ویلسون مثل هذه النزعة الكُردستانية الواسعة، إذ حاول وبمساعدة مرؤوسيه منع توثيق أية علاقة، مهما كان مضمونها أو شكلها، بين الكُرد الجنوبيين والکرد الشرقيين، بذریعة المحافظة على الوحدة الإقليمية لإیران القاجاریة. وفي مذكراته الشخصية، يعطي رفیق حلمی مثلاً على نجاح السلطات البريطانية في بغداد في إحباط محاولات وفد کردي جنوبی من الذهاب الى باريس لدعم جهود شریف باشا الدبلوماسیة.<sup>٢٦٠</sup>

ويتحمل الشیخ محمود المسؤولية جزئیاً إزاء تدهور العلاقات الكُردية- البريطانية في كُردستان الجنوبية، التي أدت الى نفیه الى الهند. لقد اتسمت مواقف الشیخ بالحدة. ففي الوقت الذي افطرت في تفاؤله وقدرته على إجراء التغيير، لم يتمتع الشیخ بالصبر والاعتدال اللازم لدى التعامل مع الأطراف الأخرى، سواء أكانت بريطانية أم کردية. ويُشير رفیق حلمی الى أن الشیخ محمود كان تعوزه الخبرة السياسية والعملية اللازمة لإدارة علاقاته مع السلطات البريطانية في بغداد.<sup>٢٦١</sup> إن

<sup>259</sup> حلمی، یادشت، ج ١، ص ١٩٦-٦٥.

<sup>260</sup> المصدر السابق، ج ١، ص ٦٥-٦٦.

<sup>261</sup> المصدر السابق، ج ١، ص ٦٧.

الضغوط المستمرة، التي كان يمارسها الشيخ محمود على البريطانيين بهدف التحجيم بتنفيذ الوعود والاتفاقات ومنها توسيع الرقعة الجغرافية لكيان الحكم الذاتي الكردي، قد جاءت قبل أن يجعل البريطانيين يقررون بميزته بوصفه حاكماً يستند إلى شرعية محلية وبنوایاه كزعيم سياسي قادر على مواجهة الأوضاع المتغيرة. واستغل ويلسون الموقف تماماً، ولم يتدد في تقاريره المرسلة إلى لندن في إعطاء صورة سلبية عن شخصية الشيخ محمود وأفعاله، بحيث جعل منه الخطر الجدي الأول الذي يهدد المصالح البريطانية في ميزوبوتاميا.

وأدّت الأوضاع السياسية والعسكرية المحيطة بسقوط الحكومة الكردية إلى تراجع ملحوظ في ثقل الكرد السياسي، حيث وجدوا أنفسهم في موقف أضعف مما كانوا يتصورونه أو كانوا يتمنونه عشية افتتاح جلسات مؤتمر باريس للسلام الخاصة بمستقبل الأقاليم العثمانية غير التركية. وجعلت قضية الشيخ محمود وإشاعات معادية للكرد أطلقها القوميون الأرمن حكومة لندن أقل اندفاعاً واهتمامًا في تعاملها مع المسألة الكردية. وبهذا النحو، أصبح الكرد شعباً مشاكساً ومتمرداً، لا يحب الاستقرار، ويفتقد إلى رعامتها سياسية تقليدية يمكن الوثوق بها. وفي الوقت نفسه، أضررت الأحداث المرتبطة بسقوط الكيان الكردي بالجهود التي كان يبذلها الميجر نوئيل من أجل تأمين مساندة بريطانية رسمية للتطبعات القومية الكردية خلال مؤتمر السلام، وذلك لأن سمعته، كخبير لم يُلم بخبايا المسألة الكردية، قد ارتبطت بشدة بتجربة الحكم الذاتي في كردستان الجنوبية. ولربما، أن من أسوأ نتائج احتفاء الحكومة الكردية الأولى هي عدم قدرة القوميين الكرد، سواء في كردستان أم في المهجن، على الاستشهاد بها بوصفها تجربة ناجحة تثبت قدرة الكرد على حكم أنفسهم أو أنها تجسيد حي لقوة النزعة القومية الكردية. بتعبير أدق، لم يكن بإمكان القوميين الكرد الإشارة إلى نجاح الحكومة الكردية في دعم مطالبهم الداعية إلى إنشاء كردستان مستقلة موحدة تحت إشراف أحدى القوى الكبرى خلال مؤتمر السلام.



### الفصل الثالث

#### مواقف الموظفين البريطانيين الميدانيين تجاه المسألة الكردية بين عامي ١٩١٨ و١٩٢٠: التأثيرات وردود الأفعال

حين بدأ مؤتمر باريس للسلام جلساته لمناقشة وضع تسوية سلمية لمستقبل الإمبراطورية العثمانية في العام ١٩١٩، كان لدى حكومة لندن معلومات قليلة نسبياً عن أوضاع الشعب الكردي وتطلعات نخبه التقليدية والحداثة. وفي تلك الأثناء، حصل فراغ سياسي خطر في أغلب المناطق الكردية الواقعة خارج نطاق السيطرة البريطانية في كُردستان الجنوبية نتيجة لتدحر وانحسار سلطة الحكومتين المركزيتين في اسطنبول وطهران. وهذا الوضع المتسم بالتلقيب والقلق المستمر قد مكن بعض الموظفين البريطانيين العاملين في كُردستان وفي الأقاليم المجاورة، كالميجر نوئيل والكولونيل ويلسون، من أداء دور مؤثر وملحوظ، في صياغة مواقف ستتخذها حكومة لندن نحو مستقبل كُردستان السياسي، من خلال التقارير المرفوعة المتعلقة بالوضع الكردي القائم أو من خلال وضع خطط سياسية وإدارية لتحديد مصير الكرد وفق متطلبات تعزيز المصالح البريطانية على المديين القصير والطويل.

كان نوئيل أول موظف بريطاني قد عهدت إليه مسؤولية الإشراف على الشؤون الكردية بصورة ميدانية بين شهر تشرين الثاني من العام ١٩١٨ وشهر حزيران من العام ١٩١٩. وبعد ذلك تولى ويلسون بنفسه تلك المسؤولية بشكل مباشر حتى شهر كانون الأول من العام ١٩٢٠، شريطة أن يتشاور وأن ينسق مع المفوض السامي البريطاني في اسطنبول في جميع الأمور المتعلقة بالوضع الكردي ومستجداته. ونظراً لأهمية آراء ومقترنات نوئيل وويلسون حول معالجة المسألة الكردية، فقد مررت بين الدوائر الرسمية البريطانية، في مقدمتها وزارة الخارجية، ووزارة الهند ووزارة الحرب. ولم تُثُر تلك الآراء والمقترنات تعليقات وردود فعل صدرت عن كبار موظفي المفوضية السامية البريطانية في اسطنبول والقاهرة فحسب، بل شَكَلت نقطة انطلاق لأية مناقشات تخص المسألة الكردية، جرت خلال جلسات كونفرانس شؤون الشرق الأوسط ما بين الوزارات. فالكونفرانس كان بمثابة هيئة رسمية تدريسية ترأسها لورد

كورزون ترفع التوصيات المتعلقة بمستقبل الإمبراطورية العثمانية بشكل عام والأقاليم غير التركية بشكل خاص. لهذا فان دراسة تصورات ويلسون ونوئيل حول المسألة الكردية ومستقبل كردستان تساعد في إلقاء الضوء على الأسباب التي اجبرت الحكومة البريطانية على إبداء اهتمام أكبر بشؤون الشعب الكردي وعلى كيفية تحديد أهداف السياسة الكردية لتلك الحكومة ضمن إطار التسوية السلمية السياسية والإقليمية للإمبراطورية العثمانية.

### مواقف كولونيال ويلسون تجاه المسألة الكردية بين عامي ١٩١٨ و ١٩٢٠

#### ١- أصول تفكير ويلسون:

عرف عن ويلسون في أوساط الموظفين البريطانيين العاملين في وزارات الخارجية والمهد وال الحرب أنه كان موظفاً ذو نزعة امبريالية حيث عدَ فرض سيطرة بريطانية مباشرة وصريحة على الشؤون المحلية في الأقاليم التي خضعت للسيطرة البريطانية خلال الحرب الوسيلة المُثلَى والوحيدة لتحقيق المصالح البريطانية بأشكالها المختلفة في ميزوبوتاميا العربية وكُردستان. وبالفعل، لم يحاول ويلسون تهيئة الأرضية لقيام كردستان جنوبية ذات حكم ذاتي بصورة تلبِي رغبات لندن، خلال السنوات الثلاث التي عمل فيها كمفوض مدني بالوكالة لميزوبوتاميا. وبدلًا من ذلك البديل الإداري والسياسي، أنشأ ويلسون إدارة بريطانية مباشرة مُحكمة، أزال خلالها كيان الحكم الذاتي الكردي عن الوجود، بل أغلق الطريق بوجه محاولات حثيثة أخرى لإقامة كيانات مشابهة لها من حيث الشكل والمضمون في إقليم كردستان الجنوبية.

وهذه الواقع، التي تؤكد عليها هذه الدراسة، تتناقض مع ما افترضه بعض الباحثين، منهم ليورا لوكيتز، أن ويلسون هو الشخص الذي كان مسؤولاً عن وضع نظام السيطرة غير المباشرة والذي دعا إلى تطبيقها طوال عهده<sup>٢٦٢</sup>، فضلاً عن رفضه قيام أي شكل من أشكال الحكم الذاتي الكردي، سَخَّرَ ويلسون جهوده في منع أو قطع الصلات السياسية للكرد الجنوبيين عن إخوتهم في المناطق المجاورة، بغية فصل مستقبل كردستان الجنوبية بشكل نهائي و دائم عن كردستان الشمالية. فمنذ البدء، أدعى ويلسون أن المسألة الكردية شأن يهُمْ كردستان الشمالية لوحدها. وطالب

<sup>262</sup> Liora Lukitz, Iraq, the Research for National Identity, (London: Frank Cass, 1995), p.21.

ويسون، بقدر ما تعلق الأمر بكرستان الجنوبية، بالحاقها بصورة مباشرة وصريحة بالإدارة البريطانية في ميزوبوتاميا العربية، أملًا في جعله أمراً واقعاً، تواجه فيه بريطانيا بقية القوى المنافسة عند انعقاد جلسات مؤتمر السلام الدولي القادم. وكان ويسون قد بدد وجهة نظره الخاص بدمج الإقليم الكردي الجنوبي بميزوبوتاميا البريطانية بالمنطق الآتي:

لأسباب اقتصادية وإستراتيجية، ولكي تأمن دولة العراق قائد (وجود) شريط جبلي تملأه الأشجار بصورة حسنة وقابل للتطور الكبير، فإنه سيكون من المرغوب فيه إدخال السليمانية ورانيه وكويسننج ضمن حدود إدارة ميزوبوتاميا.<sup>٢٦٣</sup>

كما أكد ويسون، حين أثيرت الشكوك حول جدوى تطبيق نظام السيطرة المباشرة، انه في حين قد يؤدي نظام السيطرة غير المباشرة الى حماية المصالح البريطانية بتكليف مالية وعسكرية أقل، فإن تطبيقه في كردستان الجنوبية سيعرض حتماً موقف بريطانيا الى خطر جدي على طول ميزوبوتاميا وعرضها:

ان التخلي عن مقاطعات الموصل واربيل والسليمانية سيؤثر بصورة غير مناسبة في موقفنا في ولايتى بغداد والبصرة الى درجة سيجعل موقفنا سريعاً غير قابل للاستمرار من دون (إرسال) تعزيزات كبيرة. ان هذه الولايات الثلاث تشكل وحدة لا يمكن فصلها. فولاية الموصل لا تمتلك رابطاً اقتصادياً طبيعياً مع تركيا او سوريا... وان الشكوك والاعتراضات الصادرة عن تخلينا عن مقاطعات السليمانية واربيل والموصل والفوضى التي لا مفر منها نتيجة إزالة السيطرة الخارجية عن هذه (المقاطعات) سيكون لها أخطر تأثير في ارجاء ميزوبوتاميا كافة.<sup>٢٦٤</sup>

بصيغة أخرى، عدّ ويسون مستقبل كردستان الجنوبية لا علاقة له بمستقبل بقية أجزاء كردستان. ووجهة النظر هذه نالت ترحيباً حاراً من لدن السلطات العسكرية في ميزوبوتاميا.<sup>٢٦٥</sup> لقد قضى ويسون وقته في ميزوبوتاميا يدعو لندن الى الموافقة على منح ترتيباته السياسية والإدارية المؤقتة في كردستان الجنوبية صفة ثابتة ودائمة تدرج ضمن السياسة البريطانية الرسمية للمرحلة القادمة.

<sup>263</sup> Political, Baghdad, Secret NO-6666, 13 June 1919, F0371/4192, PRO.

<sup>264</sup> Civil Commissioner, Baghdad, 13 February 1920, F0371/5070, PRO.

<sup>265</sup> Ibid.

بهذا الشكل مثلت محورية (centrality) ميزوبوتاميا النقطة التي انطلق منها ويلسون في تعامله مع المستقبل السياسي للشعب الكردي، ومهما كانت صيغة التسوية السياسية والإقليمية التي سيؤخذ بها، فإنه سيتوجب على البريطانيين تقسيم الولايات الكردية التابعة للإمبراطورية العثمانية، فضلاً عن الإبقاء على كردستان الشرقية، كما كانت، ضمن المملكة القاجارية. واستندت وجهة نظر ويلسون تلك إلى أطروحة أنه بالرغم من أنَّ الْكُرْد يشكلون مجموعة قومية ويتمتعون بحساسيس قومية وهوية منفصلة، فإنهم غير قادرين على حكم أنفسهم، بسبب غياب ((القادة)) و((تبعثرهم بصورة واسعة)) وانقسامهم إلى ((مائة قبيلة محاربة)). ونظراً لمعارضة الْكُرْد الشماليين لاستمرار الحكم التركي في مناطقهم والاحترام الذي يكنونه لبريطانيا ونيلها ثقفهم، بحسب اعتقاد ويلسون، فإن إقامة شكل من أشكال الحكم البريطاني في كردستان الشمالية سيوفر مستقبلاً ((أفضل الفرص لـ(القيام) بلد مستقر ومزدهر)). وطبقاً لخطة ويلسون تلك، سيكون للكرد الشماليين ((دولة الحكم الذاتي)) تقع تحت حماية بريطانيا وإشرافها الوثيق. وهذا الحل سيكون ((قابلً للتطبيق ومنسجم مع العدالة وتطلعات الأهالي)).<sup>٢٦٦</sup>

لقد طلبت خطة ويلسون تلك من بريطانيا الموافقة على فرض انتدابها على كردستان الشمالية أو توسيع انتدابها على ميزوبوتاميا ليشمل ذلك الإقليم أيضاً. وستكون بنية الدولة الكردية، التي اقترحها ويلسون<sup>267</sup> كونفدرالية، تضم كيانات صغيرة متعددة خاضعة أسمياً لحكم قادة تقليديين محليين، وستكون خاضعة بمجملها لإدارة مركبة، قد يترأسها ((حاكم كردي صوري)). وستكون حدود الدولة الكردية المقترحة بالشكل الآتي:

إلى الشمال من جزيرة ابن عمر قليلاً وإلى الشمال من نصبيين وإلى الجنوب من ماردين وإلى الشمال من رأس العين على طول خط العرض ٣٧° وحتى بيرجيك،  
ومن هناك صعوداً إلى شمال (نهر) الفرات، وأخيراً الانحناء باتجاه الشرق مقتنياً  
حدود ولايات خاربوت... وبتليس وان، بهذا النحو، تستثنى إيرزنجان  
وارضروم والحدود الفارسية.<sup>٢٦٧</sup>

<sup>266</sup> Précis of Affairs-, op. cit., p.18.

<sup>267</sup> Ibid, p.19.

لقد استثنى خطة ويلسون، في الواقع، مناطق كُردية شمالية شاسعة من دولة الحكم الذاتي الكُردية المقترحة، فضلاً عن كُردستان الجنوبية، التي ستدمج بميزوبوتاميا الخاضعة للإدارة البريطانية. ودعا ويلسون منذ البدء، كما أشار آرنو ثيلد توينبي الخير في وزارة الخارجية، بفكرة تقسيم كُردستان العثمانية بين ((فرالية كُردية والعراق)),<sup>268</sup> مع خصوص الأول لشكلٍ من أشكال السيطرة البريطانية.<sup>269</sup> لقد كانت الإستراتيجية إحدى الدوافع الرئيسة وراء خطة ويلسون القائمة على تجزئة كُردستان العثمانية بتلك الصورة المشار إليها آنفاً، أي تحويل كُردستان الشمالية إلى حاجز قوي، يعزز من أمن ميزوبوتاميا. ولم تتلقَّ خطة ويلسون المذكورة دعم وزارة الهند والخارجية، بسبب ما تضمنته من التزامات عسكرية ومالية وسياسية إضافية كبيرة. ومع هذا، ظلَّ مقترن تجزئة كُردستان بدليلاً مطروحاً على طاولة المناقشات بين الدولتين المعنية بالقرار السياسي في لندن وفي الشرق الأوسط، خاصة إذا ما طُبق بطريقة ثقوية من أمن موقف بريطانيا في ميزوبوتاميا العربية.

## ٢- إدارة ويلسون للشؤون الكُردية خارج كُردستان الخاضعة للسيطرة البريطانية

ان التمُّن في إجراءات ويلسون العملية في المناطق الكُردية الواقعة خارج السيطرة البريطانية يكشف عن سعيه الدائم لترجمة تصوراته الخاصة إلى واقع ملموس، خصوصاً بعد توليه الإدارة الميدانية للشؤون الكُردية في شهر حزيران من العام ١٩١٩. ان غياب سياسة بريطانية مشخصة المعالم نحو كُردستان، التي يمكن عزوها إلى عدم توصل بريطانيا إلى اتفاق مع فرنسا بشأن التسوية السلمية للإمبراطورية العثمانية، والأكثر أهمية من ذلك، تركيز المساعي الدبلوماسية للدولتين على مشاكل أوربية أكثر أهمية وحساسية، قد مكّن الموظفين البريطانيين الميدانيين من القيام بدورٍ أوسع من حيث التأثير في اتجاه الأحداث وسير التطورات في المناطق الكُردية مما كانوا قادرين عليه في حالة وجود شروط اعتيادية. واستهدف ويلسون من وراء مبادراته المختلفة توسيع النفوذ السياسي البريطاني في الأجزاء الغربية والمركزية

<sup>268</sup> Toynbee, Foreign Office Minute No.207981, 21 December 1918, F0371/3386, PRO.

<sup>269</sup> J.E. Shuckburgh, Note on Kurdistan, India Office, 14 December 1918, F0371/3386, PRO.

من كُردستان، خاصة جزيرة ابن عمر وراوندوز وما يحيطها من مناطق شكلت شريطاً في شمال إقليم كُردستان الجنوبية الخاضع للسيطرة البريطانية.<sup>٢٧٠</sup> وبالتوافق مع هذا التوجه، سعى لجمن، من جانبه، إلى نقل مقاطعة الجزيرة إدارياً وسياسياً من دياريكر إلى مقاطعة الموصل، التي كان يديرها وفق نظام السيطرة المباشرة.

اتسمت مبادرات ويلسون بجملها بغياب أي إجراءٍ تشاوريٍ مُسبق مع المفوضية السامية البريطانية في اسطنبول، متاجهلاً بذلك توصيات لندن حول ضرورة التنسيق والتشاور مع موظفيها. لقد برهنت المناطق الـكُردية الواقعة ضمن الشريط المذكور آنفاً على صعوبة إخضاعها، من الناحيتين السياسية والعسكرية، لإدارة بريطانية مباشرة، في الوقت الذي اتخذت فيه أهمية إستراتيجية وسياسية متزايدة بسبب محاذاتها لـكُردستان الشمالية وكُردستان الشرقية.<sup>٢٧١</sup> ويُذكر أن التهديدات الكمالية والبلشفية كانت تلوح في الأفق بصورة متزايدة مما أستوجب على الموظفين البريطانيين الميدانيين التفكير في اتخاذ اتجاع التدابير من أجل التصدي لها.

لقد مثلت كُردستان الشرقية مصدر قلق دائم للسلطات البريطانية في بغداد بسبب استمرار الانتفاضة الـكُردية الدموية، التي كان يقودها سمكو، زعيم قبائل الشراك الـكُردية. إن الحالة غير الطبيعية التي كانت تمر بها كُردستان الشرقية قد أثارت قلق تلك السلطات خوفاً من أن تزيد من حالة عدم الاستقرار السياسي في السليمانية والمناطق الـكُردية وصولاً إلى العمادية.<sup>٢٧٢</sup> وأبدى ويلسون قلقه بشأن تأثيرات الوضع في كُردستان الشرقية على الوضع في كُردستان الجنوبية وبالعكس، في حالة تورط بريطانيا في شؤون الأولى. وحينما أرسل نوئيل مساعدته الشخصي إلى كُردستان الشرقية في مهمة استطلاع الحقائق، انتقد ويلسون تلك المبادرة بوصفها (مغامرة غير حكيمة)، ومن ثم أمر بإنهائها.<sup>٢٧٣</sup> مع ذلك، وجّه سون نصيحة لويلسون تقضي بضرورة استغلال اتصالاته مع السيد طه، حليف سمكو، بهدف تعزيزأمن الحدود الشمالية للنفوذ البريطاني في كُردستان الجنوبية. ولهذا أصبح الهدف من وراء اتصال البريطانيين بالسيد طه هو توسيع نفوذهم السياسي في أعماق كُردستان

<sup>270</sup> Diary of Maj. Noel on Special Duty, Nisibin, 17 April 1919, F0371/4192, PRO.

<sup>271</sup> Précis of Affairs-, op. cit., p.14.

<sup>272</sup> Cox, Tehran, 26 August 1919, F0371/4192, PRO.

<sup>273</sup> Memorandum from the Office of Civil Commissioner, Baghdad, to CGS, 18 April, AIR20/512, PRO.

العثمانية أكثر من مسألة استقرار الوضع السياسي في كُردستان الشرقية. وبعد حصوله على موافقة برسي كوكس، الوزير البريطاني المؤقت في طهران، بدأ ويلسون يتفاوض مع السيد طه في صيف عام ١٩١٩، بغية التصدي لما أسماه بـ«الدعائية التركية»، حيث طلب منه إدارة كيان كُردي في راوندوز وشمدينان ومناطق أخرى إلى الشمال منها، بالنيابة عن الحكومة البريطانية.<sup>٢٧٤</sup> ويذكر أن السيد طه يتمتع بشعبية ملحوظة في تلك المناطق الكُردية بسبب النفوذ الديني الذي تمتّع به أسرته المعروفة منذ عهد جده الأكبر، الذي سُميَّ باسمه.

ويتبين من مساندة ويلسون لمشروع قيام كيان كُردي في أعماق كُردستان العثمانية أنه كان ينوي استخدامه وسيلة في توسيع الرقعة الجغرافية للسيطرة البريطانية على حساب السلطات العثمانية، حتى إنه قام بحث المفوضية السامية البريطانية في إسطنبول على ممارسة الضغط على السلطات العثمانية من أجل تخليها حاميتها في باشقلا وديزه ونهرى في شهر تموز من العام ١٩١٩.<sup>٢٧٥</sup> ولم يكن إجبار العثمانيين على إخلاء حاميتها سوى خطوة أساسية في خطته القاضية بضرورة اعترافهم بخضوع تلك المناطق الكُردية للسيطرة السياسية البريطانية. ولم يكن لدى كابتن سي تي بيل، الموظف السياسي المساعد في راوندوز، أدنى شك أن ذلك الكيان الكُردي سيتوسع باتجاه الشمال، ليشمل أورمان وجولميرك.<sup>٢٧٦</sup> وكان المفوض السامي البريطاني بالوکالة في إسطنبول قد أبدى قلقه بشأن عدم قيام ويلسون باستشارته حول المبادرة التي اتخذها خارج المناطق الكُردية الخاضعة للسيطرة البريطانية بهذا النحو:

ان عدم قدرتي على فهم الحد الذي وصلت اليه حقاً حكومة صاحب الجلالة قد ازداد باكتشافي ان السلطات (البريطانية) في ميزوبوتاميا كانت في حزيران (١٩١٩)<sup>٢٧٧</sup>  
على وشك التوصل الى اتفاق رسمي مع الشيخ طه، كان من شأنه إنشاء دولة صغيرة على اراضي ما زالت تركية يحكمها رئيس قبلي تحت حماية بريطانية.  
ولم تؤدّ قضية السيد طه الى نتيجة تذكر، إذ أن ويلسون أراد منه ان يكون مجرد حاكم صوري، محاطاً بمستشارين بريطانيين يمارسون السلطة الفعلية.

<sup>٢٧٤</sup> G.L. Bell, Northern Kurdistan, 8 March 1920, AIR20/512, PRO.

<sup>٢٧٥</sup> Political, Baghdad, to Political Rowanduz , 3 July 1919, AIR20/714, PRO.

<sup>٢٧٦</sup> Political, Rowanduz, to Political, Baghdad, 3 July 1919, AIR20/714, PRO.

<sup>٢٧٧</sup> Acting High Commissioner, Constantinople, to Prodrom, London, 8 September 1919, F0371/4192, PRO.

ومن جانب آخر، حاول ويلسون استغلال الموضع الكامن في مصطلح "ميزوبوتاميا"، وذلك من خلال دفع حدود ميزوبوتاميا نحو الشمال في عمق المناطق المركزية من كُردستان العثمانية. ففي رده على تساؤلات أثارها وزير الهند بشأن مسألة تعين حدود ميزوبوتاميا الشمالية، دعا ويلسون بقدر الإمكان إلى تبني الأرضي المرتفعة، التي تفصل بين نظامي دجلة والفرات النهرين (watershed) في كُردستان. وهذا الأمر في حالة تحقيقه سيمنح ميزوبوتاميا ((حدوداً طبيعية))، ((غير قابلة للمنازعة)) من الناحية السياسية، و((سهلة في تعبيتها)) من الناحية العملية.<sup>٢٧٨</sup> وفي هذا الصدد، اتخذ ويلسون مبادرة مستقلة لتحويل الحدود الشمالية المقترحة إلى أمر واقع مفروض، حينما اغتنم فرصة طلب الكولونيل خورشيد بك، قائد إحدى وحدات فرسان الحميدية السابقة وزعيم قبلي في حكاري، إقراراً بريطانياً رسمياً بتقديمه الولاء إلى حكومة لندن بدلاً من حكومة اسطنبول.<sup>٢٧٩</sup> وقام ويلسون بإرسال موافقته بشكل عاجل، حيث اشتملت على الإعلان الآتي:

قَيْلَ خُورشِيدِ بَكَ (بِسُلْطَةِ) الْحُكُومَةِ الْبَرِطُونِيَّةِ بَدْلًا مِنْ الْحُكُومَةِ التُّرْكِيَّةِ  
الْسَّابِقَةِ... إِنَّا مَا رَغَبَ الزُّعَمَاءِ الْمُحْلِيِّينَ وَالْقَبَائِلِ الْكُرْدِيَّةِ الْمُوجَدَةِ فِي جِبالِ  
كُردستانِ، الَّتِي تَحْصُبُ مِيَاهَهَا فِي دَجْلَةَ وَتَفَرَّعَاتِهَا وَفِي الْخَابُورِ وَفِي الرَّازِينِ، فِي تَقْدِيمِ  
الْوَلَاءِ نَفْسِهِ فَإِنَّهُ يَنْبَغِي عَلَيْهِمْ إِشْعَارُ الْمَوْظَفِ السِّيَاسِيِّ الْأَقْرَبِ إِلَيْهِمْ، وَلِيَطَمَّنُوا  
أَنَّ طَلْبَهُمْ سَيُدْرِسُ بِطَرِيقَةِ مَفْضَلَةٍ، وَسَيُبَعْثُثُ إِلَى الْحُكُومَةِ (الْبَرِطُونِيَّةِ). وَبِهَذِهِ  
الْوَسِيلَةِ سَيَتَحَدُ الْكُرْدُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، تَحْتَ حُكُومَةً مُوْحَدَةً وَعَطْوَفَةً.<sup>٢٨٠</sup>

وأستند ويلسون في تبريره منح الحماية البريطانية لجميع الزعماء المحليين والقبائل الكردية إلى تبريرات جيوسياسية وإلى رغبة الأهالي. باختصار، لم تكن قضيتي السيد طه وخورشيد بك سوى تعبير صريح و مباشر عن رغبات ويلسون المبكرة في إخضاع مناطق كردية أخرى إلى السيطرة البريطانية، وكذلك إصراره على ترجمة تصوراته إلى واقع ملموس بشكل مستقل، أي من دون التنسيق أو التشاور مع أطراف بريطانية أخرى معنية بالوضع الكردي، كالمفهومية السامية البريطانية في اسطنبول.

<sup>278</sup> Political, Baghdad, 8 December 1918, F0371/3386, PRO.

<sup>279</sup> Poldist, Keu, to Political, Baghdad, Priority, 1 February 1919 AIR20/512, PRO.

<sup>280</sup> Political, Baghdad, to Civil Commissioner on tour at Mosul, Priority, 1 February 1919, AIR20/512, PRO.

### ٣- مخطط ويلسون بشأن مستقبل كُردستان

#### في إطار التسوية السلمية التركية

شكل قرار حكومة لندن القاضي بتقليص التزاماتها العسكرية ونفقاتها المالية إلى أقل مستوىً ممكن وكذلك رغبتها في تجنب خطوات مضادة قد تتخذها باريس على شكل إنشاء حزام للنفوذ خاص بها في كُردستان حاجزاً منيعاً بوجه ويلسون ورغباته في تنفيذ مبادراتها المتعلقة بتوسيع النفوذ البريطاني في كُردستان العثمانية. ونتيجة لوجود تلك القيود العسكرية والمالية والسياسية، التي دللت على الصيغة المتأخرة في تعامله مع مستجدات الوضع الكُردي، تخلى ويلسون عن مشروع إقامة كيانات كُردية صغيرة تحت إشراف بريطاني، داعياً، كبديل عنه، إلى تبني خطة أخرى استندت أساساً إلى تقسيم كُردستان العثمانية على جزأين: سيلحق الجزء الجنوبي منها بميزوبوتاميا، في حين يبقى الجزء الشمالي، كما كانت، تحت الحكم التركي. وكان ويلسون يأمل من وراء عودة الحكم التركي إلى المناطق الكُردية الشمالية إلى أن يتحقق هدفه المحوري وهو تجزئة كُردستان العثمانية بشكل دائم. وبخلاف ذلك، وحسب تصور ويلسون، فإن إقامة دولة مستقلة في كُردستان من دون خضوعها لإشراف بريطاني وثيق سيشجع الكُرد الجنوبيين سواء على الانضمام إلى تلك الدولة أم على إقامة كيان خاص بهم. وفي كلتا الحالتين، رأى ويلسون أن موقف بريطانيا الاستراتيجي والسياسي سيتعرض إلى ضغط شديد، لا في ميزوبوتاميا العربية فحسب، بل أيضاً في شمال إيران، حيث كانت الحكومة القاجارية المدعومة من قبل بريطانيا تواجه تهديدات القوميين المحليين والبلشفيين على حد سواء. وسيؤدي كل ذلك، طبقاً لاستنتاجات ويلسون، إلى زيادة كبيرة في مستوى التزامات بريطانيا العسكرية والمالية.

تلك كانت خلفية التوصية التي أطلقها ويلسون في نيسان عام ١٩١٩ والقاضية بتقديم اعتراف بريطاني باستمرارية الحكم التركي في ستّ ولايات كُردية وأرمنية.<sup>٢٨١</sup> وفي شهر حزيران، أوضح ويلسون أنه إذا لم تتشكل دولة كُردية شمالية تحت رعاية بريطانية، فإنه يرغب في أن يفرض الأرمن أو الأتراك سيطرتهم على الولايات الكُردية الأربع، دياربكر وبتلiss ووان وخاربوت.<sup>٢٨٢</sup> وفي شهر تشرين الثاني، وفي معرض رده

<sup>281</sup> Civil Commissioner, Baghdad, 22 October 1919, F0371/4193, PRO.

<sup>282</sup> Political', Baghdad, 13 June 1919, F0371/4192, PRO.

على توصيات كورزون الخمس المتعلقة بالموقف البريطاني من مستقبل المسألة الكردية، اعرض ويلسون على التوصية الخامسة الداعية الى منع الأتراك من الرجوع الى كردستان الشمالية، موضحاً ان البريطانيين غير قادرين على إخراج الأتراك، وان معارضة نوئيل لتجزئة كردستان العثمانية تتقطع مع المصالح البريطانية في ميزوبوتاميا وإيران. وذهب ويلسون الى ابعد من ذلك حينما شك باعتقاد نوئيل <sup>٢٨٣</sup> الراسخ في ان الكُرد سيقون موالين الى بريطانيا في المستقبل.

واشتدت لهجة الانتقادات التي وجهها ويلسون الى أطروحتات نوئيل وتوصياته المتعلقة بالشؤون الكردية حتى وصل الأمر به الى معارضته مقترن وزارة الخارجية القاضي بترشيح الأخير عضواً في إحدى اللجانتين الدوليتين المنبثقتين عن مؤتمر باريس للسلام، التي تعامل بشكل خاص مع المسائل القومية، ومنها المسألة الكردية. يقول ويلسون:

أنا أعد نوئيل ملتزماً بعمق كبير باشخاص من الكُرد وبنهج سياسي معين عموماً أكثر من أن يكون الممثل المُرضي تماماً للمصالح البريطانية في اللجنة المقترحة... وارى ان ممثل بريطانيا في اللجنة الدولية ينبغي، إذا أمكن، ان يكون ذا خبرة أوسع ومتزاجاً أكثر حكمة. ان ليتوننت - كولونيل كونليف اوين، مدير التسفيير في ميزوبوتاميا حالياً الملحق العسكري في اسطنبول سابقاً، الذي حصل مؤخراً على معرفة وثيقة بالمسائل المتعلقة بالجماعات الآشورية والكلدانية والأرمنية، هو الشخص الذي اتجراً على اقتراحه بوصفه الممثل البريطاني المناسب، وانه سيتمتع بثقة كاملة.<sup>٢٨٤</sup>

والواضح من تعبيرات ويلسون تلك انه كان يخشى من التأثير الذي سيتركه نوئيل على الموقف البريطاني تجاه المسألة الكردية خلال مؤتمر السلام الخاص بالتسوية السلمية لممتلكات الإمبراطورية العثمانية. وبالرغم من معارضته ويلسون لتعيينه وكذلك طلب حاكم الهند (viceroy) يرسله الى شيراز في إيران، لم يكن كورزون<sup>٢٨٥</sup> ولا مرؤوسوه في وزارة الخارجية، في مقدمتهم هيوبرت يانغ وروبرت فانسيتارت<sup>٢٨٦</sup> على استعداد في

<sup>283</sup> Political, Baghdad, 27 November 1919, F0371/4193, PRO.

<sup>284</sup> Civil Commissioner, Baghdad, 19 May 1920, F0371/5068, PRO.

<sup>285</sup> Curzon, Foreign Office, 27 May 1920, F0371/5068, PRO.

<sup>286</sup> Young, Foreign Office Minute No.4123, 26 May 1920, F0371/5068, PRO.

الاستغناء عن خدمات نوئيل، إذ كان يُعتبر الموظف البريطاني الوحيد الذي يملك معرفة عميقة بالشؤون الكردية وأوضاع الولايات الشرقية السُّت. ففي معرض تأكيده على أهمية نوئيل، اعترف يانغ انه قد ((أسئ تقييمه الى حد كبير)), فلو ظلَّ في كُردستان الجنوبية في العام ١٩١٩ لكان بالإمكان تجنب وقوع انتفاضة الشيخ محمود.

وبالرغم من عدم نجاحه في منع ترشيح نوئيل وفشلِه المتكرر في تحقيق خططه وغاياته الأخرى، ظلَّ ويلسون يُشكل عاملًا مهمًا، وذلك لكونه المسؤول المباشر عن تسيير الشؤون الكردية ميدانيًّا في حقبة كانت بالغة الحساسية، ارتبط بها مستقبل كُردستان السياسي. وترك ويلسون وراءه إرثًا سياسياً وإدارياً مُتجذراً أثَرَت بشكل مباشر وغير مباشر بمستقبل المسألة الكردية على المديين المتوسط والطويل. وأثرَ وجهة نظره الخاصة بأهمية كُردستان الجنوبية الإستراتيجية بالنسبة إلى أمن ميزوبوتاميا بشكل خاص في قرار حكومة لندن المتعلق بتقسيم كُردستان العثمانية بوصفه صيغة تُلبي متطلبات حماية المصالح البريطانية الإستراتيجية والاقتصادية. وأخيرًا وليس آخرًا، فإن الإجراءات الميدانية التي قام بها ويلسون قد محت من الوجود آثار الحكم الذاتي من كُردستان الجنوبية، ومن ثمَّ عبدت الدرب في الوقت نفسه أمام ضم ذلك الإقليم إلى مشروع الانتداب البريطاني على ميزوبوتاميا. وهذا التطور الأخير هو الذي فصل عمليًّا مصير الكُرد الجنوبيين عن مصير إخوانهم الكُرد الشماليين والكُرد الشرقيين.

## تعامل الميجر نوئيل مع المسألة الكردية، ١٩٢٠-١٩١٨

### ١- أصول تفكير نوئيل

بالرغم من كون كُردستان بلداً نائياً بشكل ملحوظ، فقد استطاعت، بحسب قول بوش، ((أن تجذب إليها أولئك الموظفين الامبرialisين الذين استطاعوا دوماً الظهور على حدود مضطربة لأداء دور مستقل ومهم)).<sup>287</sup> كان نوئيل أحد أولئك الموظفين البريطانيين المتميزيين. ولكن تصوراته عن المسألة الكردية تميَّزت باختلافها الشديد مع تلك التي كانت لويلسون، الذي ظلَّ إمبرياليًا تقليديًا خالصًا في توجهاته وممارساته. فعلى النقيض من ويلسون، أعتقد نوئيل عن يقين واضح ان الوسيلة

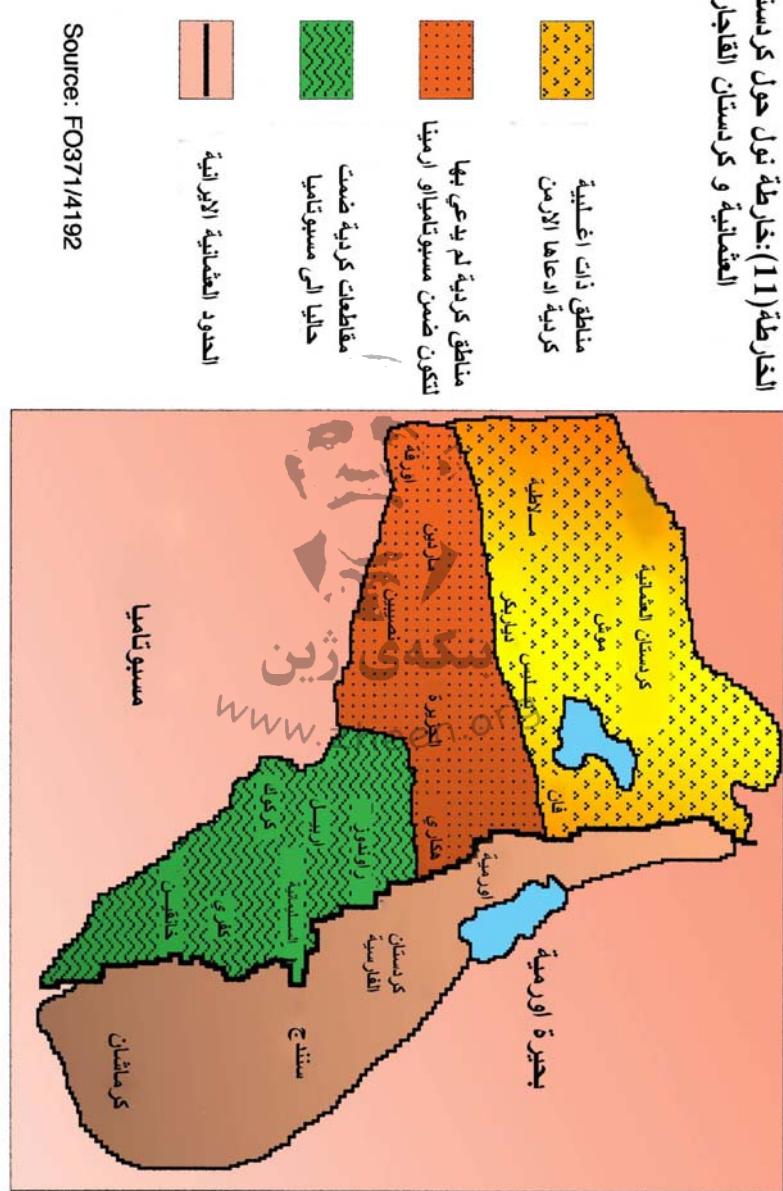
<sup>287</sup> Busch, Mudros to Lausanne, p.183.

الأفضل لحماية المصالح البريطانية تتمثل في العمل سويةً مع الحركة القومية الكردية الناهضة أينما وجدت في أجزاء كُردستان. وبحسب تصوراته، تمثل كُردستان أهمية بحد ذاتها بالنسبة إلى بريطانيا، مناقضاً بذلك الرأي السائد بأنها ذات قيمة ثانوية ارتبطت بحسابات أمنية تتعلق بحدود ميزوبوتاميا الشمالية. وعوضاً عن ارتغال خطط ومشاريع متفرقة تقرر مستقبل أجزاء كُردستان المختلفة، دعا نوئيل إلى تبني سياسة بريطانية شاملة. بتعبير آخر، دعا نوئيل إلى عدم تجزئة المسألة الكردية لدى معالجتها وتجنب تحديد مصير كل جزء بمعزل عن أجزاء كُردستان الأخرى (انظر الخارطة رقم ۱۱). وحالما تسلم مهمة إدارة الشؤون الكردية ضمن الفريق البريطاني الذي أدار شؤون ميزوبوتاميا في شهر تشرين الثاني من العام ۱۹۱۸، طرح نوئيل أول مشروع شامل لإقامة كُردستان منفصلة تتمتع بحكم ذاتي. وطبقاً إلى الخطوط العامة لهذا المشروع، ستكون هناك كونفدرالية كُردية، تتتألف من ثلاثة كيانات كُردية خاضعة لإشراف بريطانيا وحمايتها، وتكون السليمانية مركزاً إدارياً لـكُردستان الجنوبية، في حين تكون الموصل ودياربكر مركزين إداريين لـكُردستان الغربية والمركزيّة بحسب الترتيب. وكان من المؤمل أن يؤدي قادة محليون من أصحاب النفوذ التقليدي (ديني أو قبلي)، من شاكلة الشيخ محمود والسيد طه، دوراً سياسياً شائعاً في كونفدرالية الكيانات الكردية.<sup>۲۸۸</sup>

ظلّ نوئيل يؤكد أنه لا ينبغي على بريطانيا ان تتخذ موقفاً غير مبالٍ تجاه مصير كُردستان لما لهذه المسألة من تأثيرات مباشرة على مصالح بريطانيا الإستراتيجية في الولايات العثمانية، فضلاً عن إيران القاجارية. فعودة الحكم التركي أو تشكيل دولة أرمنية كبرى على حساب الكرد، بحسب اعتقاد نوئيل، سيؤدي بشكل مؤكد إلى انتشار حالة عدم الاستقرار في المناطق الكردية، وهذا الأمر سيعرقل عملية وضع الترتيبات الإقليمية والسياسية الجديدة في آسيا العثمانية لمرحلة ما بعد الحرب. كان نوئيل يعتقد أن لبريطانيا فرصة لا تتوارد لتوسيع نفوذها السياسي وتعزيز مصالحها الإستراتيجية من خلال تشجيع الحركات القومية الكردية على تحقيق تطلعاتها السياسية الشرعية. وقال نوئيل ضمن هذا السياق بما يخص الجزء الجنوبي من كُردستان العثمانية إن:

<sup>288</sup> Mesopotamia: Future Constitution, Enclosure No.8, Political Officer, Sulaimaniya, Note on the Political Status of Kurdistan, November 1918, F0371/4147, PRO.

**الخارطة (11): خارطة نول كردستان العثمانية و كردستان القاجارية**



Source: FO371/4192

الحركة القومية (الكردية) قوية جداً إلى درجة انتي لا اتوقع صعوبة تذكر في إقامة دولة كردية تحت حمايتنا وسيطرة الموظفين السياسيين (البريطانيين) على السياسة العامة، شريطة ان تتحرك الان بسرعة وبومة. ان الحركة (الكردية) قوية جداً هنا في السليمانية بالتأكيد حتى انتي انصح بقوة بإرسال موظفين مؤهلين <sup>٢٨٩</sup> ليأخذوا على عاتقهم بشكل مباشر مسؤولية الخدمات الإدارية الرئيسية.

وَجَدَ نوئيل في قيام كُردستان كونفدرالية تحت إشراف بريطاني حلًا مثالياً لملء الفراغ الناجم عن انحلال الإمبراطورية العثمانية. وفضلاً عن ان الدولة الكردية الكونفدرالية ستساعد على تأمين الاستقرار السياسي في كُردستان المضطربة، فانها ستُثْبِتُ نفوذ القوى المنافسة لبريطانيا، وستُسْهِلُ من تنفيذ مشروع ارمينيا موحدة. أرتكز أسلوب تعامل نوئيل مع الوضع الكردي على دور مبادر وفعال لبريطانيا، يأخذ في الحسبان عدم قدرتها على زيادة التزاماتها العسكرية أو نفقاتها المالية.

كما كان لمواقف نوئيل تجاه المسألة الكردية بعد أخلاقي ملموس. ففي الوقت الذي رأى نوئيل ضرورة أن ترعى بريطانيا مصالحها الإستراتيجية في الولايات العثمانية السابقة، فإنه دعا إلى اتخاذ وسائل تمكن حكومته من تحمل واجباتها الأخلاقية تجاه القوميات الجديدة، في مقدمتها الكرد:

ينبغي ان يكون ممكناً العثور على معادلة تؤمن مصالح ميزوبيوتانيا الاقتصادية والإستراتيجية في هذه المناطق (الكردية)، ولكن من دون ان تغلق <sup>٢٩٠</sup> الباب بصورة نهائية بوجه التطلعات الكردية الشرعية.

فضلاً عن وجود الجانب المُثلّى، لربما كان نوئيل يطمح إلى أن يؤدي دوراً يشبه ذلك الذي قام به تي أي لورنس (لورنس العرب) في الجزيرة العربية خلال الحرب العالمية الأولى. مع كل ذلك، يمكن القول ان تعامل نوئيل مع المسألة الكردية قد استند بشكل أساس إلى حسابات موضوعية: أولاً، في أعقاب الحرب وجدت بريطانيا نفسها بسبب طول مدة تلك الحرب في وضع سياسي ومالي جعلها غير قادرة على تحمل المزيد من الالتزامات العسكرية في المناطق الجديدة التي خضعت لسيطرتها، خاصة في الشرق الأوسط. لقد تكبدت بريطانيا بسبب الحرب خسائر بشرية ومادية هائلة.

<sup>289</sup> Political, Baghdad, to SIS for India, 17 November 1918, AIR20/512, PRO.

<sup>290</sup> E.W.C. Noel, Note on the Kurdish Situation, July 1919, F0371/4192, PRO, p.19.

كما أدت الحرب الى نشوء معارضة شعبية ترفض أية رغبة في الاستحواذ على المزيد من المستعمرات الجديدة أو القيام بمحاولات استعمارية أخرى. ثانياً، عبر أسلوب تعامل نوئيل مع المسألة الكردية عن حدوث تغيرات عميقة على الساحتين الإقليمية والدولية بسبب وقوع ثورة أكتوبر وإعلان الرئيس الأمريكي ويلسون لنقاطه الأربع عشر، اللتين أثرتا بصورة مباشرة في التطلعات السياسية للشعوب غير التركية. وأخيراً، استند نوئيل في صياغة تصوراته عن الوضع الكردي الى خبرته الشخصية المتراكمة، إذ سبق وان عمل ممثلاً لبريطانيا لدى حكومة إقليم شمال الغرب، التي كانت تؤدي وظيفة الدولة الحاجزة بالنسبة الى الهند البريطانية. فبحسب اعتقاد نوئيل ان بإمكان كُردستان ان تؤدي دوراً استراتيجياً بالنسبة الى ميزوبوتاميا البريطانية شبيه بالدور الذي كان يؤديه إقليم شمال الغرب في الهند. كما استند نوئيل في تحليلاته الى خبرته في إيران وقوقازيا، اللتين شهدتا ظهوراً سريعاً للنزعنة القومية بوصفها عامل سياسياً جديداً ومهماً. وينبغي التذكير أيضاً ان تصورات نوئيل قد تأثرت بنجاح التجربة البريطانية في التحالف مع الحركة الشريفية العربية ضد الحكم التركي خلال الحرب العالمية الأولى.

لم يكتفِ نوئيل، وعلى غرار ويلسون، بالدعوة الى تبني اطروحاته الخاصة بالمسألة الكردية فحسب، بل أيضاً حاول جاهداً ان يترجم بعضها الى واقع ملموس حينما تولى مسؤولية إدارة الشؤون الكردية ميدانياً بين تشرين الثاني عام ١٩١٨ وحزيران عام ١٩١٩. بالرغم من التحفظات التي أبداها ويلسون، الذي كان يفضل ان تكون كُردستان ((محمية بريطانية))<sup>٢٩١</sup> ساند نوئيل تماماً، حالماً عُين مستشاراً للشيخ محمود، نظام السيطرة غير المباشرة، وسهل من تطبيقها على وفق صيغة كيان حكم ذاتي كُردي خاضع لإشراف بريطاني. وهذه الصيغة كانت ترضي التطلعات الكردية في الوقت الذي كانت تُعزز فيه من النفوذ البريطاني في أعماق المناطق الكردية. فعلى ضوء ذلك، قام نوئيل بتوسيع الرقعة الجغرافية الخاضعة لسيطرة حكومة الشيخ محمود لتشمل مناطق كُردية أخرى، حيث بدأ بالمناطق النائية كراوندوز ومحيطها.<sup>٢٩٢</sup> ويرّ نوئيل خطواته تلك بان الكُرد سيحققون

<sup>٢٩١</sup> Political, Baghdad, to Political, Sulaimaniya, 26 November 1918, AIR20/512, PRO.

<sup>٢٩٢</sup> Political, Baghdad, to SIS for India, 17 November 1918, AIR20/512, PRO.

استقلالهم في أي حال، وهو مما سيجعل القوى الأوروبية تواجه «أمراً واقعاً... من الصعب جداً قلبه»<sup>٢٩٣</sup> ولربما بالغ نوئيل بحدّ المشاعر القومية الكردية لكي يقنع لندن بضرورة أن تُظهر التزامها بالمسألة الكردية بالسرعة الممكنة. إن قيام لندن بمبادرة عاجلة، بحسب رأي نوئيل، سيمعن القوى الأخرى من استغلال التطلعات الكردية الجامحة لأغراضها الخاصة، ويمكّنها من إقامة كُردستان منفصلة حسب مقتضيات مصلحتها الخاصة.

وبينما كان نوئيل يحاول الحصول على دعم الدوائر البريطانية المختلفة سواء في لندن أم في الشرق الأوسط لأطروحته، حفَّز في الوقت نفسه المشاعر القومية الكردية وشجَّع الناطقين باسمها علىأخذ المبادرات السياسية، بدلاً من الانتظار. كان نوئيل يهدف من وراء ذلك لفت أنظار المسؤولين البريطانيين إلى المسألة الكردية. وعلى سبيل المثال، حتَّى نوئيل الكُرد الجنوبيين تحت قيادة الشيخ محمود على التوقيع على إعلان خاص قام هو بصياغة فقراته. ومن خلال هذا الإعلان طلب الموقعون من الحكومة البريطانية ان تؤدي دور ((ال وسيط)) بالنيابة عن الكُرد، لكي يحصلوا على مقعد لممثل عنهم يشارك في جلسات مؤتمر السلام القادم.<sup>٢٩٤</sup> وعدَ نوئيل شريف باشا المرشح المناسب لكي يمثل الشعب الكردي في المحفل الدولي المذكور، وأكد لرؤسائه أن ((الكلام عنه حسن للغاية في كُردستان الجنوبية)).<sup>٢٩٥</sup> ووافق الشيخ محمود بالفعل على شريف باشا بوصفه ممثلاً لجميع الكُرد في مؤتمر السلام القادم، ولهذا الغرض نظمَ، بحضور نوئيل، عريضة وقع عليها أشراف الكرد ووجهاءهم منحت شريف باشا صلاحية التعامل مع الحلفاء نيابة عن الكُرد الجنوبيين.<sup>٢٩٦</sup>

وهذا التنسيق السياسي المحدود النطاق على مستوى كُردستان العثمانية، الذي ساعد نوئيل على تحقيقه، لم يستمر طويلاً إذ توقف على حين غرة بسبب قلب ويلسون للسياسة الميدانية رأساً على عقب، بحيث أنهت تجربة الحكم الذاتي الكردي. أما حكومة لندن فلم تكن تشق هي الأخرى بالقوميين الكرد، خاصة المثقفين منهم من عاشوا لسنوات طويلة في المنفى، وفضلت عليهم قادة تقليديين محلين لدى التعامل

<sup>293</sup> Political, Baghdad, to SIS for India, 28 November 1918, AIR20/512, PRO.

<sup>294</sup> Political, Baghdad, 7 December 1918, F0371/3386, PRO.

<sup>295</sup> Political, Baghdad, 12 November 4 1918, AIR20/512, PRO.

<sup>296</sup> رفيق حلمي، ياداشت، ج ١، ص ٦٥-٦٦.

مع الوضع الُّكْردي. ولربما يعود السبب في ذلك إلى محدودية التطلعات السياسية لأولئك القادة التقليديين وإمكانية مراقبة تحركاتهم ميدانياً. فضلاً عن ذلك، خشيت لندن، وبحسب تعبير توينبي، من فكرة منح الُّكُرُد مقعداً في مؤتمر السلام القادم لأنَّه سيشكل ((سابقة حادة للأرمن والصهاينة وبقية القوميات)).<sup>٢٩٧</sup>

ولأنَّ نوئيل اعتبر مستقبل كُردستان مسألة لا يمكن تجاهلها، أظهر اهتماماً خاصاً بتدحرج الوضع في كُردستان الشرقية بوصفها أحد أعراض معضلة كُردية عامة. وأظهر نوئيل رغبته، كما توقع منه ويلسون، في أن يطلق حركة أخرى في كُردستان الشرقية، شبيهة بتلك التي كانت تجري في كُردستان الجنوبية المجاورة لها. وكان المقصود بـ((الحل الجندي)) للمسألة الُّكْردية، التي أكد عليها نوئيل، هو توضيح المستجدات أمام حكومة لندن في أن حماية وحدة إيران الإقليمية قد أصبح قديماً، ولم تعد تتناسب مع المتغيرات الداخلية والإقليمية الجديدة. فالتطورات السياسية التي جرت في كُردستان الشرقية في نهاية الحرب العالمية الأولى ثبّين مدى تأثير زعامات الُّكُرُد ووجهائهم بالدعایات السياسية التي أطلقها الحلفاء في زمن الحرب بشأن تحرير القوميات المضطهدة من ظُلم حُكومات كانت غريبة عنهم. وكان الموكريون الُّكُرُد في منطقة صابلاخ قد طرحوا أمام القنصل البريطاني في مدينة كرماشان فكرة ((كُردستان مستقلة تحت رعاية بريطانية)).<sup>٢٩٨</sup> وفي شهر أيار من العام ١٩١٨، قام السيد طه، الذي كان قد بدأ تعبيته السياسية للُّكُرُد الموحدين على جانبي الحدود العثمانية-القاجارية، بزيارة ويلسون في بغداد، طالباً منه مساندة بريطانية لفكرة قيام كُردستان موحدة، تشمل جزأها الشرقي.<sup>٢٩٩</sup>

ساعد تشكيل حُكومة الشیخ محمود في كُردستان الجنوبية بعد نهاية الحرب مباشرة على خلق انطباع قوي بين الُّكُرُد الشرقيين بأنَّ البريطانيين يقومون برعاية التطلعات القومية الُّكْردية. ويُذكر أنَّ عدداً من الُّكُرُد الجنوبيين قد توجهوا إلى كُردستان الشرقية من أجل الترويج لفكرة كُردستان مستقلة وموحدة.<sup>٣٠٠</sup> كما وصلت وفود كُردية من مناطق مریوان وسقز وبانه إلى السليمانية، التي أطلق فيها نوئيل

<sup>297</sup> Toynbee, Foreign office Minute No.204299, 14 December 1918, F0371/3386, PRO.

<sup>298</sup> Précis of Affairs-, op. cit., p.7.

<sup>299</sup> E.W.C. Noel, Note on the Kurdish Situation, July 1919, F0371/4192, PRO, p.18.

<sup>300</sup> Ibid.

((حملة نشطة من أجل كُردستان مستقلة)).<sup>٣٠١</sup> وعبرت تلك الوفود عن رغبتها صراحة بإخضاع كُردستان الشرقية لحكم كُردي تحت حماية بريطانيا. وتلك كانت خلفية التصيحة التي رفعها نوئيل الى رؤسائه:

من الممكن جعل القبائل الكُردية (الشرقية) تقف معنا. فمن وجهات النظر الدينية والعرقية والجغرافية، سيوفر هذا الأمر حلًّا جذريًّا لمشكلة عامة في هذه المنطقة، ومن الأفضل أن نمسك الثور من قرنيه الآن، في وقت يكون فيه كل شيء في حالة جريان، من تركها (أي المشكلة) تغلي لتسوية مستقبلية.<sup>٣٠٢</sup>

في الوقت نفسه، أكد نوئيل انه ستترك المساعي البريطانية في دعم سلطة الحكومة القاجارية آثاراً مؤذية بالنسبة الى العلاقات البريطانية مع كُردستان الجنوبية.<sup>٣٠٣</sup>

قام نوئيل باتخاذ مبادرة غير مسبوقة حين أرسل مساعدته الشخصي، شير يانغ،<sup>٣٠٤</sup> الى منطقة أورمية الكُردية في مهمة خاصة يلتقي خلالها السيد طه، أملاً في وضع ترتيبات سياسية شبّهها بتلك التي جرت في كُردستان الجنوبية. بعبارة أخرى، سعى نوئيل الى إيجاد دور بريطاني فاعل في كُردستان الشرقية وعلى طول الحدود القاجارية- العثمانية القديمة، أي خارج حدود كُردستان الجنوبية الخاضعة للسيطرة البريطانية. وفي تقريره حول الوضع في منطقة أورمية، أشار شير يانغ الى وجود ((جماعة واضطهاد فظيع))، مؤكداً انه سيلقى أي تدخل بريطاني أو أمريكي ترحيباً محلياً بوصفه الحل الوحيد لإعادة الاستقرار واستتباب السلام. كما أكد يانغ ان المشاعر المناصرة للبريطانيين قوية بشكل عام.<sup>٣٠٥</sup> وكانت تقارير بريطانية أخرى قد أكدت ان التمرد الكُردي في أورمية قد يتتطور الى ((انتفاضة عامة))، تشمل كُردستان الشرقية كلها.<sup>٣٠٦</sup> في غضون ذلك، سعى سمكو، قائد التمرد الكُردي، الى إقامة علاقات وثيقة مع السلطات البريطانية في بغداد.<sup>٣٠٧</sup> وفي بداية شهر تموز (١٩١٩) عبر سمكو

<sup>301</sup> Political, Baghdad, to Political, Mosul, 20 November 1918, AIR20/512, PRO.

<sup>302</sup> Political, Baghdad, 12 December 1918, F0371/3386, PRO.

<sup>303</sup> E.W.C. Noel, Note on the Kurdish Situation, July 1919, F0371/4192, PRO, p.18.

<sup>304</sup> Noel, Rowanduz, to Political, Baghdad, 21 February 1919, AIR20/512, PRO.

<sup>305</sup> General Headquarter, Mes.Ex. Force, to Political, Baghdad, 16 April 1919, AIR20/512, PRO.

<sup>306</sup> Assistant Political officer, Sennah, to Political, Baghdad, 16 April 1919, AIR20/512, PRO.

<sup>307</sup> Political, Baghdad, to Prodrom, Tehran, 25 May 1919, AIR20/512, PRO.

وحليفه السيد طه عن رغبتهما في التعاون مع البريطانيين بشأن مسألة ترحيل المسيحيين في شمال غرب إيران لقاء الحصول على دعم سياسي بريطاني.<sup>٣٠٨</sup> ولكن، معارضة ويلسون والموظفين البريطانيين في إيران لأي توجه يدعم تطلعات الكرد الشرقيين قد أفشلت محاولات سمكو وطه في التوصل إلى اتفاق ثانوي. وبسبب الخشية من ردود أفعال معادية للبريطانيين تصدر عن الحكومة المركزية في طهران، لم تبد حكومة لندن ولا موظفوها الميدانيون في إيران استعداداً يُذكر حتى لإقامة اتصال مباشر مع سمكو.

وعبر الميجر أم جي روس، أحد الموظفين السياسيين البريطانيين الميدانيين، عن تصورات تشبه تلك التي قدمها الميجر نوئيل فيما يخص الوضع في كردستان الشرقية. ففي تحريره لأسباب حالة عدم الاستقرار المهيمنة في أورمية والمناطق المجاورة، أكد روس على الطابع ((الاعتباطي)) للحدود التي تفصل كردستان الشرقية عن كردستان الجنوبية، وإن تلك الحدود لم تكن تعكس الواقع الاقتصادية الأثنية والجغرافية القائمة. وعلى غرار نوئيل، ساند روس فكرة حق تقرير المصير، ليس لأن على بريطانيا احترام هذا المبدأ فحسب بل أيضاً بسبب:

ان اية محاولة لإكراء الكردي على البقاء في ظل الحكومة الفارسية، التي يحاول تحرير نفسه منها، ستهز نفوذنا من الأعماق في جميع تلك البقاع من كردستان في وقت لستنا مهيئين لدعم سلطتنا بقوات.<sup>٣٠٩</sup>

على النقيض من سائر الموظفين البريطانيين المعاصرين له، رأى روس أنه على بريطانيا الامتناع عن التدخل بالضبط من المساعي التي يبذلها الكرد الشماليون للانضمام إلى دولة كردية موحدة. وهذا الموقف البريطاني لم يُعده روس انتهاكاً للتعهدات البريطانية السابقة بشأن دعم وحدة إيران الإقليمية. والتعليق الآتي، الذي كتبه توينبي، يلقي بعض الضوء على البعد الإيراني في سياسة بريطانيا تجاه الكرد:

إنها مشكلة جدية تماماً. فالكرد الفرس لا يمكن الوصول إليهم، وهم خارج سيطرة (الموظفين البريطانيين) سواء في طهران أو في بغداد. لربما يمكننا أن نمنعهم من الانضمام رسمياً إلى الكونفدرالية الكردية- العثمانية، ولكن لا

<sup>308</sup> Political, Baghdad, Addressed to Constantinople, 3 July 1919, F0371/4192, PRO.

<sup>309</sup> Maj. M.J. Ross, Note on Kurdish Claims to the Urmia District of Persia 8/9 July 1919, AIR20/512, PRO.

يمكننا ان نمنعهم من اغتنام هذه الفرصة (قيام حكم ذاتي كُردي) للتخلي عن ولائهم لإيران. وإذا ما حققوا نواياهم الحالية فأننا سنكون في موقف محرج تماماً فيما يتعلق بالوحدة الإيرانية. فنحن حقاً تعهدنا بأن نحترمها. ومع ذلك، وكان من شأن الأفعال التي قمنا بها على الجانب التركي من الحدود ان تؤدي الى انفصال ولاية كبيرة من إيران.<sup>٣١٠</sup>

فضلاً عن انها واجهت معارضته الموظفين البريطانيين سواء في ميزوبوتاميا أو في إيران، تعاملت لندن مع تصورات روس بحذر شديد، وظلّ أسلوب التعامل الارثوذكسي مهيمناً والقائم على حماية وحدة إيران الإقليمية من أية تهديدات داخلية أو خارجية.

## ٢- نوئيل ووضع حل جديد للمسألة الكُردية ضمن إطار التسوية السلمية التركية

إن الانطباع الايجابي الأولي الذي تولد عند كثير من الكُرد عن الدور البريطاني بدا يتغير نتيجة تضافر تطورات عدّة. فمن جانب، ترك تأجيل مؤتمر السلام، الذي علق الكُرد عليه آمالاً كبيرة، أثره السلبي في ميولهم السياسية.<sup>٣١١</sup> ومن جانب ثانٍ أدى الانقلاب الحاصل في السياسة الميدانية البريطانية في كُردستان الجنوبية إلى إثارة مخاوف كُردية. وأصاب القوميين الكُرد حالة تشويش بشأن نوايا بريطانيا الحقيقة في كُردستان. فمن جهة، أخبر البريطانيون المنظمات القومية الكُردية ان لندن لن تتغضّن النظر عن المصالح الكُردية في مؤتمر السلام القادم، وإن عليهم الانتظار حتى ظهور نتائجه السياسية. ومن جهة ثانية، عملت السياسية البريطانية المُتبعة ميدانياً على إضعاف الحركات القومية الكُردية إلى أقصى الحدود، كاستبدال نظام الحكم الذاتي الكُردي بحكم بريطاني مباشر في كُردستان الجنوبية، وكذلك من خلال اتخاذ سياسة بريطانية مُتشددة تجاه من يُطالب بإقامة سلطة كُردية.

وبدأت مؤشرات التغيير في المواقف الكُردية المحلية تجاه البريطانيين تعكسها تقارير كان يبعثها موظفون بريطانيون ميدانيون إلى رؤسائهم. وفي كُردستان

<sup>310</sup> Foreign Office Minute No.206918, 21 December 1918, F0371/3386, PRO.

<sup>311</sup> Political Department, India Office, Mesopotamia: British Relations with Kurdistan, 27 August 1919, F0371/4192, PRO.

الشرقية، صارت التقارير تربط بصورة متزايدة تحركات القوميين الُّكرد بالفعل المعادية للمسيحيين في شمال غرب إيران.<sup>٣١٢</sup> وأرجع برسى كوكس التحول في المواقف الُّكردية من مناصرة بريطانيا إلى معاداتها إلى خيبة الأمل الذي أصاب الُّكرد الجنوبيين بسبب الانقلاب الحاصل في السياسة البريطانية الميدانية في كُردستان الجنوبية (أي التخلّي عن دعم الحكم الذاتي الُّكردي وفرض حكم بريطاني مباشر) وما رافقها من تطورات، في مقدمتها انتفاضة الشّيخ محمود.<sup>٣١٣</sup> وبينما الطريقة، لاحظ القنصل البريطاني في مدينة أورميا أن وقوع تلك الانتفاضة وقمعها قد أثّرت سلباً في موقف الُّكرد الشرقيين، الذين بدأوا يتوجّهون نحو الآتراك من أجل الحصول على دعم، بدلاً من البريطانيين.<sup>٣١٤</sup> وكان نوئيل قد لفت الانتباه مراراً إلى تطورات وقعت بصورة غير متوقعة وبعيداً عن التدخلات البريطانية. وكان نوئيل قد حذر قبل ذلك من مغبة فرض نظام السيطرة المباشرة في كُردستان الجنوبية، لما قد تسبّبه من ردود فعل سلبية لدى الُّكرد الشماليين، الذين رأوا فيه ((مقدمة لتوغل بريطاني يجري على حسابهم)).<sup>٣١٥</sup> كما عزا نوئيل بروز التحركات المعادية للمسيحيين والبريطانيين على حد سواء إلى السياسة الميدانية البريطانية التي فضّلت المسيحيين على المسلمين.<sup>٣١٦</sup>

يرجع السبب الرئيس في تدهور الوضع السياسي بوتيرة متسرعة في المناطق الُّكردية الخارجة عن السيطرة البريطانية في ربيع وصيف عام ١٩١٩ إلى اشتداد المخاوف الُّكردية من فرض حكم مسيحي أرمني على كُردستان الشمالية. وأجّجت ماكينة الدعاية التركية مشاعر الُّكرد ضد الأوربيين، الذين بدا لهم كما لو كانوا يتآمرون ضدهم كمسلمين، أي بغض النظر عن أصولهم الأثنية. وكانت تلك الخلفية الحقيقة لقيام نوئيل بمهمة رسمية تمثّلت بزيارة النواحي المضطربة من كُردستان الشمالية، تمهيداً لتهيئة تقرير نهائي حول ((الوضع السياسي بين الُّكرد والأتراك))، وبشأن ((الأوضاع الاقتصادية)).<sup>٣١٧</sup> والجدير بالذكر أن نوئيل لم يُمنح مهمة إقامة ((دولة كُردية

<sup>٣١٢</sup> Political, Baghdad, 6 January 1919, F0371/4147, PRO.

<sup>٣١٣</sup> Cox, Tehran, 26 August 1919, F0371/4192, PRO.

<sup>٣١٤</sup> Civil Commissioner, Baghdad, to SIS for India, 25 August 1919, AIR20/714, PRO.

<sup>٣١٥</sup> Political, Baghdad, to Egyptian Force, Cairo, 28 April 1919, AIR20/714, PRO.

<sup>٣١٦</sup> Noel, Aleppo, to Political, Baghdad, 2 August 1919, AIR20/714, PRO.

<sup>٣١٧</sup> Political, Baghdad, to Egypt Force, 11 March 1919, AIR20/714, PRO.

شمالية)، شبيهة بتلك التي أنشئت في كُردستان الجنوبيّة، كما يعتقد روبرت أولسن خطأً<sup>٣١٨</sup>، أو كما ادعى مصطفى آتاتورك بعد ذلك بعده سنوات. بدأ نوئيل مهمته بجولة أولية قصيرة، ومن ثم وسَّعَ من تنقلاته لتشمل مناطق كُردية مختلفة، أهمها دياربكر ونصيبين. ولتسهيل مهمته، أصطحب نوئيل ممثلي عن القوميين الْكُرد وبموافقة وزارة الخارجية البريطانية.<sup>٣١٩</sup> ويلاحظ أن الدوائر الرسمية البريطانية المعنية، خاصة وزارتي الخارجية والهند، كانتا تنتظران المزيد من المعلومات المباشرة لتحديد موقف لندن النهائي تجاه مستقبل كُردستان خلال مؤتمر السلام القادم.

لكن، تضافر الجهود التي بذلتها الحكومة العثمانية، التي تم إشعارها رسميًا من لندن حول طبيعة مهمة نوئيل،<sup>٣٢٠</sup> مع المساعي المعادية التي قام بها القوميون الطورانيون الأتراك أجبرت نوئيل على إنهاء مهمته قبل أوانها. هذا من جهة، ومن جهة ثانية، تأثرت مهمة نوئيل بالمواقف السلبية التي اتخذها الموظفون البريطانيون في إسطنبول، الذين رفضوا تزويده بالدعم السياسي اللازم. وكان الأدميرال دي روبيك، الذي حل محل غوف كالثورب في منصب المفوض السامي البريطاني في إسطنبول، قد خشي من ان تُعطي مهمة نوئيل، الذي رافقه فيها شخصيات كُردية تمثلان الدوائر القومية الْكُردية في إسطنبول، الحكومة العثمانية والحركة الكمالية ((إسيا با جدية للشك في ان حكومة صاحب الجلالة تشجع الْكُرد على العمل ضد الأتراك)).<sup>٣٢١</sup> وادعى موظف بريطاني كان قد تواجد في المنطقة الشمالية في تقرير له الى ان نوئيل ((يُدير نوعاً خطراً من الدعاية المناصرة للكُرد والمناوئة للأتراك)).<sup>٣٢٢</sup>

وفي مذكرة مهمة دافع نوئيل عن نفسه ضد التهم الموجهة إليه بان نشاطاته هي التي حفرت الدعاية المعادية لبريطانيا التي أطلقها القوميون الأتراك، مؤكداً ان المواقف المعادية لبريطانيا كانت منتشرة قبل ان يبدأ مهمته. وأرجح نوئيل أسباب هذه المواقف المعادية لعوامل عدّة: أولاً، إمكانية انتباه الأتراك الى خطورة قيام كيان الحكم الذاتي في

<sup>318</sup> Olson, The Emergence of Kurdish Nationalism, p-53.

<sup>319</sup> IDCm, Secretary's Note, 6 September 1919, F0371/4193, PRO.

<sup>320</sup> De Robeck to Curzon, confidential, 20 December 1919, Enclosure No. 1, Mr. Ryan, Memorandum, F0371/4193, PRO.

<sup>321</sup> High Commissioner, Constantinople, to General, Baghdad, 18 September 1919, F0371/4192, PRO.

<sup>322</sup> General Headquarter, Egypt, 27 September 1919, F0371/4192, PRO.

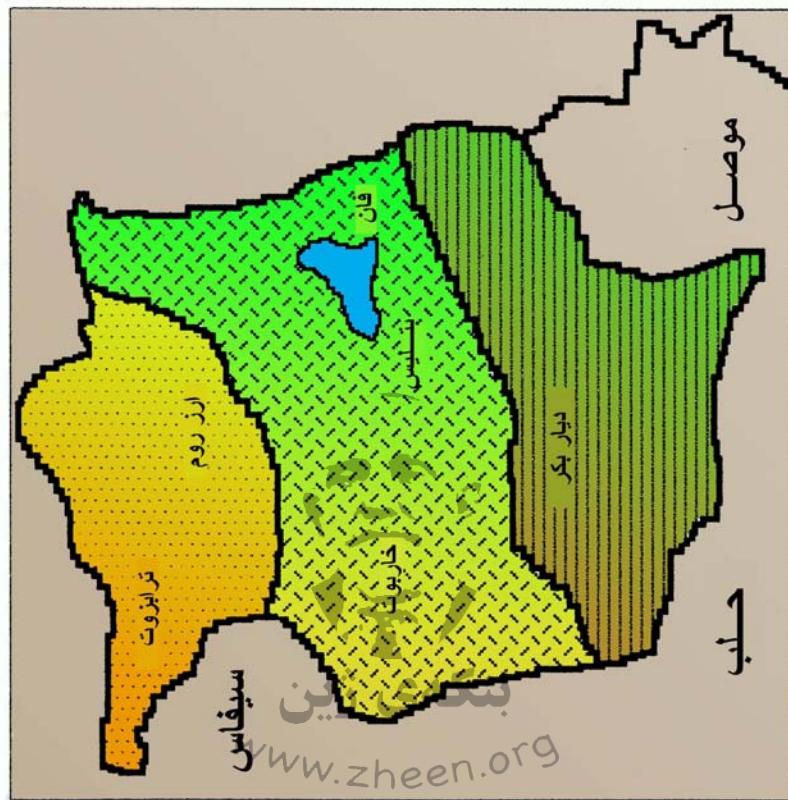
كُردستان الجنوبيّة بعد انتهاء الحرب مباشرةً، وثانياً، اعتراف البريطانيّين باللغة الكُردية وتشجيعهم النظام القبلي في مناطق كُردستان الخاضعة لسيطرتهم، وأخيراً، وجود تصريحات متكررة وجهتها الحكومة البريطانيّة إلى الكُرد، أكدت فيها على أنها لن تتجاهل المصالح الكُردية في مؤتمر السلام القادم. وعاد نوئيل بالذاكرة إلى بيان قوات مصر الاستكشافية البريطانيّة، بوصفه دليلاً قاطعاً يُفنّد التهمة الموجّهة إليه. هذا البيان الذي ذكر تحديداً ((المصالح الأرمنيّة والكُردية بوصفها عوامل أساسية في البلاد التي تُعرف بارمينيا وكُردستان)).<sup>٣٢٣</sup> وتبيّن الأدلة المتوفّرة أنّ الآتراك كانوا يراقبون عن كثب مهمّة نوئيل إلى كُردستان الشماليّة وبقلق كبير، حتى أنّ مصطفى كمال عَدَ مهمّة نوئيل ((حدثاً مهماً)) في الصراع القوميّ التركيّ، وزعم إلّا حاقد الفشل الكبير بجميع المؤامرات البريطانيّة ((تحت غطاء استقلال الكُرد)).<sup>٣٢٤</sup>

وخفقاً من ان تخلق وزارة الخارجية البريطانيّة عداء تركيا لا رغبة لها فيه، أمرت نوئيل بانهاء جولته في كُردستان الشماليّة. ومع ذلك، استطاع نوئيل أن يُقدم استنتاجاته بشأن الوضع السياسي في كُردستان، أكد فيها وجود ((إحساس حيوي جداً بالقوميّة الكُردية، وبغضّ تجاه الآتراك، وكراهية شديدة تجاه الحكومة)) العثمانيّة في كل المناطق التي زارها. ودحض نوئيل وجود أي ((حركة مناوئة لبريطانيا أو ذات نزعة إسلامية)) بين الكُرد الموجودين إلى الشرق من مدينة دياربكر. ولكون نوئيل ممثلاً لبريطانيا، تعمل الكُرد معه بـ((مودة بمعنوي التهدّي)).<sup>٣٢٥</sup> وحاول نوئيل، في أعقاب إخفاقه في نيل دعم حكومته لمشروع إقامة كونفدرالية كُردية منفصلة، أن يغتنم الفرصة، التي وفرتها جولته في المناطق الكُردية، في أن يرفع بشكل مباشر إلى وزارة الخارجية خطّة جديدة بشأن مستقبل كُردستان تدخل ضمن إطار التسوية السلميّة لمصير الإمبراطوريّة العثمانيّة. ولفتت خطّة نوئيل النظر إلى وجود ترابط خفي بين شؤون ارمينيا وكُردستان. وعلى ضوء ذلك الترابط، سعت خطّته إلى التوفيق بين التطلعات القوميّة الكُردية والطموحات السياسيّة الأرمنيّة (انظر الخارطة رقم ١٢). ونصّت الخطّة على:

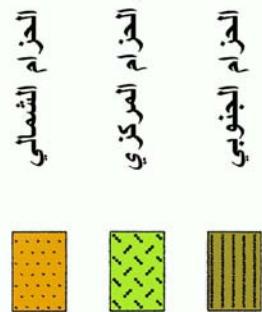
<sup>٣٢٣</sup> Maj. Noel, Memorandum, December 1919, F0371/4193, PRO.

<sup>٣٢٤</sup> Mustafa Kemal, A Speech Delivered by G. Mustafa Kemal, President of the Turkish Republic, October 1927 (Leipzig: K.F. Koehler Publisher, 1929), pp.101-120 & 220.

<sup>٣٢٥</sup> Political, Baghdad, 26 September 1919, F0371/4192, PRO.



خريطة (12): خطة نوول حول مستقبل الولايات العثمانية غير التركية



Source: FO371/4192 &  
FO371/7149

وضع الولايات الشرقية الستة معاً تحت قوة منتدبة وتقسيمها ثانية على مقاطعات أو أحزمة، ستكون الجنوبية منها كُردية حسراً، والشمالية أرمنية حسراً، والحزام المركزي مختلطًا. وسيكون لكل حزام إدارة محلية وحكومة ذاتية، تخضع إلى مركز مستقل، يقع خارج الولايات الست أو في الحزام المركزي.<sup>٣٢٦</sup>

اشترطت خطة نوئيل تلك وجود نظام موحد للإدارة بالنسبة إلى الأحزمة الثلاثة، ولكنه قابل للتعديل بالتوافق مع السمات القومية لكل أمة (الكردية والأرمنية). وستكون اللغتان الكردية والأرمنية لغتين رسميتين للحكومة في الحزامين الجنوبي والشمالي بحسب الترتيب، وتدرس اللغتان في مدارسهما. وسيُجند الكُرد والأرمن في وحدات الجندمة ويُوظفون في الإدارة المدنية في الحزام المركزي. لقد كان نوئيل يأمل بعد أن تطبق خطته لمدة عشرين أو ثلاثين عاماً أنه سيكون بالإمكان اتخاذ قرار بشأن ((الوضع السياسي المستقبلي للقوميات المختلفة)). لكنه، أكد الحاجة إلى وجود ((منتدب مدعوم بجيش الاحتلال)).<sup>٣٢٧</sup> بتعبير آخر، تطلب خطة نوئيل تدخل الحكومة البريطانية بصورة مباشرة وفعالة في عملية ترجمتها إلى الواقع ملموس.

في غضون ذلك، نصحت نوئيل حكومته أن تأخذ بنظر الاعتبار ثلاثة أمور حين تُحدد موقفها النهائي تجاه المسألة الكردية: أولاً، ضرورة أن تكون كُردستان مُتحررة من الحكم التركي. ثانياً، ينبغي أن لا تخضع أرض كُردستان للتقسيم. وأخيراً، لدى تعين الحدود الجنوبية لكردستان ((ينبغي أن يُتبع بأقرب ما يمكن الخط الأثني ما بين الكُرد والعرب)).<sup>٣٢٨</sup> كانت النقطة الأخيرة مناقضة تماماً لما اقترحه ويلسون. فالأخير أراد أن تكون مصالح الإدارة البريطانية الإستراتيجية والاقتصادية في ميزوبوتاميا المعيار الوحيد في تحديد الأقاليم التي ستبقى ضمن كُردستان أو التي سُتضم إلى ميزوبوتاميا. وللتغلب على مخاوف لندن بشأن انجرارها إلى التزامات عسكرية ومالية إضافية لا رغبة لها فيها أو وقوع تطورات سياسية تتقطع مع مصالحها في كُردستان، سعى نوئيل إلى طمأنتها في أن الكُرد كانوا مناصرين بقوة

<sup>326</sup> IDC M, Secretary's Note, 6 September 1919, F0371/4193, PRO.

<sup>327</sup> E.W.C. Noel, Note on the Kurdish Situation, July 1919, F0371/4192, PRO, p.18.

<sup>328</sup> Civil Commissioner, Baghdad, 22 November 1919, F0371/4193, PRO.

لبريطانيا، وانهم قادرون لوحدهم على إبقاء الحكم التركي خارج كُردستان، حتى بدون وجود حَثٍ بريطاني. لكنه، مع ذلك، حَدَّرَ من ان:

تقسيم البلد (كُردستان) من خلال إلحاق الجزء الغني منه، أي كُردستان الجنوبيّة، بمِيزوبوتاميا، سيمنح الغليان القومي المعادي للبريطانيين فرصة لإحياء النفوذ التركي، ومن ثم لفقدان الأمان على حدودنا، وقد يحدث رد فعل على طول الطريق الإيراني.<sup>٣٢٩</sup>

ولاحتواء الدعاية المتصاعدة التي كان يشنها الكماليون الأتراك ومن أجل التصدي لمحاولاتهم الدعوية لكسب ود الكُرد وولائهم، اقترح نوئيل اتخاذ سلسلة خطوات عاجلة، تتضمن تعيين أحد الأمراء البدرخانيين السابقين حاكماً على دياربكر، والجنرال حمدي باشا ضابطاً عاماً لقيادة الوحدة العاشرة الخاصة، وشخصية قومية كُردية أخرى متصرفاً لمدينة ماردين.<sup>٣٣٠</sup>

وبالرغم من عجزه عن إثارة اهتمام بريطانيا بشكل كبير وتفعيل دورها في قضايا كُردستان الشمالية الداخلية، استطاع نوئيل أن يُعرِّز نقطة مهمة، وهي ان الكُرد يشكلون قومية قائمة بحد ذاتها، بقدر ما انطبق التعريف نفسه على الأرمن، وان بريطانيا لدى سعيها لحماية مصالحها، لا تستطيع ان تتجاهل الكُرد تماماً كعامل سياسي في أية تسوية سلمية لمستقبل الأقاليم غير التركية التابعة للإمبراطورية العثمانية. وبالفعل، برّهن نوئيل على ان إقامة دولة أرمنية أمر صعب التحقيق جداً، إلا في حالة استجابة بريطانيا لتطللات الكُرد القومية. وفي التحليل الآخرين، أدت تصورات نوئيل ومساعيه دوراً غير قليل في تدويل المسألة الكُردية، كما تجسد ذلك في بنود معاهدة سيفر لعام ١٩٢٠.

## ردود فعل السلطات البريطانية في الشرق الأوسط نحو آراء ويلسون ونوئيل بشأن مستقبل كُردستان

### ١- المفوضية السامية البريطانية في القاهرة والشؤون الكُردية

نتيجة لإدراكتها المتزايد بشأن عدم إمكانية تجاهل المسألة الكُردية في أية تسوية إقليمية مُقبلة، أصبحت حكومة لندن في حاجة مُلحة لتحديد مصالح بريطانيا في

<sup>329</sup> Ibid.

<sup>330</sup> Political, Baghdad, 29 September 1919, F0371/4193, PRO.

كردستان، وإيجاد آلية عملية لتحقيقها ضمن إطار عملية واسعة لإعادة رسم النظام الإقليمي في منطقة الشرق الأوسط. وهذه الأسباب، أصبحت وجهات نظر ويلسون ونوئيل المتضادة حول مستقبل كردستان محوراً لمناقشات جرت داخل أو بين مختلف الدوائر الرسمية البريطانية، سواء في لندن (وزارتي الخارجية والهند على الأخص) أو في منطقة الشرق الأوسط (المفوضية السامية البريطانية في اسطنبول وفي القاهرة). وانجرَّت السلطات المدنية والعسكرية البريطانية في مصر إلى المناقشات المتعلقة بالمسألة الكردية بسبب احتلال قوات الاستكشاف المصرية لبعض المناطق الواقعة في غرب كردستان العثمانية. وينبغي التذكير بأن هذه المناطق كانت أصغر بكثير في مساحتها من المناطق الكردية الجنوبية الخاضعة لسيطرة قوات الاستكشاف الهندية، التي قامت باحتلال ميزوبوتاميا.

ونتج عن تلك التطورات نشوء مركزين لإدارة الشؤون الإدارية والأمنية للمناطق الكردية الخاضعة لسيطرة البريطانية: الأولى في بغداد والثانية في القاهرة. ونتيجة لذلك، تطورت منافسة شديدة بين المركزين بسبب محاولتهما التأثير في رسم السياسة البريطانية الرسمية ووجهتها، خاصة فيما يتعلق بأمر مصير كردستان السياسي. حتى حين عُهدت مهمة إدارة الشؤون الكردية الميدانية إلى الميجر ويلسون بالتشاور مع المفوضية السامية البريطانية في اسطنبول، لم يُكُف الموظفون البريطانيون في القاهرة عن إبداء معارضتهم لنهج ويلسون وأطروحاته المتعلقة بالوضع الكردي. وينبغي التذكير بأن الهوة بين القاهرة وبغداد كانت موجودة قبل إخضاع مستقبل كردستان للمناقشة بين الدوائر البريطانية الرسمية المختلفة أو داخلها. ومتّلت المفوضية السامية في القاهرة، وكما عُرف عنها في حينه، ((المدرسة الأهلية)) (Native School)، التي نادت بانتهاج سياسة السيطرة غير المباشرة، قوامها إدارة أهلية تحت إشراف وثيق من مستشارين بريطانيين. أما السلطات البريطانية في بغداد فمثّلوا ما عُرف بـ((المدرسة الإمبريالية)), التي دعت إلى فرض نظام السيطرة المباشرة بوصفه الوسيلة المُثلّى والعملية لتعزيز موقف بريطانيا ومصالحها في ميزوبوتاميا. والجدير بالذكر أن هذين المصطلحين قد استخدما خلال جلسات كونفرانس الشؤون الشرق الأوسطية ما بين الوزارات.<sup>٣٣١</sup>

<sup>331</sup> Interdepartmental Conference of Middle Eastern Affairs (IDCM). IDCM, minute 37, 13 April 1920, F0371/5068, PRO.

وبالرغم من انسحاب قوات الاستكشاف المصرية من المناطق الكردية الغربية بهدف تسليمها الى الفرنسيين، واصل الموظفون البريطانيون العاملون في القاهرة إيداء ردود الفعل وطرح الآراء في كل ما خصّ مستقبل كُردستان السياسي. ولم تخف درجة التباين في وجهات النظر الموظفين العاملين في بغداد والقاهرة فحسب، بل زادت حدة. لقد عَبَرْ إدموند النبي، المفوض السامي البريطاني في القاهرة، ومرؤوسه عن معارضتهم الصريحة لمخططات الميجر ويلسون الخاصة بتقسيم كُردستان العثمانية ما بين ميزوبوتاميا العربية البريطانية وتركيا العثمانية. في الوقت نفسه، لم يُخفِ النبي ومرؤوسه مساندتهم القوية لخطة نوئيل القائمة على تعين حدود واضحة لكردستان المستقبلي، تقوم على العامل الثنائي. وكانت أطروحتات نوئيل الخاصة بالشؤون الكردية متطابقة مع التصورات التي قدمها الموظفون البريطانيون في القاهرة، الذين رأوا ضرورة منح الكُرد فرصة حق تقرير المصير الذاتي، وضرورة عدم تعرض كُردستان لأي تقسيم اعتباطي. في برقية له موجهة الى وزارة الحرب، حذر النبي من أطروحة ويلسون القاضية بتجاهل الحدود الثنائية ما بين كُردستان وميزوبوتاميا العربية لما ستخلقه من مشاكل:

ان ضم ميزوبوتاميا لكردستان الجنوبية... سيعني... التصادم مع الكُرد، ولربما سينشا بلد حدودي، مما سيتطلب نفقات عسكرية دائمة. لهذا، فإنني أوصي بإدخالهم الى الدولة المؤقتة الكردية-الأرمنية كما اقترح نوئيل. إنني أرى... انه ينبغي التشجيع على الاعتراف بالقومية الكردية، وإن يُحرر جميع الكُرد من مخاوف الخضوع الى الهيمنة الأرمنية. لربما سينساقون (أي الكُرد) بسبب وجود هذه المخاوف الى أحضان CUP (القوميين الكماليين)، في حين لو تم ترضيهم، فإنهم سيبرهنون على كونهم حاجزاً منيعاً أمام الجهاد (المعلن من القوميين الكماليين). وفي حالة توصلهم الى اتفاق مع الأ Armen، فإنهم سيعززون الموقف الأرمني.<sup>٣٣٢</sup>

وشارك الكولونيال آرثر فرنج (المقرر العام العائد لقوات الاستكشاف المصرية) النبي في تصوراته، ورأى من الضروري ان تتركز سياسة بريطانيا الكردية في مؤتمر

<sup>332</sup> Commander-in-Chief, Egypt, to war Office, 12 September 1919, F0371/4192, PRO.

السلام على الاعتراف بالقومية الكردية بالانسجام مع فكرة حق تقرير المصير، وضرورة تجنب عودة الحكم التركي الى الولايات الكردية والأرمنية. بهذا الشكل، وعارض الكولونيل فرنج بصورة مباشرة وصريحة خطة ويلسون لتقسيم كردستان العثمانية، بما في ذلك ضم كردستان الجنوبية الى ميزوبوتاميا البريطانية، حيث أكد انه:

كلما تجانس سكان ميزوبوتاميا المستقبلية ستكون مهمة المنتدب ابسط ومرضية اكثر. وبالرغم من ان إدخال هذه المقاطعات الكردية (في كردستان الجنوبية) قد يزيد من دخل (ميزوبوتاميا)، فإنها ستبرهن على كونها نقطة ضعف في مجالات أخرى.<sup>٣٣٢</sup>

وفي إيران، طرح الموظفون البريطانيون وجهات نظر حول مستقبل كردستان القاجارية بطريقة تختلف تماماً عن تلك التي كان قد طرحتها نظرائهم في مصر بخصوص كردستان العثمانية. وتميزت مواقف الموظفين البريطانيين في إيران بكونها امتداداً طبيعياً لموقف المدرسة الامبرالية، إذ عارضوا إضعاف وحدة إيران الإقليمية بحجة تأثيرها على المصالح الامبرالية البريطانية في الهند وميزوبوتاميا العربية. وهذا يفسر لماذا عرض هؤلاء الموظفون في تقاريرهم أهداف القوميين الكرد الشرقيين وشكوا بغايات الانتفاضة الكردية القائمة، وعلى الأخص نوايا قائدتها سanko، الذي اتهموه بقتل المار شمعون، الزعيم الديني والديني للمسحيين من أتباع الطائفة الأثرية في منطقة أورمية الكردية. كما وقف هؤلاء الموظفون ضد مسامي سanko لإقامة اتصالات مباشرة مع السلطات البريطانية في بغداد، ولم يكتفوا بذلك فقط، إنما دعوا لندن الى تقديم المساعدة الى الحكومة القاجارية لإنجاح جهودها العسكرية في القضاء على الانتفاضة الكردية. وكان القنصل البريطاني في مدينة تبريز قد نصح برسي كوكس بعدم الاستجابة الى محاولات سanko في إقامة ارتباط مباشر مع بريطانيا محذراً منه بوصفه انتهازياً، وانه سيكون من ((الخطأ)) أخلاقياً أن تتعامل بريطانيا مع شخص قتل المار شمعون.<sup>٣٣٤</sup>

وبالفعل، بدأ البريطانيون تقديم المساعدات العسكرية المباشرة لحكومة طهران. في نيسان العام ١٩١٩، أي حين طلب الحاكم القاجاري لمقاطعة سنندج مساعدة

<sup>333</sup> Col. French, Cairo, Directory of Military Intelligence, 2 October 1919, F0371/4192, PRO.

<sup>334</sup> Tabriz to Tehran, April 1919, AIR20/512, PRO.

الطائرات البريطانية للدفاع عن المدينة من هجمات المنتفضين الکرد<sup>٣٣٥</sup> لم يكن البريطانيون في موقف يسمح لهم بتقديم مثل تلك المساعدة بسبب انشغال طائراتهم في مهام أخرى في شمال غرب إيران.<sup>٣٣٦</sup> ولم يمض وقت طويل حتى بدأ الطرفان البريطاني والإيراني بتنسيق الجهود العسكرية ضد المنتفضين الکرد. ففي شهر شباط من العام التالي، قام الإيرانيون والبريطانيون بعمليات عسكرية جوية وبرية متزامنة ضد الانتفاضة الکردية بهدف استباق وقوع ((اضطراب خطين)) في كردستان الشرقية.<sup>٣٣٧</sup> واتسع التعاون والتنسيق بين الإيرانيين والبريطانيين ليشمل القضاء على مقاومة أولئك الکرد الذين واصلوا هجماتهم ضد الواقع البريطاني في كردستان الجنوبية في المدة التي أعقبت أسر الشیخ محمود ونفيه إلى الهند. وعلى سبيل المثال، سلمت السلطات القاجارية اثنين من التأثرين الکرد إلى السلطات البريطانية في بغداد.<sup>٣٣٨</sup>

ان أهمية آراء الموظفين البريطانيين في إيران تكمن في انسجامها الكبير مع الاعتقاد الامبرالي القديم الذي رأى في توطيد وحدة إيران القاجارية وتعزيز توجهها البريطاني أفضل وسيلة لخدمة مصالح بريطانيا الإستراتيجية. ولذلك، كان من الضروري، بحسب وجهة نظرهم، ان تتحاشى بنود معاهدة السلام القادمة الخاصة بمصير الإمبراطورية العثمانية أية موضوعات تؤثر في العلاقات القائمة آنذاك بين كردستان الشرقية وإيران القاجارية.

## ٢- المفوضية السامية البريطانية في اسطنبول

اختللت آراء موظفي المفوضية السامية البريطانية في اسطنبول الواحد عن الآخر، ومن حقبة لأخرى. مع ذلك، كان هناك نقطة مشتركة اتفق عليها هؤلاء الموظفون انه لا يمكن لبريطانيا ان تغفل المسألة الکردية لدى مناقشة التسوية السلمية لمصير الأقاليم العثمانية غير التركية. وكان الأدمiral سومرسون غوف كالثورب، المندوب السامي البريطاني حتى شهر أيلول العام ١٩١٩، شارك نوئيل رأيه

<sup>٣٣٥</sup> Assistant Political Officer, Sennah, to Political, Baghdad, 16 April 1919, AIR20/512, PRO.

<sup>٣٣٦</sup> General Headquarter, Mes.Ex.Force, to Civil Commissioner, Baghdad, 20 April 1919, AIR20/512, PRO.

<sup>٣٣٧</sup> Civil Commissioner, Baghdad, February 1920, F0371/5070, PRO.

<sup>٣٣٨</sup> Civil Commissioner, Baghdad, 11 April 1920, F0371/5068, PRO.

في ان التطلعات السياسية الکردية لا تتناقض مع المصالح الإستراتيجية البريطانية المتمثلة بأمن حدود ميزوبوتاميا الشمالية.<sup>٣٣٩</sup> وعلى غرار نوئيل، فضلًّا غوف كالثورب استجابة بريطانية سريعة لما كان يحصل من تطورات سياسية في کردستان الشمالية. فبشأن مصداقية القوميين الکرد ورغبتهم في الواقع تحت السيادة البريطانية، أكد غوف كالثورب لوزارة الخارجية البريطانية ان لهذه:

القضية أهمية سياسية كبيرة ... ويجب مواجهتها ... ان الأمر الأكثر جوهرياً هو ضرورة الحصول على أفضل فائدة ممكنة من الظروف، وانني لا استطيع تخيل أي حل لا يضع ميزوبوتاميا تحت الانتداب البريطاني، وفي الوقت نفسه فإن الاحتفاظ بعلاقات جيدة مع الکرد سيكون أمراً جوهرياً بالنسبة إلى ازدهار ميزوبوتاميا وسلامها.<sup>٣٤٠</sup>

وبينما عدَّ إعادة بسط السيادة العثمانية على کردستان العثمانية حلاً ((غير عملي)), نصح غوف كالثورب بعدم تقديم مساندة بريطانية للمطالب التي قدمها الأرمن على حساب الکرد.<sup>٣٤١</sup> في الوقت الذي طالب فيه ان تشمل ميزوبوتاميا على جبال من کردستان لأهميتها من الناحية الإستراتيجية، أوضح غوف كالثورب انه لا ينبغي تجاهل التطلعات السياسية الکردية، إذا ما أرادت حكومته تعزيز موقفها الاستراتيجي وتؤمن الاستقرار السياسي على طول حدود ميزوبوتاميا الشمالية. وبهذا الشكل أعطى غوف كالثورب الکرد أهمية خاصة، بوصفهم عاملاً يمكن له ان يُحبط أية تهديدات أو مؤامرات تركية مستقبلية ضد ميزوبوتاميا.<sup>٣٤٢</sup> وذهب مساعد غوف كالثورب، الأدميرال ريتشارد وب، بعد من رئيسه حين أعلن تأييده غير المتحفظ لخطة نوئيل الخاصة بمستقبل کردستان وارمينيا، رافضاً في الوقت نفسه أطروحات ويلسون حول الموضوع. كما اتفقت ملاحظات الكابتن سي وولي، أحد الموظفين البريطانيين العيدانيين في کردستان الشمالية، مع استنتاجات نوئيل في ان النزعة القومية الکردية المتزايدة، التي عبرت عن نفسها بالرغبة في الانفصال

<sup>339</sup> Young, Foreign Office Minute No.101503, 14 July 1919, F0371/4192, PRO.

<sup>340</sup> High Commissioner, Constantinople, to Foreign Office, Repeated to Political, Baghdad, 10 July 1919, AIR20/714, PRO.

<sup>341</sup> IDCM, 6 September 1919, F0371/4193, PRO.

<sup>342</sup> High Commissioner, Constantinople, to Political, Baghdad, 3 & 13 April 1919, AIR20/714, PRO.

عن الحكم التركي والقبول بالانتداب البريطاني، لا يمكن تجاهلها بسهولة لكونها عاملًا سياسياً قائماً.<sup>٣٤٢</sup>

أما خليفة غوف كالثورب في منصبه، الأدميرال جون دي روبك، ومرؤوسوه فاتخذوا مواقف مغايرة لتلك التي تبنتها المفوضية السامية البريطانية في القاهرة حيث كانوا متتفقين في أن لا تساند بريطانيا تطلعات الـ*الكرد* القومية. وفي الوقت الذي لم يريدوا ان يفقدوا القوميين الـ*الكرد* كورقة سياسية يمكن استخدامها في حالات الضرورة، رغب جون دي روبك وفريقه تجنب مخاصمة الحكومة العثمانية في اسطنبول أو حصول المزيد من التدهور في علاقات بريطانيا مع القوى القومية الكمالية. وبالرغم من إقراره بعمق الحركات القومية الـ*الكردية* ومصادقيتها،<sup>٣٤٤</sup> لم ير جون دي روبك أية فائدة تذكر في قيام كردستان مستقلة بقدر ما يتعلق الأمر بمصالح بلاده. لذلك، فإنه في الوقت الذي لم يرغب في حصول تدخلات بريطانية، أكد انه ((ينبغي ان يترك الـ *الكرد* لوحدهم في سعيهم للوصول الى مرحلة النجاة وفك الارتباط بالأتراك)).<sup>٣٤٥</sup> وبطريقة مماثلة، انتقد توماس هوهлер، احد الموظفين السياسيين، الأدميرال ريتشارد وبـ تفضيله خطة نوئيل حول مستقبل كردستان وارمينيا على خطة ويلسون، رافضاً في الوقت نفسه أي تدخل بريطاني في الشؤون التركية الداخلية دعماً لـ*الكرد* أو الأرمن سواءً أكان ذلك لدواع إنسانية أو أية دواع أخرى. ورأى هوهлер انه على بريطانيا ((ان تعامل حسراً مع المسألة الـ *الكردية* على الأغلب)) من زاوية أمن (حدود ميزوبوتاميا).<sup>٣٤٦</sup> كان هوهлер يأمل في ان يضع أسلوب تعامله مع المسألة الـ *الكردية* حداً للمواقف المتأوئة لبريطانيا، التي اتخذها الكماليون الأتراك، وان تتمكن بريطانيا من جعل الجبال الـ *الكردية* ((حدوداً سليمة)) لميزوبوتاميا، بحيث ((يمكن الدفاع عنها)).<sup>٣٤٧</sup> وشمن لورد كورزن وجهة نظر هوهлер،<sup>٣٤٨</sup> لأنـه هو الآخر لم يرغب في اتخاذ سياسة تجاه تركيا تُبعد الكماليين عن لندن وترميهم في أحضان روسيا البلشفية. والجدير بالإشارة

<sup>٣٤٣</sup> Capt. Woolley, Note on Kurdish National Movement -in- Civil Commissioner, Baghdad, 29 July 1919, AIR20/512, PRO.

<sup>٣٤٤</sup> De Robeck to Curzon, Confidential, 9 December 1919, F0371/93, PRO.

<sup>٣٤٥</sup> High Commissioner, Constantinople, 12 November 1919, F0371/4193, PRO.

<sup>٣٤٦</sup> Hohler, Constantinople, to Clerk Kerr, 27 August 1919, DBFP, p.742.

<sup>٣٤٧</sup> An Account of a Conversation between Hohler and Brigadier-General McCoy, 14 October 1919, DBFP, pp-821-23.

<sup>٣٤٨</sup> Ibid, Footnote 3, p.823.

انه طرحت خطط توازن بين الکرد والأتراك، كالخطة التي قدمها اندره راين، احد الموظفين السياسيين، وفحواها إقامة تركيا كبيرة تتمتع فيها كُردستان الشمالية بحكم ذاتي داخلي. واستندت الخطة في نجاحها على توصل العناصر الکردية المعتدلة الى اتفاق وتوافق مع العناصر التركية المعتدلة.<sup>٣٤٩</sup>

### خاتمة الفصل

لقد جعلت ثورة أكتوبر ودخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب العالمية ضدmania وحليفاتها اتفاقية سايكس-بيكو قديمة، غير ملائمة في ان تكون قاعدة لإعادة الخارطة الإقليمية للشرق الأوسط بشكل، وتحديد مصير شعوب آسيا العثمانية، بشكل خاص. لتلك الأسباب، بدأت حكومة لندن البحث عن تسوية سياسية وإقليمية جديدة تأخذ بالحسبان متغيرات دولية، في مقدمتها التهديدات البشغية وبروز حركات قومية بين الشعوب غير التركية في الأقاليم التي كانت ضمن تركيا العثمانية وفي إيران القاجارية.

واتسمت العملية، التي شخصت فيها حكومة لندن أهدافها ومصالحها في كُردستان، بالبطء والتrepid، والسبب في ذلك عدم وجود استعداد مُسبق للتعامل مع مسائل جديدة، بضمها المسألة الکردية. فضلاً عن ذلك، كان الوضع الداخلي الکردي مُبهمًا بالنسبة الى لندن، إذ لم يكن هناك سوى اتصالات ميدانية ضعيفة ومتقطعة قبل وقوع الحرب وخلالها بين مسؤولين بريطانيين وبعض الشخصيات الکردية. وبعد انتهاء الحرب، وجدت بريطانيا نفسها في وضعية جديدة حيث استولت على مناطق کردية شاسعة من دون وجود تحطيط مُسبق. وزادت الأهمية الإستراتيجية لهذه المناطق بصورة تدريجية، خاصة بالنسبة الى أمن الحدود الشمالية لميزوبوتاميا العربية، التي خضعت للاحتلال البريطاني خلال الحرب.

ان تصورات نوئيل وويلسون المتناقضة بشأن الأهمية السياسية للعامل الکردي من عدمه خلقت في البدء حالة من التردد والارتباك داخل الدوائر التابعة لوزارتي الخارجية والهند. وتبين أحد محاضر وزارة الخارجية، التي كُتبت قبل أسابيع قليلة من إجراء الحلفاء لمقاؤضاتهم المتعلقة بالتسوية السلمية التركية مقدار الارتباك الذي أصاب تلك الدوائر ب شأن الوضع الکردي: ((أني لست متأكدًا بخصوص نوئيل، بعد

<sup>349</sup> De Robeck to Curzon, Confidential, 2 March 1920, F0371/5067, PRO.

ان جاء وتكلم معنا طويلاً بشأن كُردستان، ناقضه الكولونييل ويلسون (بغداد)، الذي قال عنه انه كان خاطئاً تماماً في تصوراته ومقترحاته الواحد بعد الآخر<sup>٣٥٠</sup>. ولم يكن نوئيل أو ويلسون قادرين على إقناع لندن بتبني أطروحتهما أو جعلها منطلقاً للسياسة البريطانية في كُردستان قبل مناقشة مؤتمر باريس للسلام قضية مصير الأقاليم العثمانية غير التركية.

مع ذلك، تمخض عن التعليقات وردود الفعل المختلفة، التي أحدها وجهات نظرهما المتناقضة داخل الدوائر الرسمية البريطانية سواء في لندن أو في الشرق الأوسط، ظهور مبادئ عامة، أسترشد بها الوفد البريطاني في باريس لدى مناقشته مستقبل كُردستان ضمن إطار معاهدة السلام التركية. وكانت تلك المبادئ العامة حصيلة منزح تصورات وهواجس الدوائر الرسمية البريطانية المختلفة في الشرق الأوسط: أولاً، لحماية مصالحها، على بريطانيا أن لا تتجنى إلى استخدام القوة فيما وراء حدودها القائمة في كُردستان الجنوبية وميزوبوتاميا. وتلك الحدود ينبغي ان تكون «قصيرة بقدر الإمكان». وهذا يعني انه، باستثناء كُردستان الجنوبية، لن تقبل بريطانيا بأية التزامات عسكرية إضافية عند تطبيق بنود معاهدة السلام التركية الخاصة بكُردستان الشمالية وارمينيا. وبهذا الشكل، سيقع على عاتق أهالي كُردستان الشمالية (الواقعة خارج منطقة الانتداب البريطانية) مسؤولية تدبير أمورهم. ثانياً، باستثناء كُردستان الجنوبية، التي ستتحضّر إلى الانتداب البريطاني في ميزوبوتاميا، لن توافق بريطانيا على انتداب يشمل كل أجزاء كُردستان، سواءً أكانت هي الدولة المُنتدبة أم لا. ويعني هذا عملياً، ان بريطانيا رأت في تقسيم كُردستان العثمانية وسيلة تحمي مصالحها الإستراتيجية والاقتصادية، ولهذا ربطت المسألة الكردية بمصير كُردستان الشمالية فقط. وأخيراً، لم تُرد بريطانيا عودة السيادة التركية إلى كُردستان.<sup>٣٥١</sup>

استجابت النقطتان الأولى والثانية لرغبات السلطات المدنية والعسكرية البريطانية في بغداد في أن تبقى كُردستان الجنوبية خاضعة لسيطرتها وضمن منطقة

<sup>350</sup> Foreign Office Minute, Bolshevik Propaganda in the East, 7 January 1920, Reports and Papers from the Foreign Office Confidential Print, Part One, From the Mid Nineteenth Century to the First world War, DBFP, p.20.

<sup>351</sup> SIS to Civil Commissioner, Baghdad, 22 November 1919, F0371/4193, PRO.

الانتداب البريطاني لدواع إستراتيجية واقتصادية. وأخذ بنظر الاعتبار مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية التركية من خلال كُردستان الشمالية، الذي نادت به المفوضية السامية البريطانية في اسطنبول، والذي جاء منسجماً مع تصورات اللورد كورزون ووينستون تشرتشل، وزير الحرب. أما الاعتراف المحدود بالشعب الكُردي بوصفه قومية قائمة بذاتها وبطبيعته السياسية، التي جسدتها النقطة الثالثة بشكل غير مباشر، فقد انضم إلى حد ما مع أطروحتات نوئيل والسلطات البريطانية في القاهرة. ولكن المبدأ الأكثر أهمية من كل ذلك، الذي أكدت عليه السياسة البريطانية تجاه قضية التسوية السلمية التركية، هو إخضاع الموقف الرسمي من المسألة الكُردية برمتها لمتطلبات ضمان مصالح بريطانيا المختلفة في ميزوبوتاميا وتركيا وإيران. ويتبين من القراءة السريعة للنقطة الأخيرة أن الموظفين البريطانيين الميدانيين لم يشاركوا بفاعلية في تحديد اتجاه التطورات السياسية في المناطق الكُردية فحسب، بل أثروا أيضاً في سير المناقشات داخل الأوساط الصانعة للقرار الخاص بمستقبل كُردستان السياسي. وأصبح دور الموظفين الميدانيين، بقدر ما يتعلق الأمر بالوضع الكُردي، أكثر وضوحاً وتأثيراً وحاسماً في الحقبة الزمنية التالية (١٩٢١-١٩٢٣)، التي شهدت إحباط برسى كوكس، المفوض السامي البريطاني الجديد في بغداد، لمساعي بُذلت في إقامة كُردستان جنوبية منفصلة، تمهدًا لإنهاها قسراً بدولة عربية جديدة أقيمت في العراق العربي: [www.zheen.com](http://www.zheen.com).



## الفصل الرابع

### الأبعاد الإقليمية لسياسة بريطانيا الكُردية، ١٩١٨-١٩٢٠

ان الاتفاقيات السرية لاقتسام آسيا العثمانية بين بريطانيا العظمى وحليفاتها، التي عُقدت خلال الحرب العالمية الأولى، قد تجاهلت تماماً مصالح الشعوب غير التركية وتطلعاتها السياسية، كالكُرد والأرمن. ولكن، نشر السلطة البلاشفية الجديدة في روسيا بنود تلك الاتفاقيات السرية بشكل مثير وفي أجواء دولية ملبدة بالغيوم، من جانب، وإعلان الرئيس الأمريكي لنقاطه الأربع عشر بوصفها قاعدة عامة لنظام عالمي جديد قائم على مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، التي جاءت في أعقاب دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب ضد القوى المركزية، من جانب ثانٍ، أجرت بريطانيا على إعادة النظر في موقفها تجاه مستقبل الولايات العثمانية غير التركية حيث تواجدت الشعوب الكُردية والأرمنية والعربية وغيرها. وكما سيتضح الأمر للبريطانيين لاحقاً، أي بعد انتهاء الحرب، اتسمت القضايا المتعلقة بمستقبل القوميات الجديدة بالتعقيد الشديد.

ويرجع أحد الأسباب الرئيسية لذلك التعقيد إلى تضارب المعلومات، التي جاءت من مصادر مختلفة. فالقوميون الأرمن والكُرد والعرب قدمو إدعاءات متناقضة حول العائدية الأثنية والتاريخية للولايات العثمانية غير التركية. فمن طرف، أدعى القوميون الكُرد والعرب بعائدية ولاية الموصل أثنياً إلى المجموعة التي ينتتمون إليها، أملاً في ضمها إلى الكيان السياسي - الأثني الساعين إلى تأسيسه. ومن طرف ثانٍ، أدعى القوميون الكُرد والأرمن بعائدية ولايات وان وبتييس ودياربكر إلى المجموعة الأثنية التي ينتتمون إليها، وتأسисاً على ذلك طالبوا بضمها إلى الكيان السياسي - الأثني الذي يجهدون من أجل إنشائه بمساعدة قوى الحلفاء المنتصرة في الحرب. وبرزت هذه الادعاءات الإقليمية إلى السطح حالما بدأت تلك القوى بمناقشة مستقبل كُردستان وارمينيا وميزوبوتاميا العربية ضمن إطار التسوية السلمية التركية.

وفي خضم تضارب الآراء وتناقض الطموحات والمصالح واشتداد الخلافات على الصعيدين الإقليمي والدولي، سعت بريطانيا إلى تسوية المصير السياسي للقوميات الجديدة بطريقة تخدم غاياتها الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية ضمن إطار نظام

إقليمي شرق أوسطي جديد تتحكم بمقدراته. ويتناول هذا الفصل تحديداً مسألة كيف ان بحث الحكومة البريطانية عن حل المسألة الأرمنية وإعادة النظر في موضوع الوعود التي قدمتها الى الشريفيين العرب بعد اندلاع الحرب جعلها تعني حجم تداخل القضايا الإقليمية ومدى الترابط الداخلي بين التسويات السياسية لمصير الولايات العثمانية غير التركية. ويبحث هذا الفصل أيضاً التطلعات السياسية للقوميات الكردية والأرمنية والعربية بقدر ما يتعلق الأمر بتأثيراتها المباشرة وغير المباشرة في السياسة البريطانية تجاه المسألة الكردية في الحقبة الزمنية التي سبقت إعلان بنود معاهدة سيفر.

### القوميون الكرد والتسوية السلمية التركية، ١٩٢٠-١٩١٩

أدى قمع حكومة تركيا الفتاة ذات التوجهات الطورانية المعادية للمنظمات السياسية والنواحي الثقافية العائدة للقوميات غير التركية، من جانب، واندلاع الحرب العالمية الأولى، من جانب ثانٍ، الى لجوء الحركة القومية الكردية الى العمل السري. وكانت بعض الحلقات القومية الكردية التي قادها شريف باشا وشريا بدرخان والسيد طه وعبد الرزاق بدرخان قد واصلت نشاطاتها السياسية والدعائية في المتناف في بهدف كسب تعاطف قوى الحلفاء وتأييدهم لمسألة إنشاء كيان قومي قائماً على الأثنية الكردية. وفي غضون ذلك، شهدت كردستان العثمانية وكُردستان القاجارية على حد سواء وقوع سلسلة انتفاضات محلية عفوية معادية للحكم المركزي، اختلفت الواحدة عن الأخرى من حيث شدتها ورقتها الجغرافية. وكان القاسم المشترك بين تلك الانتفاضات قد تمثل بغياب التنسيق والقيادة. واستمر هذا الحال على منواله حتى الحق الحلفاء هزيمة حاسمة بالإمبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الأولى. وهذا التطور أدى بدوره الى خلق مجال لمضاعفة النشاطات السياسية والدعائية، التي كانت تقوم بها الحلقات القومية الكردية سواء في كردستان أو في خارجها. وبدأت الجمعيات السياسية والنواحي الثقافية والاجتماعية الكردية بالظهور مجدداً، كجمعية الأمل الكردية<sup>٣٥٢</sup> والنادي الكردي، وكما شُكلت جمعيات ونوادر جديدة، مثل لجنة الاستقلال الكردية في القاهرة. وقام النادي الكردي بإنشاء فروع له في مدن كردية عدّة، منها دياريكر وماردين.

<sup>٣٥٢</sup> شيركو، القضية الكردية، ص٥٢.

عانت الحركات القومية الـكُردية منذ البدء من ضعف كبير تمثل بغياب تنظيم سياسي قادر على النشاط والتأثير في أرجاء كُردستان المختلفة، وكذلك عدم تبلور قيادة كُردستانية موحدة قادرة على استثمار كافة الفرص وتعبئة جميع الطاقات السياسية والإعلامية في خدمة المسألة الـكُردية. وكانت الاتصالات السياسية لمرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى، التي أجرتها القوميون الـكُرد فيما بينهم، كالشيخ عبد القادر نهري وشريف باشا والشيخ محمود وعبد السلام الـبارزاني<sup>٣٥٣</sup> قد توقفت على حين غرة نتيجة لوقوع تلك الحرب. إن إتكلال القوميين الـكُرد على المبادرات الفردية والاتصال المُرتجل بهذه الدولة أو تلك وفي غياب جبهة سياسية كُردية موحدة في مرحلة ما بعد الحرب قد أثر سلباً في الجهود التي بذلوها من أجل خلق دعم دولي للتطبيعات القومية الـكُردية. ولربما كانت موافقة الشخصيات الـكُردية المعروفة والمنظمات السياسية الرئيسية على تحويل شريف باشا مُهمة تمثيل الشعب الـكُردي في مؤتمر السلام في باريس الناجح النسبي الوحيد الذي تم تحقيقه في مجال تنسيق المساعي السياسية على صعيد كُردستان الكبرى.

ان القاسم المشترك بين أغلبية الشخصيات القومية الـكُردية الرئيسة تمثلت بتأكيدها على ضرورة ضمان مساندة بريطانيا للمسألة الـكُردية على الصعيد الدولي. وبَنَت تلك الشخصيات تصوراتها حول إمكانية قيام بريطانيا بدور ايجابي فيما يتعلق بتقرير مصير كُردستان بعد انتهاء الحرب استناداً إلى عاملين رئيسين: أولاً، فضلاً عن وجودها العسكري المُختلف وثقلاها السياسي الكبير في منطقة الشرق الأوسط، كانت لبريطانيا جملة مصالح إستراتيجية واقتصادية سعت إلى تحقيقها من خلال عملية رسم مستقبل الولايات العثمانية غير التركية، ومنها الولايات الشرقية الستة، التي تتتألف منها كُردستان العثمانية. على ضوء ذلك، سعى القوميون الـكُرد إلى إقناع الموظفين البريطانيين، سواء كانوا يعملون ميدانياً أم في لندن، بأن تطلعاتهم السياسية لا تتضارب مع المصالح البريطانية وإنما تلتقي معها على أكثر من صعيد، بما في ذلك الصعيد الاستراتيجي. وفي اتصالاته المبكرة مع المسؤولين البريطانيين، حاول شريف باشا البرهنة على أنه إذا مُنحت كُردستان حكماً ذاتياً تحت حماية بريطانية، فإنه بإمكانها أن تؤدي «وظيفة تجاه مينزوبوتاميا شبيهة بتلك التي كان

<sup>353</sup> Ahmad, Kurdistan during the First World War, pp.63 & 67.

يؤديها إقليم الشمال الغربي تجاه الهند».<sup>٣٥٤</sup> كما أخبر الشيخ قادر البريطانيين ان قيام كُردستان مستقلة تحت حمايتهم يُمكنها من القيام بدور الحاجز القوي أمام الآتراك الكماليين والروس البلاشفة على حد سواء.<sup>٣٥٥</sup> وفي القاهرة، قدم قوميون كُرد منفيون، من أبرزهم ثريا بدرخان، تصورات مماثلة إلى المفوضية السامية البريطانية.

ثانياً، ان الدعاية السياسية البريطانية، سواء في أثناء الحرب أو بعد انتهاءها، بشأن منح الشعوب الخاضعة الحق في تقرير مصيرها السياسي، من جانب، وكذلك إعطاء موافقتها على إنشاء كيان الحكم الذاتي الكردي تحت رعايتها وإشرافها في كُردستان الجنوبية، من جانب ثانٍ، قد أدت إلى تصاعد آمال النخب السياسية والاجتماعية الكردية بشأن رسم مستقبل الشعب الكردي بعيداً عن الهيمنة التركية أو الفارسية. لقد فسرت تلك النخب هذه التطورات الإيجابية على أنها دليل على جدية البريطانيين وتفهمهم للتطورات السياسية للقوميات الجديدة، ومنها القومية الكردية.

كما يُفسر تضاد العاملين آنفي الذكر لماذا كرس القوميون الكرد جهودهم السياسية والدعائية خلال المدة ١٩١٩-١٩٢٠ من أجل تأمين دعم البريطانيين لمشروع إقامة دولة كُردستان المستقلة تحت حمايتهم السياسية. وكان القوميون الكرد يرغبون، وبعد تأمين دعم البريطانيين لهم، في فرض دولة كُردستان المستقلة كأمر واقع على الوفود المشاركة في مؤتمر السلام المزمع عقده، بدلاً من الانتظار حتى تقرر تلك الوفود مصير الكرد على طاولة المفاوضات.<sup>٣٥٦</sup> لقد تولدت مثل هذه القناعات حول ضرورةأخذ المبادرات لدى بعض الأوساط السياسية الكردية خلال سنوات الحرب. ففي طهران حيث شريف باشا البريطانيين، خلال لقائه ببرسي كوكس (الوزير البريطاني المؤقت في إيران في ذلك الوقت) علىأخذ المبادرة في إقامة إدارة ذاتية في كُردستان الجنوبية تحت حمايتهم، وأن يفصحوا عن سياستهم الخاصة بحل المسألة الكردية.<sup>٣٥٧</sup> وسرعان ما وسع شريف باشا من مقترنه ليشمل إقامة كُردستان عثمانية وفق صيغة الحكم الذاتي.<sup>٣٥٨</sup> وصدرت عن شخصيات ومنظمات كُردية، مثل

<sup>٣٥٤</sup> A.J. Toynbee, Foreign Office Minute No.174037, 22 November 1918, FO371/34071 PRO.

<sup>٣٥٥</sup> De Robeck to Curzon, 2 March 1920, Enclosure No.1, A. Ryan, Memorandum, 24 February 1920, F0371/5067, PRO.

<sup>٣٥٦</sup> Précis of Affairs-, op. cit., p.8.

<sup>٣٥٧</sup> Toynbee, Foreign Office Minute No.174037, 22 November 1918, FO371/3407, PRO.

اللجنة الُّكردية في القاهرة، مقتراحات مماثلة في فحواها. فمن جانب، رحبـت تلك الشخصيات والجمعيات بأي تطور يؤكد دعم البريطانيـين للقضـية الُّكردية، ومن جانب ثـانٍ، قامـوا ببحث لندن على اتخاذ سيـاستـة نهـائية محدـدة المعـالم تجـاه المسـألـة الُّكرـدية قبل ان يتـخذ مؤـتمر السلام قـرارـه النـهائي بشأن تلك المسـألـة.<sup>358</sup>

وفي أكثر من مناسبـة ومن خـلال الـقيام بـمبادرـات عـدـة، سعـى الـقـادـة الـقومـيون الـكـرد إلى اختـبار موـقـف بـريـطـانـيا الـحـقـيقـي نحو المسـأـلـة الـكـردـية. فـفي كـانـون الـأـول من الـعـام 1919، طـلب الـكـرد من الـبـريـطـانـيين رـعاـيـة الـاـتـفـاق الـكـردـيـ الـأـرـمـيـ بـصـورـة رـسـميـة (تفـاصـيل هـذـه الـاـتـفـاقـيـة في هـذـه الفـصل). وـكان الشـيـخ قـادـر قد عـبـرـ في حـوارـه لهـ مع تـيـ بيـ هوـهـلـر عن مـخـاوـفـه انهـ في ظـلـ غـيـابـ سـيـاسـة بـريـطـانـية مـحـدـدة المعـالم قدـ تحـاـول بعضـ المـجـمـوعـات السـيـاسـيـة التـرـكـيـة في اـسـطـنـبـول كـسـبـ الـكـردـيـ جـانـبـها بـوـاسـطـة تـقـديـمـ وـعدـ يـتـضـمـنـ منـحـ كـرـدـستانـ حـكـماـ ذاتـياـ تـحـتـ حـمـاـيـة تـرـكـيـة. وـسيـكـونـ شـمـنـ كلـ ذـلـكـ، وـقـوـفـ الـكـردـ معـ تـلـكـ المـجـمـوعـاتـ فيـ القـتـالـ ضـدـ حـرـكـةـ الـكـمـالـيـةـ. فـفـيـ الـوقـتـ الـذـي أـبـدـىـ فـيـهـ الشـيـخـ قـادـرـ عـدـمـ ثـقـتهـ بـالـأـتـرـاكـ وـبـوـعـودـهـمـ الـمـعـسـولـةـ، سـعـىـ عـلـىـ حدـ قولـ هوـهـلـرـ، إـلـىـ:

صـيـاغـةـ مـسـارـهـ بـصـورـةـ تـامـةـ بـالـانـسـجـامـ مـعـ مـسـارـ الـحـلـفاءـ، خـاصـةـ انـكـلـتراـ، لأنـهـ يـرـىـ انـ مـصـيرـ كـرـدـستانـ قدـ اـرـتـبـطـ بـصـورـةـ حـمـيـمةـ بـسـيـاسـةـ بـريـطـانـياـ العـظـيمـ اـكـثـرـ بـكـثـيرـ مـنـ سـيـاسـاتـ بـقـيـةـ الـحـلـفاءـ، وـانـ قـلـقـ مـنـ الإـقـادـ عـلـىـ فعلـ منـ دونـ موـافـقـتـناـ وـقـبـولـنـاـ.<sup>359</sup>

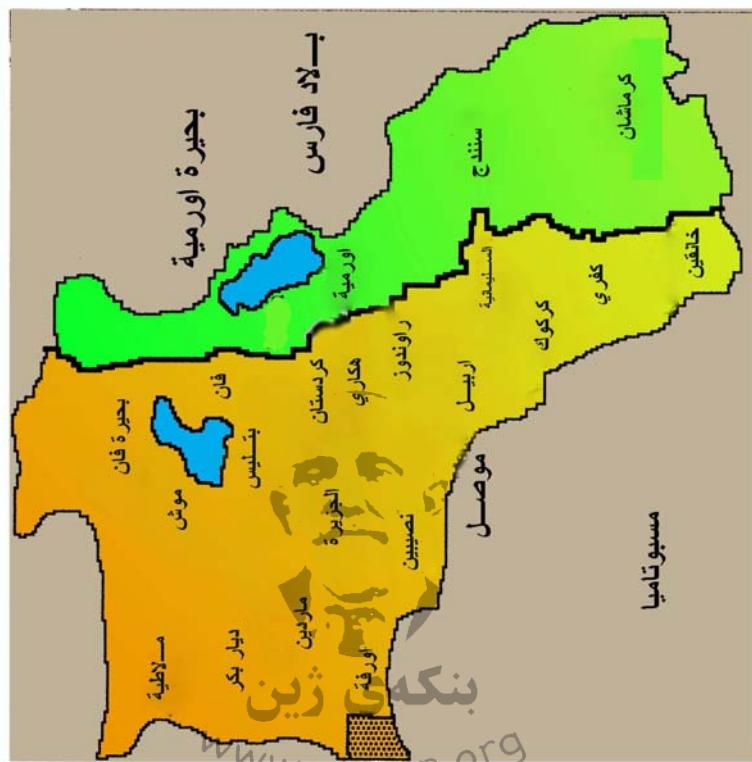
وـأـخـيـراـ وـليـسـ آخـرـاـ، طـلبـ شـرـيفـ باـشاـ، بـوـصـفـهـ مـمـثـلـ الشـعـبـ الـكـردـيـ وـنـخبـ السـيـاسـيـةـ الـقـومـيـةـ، مـنـ بـريـطـانـياـ خـلـالـ انـعقـادـ جـلـسـاتـ مـؤـتمرـ السـلامـ موـافـقـتهاـ عـلـىـ مـبـادـرـتـهـ فيـ رـفعـ مـذـكـرةـ حـولـ المسـأـلـةـ الـكـردـيـةـ، يـطالـبـ فـيهـ إـقـامـةـ اـنـتـدـابـ بـريـطـانـيـ عـلـىـ كـرـدـستانـ (انـظـرـ الـخـارـطـةـ رقمـ 13).<sup>360</sup>

أـمـاـ الـبـريـطـانـيـونـ فـتـجـنـبـواـ باـسـتـمرـارـ إـبـدـاءـ أيـ ردـ فعلـ قدـ يـقـودـهـمـ إـلـىـ التـورـطـ فيـ الشـؤـونـ الـكـردـيـةـ. وـاسـتـمـرـتـ هـذـهـ الـحـالـةـ عـلـىـ منـوالـهـاـ حـتـىـ نـهـائـةـ الـعـامـ 1919ـ،ـ أيـ حـينـ

<sup>358</sup> Policy, Cairo, to General, 6 August 1919, AIR 20/714 & the letter by the Kurdish Democratic Party to British High Commissioner, 31 August 1919, FO 371/4192 & Letters by the Kurdish Communities at Constantinople and the Association for Uplifting Kurdistan to Lloyd George, March 1920, FO371/5068, PRO.

<sup>359</sup> De Robeck to Curzon, Confidential, 9 December 1919, Enclosure No.1, T.B. Hohler, Memorandum, 8 December 1919, FO 371/4193, PRO.

<sup>360</sup> British Delegation, Paris, 12 October 1919, FO 371/93, PRO.



**الخارطة (13) حدود كردستان بحسب الخارطة التي قدّمها القوميون الكرد (1919)**

الحدود العثمانية الأميرانية

卷之三

Source: FO371/5968

بدأت بريطانيا بوضع مبادئ عامة تُرشد طريقة تعاطيها مع المسألة الكردية، منها رفض قيام أي انتداب ب البريطاني أو أجنبي على كُردستان أو فصل كُردستان الشرقية عن إيران. وفيما يتعلق بجملة قضايا ترتبط مباشرة بمستقبل كُردستان، فضلت بريطانيا خيار الانتظار حتى تبدأ المناقشات داخل مؤتمر السلام ومن ثم تتخذ موقفها النهائي. وسعت بريطانيا من وراء سياستها الكردية إلى الأخذ بنظر الاعتبار تطورات سياسية جديدة وقعت في المنطقة، في مقدمتها بروز الكمالية كقوة سياسية وعسكرية وتحديد حلفائها السابقين لمصالحهم ومناطق نفوذهم في عملية التسوية السلمية لأقاليم الإمبراطورية العثمانية. ففرنسا، وهي المنافس الامبرالي الرئيس لبريطانيا، قد طالبت بتعويضات إقليمية واقتصادية في كُردستان لقاء خسارتها للموصل، في حين أبدت الولايات المتحدة اهتماماً الملحوظ بأمر انتداب Армения.

فيما يتعلق بمسألة إقامة علاقات سياسية وثيقة مع القوميين الكرد، أبدى الموظفون البريطانيون الميدانيون في بغداد وأسطنبول تحفظات كبيرة، إذ عارضوا بشكل خاص قيام بريطانيا بتشجيع الجهود السياسية الكردية أو الاعتراف بوحدة كُردستان. لقد رأى هؤلاء الموظفون أن إرضاء التطلعات القومية الكردية لا يعود بأيةفائدة تذكر على بريطانيا ومصالحها الإستراتيجية، لكون القوميين الكرد شكلاً قوة سياسية ثانية. وفي تقاريرهم المرسلة إلى وزارة الخارجية ووزارة الهند، صعد الموظفون من انتقاداتهم للحركات القومية الكردية وخاصة قادتها البارزين، الذين عابوا عليهم عدم وحدتهم وفقدانهم لنفوذ واسع أو امتلاك الشرعية اللازمة، بسبب بعدهم عن واقع الحال في المناطق الكردية. كما وصفت بعض تقارير الموظفين القوميين الكرد على أنهم انتهازيون،<sup>361</sup> وان الحركات القومية الكردية ما هي إلا هيجان قبلي، حركته مخاوف قادتها من معاقبة الأوروبيين لهم ردًا على مذابح مزعومة ارتكبواها ضد المسيحيين في أثناء الحرب.

وكان راين وهوهلر في المفوضية السامية البريطانية في أسطنبول قد أوضح مراراً للقوميين الكرد أن بريطانيا تعارض أية محاولة تهدف إلى تعبئة الأهالي الكرد سياسياً، مهما بلغ الطابع السلمي والقانوني للوسائل التي يتولون بها. فاتخاذ مبادرات سياسية مستقلة، بحسب رأي هؤلاء الموظفين البريطانيين، يؤدي إلى عواقب

<sup>361</sup> Précis of Affairs-, op. cit., p.17.

وخيمة بالنسبة الى المصالح البريطانية، كما برهنت على ذلك ملامسات قضية الشیخ محمود في كُردستان الجنوبية في حزيران عام ١٩١٩. ان وجود كُردستان متأجة سياسياً قد تجلب أنظار القوى المعادية واهتمامها بالوضع الكردي، خاصة روسيا البلاشفية. تلك كانت خلفية تحذير علني وصريح وجهته المفوضية السامية البريطانية في اسطنبول الى القادة الكرد مفاده ان عدم استقرار كُردستان سياسياً سيؤثر سلباً في موقف بريطانيا نحو المسألة الكردية خلال مؤتمر السلام القادم.

بهذا الشكل، وجد القادة الكرد أنفسهم في مأزق حقيقي. فمن جانب، شكك البريطانيون بقدرتهم على ممارسة نفوذ يُذكر في المناطق الكردية، في نفس الوقت الذي شكوا بقوة المشاعر القومية الكردية على الأرض. ومن جانب ثانٍ، لم يتربّد البريطانيون في تحذيرهم من إنهم سيواجهون، في حالة قيامهم بنشاطات سياسية تثبت قدرتهم على ممارسة نفوذ سياسي ملحوظ أو تؤكّد قوة النزعة القومية الكردية، عواقب وخيمة ((إذا أُكتشَفَ أمرُهُمْ وَهُمْ يَعْدُونَ حَرْكَةَ ضَدِّ الْأَتْرَاكَ أَوْ إِي شَيْءٍ مِّنْ هَذَا الْقَبِيلِ)). بعبارة أخرى، كان على القوميين الكرد ان لا يثيروا في نشاطاتهم السياسية والإعلامية حفيظة الأتراك أو شكوكهم، وإن عليهم، بحسب توصيات البريطانيين، القبول بحالة الانتظار، حتى ظهور نتائج مؤتمر السلام الخاص بمصير الإمبراطورية العثمانية.<sup>٣٦٢</sup> في الوقت نفسه، واجه القوميون الكرد حملات قمع كانت تشنهما السلطات العثمانية، الخاضعة عملياً للسيطرة البريطانية. استهدفت تلك الحملات القضاء على المنظمات السياسية وإلغاء اللجان الثقافية ومنع التجمعات واعتقال الناشطين الكرد سواء في العاصمة اسطنبول أو في سائر مدن كُردستان.

لقد عكس التفاوت الملحوظ في المواقف البريطانية الأولية تجاه الوضعين الكردي والأرمني عوامل إستراتيجية وسياسية ودينية مهمة: أولاً، كان للمسألة الأرمنية بعداً دينياً وأخلاقياً من وجهاً نظر قوى الحلفاء، نتج عن بروز إدعاءات بوقوع مذابح تعرض لها الأرمن على يد السلطات التركية قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى وفي أثنائها. وأحدثت تلك المذابح المزعومة ردود فعل أخلاقية قوية وواسعة في بلدان أوروبا وأمريكا إلى الحد الذي لم يعد بالإمكان عدم التعامل مع طموحات الأرمن القومية المتمثلة بتكوين وطن ثالثي، على غرار ما طالب به اليهود أوربا وأمريكا في فلسطين.

<sup>362</sup> High Commission, Constantinople, 21 July 1919, FO 371/4192, PRO.

وهذا الوطن شمل معظم الولايات العثمانية الشرقية شكل الْكُرد فيها أغلبية السكان بشكل واضح وملموس. وقد عَدَ هذا الوطن الأثني أو الدولة الأثنية في نظر القوميين الارمنيين والمعاطفين معهم في أوربا وأمريكا بمثابة الضمان الوحيد لسلامة الشعب الـأرمني وأمنه على المدى الطويل. وتشابهت المسألة الـأرمنية كثيراً مع نظيرتها اليهودية من حيث التبريرات الأخلاقية والدينية. فاليهود نالوا دعم قوى غربية لمشروعهم في إقامة وطن قومي لهم بحجة حمايتهم من ظاهرة الاضطهاد الـديني المتغشية في أوربا.

ثانياً، بسبب الوضع الجيوسياسي الذي تمتلك به ارمينيا المقترحة، المتمثل بوقوعها بين الإمبراطورية الروسية القديمة والإمبراطورية العثمانية، اتخذت المسألة الـأرمنية أهمية إستراتيجية أكثر من نظيرتها الـكُردية بالنسبة إلى المصالح البريطانية. بعبارة أخرى، رأت حكومة لندن في قيام دولة اـرمنية مستقلة حاجزاً استراتيجياً يوجه روسيا البلشفية وتطلعاتها السياسية والإيديولوجية عبر حدودها الجنوبية. وأخيراً، على النقيض من القوميين الـأرمن واليهود الصهاينة، لم يكن للقوميين الـكُرد أي لobiسي أو إعلامي يدعم تطلعاتهم السياسية عن طريق توفير غطاء دولي لها. ولهذا العامل الأخير أهمية كبيرة، نظراً لعدم إطلاع الحكومة البريطانية على التعقيدات المحيطة بالمسألة الـكُردية أو بتدخلها مع مسائل أخرى، في مقدمتها المسألة الـأرمنية. فحين طلبت تلك الحكومة إرسال معلومات مفيدة عن زعيم قومي مناسب يمكن التحاور معه حول التطلعات السياسية للشعب الـكُردي خلال مؤتمر السلام، ادعى الموظفون البريطانيون، سواء العاملون منهم في اسطنبول أم في بغداد، عدم وجود مثل ذلك الزعيم، الذي يمكن التعامل معه. وأكّد هؤلاء الموظفون، في الوقت نفسه، عدم وجود مسألة اسمها مسألة كُردية أو حركة اسمها حركة كُردية، وإن الذين يدعون بأنهم يمثلون قضية الشعب الـكُردي لا يملكون نفوذاً يذكر على الأرض.

ان واقع الحركات القومية الـكُردية والنشاطات التي كانت تقوم بها داخل كُردستان وخارجها تتناقض بشكل ملحوظ مع الصورة التي أرسلها الموظفون الميدانيون في اسطنبول وبغداد إلى لندن. فباستثناء سمو، الذي تمنع بنفوذه معين بين الكونفدراليات القبلية التي كان يقودها على طول المناطق المحاذية للحدود القاجارية- العثمانية، تعدد نفوذ الزعماء القوميين الـكُرد، كالشيخ قادر والشيخ

محمود وأبناء الأسرة الأميرية البارخانية، الحدود القبلية، لتشمل مناطق كُردية عدّة. ولهذا لا يمكن وصف هؤلاء الزعماء على انهم مجرد قادة قبليين. فضلاً عن ذلك، ضمّت الحركات القومية الكُردية الى صفوفها شخصيات عسكرية ومدنية بارزة، علاوة على الطلبة والمتثقفين والحرفيين. وكان للنادي الكُردي، وهي المنظمة القومية الرئيسية التي نظمت حملات إعلامية وسياسية لتعبئة رأي عام كُردي من أجل إقامة كُردستان منفصلة، فروع في شمال كُردستان وغيرها، مثل دياربكر وسيرت وساور وماردين والجزيرة. وضمَّ النادي الى صفوفه الموظفين المدنيين والحرفيين وضباط في <sup>٣٦٣</sup> أجهزة الجيش والشرطة العثمانية.

ان استمرار حالة عدم تبلور سياسة بريطانية محددة المعالم والأهداف تجاه مستقبل كُردستان، خاصة بعد كانون الأول عام ١٩١٩، قد فُسرت من قبل القوميين الكُرد على أنها نذير شؤم، وبدأت الهواجس تنتابهم بشكل متزايد لثلا تضع قوى الحلفاء ترتيبات سرية، تستهدف تقسيم كُردستان العثمانية على نطاق واسع. فبعد محاورته لبعض القادة القوميين الكُردية، كتب سي غاربيت الموظف في وزارة الهند: ((انهم لا يدركون فقط ان بريطانيا العظمى وفرنسا لن تقبل مسؤولية (الانتداب على كُردستان) وإنما يعون ايضاً ان هذين الحليفين يفكران بتقسيم الأرضي الكُردية بطريقة تمنع إمكانية قيام كُردستان موحدة)).<sup>٣٦٤</sup> ... وان هؤلاء القوميين، طبقاً لرأي غاربيت، لا يمكنون خياراً سوى اللجوء الى القوميين الآتراك، وذلك لأنهم يفضلون خيار ((كُردستان موحدة)) تحت حماية تركيا ضعيفة على خيار ((تجزئة دائمة)), الذي كانوا يرون ان الكُرد مهددون به.<sup>٣٦٥</sup>

وسبّب ظهور ردود فعل محلية كُردية معادية للبريطانيين والمخاوف المتزايدة التي ولدتها شائعات قوية بشأن تمزيق أوصال كُردستان العثمانية في تفريق صفوف القوميين الكُرد في كُردستان الشمالية. وكان تقرير شريف باشا بشأن الإشاعات المتعلقة بقرار مؤتمر السلام في تقسيم كُردستان بين بريطانيا وفرنسا قد احدث، بحسب قول دي روبيك، استقطاباً سياسياً بين الحلقات القومية الكُردية. فمن جانب،

<sup>٣٦٣</sup> Nasser Effendi, Notes on the Present Kurdish Situation, Mes.Ex.Force, 5 August 1919, AIR20/513, PRO.

<sup>٣٦٤</sup> C. Garbett, Memorandum on Kurdistan, 29 January 1920, FO 371/4193, PRO.

<sup>٣٦٥</sup> Ibid.

اصطفت مجموعة من القوميين الـ**كُرد**، من الذين آمنوا بقدرة الحركة القومية الـ**الكردية** على طرد الأتراك من كُردستان، ومن ثم جعل مؤتمر السلام يعترف بوجود كُردستان محررة كأمر واقع لا يمكن تجاهله. ومن جانب ثانٍ، قاد شريف باشا مجموعة أخرى من القوميين الـ**كُرد**، من الذين لم يعتقدوا بأنهم يملكون القدرة الكافية على مواجهة الأتراك لوحدهم، ولهذا سعوا إلى استباق عملية تجزئة كُردستان عن طريق الدخول في اتفاق ثنائي مع السلطات العثمانية، ينص على منح ((**كُردستان كلها حكماً ذاتياً تحت السيادة التركية**)).<sup>366</sup> وبالطريقة ذاتها، أكد الشيخ قادر، خلال تعبيره عن مخاوفه من وجود مخططات فرنسية لتقسيم كُردستان، انه يسعى إلى كُردستان موحدة، حتى لو استلزم تحقيق ذلك خفض سقف التطلعات القومية الـ**الكردية** إلى مستوى الحكم الذاتي الداخلي ضمن تركيا.<sup>367</sup>

ان الاعتدال المفاجئ الذي طرأ على المواقف السياسية لفريق من القوميين الـ**كُرد**، الذي عبر عنه الشيخ قادر وشريف باشا وغيرهم، قد عكس، قبل كل شيء، فقدان الأمل بإمكانية تحقيق التطلعات القومية الـ**الكردية** ضمن إطار التسوية السلمية لمستقبل الإمبراطورية العثمانية التي سيتوصل إليها مؤتمر السلام.<sup>368</sup> وفي الوقت نفسه، عكس هذا الاعتدال السياسي معارضته هؤلاء القوميين لإعادة تقسيم كُردستان وخروج الشعب الـ**الكري** خالي اليدين من التسوية السلمية التي سيتحكم بها الحلفاء المنتصرون في الحرب. وهذه الأسباب، رأى هذا الفريق من القوميين الـ**كُرد** انه من الضروري التوصل إلى ترتيبات سياسية مسبقة مع السلطات العثمانية، أي قبل ان يتخذ مؤتمر السلام قراره بشأن مستقبل كُردستان العثمانية السياسي. وبهذه الطريقة سيضمن الشعب الـ**الكري** في الأقل، بحسب اعتقاد هذا الفريق، كُردستان موحدة تتمتع بحكم ذاتي ضمن تركيا جديدة. بتعبير أدق، كانت المخاوف السياسية من تمزيق أوصال كُردستان العثمانية هي الدافع الرئيس وراء الاعتدال الطارئ على مواقف مجموعة من القوميين الـ**كُرد**، وليس الدافع الديني ((أي الولاء إلى السلطان العثماني بوصفه خليفة المسلمين))، كما زعم موظفو المفوضية السامية البريطانية في

<sup>366</sup> De Robeck, Constantinople, 27 February 1920, F0371/5067, PRO.

<sup>367</sup> De Robeck to Curzon, 2 March 1920, Enclosure No.1, A. Ryan, Memorandum, 24 February 1920, F0371/5067, PRO.

<sup>368</sup> De Robeck to Curzon, Confidential, 9 December 1919, Enclosure No-1, T. B. Hohler, Memorandum, 8 December 1919, FO 371/4193, PRO.

اسطنبول. ففي أعقاب ملاقاته لوفد من النادي الكردي، كتب الأدميرال وب قائلاً أن مؤشرات «الولاء (الكردي) إلى الأتراك كانت أما غير حقيقة أو ناتجة عن ضغط مباشر أو، في بعض الأحيان، عن عدم التأكد من توفر الدعم الذي يمكن أن يستند إليه الكرد في صراعهم من أجل التخلص من الظلم التركي».<sup>369</sup>

كان لكلا العاملين المذكورين، فضلاً عن الإجراءات البريطانية على الأرض وحالة عدم التيقن من نوايا لندن بشأن مستقبل كردستان في الحقبة ١٩١٩-١٩٢٠ تأثيراً سلبياً داخل الحركة القومية الكردية إذ تعمقت الخلافات والتوجهات بين قادتها البارزين. بصورة تدريجية بدأ التشاور يحل محل التفاؤل، في نفس الوقت الذي عرقلت السلطات البريطانية الميدانية عملية ظهور كردستان جنوبية وفق نظام الحكم الذاتي، ومنعت أي ارتباط سياسي بين جنوب كردستان وشرقها. وبينما كانت تُحرز القوميين الكرد في كردستان الشمالية من مغبة القيام بنشاطات سياسية غير مرغوب بها، غضّ المسؤولون البريطانيون النظر عن اتخاذ السلطات العثمانية لإجراءات معادية للكرد، خلق صحفهم ومنظماتهم السياسية، فضلاً عن اعتقال أعضائها.

بالرغم من ذلك، لم يكن بمقدور البريطانيين تجاهل المسألة الكردية بشكل كامل بسبب وجود ثلاثة عوامل: أولاً، لم يكن بالإمكان تغاضي النظر عن حركات قومية كردية بوصفها عاملًا مهمًا في تقييم مصير الأقاليم غير التركية كارمينينا وميزوبوتاميا وسوريا. ثانياً، باحتلالها الأجزاء الجنوبية من كردستان العثمانية، واجهت بريطانيا قضية كيفية التعامل مع القوميين الكرد. بتعبير آخر، لم يكن للبريطانيين من خيار سوى التورط في مستقبل المسألة الكردية ضمن إطار التسوية السلمية للإمبراطورية العثمانية. ثالثاً، تزامن فورة النزعة القومية الكردية مع التهديدات المتزايدة التي شكلها الكماليون الأتراك والبلشفويون الروس ضد المصالح الامبرialisية البريطانية على طول الخط الممتد من الهند إلى ميزوبوتاميا عبر إيران القاجارية. إن هذه القوى المعادية لبريطانيا، في اعتقاد لندن، يمكن أن تستغل تدهور الوضع الكردي الناجم عن تجاهل المسألة الكردية لتحقيق مآربها الإقليمية. لهذا كان على حكومة لندن أن تُوجد معاونة ما تُحقق من خلالها أهدافها الرئيسية في كردستان، لكن من دون الذهاببعد من تلبية الحد الأدنى من التطلعات الكردية المتمثلة بإقامة حكم ذاتي على جزء من كردستان العثمانية.

<sup>369</sup> Commission, Constantinople, 3 February 1920, F0371/5067, PRO.

## تطور سياسة بريطانيا الكردية على ضوء الطموحات السياسية للأرمنة وبقية المسيحيين، ١٩٢٠-١٩١٨

### ١. المواقف البريطانية المبكرة

منذ القرن التاسع عشر، تركت سياسات القوى الأوروبية الكبرى آثارها على علاقات الأرمن مع الكرد بسبب تدخلاتها المباشرة وغير المباشرة في شؤون الإمبراطورية العثمانية الداخلية، خاصة في الولايات الشرقية الست. فمن جانب، استخدمت روسيا القيصرية سوء معاملة السلطات العثمانية لرعاياها الأرمن ذريعة للتدخل في شؤون الولايات الشرقية، حيث عذّت المسلمين، الذين شكلوا غالبية السكان، عائقاً بوجه بسط نفوذها السياسي وتحقيق مطامع إقليمية جديدة. وصبَّ في مصلحة روسيا نشوء خلافات كردية-أرمنية واستمراريتها، إذ أنها تمنحها الفرصة للتدخل مباشرة في قضايا الولايات الشرقية، حيث تواجهت أقلية من الأرمن جنباً إلى جنب مع أغلبية واضحة من الكرد. ومن جانب ثانٍ، سعت السلطات العثمانية من خلال إتباع نهج فرق تسد التقليدي وتقوية النزعة الإسلامية المتشددة بين الكرد إلى التصدي للنشاطات الأرمنية السياسية والإعلامية والعسكرية. وهذه السياسة العثمانية القائمة على التفريق الديني والمذهبي مثّلت أسهل الطرق وأفضلها لخنق النزاعتين القوميتين الأرمنية والكردية بصورة متزامنة. وبتعبير أدق، تنازع الكرد والأرمن فيما بينهم بالنيابة عن الأتراك والروس، بحسب الترتيب. وفي الربع الأخير من ذلك القرن، بدأت بريطانيا هي الأخرى بالتدخل مباشرة في شؤون الولايات الشرقية باستخدام ذرائع أخلاقية وسياسية، أي حماية الأرمن المسيحيين من ظلم الكرد المسلمين. واتخذت التدخلات البريطانية شكل ممارسة ضغوط مباشرة على حكومة الباب العالي من أجل إرغامها على إجراء إصلاحات إدارية، تستهدف أساساً احتواء النفوذ الروسي المتزايد الناجم عن تأزم المسألة الأرمنية وتدھور العلاقات الداخلية بين الجماعات الدينية والأثنية المختلفة في الولايات الشرقية الست.

وكما دللت إنفاضة ١٨٨١-١٨٨٠، أدرك القوميون الكرد الأوائل الحاجة إلى تجنب مصيدة الدخول في نزاع مع الأرمن المسيحيين، التي كانت تصبُّ في مصلحة الأتراك المسلمين، كذلك تشخيص الحكم التركي بوصفه العدو الحقيقي للكرد ولسائر الجماعات المسيحية الموجودة في كُردستان. بالرغم من بروز شعور معايش لدى بعض

القوميين الأرمن، إلا إنهم عجزوا عن إقامة تحالف مع القوميين الكرد بسبب تعرضهم لضغط روسيا القيصرية الشديدة. وكان لفشل الكرد والأرمن في إزالة الخلافات بينهم عواقب وخيمة بالنسبة إلى تطور الحركتين القوميتين الكردية والأرمنية حتى العام ١٩١٩. وحين وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، كان الأتراك والروس يتمتعون بموقف قوي، مكّنهم من تعبئة الجماهير الكردية والأرمنية لصالح مجدهما الحربي، بحسب الترتيب، مما سبب ذلك في وقوع كوارث إنسانية في الولايات الشرقية وفي شمال غرب إيران. وهذه المناطق كانت ميادين لمعارك كبيرة وقعت بين القوات الروسية والقوات العثمانية ووحدات المسلمين غير النظاميين، الذين جُددوا من الأهالي لصالح الطرفين المتصارعين. لقد نجم عن وقوع تلك الحرب وفاة أو قتل عشرات الآلاف من أبناء الشعبين الكردي والأرمني. ففي كُردستان الجنوبية، خسر نحو ٣٠٠,٠٠٠ كُردي حياتهم، بحسب تقديرات المؤرخ أمين زكي.<sup>٣٧٠</sup> وخسرت راوندوز وحدها ٨٠٪ من سكانها خلال الحرب، بحسب معلومات دبليو آر هي.<sup>٣٧١</sup> إما المؤرخ الأميركي، روبرت أولسون، فيقدر الضحايا الكرد بنحو مليون شخص.<sup>٣٧٢</sup> وإذا اخذ بنظر الاعتبار التقديرات البريطانية الخاصة بتعداد الشعب الكردي الذي بلغ نحو ثلاثة ملايين فرد خلال زمن الحرب<sup>٣٧٣</sup> فإن هذا يعني أن كُردستان خسرت ما يقارب ٢٠٪ من سكانها عند انتهاء الحرب.

لقد أثار انتصار الحلفاء الكاسح وخضوع مناطق كبيرة من كُردستان للسيطرة البريطانية مخاوف حقيقة لدى أهالي بعض المقاطعات الكردية من أن تلجأ تلك الدول المسيحية إلى نهج انتقامي ضدهم تحركه دوافع دينية. فبناءً على التجربة التاريخية ومعلوماتهم عن روسيا القيصرية، نظر الملايين الكرد إلى الحلفاء على أنهم قوى مسيحية، جاءت لنصرة إخوتهم في الدين (أي الجماعات المسيحية المحلية) على حسابهم (أي كما كانوا يفعلون في الماضي). كما فسرَ الكرد مساندة أوروبا وأمريكا للقضية الأرمنية، سواء أكانت سياسية أم إعلامية، على إنها إشارة قوية على

<sup>370</sup> محمد أمين زكي، *تاريخ الكرد وكُردستان من أقدم العصور وحتى الآن*، القاهرة: ١٩٣٩، ص ٢٧٤-٢٧٥.

<sup>371</sup> Hay, Two Years in Kurdistan, p.192.

<sup>372</sup> Olson, The Emergence of Kurdish Nationalism, p.21.

<sup>373</sup> British Desiderate in Turkey, op. cit., Appendix VI, Note by the Secretary, Political and Secret Department, India Office: "The Future Settlement of Eastern Turkey in Asia and Arabia", 14 March 1915, p.83.

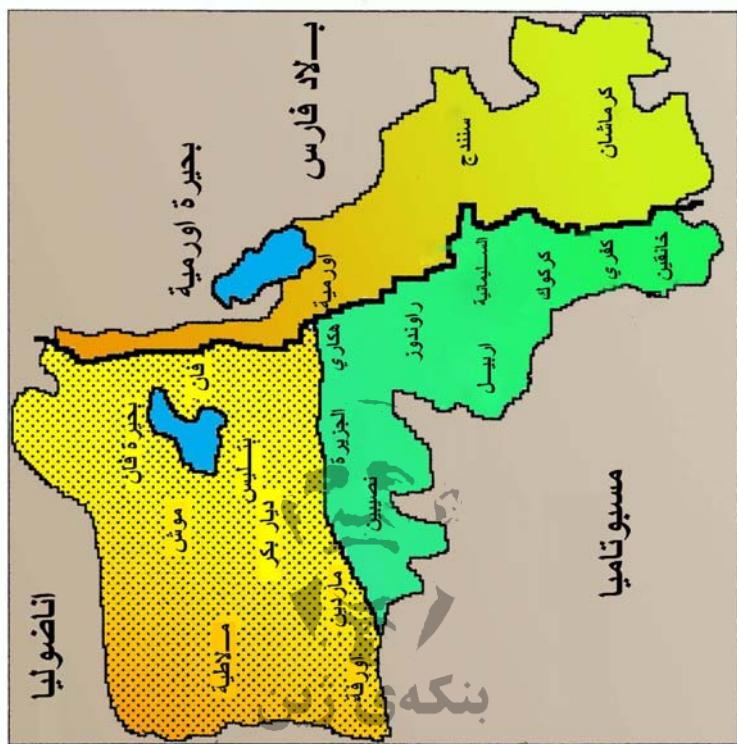
وجود نية حقيقية مُبيّنة لإلحاق كُردستان العثمانية بدولة أرمنية مسيحية كبرى. وأما العامل الذي صعد من المخاوف الْكُردية بوتيرة مسرعة هو الحملة الدعائية الواسعة، التي بدأ يشنها مجموعة كبيرة من القوميين الأرمن، على طول الولايات الشرقية وعرضها. لقد أكدت تلك الدعايات الارمنية ان قوى الحلفاء المسيحية عازمة على مقاضاة الْكُرد بسبب جرائم ارتكبواها ضد الأرمن خلال الحرب. ونجحت تلك الحملة الدعائية المعادية للكُرد في رسم صورة قائمة غير حقيقة عن أبناء الشعب الْكُردي في أوساط الرأي العام الأوربي والأمريكي، بوصفهم مُذنبين، نتيجة لقتلهم المدنيين المسيحيين الأبرياء. ونالت تلك الدعايات الارمنية مُساندة بعض رجال الإرساليات المسيحية الغربية، من أمثال الواقع دبليو أي ويغرايم، وهو رجل دين من أتباع الكنيسة الإنجيلية الإنكليزية وعاش في مدينة أورميا الْكُردية قبل الحرب العالمية الأولى وبعد اندلاعها.<sup>٣٧٤</sup> والجدير بالتأكيد أن الدافع الرئيس وراء محاولات الأرمن في توجيه تهمة قتل المسيحيين إلى الشعب الْكُردي ككل هو إقناع قوى الحلفاء بضرورة ضم كُردستان الشمالية إلى دولة أرمينيا الكبرى، بوصفه الحل العملي الوحيد الذي سيؤمن أمن الأرمن وسلامتهم على المدى الطويل (انظر الخارطة رقم ١٤).

ولكن، الميجر نوئيل سارع إلى التحذير من مغبة تورط بلاده في ((عدوات آسيا الصغرى)), التي أرجعها إلى ((المخاوف التي زرعها الأرمن بذكاء (بين الْكُرد) بشأن عزم الحلفاء على مساندة حكم أرمني يخضع له المسلمين)).<sup>٣٧٥</sup> وبالفعل، ساند الحلفاء، بما في ذلك بريطانيا وأمريكا، في البدء مشروع إنشاء أرمينيا الكبرى تشمل معظم الولايات الشرقية في المدة ١٩١٩-١٩١٤. ولم تكن نوايا الحلفاء خافية على بعض الزعماء القوميين الْكُرد، سواء أكانوا في تركيا أم في المنافي.

وبينما كانت الحرب العالمية الأولى تشرف على نهايتها، اتخذ بعض الْكُرد مبادرة، سعوا من خلالها إلى تحسين العلاقات الْكُردية- الأرمنية، في الوقت نفسه دعوا فيه الموظفين البريطانيين إلى المساهمة في دعم تلك الجهود. فعلى سبيل المثال، عَرَضَت الزعامات الموكِرية الْكُردية على القنصل البريطاني في مدينة كرماشان حلًا

<sup>٣٧٤</sup> Reverend Wigram, Notes Regarding Kurds, Baghdad, 20 February 1919, AIR20/512, PRO.

<sup>٣٧٥</sup> Dairy of Maj. Noel, On Special Duty in Kurdistan, from 14 June to 21 September 1919, F0371/5068, PRO.



**الخارطة(٤) :** الأدلة على الارتباط بين المذكرة والرسالة، وبيان ملابسات الارتباط، وذلك بحسب خارطة الارتباط المترافق من قبل القولبيين (١٩١٩)، الذي من شأنه توثيق الارتباط بين المؤلفين.

للمشكلة الْكُرْدية- المسيحية في منطقة أورمية. وهي المنطقة التي شهدت في أثناء الحرب دخول الْكُرْد، من طرف، والأرمن والآشوريين، من طرف ثانٍ، في قتال مرير نيابة عن الروس والعثمانيين الأتراك. وتضمن الحل المذكور نقطتين، تمثلت الأولى بفصل كُردستان الشرقية عن إيران الْقاجارية، وأما الثانية فنصلت على قيام البريطانيين بتدخل عاجل ومؤثر من أجل تطبيع الأوضاع في مناطق تواجدت فيها الجماعات المسيحية والمسلمة.<sup>٣٧٦</sup> وقبل أن تنتهي الحرب، لفتَ شريف باشا أنظار البريطانيين إلى دسائس الأتراك لكونها مسؤولة عن تنامي ظاهرة الكراهية بين الأرمن والْكُرْد، حيث قال:

تكمِّل المهمة الآن في التوفيق بين العِرقَيْن، المُحَمَّديَّن (المُسْلِمِين) الأكثريَّة الكبيرة والأرمن الأقلية القويَّة، وذلك عن طريق حصولهما على حقوق متساوية في البلد الذي يعيشون فيه. ومن أجل إقامة أساس لذلك التوافق، رأى (شريف باشا) ضرورة وجود لجنة في لندن، التي أوصى بتشكيلها فوراً، تحت رعاية الحكومة البريطانية، في ميزوبوتاميا في البدء ومن ثم في كُردستان.<sup>٣٧٧</sup>

وطالب قوميون كُرْد آخرون، منهم السيد طه، بضمّان بريطاني يُؤْصَل على عدم إخضاع كُردستان لحكم أرمني أو آشوري.<sup>٣٧٨</sup> وواصل طه وحليفه سموّاتصالاتهم بالموظفين البريطانيين الميدانيين، معتبرين من خلالها عن استعدادهما التام في التعاون المشترك بشأن المشكلة المسيحية، في حالة قيام بريطانيا بالتدخل سياسياً بغية تقرير وجهات نظر بين الأطراف المعنية المختلفة.

في البدء، لم يهتم الموظفون البريطانيون العاملون ميدانياً بشكل جدي بالمخاوف الْكُرْدية المُتصاعدة أو بأي عامل يرتبط بالوضع الْكُرْدي لدى تعاملهم مع القضايا المتعلقة بالأرمن والآشوريين. ففي هذا الصدد، عبر ويلسون عن شكوكه يامكانيات شريف باشا ونفوذه، مُدعِياً أنه لا يتمتع بدور يُذكر يُمكّنه من أداء دور في تسوية المشكلة الْكُرْدية- الإرمنية.<sup>٣٧٩</sup> وكما بين الفصل الثاني، وقفت جملة دوافع سياسية ودينية وراء الإجراءات الصارمة التي اتخذتها موظفون ميدانيون، منهم ليچمن، بحق

<sup>376</sup> Précis of Affairs-, op. cit., pp.7-8.

<sup>377</sup> Ibid, p.8.

<sup>378</sup> War Office, No.0152/5146, 11 August 1919, F0371/4192, PRO.

<sup>379</sup> Political, Baghdad, to SIS for India, 30 October 1918, AIR20/512, PRO.

الكُرد المسلمين بحجة حماية المسيحيين. فمن جانب، رأى هؤلاء الموظفون في دعم اللاجئين المسيحيين عن طريق تسليحهم وتوطينهم أرخص وسيلة لتعزيز السيطرة البريطانية على المناطق الـكُردية المضطربة. ولكن البُعد الديني لهذه السياسة الخطيرة لم تثمر عملياً عن أية نتائج إيجابية انتفع منها البريطانيون. فبدلاً من استتاب الأمان والنظام، تسببت تلك السياسة لا في ازدياد المشاعر المعادية لبريطانيا فحسب، بل أيضاً في اندلاع انتفاضات كُردية عدّة سواءً في منطقة الموصل أو في خارجها، مثل العمامية والجزيرة ونصيبين. ولم يكن بمستطاع الموظفين البريطانيين السيطرة على الأوضاع الملتهبة من خلال الاعتماد على وحدات اللاجئين المسيحيين المسلحة، ولهذا قاموا باستخدام طائرات حربية في شن هجمات جوية ضد أهداف مدنية (قرى وقصبات كُردية)، حيث الحقّت بها خسائر بشرية ومادية كبيرة.<sup>٣٨٠</sup>

لاغرابة في أن تساهم وقوع تلك التطورات في مضاعفة الهواجس والشكوك الـكُردية بنوايا البريطانيين في كُردستان. وقام الميجر نوئيل بتوجيهه انتقادات ضد التوجه الديني المناصر للمسيحيين لدى الموظفين الميدانيين، حيث قال بهذا الشأن: «إن ترك أنفسنا نُستخدم كوسيلة بيد التغصّب وروح الانتقام الدينيالأرمني هو (العامل) المسؤول بصورة كبيرة عن الحركة المعادية للمسيحية وللبريطانيين في كُردستان».<sup>٣٨١</sup> وكان نوئيل قد حذر قبل ذلك من خطورة استخدام سياسة انتقامية ضد المدنيين الـكُرد، لأنها ستؤدي إلى قيام جبهة معادية للبريطانيين بين المسلمين، مما قد يورط حكومة لندن في «مسؤوليات عسكرية جدية».<sup>٣٨٢</sup> إن طموحات اللاجئين الآشوريين كانت تمثل بنظر الكُرد تهديداً جديداً. فالآشوريون طالبوا البريطانيين، على غرار الأرمن، بدعم مساعيهم السياسية بتشكيل وطن قومي خاص بهم، في المناطق الممتدة من الموصل حتى أورمية، بضمّنها جزيرة ابن عمر وحکاري وراوندوز وباشقلا (أنظر الخارطة رقم ١٥).<sup>٣٨٣</sup>

وعادت إلى الأذهان المواقف غير الودّية، التي اتخذها الموظفون الميدانيون، والتوجهات القديمة في السياسة الخارجية البريطانية تجاه مستقبل الأرمن والآشوريين.

<sup>380</sup> Précis of Affairs., op. cit., p.14.

<sup>381</sup> Noel, Aleppo, to Political, Baghdad, 2 August 1919, AIR20/714, PRO.

<sup>382</sup> Political, Baghdad, to Egyptian, Cairo, 24 April 1919, AIR20/714, PRO.

<sup>383</sup> Headquarter Jelus Refugee Camp, to Political, Baghdad, 21 February 1919, AIR20/512, PRO.

الخطة (15): الوطن القديم الآشوري بحسب  
الادعاءات الآشورية بعد الحرب العالمية الأولى

الاضوليا

الحدود المشتركة الإيرانية

بحيرة اورمية

موشى

فان

جبل فان

مسلاطية

دير يكر

قليس

ماردين

اورفة

ماردين

اورفة

ماردين

اورفة

ماردين

اورفة

ماردين

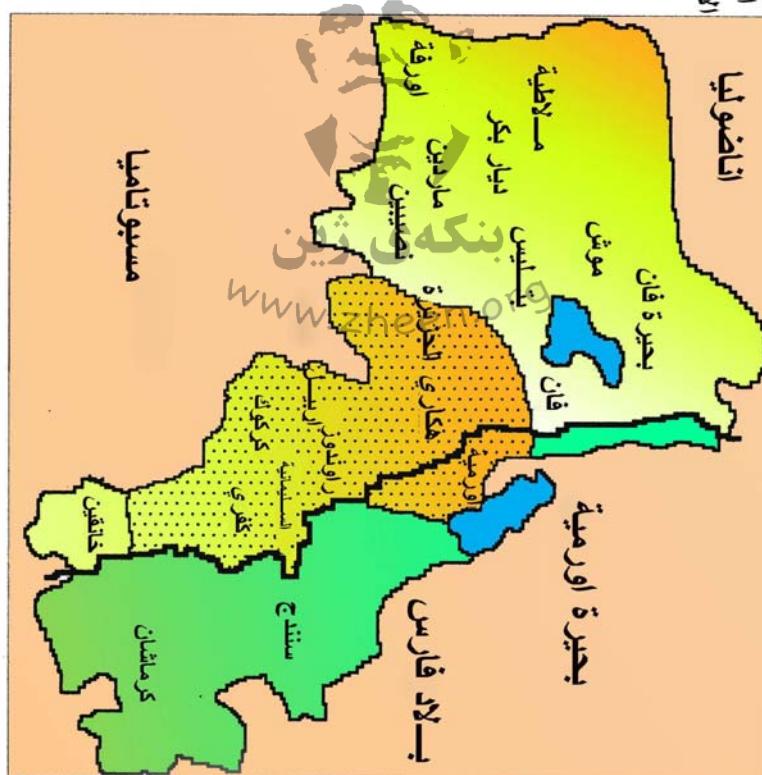
اورفة

ماردين

اورفة

الادعاءات الآشورية  
في كردستان

مسوباتاميا



ولدى التمعن ملياً في تلك المخطوطات، يمكن القول بأن المخاوف والشكوك الكردية كانت في محلها ولها ما يبررها من الناحية التاريخية. حسبما أفصح عنه توينبي، كان مارك سايكس يفكر في إقامة كيان منفصل في مقاطعة هكاري في وسط كردستان العثمانية خاص برعايا الدولة العثمانية من الآشوريين على شاكلة الكيان اللبناني. فضلاً عن ذلك، رأى سايكس يامكانية حصول اتحاد بين الآشوريين العثمانيين والآشوريين القاجاريين القاطنين في مقاطعة أورمية الكردية المحاذية لمقاطعة هكاري على الجانب الآخر من الحدود العثمانية- القاجارية.

وفيما يخص حل المسألة الأرمنية، اقترح سايكس إقامة كيانين أرمنيين مستقلين: الأول في قليقلا والثاني في الولايات الشرقية. وبحسب اعتقاد سايكس، سيقوم الكيان الأرمني الثاني وفق مبدأ المساواة بين جميع القوميات ! وسيندمج الكيانان في وقت لاحق في دولة أرمنية واحدة، تضم معظم مناطق كردستان العثمانية. وعلق توينبي على خطة سايكس بأنها ((ستمتنح الأرمن حكومة ذاتية قومية بصورة مباشرة ... ولكن قد يكون هذا سوء حظ بالنسبة إلى العنصر التركي والكردي الطاغي جداً على السكان هناك))<sup>٣٨٤</sup>. وترجع هذه الخطة في جذورها إلى العام ١٩١٥، حين اقترح سايكس قيام ((دول حاجزة أرمنية))، وكذلك إنشاء كيان آشوري في آسيا الصغرى.<sup>٣٨٥</sup> ويذكر أن خطة ساي克斯 تلك قد وزعت بصيغة مذكرة لوزارة الخارجية، قامت بمناقشتها اللجنة الشرقية التابعة لحكومة الحرب المصغرة.<sup>٣٨٦</sup> وخلال العام ١٩١٩، مالت بريطانيا بقوة، على غرار الولايات المتحدة الأمريكية، إلى إقامة دولة أرمينيا الكبرى،<sup>٣٨٧</sup> لكي تكون مانعاً أمام أي عدوan بلشفي ووسيلة لاحتواء النزعة الطورانية الجامحة، ومشروعها له ما يبرره أخلاقياً ومتماشياً مع ضغوطات اللوبي الأرمني في دول الغربية (أنظر الخارطة رقم ١٦).<sup>٣٨٨</sup>

<sup>٣٨٤</sup> A.J. Toynbee, Foreign office Minute No.174037, 25 November 1918, F0371/3407, PRO.

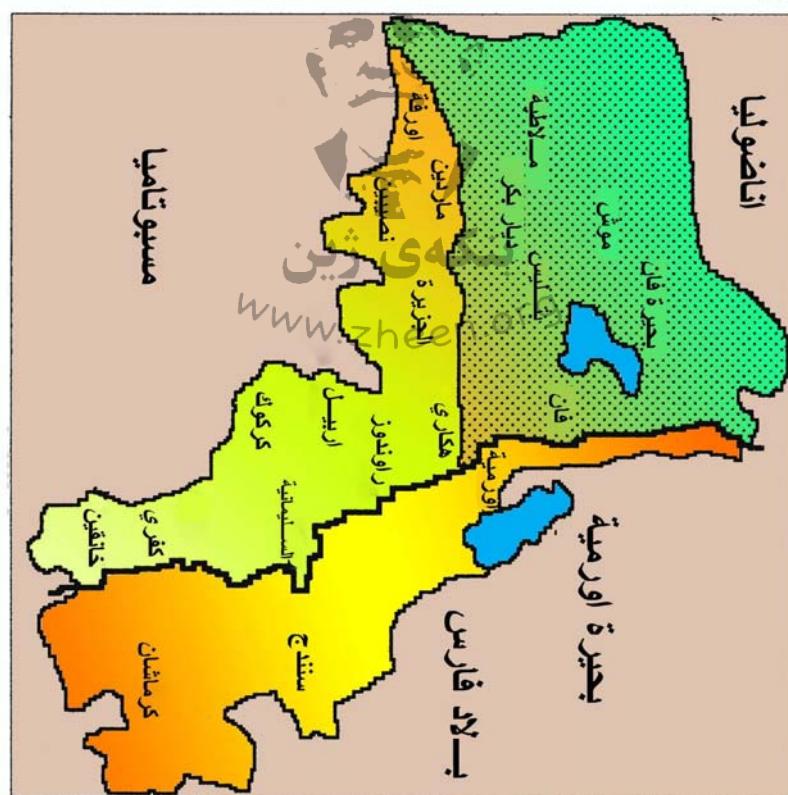
<sup>٣٨٥</sup> British Desiderata in Turkey in Asia, Appendix XV, Armenian Buffer States, Note by Lieut. Col. Mark Sykes, 15 March 1915, CAB27/1, PRO, pp.114-115.

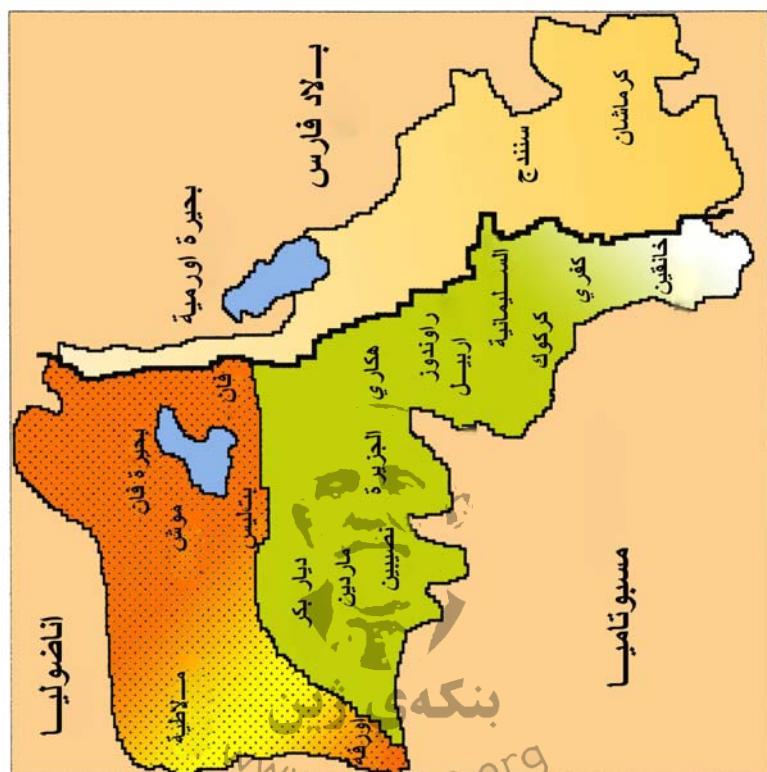
<sup>٣٨٦</sup> Eastern Committee, No.2525, November 1918, Cab 27/37, PRO.

<sup>٣٨٧</sup> Richard G. Hovannisian, The Republic of Armenia: From Versailles to London, 1919-1920, Vol.II, (London & Los Angeles: University of California Press, 1996), pp. 265-266.

<sup>٣٨٨</sup> Eastern Committee, 40th & 43d Minutes 27/24, PRO.

الخارطة(6): المناطق الكندية التي تكون ضمن حدود إرمانيا بحسب المشروع البريطاني (1919)





(الخرطة (١): المناطق الكردية التي تكون ضمن حدود أرمينيا بحسب المشروع الأمريكي (1919)

بالمقارنة مع حليفتها حكومة لندن، أدعت حكومة واشنطن بأن دعمها لمشروع إنشاء دولة أرمينيا الكبرى عبر عن دوافع أخلاقية بحتة، أي حماية الشعب الأرمني من وقوع مذابح جديدة قد يرتكبها المسلمين ضدهم.<sup>٣٨٩</sup> وكانت تلك الحكومة قد وافقت من حيث المبدأ على أن تكون هي الدولة المُنتَدِبة على أرمينيا، وإن تساهم في تعين حدود الدولة الأرمنية المستقبلية. (انظر الخارطة رقم ١٧).<sup>٣٩٠</sup> ويتبين من دراسة موقفى لندن وواشنطن أن التوجهات الأمريكية والبريطانية الخارجية قد تلاقت مع طموحات القوميين الأرمن، الذين لم يرضوا بأقل من إقامة دولة أرمينيا الكبرى، تمتد من قوقازيا، في الشرق، حتى البحر الأبيض المتوسط، في الغرب، شاملة معظم مناطق كُردستان العثمانية.<sup>٣٩١</sup>

على صعيد آخر، كانت وزارة الخارجية ووزارة الهند تفكran باستغلال طموحات الآشوريين السياسية المتمثلة بتشكيل كيان اثنى - آثوري، بالصيغة التي اقترحها سايكس، أي توحيد مقاطعة باشقا في كُردستان العثمانية بمقاطعة أورمية المجاورة لها في كُردستان القاجارية.<sup>٣٩٢</sup> وكان من المؤمل أن يعود هذا الكيان بفوائد عدّة على البريطانيين: أولاً، نظراً لعدم ملائمة كُردستان الجنوبية كمكان يستوطن فيه اللاجئون الآشوريون بسبب مقاومة أهاليها من الـكُرد المسلمين، وجد مونتيفيو الحل في إعادة تسفيرهم إلى مقاطعة أورمية. وثانياً، فضلاً عن إزالة عبء مالي ثقيل على الإدارة البريطانية في ميزوبوتاميا، الذي أوجده مشكلة اللاجئين الآشوريين، كان مونتيفيو يأمل في انه:

لربما ستربح الحكومة الفارسية باستيطان مسيحي قوي في هذه المنطقة (أورمية) بوصفه حاجزاً بوجه العدوان الـكُردي، ولربما ستكون على استعداد في منح الآشوريين حكماً ذاتياً محلياً مقابل ضمان ما في مجال الخدمة العسكرية.<sup>٣٩٣</sup>

ونان اقتراح مونتيفيو دعم هيوبرت يونغ في وزارة الخارجية.<sup>٣٩٤</sup>

ومن جانبه، طرح الميجير روس، أحد الموظفين السياسيين، تصورات مخالفة تماماً لتصورات مونتيفيو بشأن المشكلة الآشورية. وتماثلت أطروحات روس حول

<sup>٣٨٩</sup> Hovannisian, The Republic of Armenia: From 1920, Vol.II, pp.261-264

<sup>٣٩٠</sup> Sachar, The Emergence of the Middle East, pp.265, 353-356 & 362.

<sup>٣٩١</sup> Hovannisian, The Republic of Armenia: 1920, Vol.II, pp.261-264.

<sup>٣٩٢</sup> Foreign Office Comment on Telegram F0371/4192, PRO.

<sup>٣٩٣</sup> Hirtzel, India Office, 20 December 1919, F0371/4193, PRO.

<sup>٣٩٤</sup> Young, Memorandum No.16443, 10 January 1920, F0371/4193, PRO.

المشكلة الْكُرديَّة - الآثُورِيَّة إلى حد بعيد مع أطروحتَ نظيرِه الميجِر نوئيل بشأن المشكلة الْكُرديَّة - الأرمنيَّة، إذ حادَ كلاهما عن مسار التفكير الرسمي السائد. ورأى روس أنه من الضروري أن تستند بريطانيا في طريقة تعاملها مع المشكلة الْكُرديَّة - الآثُورِيَّة إلى الواقع الموجود على الأرض، بمعزل عن اعتبارات دينية أخرى، ولهذا دعا إلى توحيد تلك المقاطعتين (أي باشقاً وأورمية) تحت سلطة كُردية، بالانسجام مع الحقائق الديمغرافية والجغرافية والاقتصادية والسياسية السائدة. وبينَ روس أن الآثوريين لا يشكلون سوى أقلية من السكان في تلك المقاطعتين، في حين سيؤدي تلبية تطلعات الأكثريَّة الْكُرديَّة إلى الاستقرار السياسي فيما، وهو الهدف الذي سعت بريطانيا إلى تحقيقه.<sup>٣٩٥</sup> ولم تزل تصورات روس تأييداً يذكر في أواسط الموظفين البريطانيين العاملين في إيران أو في ميزوبوتاميا أو في لندن وذلك لأن حماية وحدة إيران القاجارية الإقليمية كانت مسألة في غاية الحيوية بالنسبة إلى تأميم مصالح بريطانيا الإستراتيجية في الهند، وفي عاقبة الأمر، استقرت الحكومة البريطانية على خيار ثالث، بدلاً من خياري سايكس وروس، تمثلَ بتوحيد تلك المقاطعتين بغية إقامة كيان حكم ذاتي مسيحي خاضع للسيادة الإيرانية. وهذا ما سعى إلى تحقيقه بنود معاهدة سيفر الخاصة بمصير الولايات الشرقيَّة (المزيد من التفاصيل في الفصل القادم).

٣- حسم المسألة الأرمنية والموقف البريطاني الجديد من مستقبل كُردستان

لم يستغرق أمداً طويلاً اصطدام الحكومة البريطانية بجدران الواقع المحسوسة، إذ سرعان ما أدرك المسؤولون البريطانيون أن المعلومات المتوفّرة لديهم لا تدعمها تقارير ميدانية رُفعت لهم عن أوضاع كُردستان المختلفة. أولاً، شكل الْكُرد الغالبية الساحقة من سكان الولايات والمقاطعات التي ادعى المسيحيون بأنها وطنهم التاريخي. ثانياً، والأكثر أهمية من ذلك، لم تكن إقامة دولة أرمينيا الكبرى بخيار سياسي قابل للحياة والديمومة، فضلاً عن أنها مشروع محفوف بمخاطر جدية إذ كان بحكم المؤكد حدوث اضطرابات واسعة في كُردستان. وإذا ما أراد الحلفاء التغلب على الحاجز الْكُردي، توجب عليهم إما أن يتدخلوا عسكرياً بصورة مباشرة لإقامة الدولة الأرمنية المقترحة أو أن يلبوا بعض تطلعات الشعب الْكُردي.

<sup>395</sup> Maj. Ross, Note on Kurdish Claims to the Urmia District of Persia, Kurdish Bureau, 8/9 July 1919, AIR20/512, PRO.

ويُدعى المؤرخ الأرمني ريتشارد هوڤانيسیان ان العثمانيين الأتراك هم من أخلق ((المسألة الکردية)), لكي يعرقلوا حل القضية الأرمنية، وان بريطانيا سرعان ما تبنتها هي الأخرى بهدف التراجع عن وعود قدمتها للأرمن!<sup>٣٩٦</sup> واللافت للنظر ان هذه المزاعم الأرمنية تطابقت تماما مع إدعاءات الطورانيين الأتراك. فكلا الطرفين كان يخشى من النزعة القومية الکردية لأنها تتقاطع مع طموحاتهما التوسعية. كما ان مسار تطور الموقف البريطاني تجاه مصير الولايات العثمانية الشرقية يتناقض جملة وتفصيلا مع ادعاءات هوڤانيسیان. فالبريطانيون ازداد اهتمامهم بالعامل الکردي خلال بحثهم عن الوسائل التي يمكن أن تسهل عليهم تحقيق مشروع إقامة دولة أثניתية أرمنية في الولايات الشرقية. وبالفعل، في الوقت الذي لم يُبدِ المسؤولون البريطانيون أي استعداد لقبول التزامات عسكرية يتطلبها مشروع إقامة الدولة الأرمنية، راقبوا عن كثب وبقلق شديد محاولات الأتراك الحثيثة لضم الکرد الى جبهة (الإسلام)، مُستغلين مخاوفهم من الخضوع لهيمنة مسيحية أرمنية مدعومة من الحلفاء.<sup>٣٩٧</sup> ان النجاح في إقامة جبهة تركية- کردية مشتركة كان من شأنه ان يضع القوميين الأتراك في موقع قوي، يمكنهم من إفشال أية تسوية سياسية قد يفرضها الحلفاء على الولايات الشرقية. والي حد ما، نجح الأتراك في استغلال مخاوف أبداها شريحة غير قليلة من الکرد تجاه فرض هيمنة أرمنية محتملة عليهم من خلال التأكيد على مشاعرهم الإسلامية (التي أوجها الأتراك بعد أحداث الاحتلال المسيحي - اليوناني لأزمير)، وليس عن طريق تشجيعهم للنزعة القومية الکردية، كما يدعي المؤرخ هوڤانيسیان.

ان التغيير الطارئ في طريقة تعامل حكومة لندن مع الوضع الکردي قد تأثر بمعلومات ميدانية وفرها موظفون بريطانيون، كانوا عملوا على تسليط الضوء على جوانب غير معروفة من الوضع القائم في کردستان العثمانية، كما أكدوا على ضرورة استيعاب الترابط والتشابك الخفي بين المسؤولين الکردية والأرمنية في حالة وضع أي خطط أو مشروع يحدد مصير الولايات الشرقية. ففي جولته الى بعض المناطق الکردية، تحدث احد ضباط الاستخبارات العسكرية البريطانية، كابتن سي وولي، في

<sup>396</sup> Richard G. Hovannisian, The Republic of Armenia: From Versailles to London, 1919-1920, Vol.II, pp.442-447 & The Republic of Armenia: From London to Sèvres, February-August 1920, Vol.III, op. cit., pp. 61-71.

<sup>397</sup> Calthorpe, Constantinople, to Curzon, 30 July 1919, DBFP, pp-704-705.

تقرير له عن تصاعد مخاوف المحتلين الـكُرد من الواقع تحت هيمنة متعصبين أرمنيين ومن إتباع الحلفاء لسياسة انتقامية ضدهم.<sup>٣٩٨</sup> وحدّر وكيل آخر من وكلاء الاستخبارات البريطانية، ناصر أفندي، الذي جاء من أصول مسيحية عثمانية، من قيام دولة أرمنية على حساب مصالح الـكُرد، لأنها ستؤدي إلى انتفاضة كُردية فور إعلانها.<sup>٣٩٩</sup>

والأهم من كل تلك المعلومات الخاصة بالوضع العيداني هو ما وضعه الميجر نوئيل من معلومات وآراء أمام أنظار المسؤولين في لندن أهمها هو ان الـكُرد كانوا يشكلون الأغلبية الساحقة من سكان غالبية المناطق التي ادعى القوميون الأرمنيون بأنها جزء من وطنهم القومي - التاريحي المزعوم. يقول نوئيل بهذا الصدد:

ان المعضلة الرئيسية في المشكلة (الأرمنية- الكُردية) تكمن في حقيقة ان الادعاءات الأرمنية نالت اهتمام اوربا وسيطرت على الرأي العام فيها، خاصة في انكلترا وأمريكا، بطريقة أصبح من الصعب جدا الان التوفيق بين الاعتراف العملي بتلك الادعاءات ومنطق الحقائق التي لا يمكن دحضها. بتعبير آخر، ان البديل لغضب لورد برايس (Bryce) وصحافة الكوكوا (Cocoa) هو ان يحكم ارمني واحد عشرة من الـكُرد.<sup>٤٠٠</sup>

وعبرَت علامات التغيير في المواقف البريطانية عن نفسها من خلال تبني خطوات إرضائية في مناطق كُردية كانت خاضعة للسيطرة البريطانية. واستهدفت تلك الخطوات احتواء نشاطات دعائية معادية لبريطانيا قام بها الطورانيون الكماليون والسلطات العثمانية على حد سواء.<sup>٤٠١</sup> وبالانسجام مع توصيات نوئيل، التي نالت موافقة المسؤولين في لندن، أصدر الميجر ويلسون عفواً عاماً عن جميع أولئك الـكُرد الذين كانوا يخشون من العقاب بسبب جرائم حرب مزعومة. فضلاً عن ذلك، شجع البريطانيون قيام عدد من الزعماء الـكُرد بزيارة المناطق الكُردية المضطربة من أجل طمأنة سكانها من التوايا البريطانية الحسنة.<sup>٤٠٢</sup>

<sup>398</sup> Woolley, the Kurdish National Movement, F0371/4192, PRO, pp.5-6.

<sup>399</sup> Nasir Effendi, Notes on the Present Kurdish Situation, 5 August 1919, AIR20/513, PRO.

<sup>400</sup> Noel, Note on the Kurdish Situation, July 1919, F0371/4192, PRO.

<sup>401</sup> Political, Baghdad, to SIS for India, London (No.5353) 12 May 1919, AIR20/714 & SIS to CCr, Baghdad, Priority, 5 June 1919, F0371/4192, PRO.

<sup>402</sup> Calthorpe, Constantinople, to Political, Baghdad, 1 May 1919 Political, Baghdad, to SIS for India, (No.5353) 12 May 1919, AIR20/714, PRO.

وفي توصياته، طالب الميجر نوئيل، إضافة إلى تطبيق خطوات قصيرة الأمد، ((إزالة آثار دعاية النزعة الإسلامية التركية))، وذلك من خلال طمأنة الحكومة البريطانية للزعماء الكرد بأنه حيثما يكون العنصر الكردي هو السائد، لا تكون هناك هيمنة أرمنية.<sup>٤٠٣</sup> إن الجانب الجوهري في تقرير نوئيل هذا عن كُردستان الشمالية، الذي حاول من خلاله لفت أنظار الدوائر الرسمية إليه سواءً في لندن أو في الشرق الأوسط، قد تتمثل بتأكيده على الترابط الداخلي الوثيق بين حل المسألتين الارمنية والكردية. بعبارة أخرى، ان الاستجابة للتطلعات الكرد القومية عامل مهم يسهم في نجاح مساعي الحلفاء من أجل تشكيل دولة قومية أرمنية. ففي حزيران العام ١٩١٩، ذكر نوئيل في تقرير له من دياريكر:

هنا وفي المناطق المجاورة من كُردستان، يشعر الزعماء الكرد بقوة بالدعائية الكاملة التي تطلقها أوروبا بشأن الإدعاءات القومية الارمنية، في حين ان قضيتهم بالمقارنة معها أشبه بملف مغلق. ان القلق يتملكهم أيضاً، لأن قرارات تتخذ في باريس تؤثر بشكل مصيري في مستقبلهم، في الوقت الذي يرون أنفسهم هنا عاجزين عن عمل أي شيء. ان كل ذلك يؤدي إلى خلق رغبة طبيعية في القيام بمظاهرات تهدف إلى تسلیط الضوء على مسألة كُردستان، ومواجهة مؤتمر السلام بالأمر الواقع.<sup>٤٠٤</sup>

بهذا النحو وبحلول نهاية العام ١٩١٩، بدأ تسلیط الضوء على مسألة الارمنية أكثر تعقيداً بكثير مما كانت تراه الحكومة البريطانية خلال زمن الحرب.

نظراً للاهتمام الذي أبدته بريطانيا تجاه إيجاد حل لمسألة الارمنية، اكتسبت تصورات نوئيل أهمية خاصة، حتى أنها أصبحت محوراً لمناقشات مستفيضة بين الدوائر الحكومية المختلفة في لندن وبين الموظفين العاملين في منطقة الشرق الأوسط. وكان تضاعف الاهتمام الذي أبدته بريطانيا بالمسألة الكردية أحدى أبرز نتائج تلك المناقشات. واقر آرثر هيرتزل، أحد كبار موظفي وزارة الهند، أن الدعم الأوروبي لقيام دولة ارمنية مستقلة يتناقض، كما بینت الواقع على الأرض، مع مبدأ حق تقرير المصير، الذي من المفترض أن تستند إليه تلك الدولة، وان التضحية بحق الكرد في

<sup>403</sup> Noel, Constantinople, to Political, Baghdad, 10 July 1919, F0371/4192, PRO.

<sup>404</sup> Fivecav, Cairo, to Political, Baghdad, 14 June 1919, AIR20/512, PRO.

تقرير المصير الذاتي من أجل إقامة دولة ارمينيا الكبرى ستبرر حقهم في مقاومة الهيمنة الأرمنية.<sup>٤٠٥</sup> واقرَّ وزير الهند، مونتيغيو، هو الآخر بأنه ((يجب ان يستند الحل النهائي لل المشكلة الكردية الى عوامل متنوعة، ومنها تلك التي لم تُحسم بعد)), كتحديد مساحة الدولة الأرمنية المقترحة وسماتها.<sup>٤٠٦</sup> وذهب هيرتزل ابعد من كل ذلك في توضيح موقف وزارته من المشكلة الأرمنية- الكردية، حين عدَ قيام دولتين، الأولى أرمنية والثانية كُردية، خياراً غير مثالى، داعياً الى خيار آخر يستند الى التجربة البريطانية في الهند، وتمثل بتبني طريقة مورلي- مينتو في التعامل مع المسلمين الهنود. بتعبير أدق، سيحصل الأرمن، على غرار المسلمين الهنود، على نفوذ سياسي اكبر من حجمهم السكاني الحقيقي.<sup>٤٠٧</sup>

بالمقارنة مع أطروحتات هيرتزل، استند نوئيل في معالجته للمسؤلتين الكردية والأرمنية الى قيام بريطانيا بمبادرة عملية تتضمن الاعتراف بشكل متساوٍ بالطلعات القومية الكردية والطموحات السياسية الأرمنية. ولأن تعين حدود كُردستان وارمينيا قد أثبتت صعوبته، بسبب ((تبغُر السكان) و(وضع البلاد المدمّر)، فإنه ينبغي حسم العلاقة الجغرافية بين البلدين من قبل الطرفين المعنيين مباشرة بالأمر، بعد تطبيع الأوضاع على الأرض.<sup>٤٠٨</sup> وكانت أطروحتات نوئيل هذه قد نالت تأييد عدد من الموظفين البريطانيين في الشرق الأوسط. وأبدى الأدميرال ويب، الذي اعترض على خطة ويلسون القاضية بعودة السلطة التركية الى الولايات الشرقية تحت إشراف أوربي، مساندته لخطة نوئيل، حيث عدها ((السبيل الوحيد للخروج من المعضلة)).<sup>٤٠٩</sup> وأيدَ كولونيل فرنج، من قوة الاستكشاف المصرية، بتبني خطة نوئيل، لأنها تأخذ بنظر الاعتبار الواقع الثنائي والسياسي على الأرض، ولهذا أوصى حكومته بالاعتراف بالقومية الكردية وأن تقوم بما في وسعها من أجل منع أي قرار يتخده مؤتمر السلام من شأنه ان يعطي الأرمن هيمنة مطلقة على تلك المناطق التي يشكل الكرد فيها أغلبية السكان.<sup>٤١٠</sup>

<sup>٤٠٥</sup> Hirtzel, Note, 7 August 1919, F0371/4192, PRO.

<sup>٤٠٦</sup> Shuckburgh, India Office, I August 1919, F0371/4192, PRO.

<sup>٤٠٧</sup> Hirtzel, Note, 7 August 1919, F0371/4192, PRO.

<sup>٤٠٨</sup> Noel, Note on the Kurdish Question, 18 July 1919, F0371/4192, PRO.

<sup>٤٠٩</sup> Webb, Constantinople, Very Urgent, 19 August 1919, F0371/4192, PRO.

<sup>٤١٠</sup> French, Egy.Ex.Force, Cairo, 2 October, F0371/4192, PRO.

## ٢. بنود معاهدة سيفر ومستقبل كُردستان وارمينيا

لا يصعب على المرء، لدى التمعن في الظروف المحيطة بتبلور المواقف البريطانية في الحقبة الزمنية المؤدية إلى صياغة بنود معاهدة سيفر، اكتشاف التفاوت الواضح في تعامل لندن مع تطلعات الشعب الكُردي، بالمقارنة بالطموحات السياسية للأرمن. فالصالح الكُردي احتلت موقع أدنى من نظيرتها الأرمنية من حيث مستوى التحرر والخلاص من الهيمنة التركية. ويمكن إرجاع السبب جزئياً في ذلك إلى ردود الفعل المتعاطفة التي أبدتها قوى الحلفاء المسيحية تجاه ما عدوه مذابح الأرمن اقترفها حكم عثماني إسلامي وكذلك إلى حقيقة أن الأرمن كانوا حلفاءً لهم في الحرب ضد العثمانيين. وفي الوقت الذي منح الأرمن حق إنشاء دولة مستقلة بصورة فورية، لم يُمنح الكُرد الشماليون سوى صيغة مبهمة من صيغ الحكم الذاتي الداخلي إلى حين ان يتقرر مصيرهم النهائي بعد مرور سنة أخرى من قبل لجنة يُشكلها الحلفاء. وفوق ذلك، لو تم مقارنة حقوق الأرمن بحقوق الكُرد من زاوية مساحة كيانهما السياسي المستقبلي لتبيّن أن الدولة الأرمنية المقترحة كان من شأنها ان تضم نحو نصف مناطق كُردستان الشمالية، في حين لا تُشكّل منطقة الحكم الذاتي الكُردي سوى ٢٠٪ من مساحة كُردستان العثمانية.

لقد أملت جملة تطورات سياسية، في مقدمتها الاتفاق الكُردي- الأرمني في شهر كانون الأول من العام ١٩١٩، على البريطانيين اتخاذ مواقف أكثر إيجابية تجاه التطلعات القومية الكُردية. وكان الاتفاق المذكور ثمرة للجهود الكبيرة التي بذلها الزعماء القوميون الكُرد من أجل تحسين العلاقات الكُردية- المسيحية على مختلف الأصعدة المحلية والدولية. وكان الجانب الكُردي يأمل من وراء التوصل إلى ذلك الاتفاق إزالة الانطباع السلبي المتراكם عن الكُرد في العالم المسيحي، وكذلك كسب ود أوروبا بجعلها أكثر تحسساً وتعاطفاً مع التطلعات القومية الكُردية. والأهم من كل ذلك، سعى الزعماء الكُرد إلى سد الطريق أمام محاولات الطورانيين الأتراك الدؤوبة في استخدام الدين وسيلة لتعبئة الكُرد ضد الحلفاء والجماعات المسيحية المحلية على حد سواء. وكتب نوئيل من اسطنبول أن رؤساء الجماعات المسيحية في دياربكر قد أكدوا صدق تصريحات الزعماء الكُرد حول بذلهم المساعي من أجل خلق علاقة ودية معهم. وكذلك سعت الحلقات القومية الكُردية في اسطنبول إلى الاتصال بالسيد طه وحليفه سمكو شاكاك بغية إيجاد علاقات ودية مماثلة بين المسلمين الكُرد

وال المسيحيين في كُردستان الشرقية، خاصة في منطقة أورمية.<sup>٤١١</sup> وفي القاهرة، عبرت اللجنة الكردية عن أملها في أن يعيش الكُرد بسلام وانسجام مع أولئك الأرمن الذين سيعيشون في كُردستان المستقلة، وأبدوا استعدادهم لمنح المسيحيين حصة في الحكومة الكُردستانية تتناسب مع تعدادهم السكاني.<sup>٤١٢</sup>

وفيما يتعلق بمسألة المجازر الارمنية والكردية المعقّدة، التي زعمَّ وقوعها خلال زمن الحرب، أبدى القوميون الكُرد عن ترحابهم بأي مقترح يُقدمه مؤتمر السلام يبحث في مصداقية الادعاءات الكردية والادعاءات الارمنية حولها. وأكد الزعماء الكُرد انه حالما ينتهي الحكم التركي، فإنه سيكون بالإمكان الوصول إلى صيغة التعايش السلمي بين الشعرين الكردي والأرمني بدلاً من حالة الكراهية والتشكيك المتبادل، التي وقفت وراءها الأطراف الخارجية، خاصة الأتراك بمختلف توجهاتهم السياسية. ومن أجل تعزيز هذا التعايش، اقترح هؤلاء الزعماء فكرة تشكيل حكومة تستند إلى رأي أغلبية أهالي الولايات العثمانية غير التركية.<sup>٤١٣</sup>

مُثُلت مساعي القوميين الكرد في الوصول إلى اتفاق سياسي مع نظائهم الأرمن يتعلق بالادعاءات الإقليمية للطرفين محطة بارزة في تطور العلاقات الكردية-الارمنية في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى. لقد سعى القوميون الكرد بقدر الإمكان وحالما تسنح الفرصة إلى إقناع بقوى الاحلفاء أنه بإمكان الشعرين الكردي والأرمني معالجة مشاكلهما الداخلية، لكي لا تصبح عائقاً أمام إعادة رسم مستقبل الولايات الشرقية غير التركية. ففي شهر كانون الأول من العام ١٩١٩، قدم القوميون الكرد والأرمن مذكرة مشتركة إلى مؤتمر السلام، وقع عليها كل من بوغوس نوبار، مُمثلاً عن الأرمن العثمانيين، وأوهاندجانيان، مُمثلاً عن جمهورية ارمينيا وشريف باشا، مُمثلاً عن الشعب الكردي. وفي الوقت الذي أكدوا فيه على وجود «مصالح وتطبعات متشابهة» للشعرين الكردي والأرمني، طالب الجانبان بالتحرر من الهيمنة التركية وإقامة دولتين مستقلتين، كُردستان وارمينيا، خاضعة لانتداب أحدى دول الاحلفاء. كما اتفق الطرفان الكردي والأرمني على احترام أي قرار يتتخذه مؤتمر السلام بشأن رسم الحدود الكُردستانية-الأرمنية، وتعهدوا، في الوقت نفسه، باحترام حقوق الأقليات.

<sup>٤١١</sup> Noel, Constantinople, to Political, Baghdad, 10 July 1919f F0371/4192, PRO.

<sup>٤١٢</sup> Policy, Cairo, to General, Baghdad, 6 August 1919, AIR20/714, PRO.

<sup>٤١٣</sup> Woolley, the Kurdish National Movement, F0371/4192, PRO, p-6.

ضمن الدولتين المستقبليتين.<sup>٤١٤</sup> وثَدِّلَ أسلوب صياغة عبارات الاتفاق على وجود رغبة كُردية- أرمنية مشتركة حقيقة في منع الطورانيين الأتراك من استغلال التمايز الديني لعرقلة عملية تسوية مصير الأقاليم غير التركية، وكذلك عبر الاتفاق عن رغبة الكُرد والأرمن في تأمين مساندة قوية من الحلفاء لتطبيعاهما القومية على حد سواء.

#### ٤- ردود الفعل البريطانية تجاه الاتفاق الكُردي- الأرمني

ان ردود أفعال قوى الحلفاء، خاصة بريطانيا، كانت من أهم تداعيات الاتفاق الكُردي- الأرمني. فعلى النقيض من فرنسا، أبْدَت بريطانيا بشكل أولى تشجيعها لأي تحسن يطرأ على العلاقات الكُردية- الأرمنية في الولايات الشرقية. وكان لورد كورزون قد أصدر في وقت مُبكر تعليمات للموظفين البريطانيين الميدانيين تؤكِّد ضرورة تشجيع أية خطوة تقود إلى وفاق كُردي- أرمني على الأرض<sup>٤١٥</sup> وهو الأمر الذي سيسهل على بريطانيا حسم مصير تلك الولايات غير التركية. مع ذلك، لم تكن بريطانيا تخصل أن يكون للاتفاق الكُردي- الأرمني مضامين سياسية طويلة الأمد ولأبعاد إقليمية. بتعبير أدق، لم تردد بريطانيا ان تفقد زمام المبادرة في عملية إعادة رسم الخارطة السياسية للمنطقة، وهو دور يتناسب مع كونها قوة عظمى ذات مصالح عالمية وإقليمية. وبالفعل، كان من شأن الاتفاق الكُردي- الأرمني ان يؤدي إلى تداعيات كبيرة بعيدة المدى بالنسبة إلى مصالح البريطانيين الإستراتيجية والسياسية، ليس في أرمينيا وكردستان فحسب، بل أيضًا في منطقة الشرق الأوسط ككل. أولاً، سيعني تفويت بنود هذا الاتفاق ان ممثلي الشعوبين الكُردي والأرمني، وليس قوى الحلفاء، هُم من قرروا الجغرافية السياسية لكردستان وأرمينيا بحسب معيار التوزيع الأخرى، والأهم من ذلك، وفق مبدأ حق تقرير المصير. هذا في الوقت الذي سعت فيه بريطانيا إلى إقامة دوبيلات أو كيانات حاجزة قوية في أرمينيا والأقاليم المتبقية الأخرى من تركيا الآسيوية قادرة على الصمود بوجه تهديدات روسيا البلشفية. كما ان من شأن تطبيق بنود الاتفاق الكُردي- الأرمني الإخلال باستقرار إيران القاجارية إذ سيسُشِّجع الكُرد الشرقيين على الانضمام إلى كيان كردستان المستقل. وكل هذا سيعني إضعاف الإستراتيجية البريطانية في حماية الممتلكات الهندية واستبقاء

<sup>414</sup> Political, to De Robeck, Constantinople, 10 December 1919, F0371/4193, PRO.

<sup>415</sup> Ibid.

محاولات روسيا البلاشفية في التوسيع إقليمياً في اتجاه الجنوب (أي نحو الحدود الهندية وميزوبوتاميا والخليج)، التي تتطلب حماية وحدة إيران الإقليمية.

ثانياً، سيؤدي ترجمة بنود الاتفاق الكردي-الأرمني إلى واقع ملموس، على الأرجح، إلى إنهاء سيطرة بريطانيا على كردستان الجنوبية، التي لا يجد أهاليها ما يمنعهم من الالتحاد مع أخوتهم في دولة كردستان الشمالية. إن أهمية هذا الجزء الجنوبي من كردستان العثمانية بالنسبة إلى تعزيز الموقف البريطاني في ميزوبوتاميا هو الذي جعل من إبقائها خاضعة للسيطرة البريطانية مسألة في غاية الأهمية. ثالثاً، يمكن أن يُشكل الاتفاق الكردي-الأرمني نموذجاً أو مثلاً تقتدي به ثُغب الجماعات الأثنية والدينية الخاضعة الأخرى حين تطالب الحلفاء بمنحها حقوقاً متساوية أو التعامل معها بطريقة مماثلة. والجدير بالإشارة أن أنصار الحركة الشريفية، ومن خلال ممارسة الضغط على الحلفاء لإرغامهم على الاعتراف بدولة عربية موحدة تحت قيادة الشريف حسين، قاموا بحملة سياسية واسعة لتعبئة السكان العرب في سوريا وشرق الأردن وميزوبوتاميا العربية دعماً لمشروعهم المذكور. وأخيراً، ستقوم فرنسا بمعارضة أية محاولات لإعادة ترتيب الولايات العثمانية إقليمياً وسياسياً بطريقة تتجاهل مصالحها السياسية والاقتصادية. وكانت فرنسا قد طالبت، على الخصوص، بمنحها امتيازات إقليمية واقتصادية تعوضها خسائرها لحصتها في ولاية الموصل. ولم يُبدِ الفرنسيون أي استعداد في أن تخرج بلادهم خالية الوفاض من عملية التسوية السلمية للإمبراطورية العثمانية، خاصة بعد تدهور علاقاتهم الثانية مع البريطانيين بسبب التسوية الأوربية.

لكل الأسباب آنفة الذكر، لم تكن بريطانيا على استعداد لدعم الاتفاق الكردي-الأرمني. وحالما أعلنت بنود ذلك الاتفاق، قامت وزارة الخارجية والدوائر الرسمية البريطانية الأخرى بالتشكيك بأهميتها، مدعيةً أن شريف باشا كان (قد تُصبَّ نفسه) ممثلاً من دون أن يملك تخويلاً يجعله المُعتبر عن الرأي العام الكردي.<sup>416</sup> وأدعي دي روبيك لورد في برقية بعثها إلى كورزون (وآخرى موجهة إلى ويلسون) بعدم قدرة الاتفاق الكردي-الأرمني على جمع صالح سكان الولايات الشرقية.<sup>417</sup> والغريب أن دي

<sup>416</sup> Ibid.

<sup>417</sup> High Commissioner, Constantinople, to Curzon, 8 January 1920, F0371/4193f PRO.

روبيك قد ثمنَ كثيراً، في وقت سابق، الاتفاق الكردي -الأرمني وتداعياته،<sup>٤١٨</sup> أي قبل ان يدعى لاحقاً ان شريف باشا لا يُمثل إلا نفسه.<sup>٤١٩</sup> بهذا النحو، جعل البريطانيون من مسألة عدم شرعية الدور الذي أدّاه شريف باشا كمُمثل للشعب الكردي أمام القوميين الأرمن تبريراً لامتناعهم عن دعم بنود الاتفاق الكردي -الأرمني. والأمر الأكثر غرابة في كل ذلك ان التقارير والمذكرات الرسمية البريطانية قد أكدت ان جميع الدوائر القومية الكردية بمختلف توجهاتها التقليدية أو الحديثة قد اتفقت على ان شريف باشا يُمثلها وان الاتفاق الذي توصل اليه مع القوميين الأرمن عبر عن نهجها. فالشيخ قادر، الذي كان أيدَّ الاتفاق الكردي -الأرمني دون تحفظ، اخبر دي روبيك ان شريف باشا هو الممثل الوحيد للكرد.<sup>٤٢٠</sup> كما اخبر وفد النادي الكردي أدميرال وب، الذي شكك هو الآخر بشرعية شريف باشا كممثل للكرد، ان الأخير قد مثل «الكرد في باريس نحو تسعة او عشرة أشهر، ولم تجر اية محاولة لزع تلك المسؤلية عنه من قبل اي مجموعة من الأمة الكردية داخل الوطن».<sup>٤٢١</sup>

لقد كانت قضية تأمين مساندة القوى الكبرى، خاصة بريطانيا، حيوية للغاية بالنسبة الى نجاح عملية ترجمة الاتفاق الكردي -الأرمني الى واقع ملموس. وأقرَّ هيبورت يانغ بهذا الأمر حين أوضح ان تطبيق بنود الاتفاق يتطلب تدخل الحلفاء لمنع الأتراك من الدخول الى المناطق الكردية والأرمنية، وكذلك تقديمهم الدعم المالي الضروري لها.<sup>٤٢٢</sup> وبالرغم من المناشدات الكردية المتكررة الداعية الى المساهمة الفعالة في تنفيذ الاتفاق، أصرَّ بريطانيا على معارضته بنودها. وال موقف البريطاني هذا جعل من بنود الاتفاق مجرد حبر على ورق. ويُمكن القول، في ضوء ما قيل آنفاً، لو كانت بريطانيا قد قدمت دعماً لاتفاق وجعلته محوراً لتسوية مشكلة الولايات الشرقية في مؤتمر السلام فإنه لا أصبح بإمكان الكرد والأرمن تشكيل دولتينهما القومية والدخول معاً في جهة واحدة تتصدى للتهديدات الطورانية التركية. ولسوء حظ كلا الطرفين، الكردي والأرمني، لم يكن لدى بريطانيا وحليفاتها أية نوايا صادقة بشأن

<sup>418</sup> De Robeck to Curzon, Confidential, 9 December 1919, F0371/4193f PRO.

<sup>419</sup> High Commissioner, Constantinople, 15 March 1920, F0371/5068, PRO.

<sup>420</sup> De Robeck, Constantinople, 11 December 1919, F0371/4193, PRO.

<sup>421</sup> De Robeck, Constantinople, 3 February 1920, F0371/5067, PRO.

<sup>422</sup> Young, Foreign Office Minute No.156272, 29 November 1919, F0371/4193f PRO.

تطبيقاً مبدأ حق تقرير المصير خارج حدود أقاليم أوربا، في الوقت الذي أزداد فيه التناقض بين التطلعات القومية الكُردية والأرمنية مع صالح الحلفاء الإستراتيجية والاقتصادية.

### العامل الشريفي- الميزوبوتامي في السياسة البريطانية تجاه كُردستان الجنوبية، ١٩٢٠-١٩١٨

#### ١. الاحتلال البريطاني وقضية تحديد علاقة كُردستان الجنوبية بميزوبوتاميا

على غرار جملة أمور رافقت مناقشة مستقبل أرمينيا، تدخلت المسائل الخاصة بتعيين رقعة كُردستان العثمانية جغرافياً وديمغرافياً وتقرير مصيرها السياسي بمستقبل ميزوبوتاميا العربية. لقد جاء إدراك الموظفين البريطانيين، سواء الموجودون في لندن أم العاملون في الشرق الأوسط، للجانب التداخلي بين مستقبل ميزوبوتاميا والمسألة الكُردية نتيجة لإدعاءات الشريفيين المتواصلة حول عائدية أجزاء كبيرة من كُردستان العثمانية إلى العرب، بهدف شرعنـة ضمـها إلى الدولة العربية المستقبـلـية. وأـسـتـندـ أـنـصـارـ الـحـرـكـةـ الشـرـيفـيـةـ فيـ اـدـعـاءـاتـهـمـ الإـقـلـيمـيـةـ إـلـىـ ذـرـائـعـ عـدـةـ،ـ وهيـ أنـ تـلـكـ الـمـنـاطـقـ كـانـتـ جـزـءـ مـنـ مـيـزوـبـوـتـامـياـ مـنـ النـواـحـيـ الإـادـارـيـةـ وـالـجـغـرـافـيـةـ وـالـتـارـيـخـيـةـ،ـ وـلـهـذـاـ فـانـهـ يـنـبـغـيـ عـلـىـ الـبـرـيـطـانـيـيـنـ الـاعـتـرـافـ بـهـاـ عـلـىـ انـهـ عـرـبـيـةـ وـجـزـءـ مـنـ الدـوـلـةـ الـعـرـبـيـةـ الـمـرـمـعـ إـنـشـائـهـاـ.<sup>٤٢٣</sup>ـ أـمـاـ الـقـومـيـوـنـ الـكـرـدـ فـلـمـ يـعـطـوـ أـهـمـيـةـ تـذـكـرـ لـتـلـكـ الـادـعـاءـاتـ،ـ وـلـرـبـماـ يـرـجـعـ السـبـبـ فـيـ ذـلـكـ إـلـىـ اـعـتـقـادـهـمـ أـنـ الشـرـيفـيـنـ لـاـ يـمـثـلـوـنـ عـالـمـاـ مـؤـشـراـ فـيـ قـضـيـةـ تـحـدـيدـ مـسـتـقـبـلـ كـرـدـسـتـانـ السـيـاسـيـ.ـ اـنـ الـطـرـيقـةـ الـأـمـثـلـ لـمـعـرـفـةـ دـرـجـةـ شـرـعـيـةـ الـادـعـاءـاتـ الـعـرـبـيـةـ الـشـرـيفـيـةـ تـتـمـتـلـ بـتـنـاـولـ طـبـيـعـةـ الـفـعـلـيـةـ لـلـعـلـاقـاتـ الـاـقـتـصـادـيـةـ وـالـسـمـاتـ الـثـقـافـيـةـ وـالـعـوـاـمـلـ السـيـاسـيـةـ لـلـلـوـلـاـيـاتـ الـثـلـاثـ:ـ الـمـوـصـلـ (ـشـهـرـزـورـ سـابـقاـ)ـ وـبـغـادـ وـالـبـصـرـةـ.

ان (ميـزوـبـوـتـامـياـ) مـصـطـلـحـ يـوـنـانـيـ قـدـيمـ يـعـنيـ حـرـفـيـاـ بـلـادـ ماـ بـيـنـ النـهـرـيـنـ،ـ أيـ دـجـلةـ وـالـفـرـاتـ.ـ وـهـذـاـ مـصـطـلـحـ كـانـ وـمـازـالـ ذـاـ طـبـيـعـةـ عـائـمـةـ،ـ إـذـ أـسـتـخدـمـهـ الـمـسـتـشـرـقـونـ وـالـرـحـالـةـ وـرـجـالـ الـإـرـسـالـيـاتـ وـالـدـبـلـوـمـاسـيـوـنـ الـأـوـرـبـيـوـنـ بـصـورـةـ اـعـتـبـاطـيـةـ وـمـبـهـمـةـ حـيـنـمـاـ كـانـوـ يـشـيـرـونـ إـلـىـ مـنـاطـقـ مـخـلـفـةـ تـمـتدـ مـنـ مـنـابـعـ نـهـرـيـ دـجـلةـ وـالـفـرـاتـ فـيـ الشـمـالـ وـحتـىـ مـصـبـهـمـاـ فـيـ الـخـلـيـجـ فـيـ الـجـنـوبـ وـمـنـ جـبـالـ زـاكـرـوـسـ الـكـرـدـيـةـ فـيـ الـشـرـقـ حـتـىـ

<sup>423</sup> يمكن مراجعة تفاصيل هذا الموضوع في الفصل الأول.

حدود الصحراء العربية في الغرب. والملاحظ انه من الناحية الإدارية، لم يستخدم العثمانيون الأتراك مصطلح (مِيزوپοταμία) أو مصطلح آخر لدى إشارتهم الى الولايات الثلاث: بغداد والموصل والبصرة. ففي الوقت الذي عدّ الأتراك ولاية الموصل (شهرزور) إقليماً ضمن تركيا الأصلية، اعتبروا بغداد والبصرة مجرد أقاليم تابعة الى الإمبراطورية العثمانية.<sup>٤٢٤</sup>

ولأنها عدّتها ذات سمات أثنية وطبيعة جغرافية متميزة وكذلك لأنها عدّت جبال حمرین وجبل سنجار حدوداً جنوبية وغربية لها استثنى وزارة الهند في العام ١٩١٥ كُردستان العثمانية من مصطلح (مِيزوپοταμία).<sup>٤٢٥</sup> مع ذلك، وفي أعقاب فرض سيطرتهم المباشرة وغير المباشرة على الولايات العثمانية الثلاث، بغداد والموصل والبصرة، أدرك البريطانيون عملياً ان (مِيزوپοταμία) مصطلح مُبْهَم للغاية، بحيث صعب عليهم الاتفاق حول تعريف حدودها الجغرافية، خاصة في اتجاه الشمال والشمال الغربي، فضلاً عن تحديد هويتها الثقافية وروابطها السياسية. وقدمت دائرة استخبارات الأركان البحرية، على سبيل المثال لا الحصر، دليلاً عن مِيزوپοταμία وخصائصها الجغرافية والاقتصادية والثقافية والإدارية. ففي هذا الدليل عرفت مِيزوپοταμία بشكل واسع ومفتوح، على إنها تشمل الأجزاء المركزية والغربية والجنوبية من كُردستان العثمانية.<sup>٤٢٦</sup> كما عرف ذلك الدليل (العراق) على انه يضم ولايتها بغداد والبصرة.<sup>٤٢٧</sup> وكان أرثـر بـلـفـور قد عـرـف (مِيزوپοταـمـيـا) على انـها ((أساسـاً المنـطـقةـ الـتيـ يـرـوـيـهاـ نـهـراـ دـجـلـةـ وـالـفـراتـ)).<sup>٤٢٨</sup> لكنـ الـبـرـيطـانـيـينـ لمـ يـتـبـنـواـ هـذـاـ التـعـرـيفـ

<sup>424</sup> كانت غاربيت، من وزارة الهند، قد لفت الانتباه الى التمايز القائم بين الولايات الثلاث في القانون العثماني فيما يخص ملكية الأرض.

IDCM , Minute No.37, Secret, 13 April 1920, FO371/5068, PRO.

<sup>425</sup>\* British Desiderata in Turkey in Asia, Appendix VI, the Future of Settlement of Eastern Turkey in Asia and in Arabia, Note by the Secretary, Political and Secret Department, 14 March 1915, CAB27/1, PRO, pp.83 & 86.

<sup>426</sup> Naval Staff Intelligence Department, A Handbook of Mesopotamia, No.1. London, November 1918, pp.9-30.

<sup>427</sup> Ibid, pp.87-100.

وهذا المرادف تقريباً لمصطلح مِيزوپοταـمـيـاـ العـرـبـيـةـ الـتيـ تـسـتـعـمـلـ فـيـ هـذـاـ الكـتـابـ مـنـ أـجـلـ تـمـيـزـهـاـ عـنـ كـرـدـسـتـانـ.

<sup>428</sup> Memorandum on Syria, Palestine and Mesopotamia: Reflections of Foreign Secretary Arthur James Balfour, DBFP, vol.I, pp.340-349.

الواسع، الذي ضمَّ معظم كُردستان العثمانية فضلاً عن ميزوبوتاميا العربية، وذلك لأسباب براغماتية تتعلق بالتزامات مالية وعسكرية وسياسية إضافية، كانوا غير قادرين على تحملها في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى.

في نهاية المطاف، استقرَّ البريطانيون في محاولة تعريف ميزوبوتاميا على معيار واحد، تتمثل بالحدود الجغرافية لمساحة مصالحهم الإستراتيجية والاقتصادية والسياسية. بتعبير أدق، لتبرير ضمهم كُردستان الجنوبية قسراً إلى العراق العربي في العام ١٩٢٣، وسَعَّ البريطانيون حدود ميزوبوتاميا الجيوسياسي بطريقة اعتباطية، مناقضة بذلك الواقع الاقتصادي والسياسي والاجتماعي القائم آنذاك في الولايات الثلاث. ولدى سعيهم إلى تقديم توصيات بشأن مستقبل الولايات العثمانية غير التركية، أستثنى الأميركيون مناطق الكردية تماماً من مصطلح (ميزوبوتاميا).<sup>٤٢٩</sup> أما بالنسبة إلى الأتراك العثمانيين<sup>٤٣٠</sup> والكرد، فقد ارتبط مصطلح (العراق) أو (العراق العربي) بميزوبوتاميا، حيث شكل العرب غالبية السكان. وفي أعقاب قيامها في ١٩٢٠-١٩٢١، وسَعَّ الحُكم العربي وبدعم كبيرة الموظفين البريطانيين الميدانيين مصطلح (العراق) الجديد ليشمل كُردستان الجنوبية.<sup>٤٣١</sup> والجدير بالإشارة أنَّ الشكل الطبيعي الجيوسياسي النهائي للدولة العراقية، كما هي قائمة الآن، لم يتم حسمه حتى العام ١٩٢٦، أي حين وقعت تركيا والعراق على اتفاقية حدودية، أقرت رسمياً بسيطرة الثانية على كُردستان الجنوبية من خلال قبول الأولى بحدودها الشمالية والشمالية الشرقية.

ان دراسة تعريف ميزوبوتاميا من الزاوية الجيوسياسية أو تحليل العلاقة المختلفة القائمة أو غير القائمة بين الولايات الثلاث، بغداد والبصرة والمُوصل، مسألة

<sup>429</sup> انظر، على سبيل مثال، إلى:

(1) the recommendations of the American delegation at the peace conference, D.H. Miller My Diary at the Paris Peace Conference, 1918-1919, Vol.III, (New York: 1928) & (2) the King-Crane Commission's report on Mesopotamia, Papers Relating to the Foreign Relations of the United States: Paris Peace Conference, 1919, Vol.IV, (Washington: US government Printing Office, 1948). pp.800-802.

مع هذا، أراد الأميركيون أن يضعوا مناطق كردية مجاورة تحت الانتداب البريطاني على ميزوبوتاميا لأسباب تتعلق بالري والزراعة.

<sup>430</sup> راجع، مثلاً، المذكورة العثمانية الموجه إلى المجلس الأعلى لمؤتمر السلام في باريس: D.H. Miller, 16:479-84, op. cit.

<sup>431</sup> حل العراق محل ميزوبوتاميا كمصطلح في المراسلات الرسمية البريطانية في أعقاب قيام الدولة العراقية وتنصيب الأمير فيصل ملكاً على عرش العراق.

وثيقة الصلة بفهم تطور الموقف البريطاني تجاه مستقبل كُردستان الجنوبية. ففي العهد العثماني، تميّزت تلك الولايات الواحدة عن الأخرى من ناحية تركيبتها الأثنية والدينية، علاوة على توجهاتها السياسية والاقتصادية والثقافية. على الصعيد الاقتصادي، كان لكردستان الجنوبية علاقة وثيقة بالمناطق الداخلية من الإمبراطورية العثمانية وبسوريا وكردستان الشرقية وحتى بأذربيجان الإيرانية.<sup>٤٣٢</sup> وبحسب المطبوعة (دليل مينوبوتاميا)، كانت الموصل ((المركز الرئيس لجتماع التجارة وتوزيعها مع كُردستان المركزية))، التي كانت تستورد منها المواد الخام.<sup>٤٣٣</sup> أما بغداد والمدن الشيعية المقدسة في النجف وكربلاء فكان لها صلات اقتصادية وثيقة مع الأقاليم الإيرانية إلى الشرق منها. وبالمقارنة مع المناطق آنفة الذكر، احتفظت البصرة بعلاقات تجارية قوية مع الهند والمناطق الواقعة وراء البحر، أكثر بكثير من المناطق الواقعية إلى الشمال منها. إن التنوع الاقتصادي والتجاري، الذي تميّز به الولايات الثلاث، قد أكدته بشكل أوضح تداول العملات التركية والإيرانية والهندية في آن واحد. فضلاً عن ذلك، كانت للعملة التركية قيمة في ولاية الموصل تختلف عن قيمتها في ولاية بغداد أو في ولاية البصرة. وحتى الأوزان والمقاييس قد اختلفت من ولاية لأخرى بشكل لافت للنظر.<sup>٤٣٤</sup>

على صعيد الطوائف الدينية، شكل المسلمون من أتباع المذهب السُّني الغالبية الساحقة من سكان ولاية الموصل، في حين شكل المسلمين الشيعة الغالبية الساحقة من سكان ولاية البصرة. أما سكان ولاية بغداد فشكلوا خليطاً من السنة والشيعة. وتميّز السنة الكُرد عن السنة العرب في مدارسهم الفقهية وممارساتهم الدينية وتوجهاتهم الصوفية. وفي الوقت الذي التزم فيه غالبية السنة الكُرد بالشافعية، تبنت غالبية السنة العرب الحنفية. ومن وجہة النظر الثقافية، وقع السنة العرب تحت تأثير الثقافة التركية، في حين وقع الشيعة العرب تحت تأثير القيم الثقافية والتقاليد الفارسية. وبالمقارنة مع الجماعتين العربية السنوية والعربية الشيعية، وقع الكُرد بشكل محدود تحت تأثير الثقافتين التركية والفارسية، وذلك بسبب سمات مناطقهم الجغرافية، التي جعلتهم منعزلين بشكل طبيعي وإلى حد ما، عن جيرانهم. ومن حيث

<sup>432</sup> Naval Staff Intelligence Department, A Handbook of Mesopotamia...op. cit. p.93.

<sup>433</sup> Ibid.

<sup>434</sup> Ibid, p.143.

الترتيبات الإدارية، قامت اسطنبول بتسهيل شؤون الولايات الثلاث بصورة منفردة عن طريق ولاة، عينهم السلطان العثماني بوصفهم ممثليين سياسيين له. واستمر هذا الحال حتى الفترات المتأخرة من الحكم العثماني، أي حين استطاع بعض ولاة بغداد إجبار السلطان بقبول أمر واقع جديد وهو الاعتراف بهم كحكام على الولايات الثلاث معاً.

لربما تتمثل الميول السياسية للنخب المحلية المعيار الأهم والأبرز في تشخيص الروابط الحقيقة بين الولايات الثلاث. واللاحظ أنه لم تكن للحركة القومية الكردية يوماً اتصال أو علاقة ما بأي شكل من الأشكال مع القوميين العرب، بما فيهم المنضمون إلى حركة الشريف حسين، أو بالشخصيات العراقية ذات التوجهات العربية وبمعزل تماماً عنها ولتحقيق أهداف خاصة بها. وبقدر ما يتعلق باقليم كردستان الجنوبية فإنه كان لأهاليها الـكـرـدـ تطلعات سياسية مختلفة عن تلك التي كانت للعرب.

وبدورهم أنقسم عرب العراق في تطلعاتهم السياسية إلى معتكرين وذلك بحسب انتمائهم الطائفي. فالعرب السنة سارعوا إلى اعتناق الفكر القومي العربي بصورة مبكرة جداً (أي قبل الحرب العالمية الأولى وخلالها وفي أعقابها) مقارنة بنظرائهم العرب الشيعة. كما أن الفكر العربي الوحدوي كان أكثر شيوعاً في المناطق العربية السنية (أي شمال العراق العربي وغربه). ففي الوقت الذي كانت فيه توجهات السنة قومية متشددة، أظهر الشيعة تمسكاً واضحاً بالولاء الديني. ولربما يفسر ذلك لماذا رفض الكثير من الشيعة أن يصبحوا من رعايا الدولة العثمانية السنية، حتى وصل الأمر بالكثير من رموزهم إلى رفض المشاركة في عملية إقامة الدولة العراقية لأسباب مذهبية.

أما الجماعة التركمانية الصغيرة، فقد كانت منقسمة بين الأكراد سنية تمتلك بامتيازات خاصة خلال العهد العثماني وأقلية شيعية محرومة وخاضعة. فالأولى ارتبطت مصلحتها بالدولة العثمانية لأسباب عرقية ومذهبية. فالأقلية التركمانية الشيعية كانت غالبيتها من أصول آذربيجانية إيرانية، في حين كانت الأكراد التركمانية السننية من أصول تركية أناضولية. وفي أعقاب الاحتلال البريطاني وإنشاء الدولة العراقية ظلت الأكراد التركمانية السننية تتمىّز بعودة الحكم التركي إلى المناطق التي تواجدت فيها، خاصة في كردستان الجنوبية. وتركزت الجماعات الدينية الأخرى خاصة المسيحية واليهودية في شمال العراق العربي وكردستان الجنوبية (خاصة في محافظات الموصل ودهوك واربيل)، فضلاً عن بغداد. ومالت الجماعات المسيحية

واليهودية بقوة الى خيار الحماية الاوربية لاسباب دينية (خاصة بالنسبة الى المسيحيين) ولأسباب تجارية (خاصة بالنسبة الى اليهود). ومن هذا المسح السريع يمكن القول ان المناطق التي تشكل منها ما عُرف لاحقاً بالعراق الحديث (اي ميزوبوتاميا العربية وإقليم كُردستان الجنوبية) افتقدت الى توجه سياسي وحدوي او هوية ثقافية مشتركة او توجهات اقتصادية متماثلة، التي يمكن في حال توفرها ان تُشكل أساساً قوياً لقيام دولة-أمة او ظهور حركة قومية شاملة وحاضنة للجميع بغض النظر عن الانتماءات الأثنية والدينية والمناطقية وعلى مستوى الولايات الثلاث.

ان مسألة تشخيص العلاقة المتنوعة بين المناطق التي عاش فيها الكُرد والمناطق الأخرى التي يتواجد فيها العرب مهمة على الصعيد السياسي، كما ثبّين الوثائق التاريخية البريطانية الخاصة في المدة التي تغطي أعوام ١٩١٦-١٩٢٦. وفي الأعوام الممتدة من ١٩١٦ وحتى ١٩٢٠، استخدمت الدوائر الرسمية البريطانية مصطلح (ميزوبوتاميا) بطريقة قصدت بها مناطق عاش فيها العرب، مُستثنية بذلك أهالي كُردستان الجنوبية. وكان لهذا التعريف مضمون سياسي واضح وهو ان مستقبل ذلك الإقليم وشُؤونه سيُقرر بشكل مستقل عن ميزوبوتاميا العربية. وفي الوقت نفسه، ومن خلال استخدام مسوغات اقتصادية وإدعاءات سياسية وحاجات إستراتيجية سعي الموظفون البريطانيون الميدانيون، في مقدمتهم الميجر ويلسون، الى إقناع حكومتهم بضرورة توسيع مصطلح (ميزوبوتاميا- العراق) ليشمل كُردستان الجنوبية. وفي المدة التي أعقبت العام ١٩٢٠، خاصة إثناء انعقاد مؤتمر القاهرة (١٩٢١)، أصرَّ بريسي كوكس على كونَ كُردستان الجنوبية جزءاً من العراق الجديد.<sup>٤٣٥</sup> ولإصرار كوكس على موقفه مضمون سياسي واضح تماماً، وهو ان مستقبل كُردستان الجنوبية مرهون بمصير ميزوبوتاميا العربية السياسي. وفي أعقاب فرض الانتداب البريطاني، خاصة في المدة ١٩٢٠-١٩٢٣، بدأ أولئك الموظفون في فرض تفسيرهم البراغماتي الواسع لمصطلح ميزوبوتاميا ليشمل كُردستان الجنوبية من خلال مراسلاتهم الرسمية. والسبب في كل ذلك يعود الى سياسات الاحتلال التي انتهجتها السلطات البريطانية الميدانية، سواء في عهد ويلسون أو عهد كوكس، التي ركزت على خلق أكبر قدر من الوشائج السياسية والارتباطات الاقتصادية بين الولايات الثلاث، سواء كانت تلك الوشائج والروابط حقيقة أو مُختلقة أو مُتخيلة.

<sup>435</sup> Report on Middle East Conference Held in Cairo and Jerusalem, 12-30 March 1921, F0371/6343, PRO.

## ٢. مساعي الشريفيين في تحقيق ادعائهم الإقليمية في كُردستان الجنوبية في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب

لإضفاء طابع شرعي على ادعائهم في كُردستان الجنوبية وفي مقاطعات كُردية أخرى خلال الأعوام ١٩١٥-١٩٢٠، ادعى الشريفيون بضرورة أن تبقى الولايات الثلاث معاً ضمن كيان سياسي وتاريخي واحد. وفضلاً عن إثارتها لردود فعل قومية الطابع في أوساط الْكُرد الجنوبيين، أسمهم الشريفيون ومن خلال مواصلة إدعائهم الإقليمية في تسليط الضوء على مصير الولايات العثمانية لتي تشكلت منها كُردستان. وأصبحت الحركة الشريفية وتطوراتها المتمثلة في إنشاء دولة عربية كبرى منذ العام ١٩١٨ واحدة من تلك العوامل التي أثرت في الموقف البريطاني سواء على الصعيد الميداني أو على الصعيد الدبلوماسي - الدولي. وفي أعقاب انتهاء الحرب العالمية الأولى، سمح النبي، بوصفة قائد قوة الاستكشاف المصرية، للأمير فيصل في أن يُدير حكومة عربية مؤقتة في مدينة دمشق، لحين اتخاذ مؤتمر السلام القادم قراره الخاص بمستقبل جميع الولايات العثمانية غير التركية. وفي الوقت الذي سعى البريطانيون من وراء اتخاذ تلك المبادرة التصدي مبكراً للجهود التي كان يبذلها الفرنسيون من أجل إقامة مجال نفوذ لهم (وهذه المبادرة لا تتنافى مع وعود قدمها البريطانيون إلى الشريف حسين خلال الحرب)، عمل الأمير فيصل بقدر الإمكان على بسط الحكم الشريفي على مناطق عربية وغير عربية على حد سواء، منها الهلال الخصيب وكُردستان الغربية وكُردستان الجنوبية، مسوغاً ذلك بالوعود التي أُعطيت لوالده في أثناء الحرب. وبالرغم من استمرار فيصل ووالده حسين في محاولاتهم وإدعائهم الإقليمية، لم ترغب حكومة لندن ولا السلطات البريطانية الميدانية في ميزوبوتاميا في حدوث أية تدخلات شريفية في الشؤون الكُردية، خاصة في الأوضاع القائمة في كُردستان الجنوبية. وعلى اثر إبلاغه بالموقف البريطاني الصريح بضرورة الكف عن نشاطاته، وَعَدَ الشريف حسين في اتصالاته مع مارك سايكس بأن لا يتدخل في الخطط البريطانية المتعلقة بمستقبل كُردستان الجنوبية.<sup>٤٣٦</sup>

بالرغم من تقديم تهدياته تلك، واصل الشريف حسين وأنصاره العمل من أجل تحقيق ادعائهم الإقليمية في المناطق الكُردية، ولهذا الغرض ركزوا في نشاطاتهم

<sup>436</sup> Toynbee, Foreign Office Minute No.174037, 22 November 1918, FO371/3407f PRO.

الخارجية على التأثير في مواقف الحلفاء تجاه مستقبل كُردستان داخل مؤتمر السلام وخارجها. ففي شهر كانون الأول من العام ١٩١٩، صرّح الأمير فيصل في مناشدته لقوى الحلفاء بأن الحدود الشمالية للبلاد العربية هي خط الإسكندرone- بلاد فارس والمنسجم مع مضمون اتفاق والده مع مكمahon في زمن الحرب.<sup>٤٣٧</sup> وكان يعني هذا عملياً ان الدولة العربية المقترحة، التي دعا الشريفيون الى قيامها، ستشمل مناطق واسعة تقع في جنوب كُردستان العثمانية وغربها. وبعد توليه حكم سوريا مباشرة، سارع الأمير فيصل الى الطلب من مؤتمر السلام ان تتحقق تلك المناطق الكُردية الى كيانه العربي الجديد.

وفي الوقت الذي كان الشريفيون يناشدون فيه مؤتمر السلام الموافقة على إدعاءاتهم الإقليمية، لجأوا الى أساليب مختلفة أخرى من أجل تحقيقها ميدانياً. ومن تلك الأساليب محاولة فاشلة سعى الشريفيون من خلالها الى عقد اتفاق ثنائي مع البريطانيين، ينص على ضم المناطق الكُردية الى الدولة العربية تحت رعاية حكومة لندن. وواصل الأمير فيصل مساعيه خلال المدة الممتدة من العام ١٩١٨ وحتى بداية العام التالي (أي حينما كان حاكماً على سوريا) في إقناع بريطانيا بضرورة عقد اتفاق معه يحسم عن طريقه مصير الولايات الثلاث، بغداد والموصى والبصرة، أي قبل ان يتخذ مؤتمر السلام قراره النهائي الخاص بمستقبلها. ويتبعير آخر، في الوقت الذي استخدم فيصل مؤتمر السلام وسيلة للحصول على اعتراف قوى الحلفاء بالإدعاءات العربية الإقليمية في كُردستان العثمانية، سعى من وراء الستار الى عقد صفقة تجارية مع البريطانيين مُربحة للطرفين بحيث يجعل ذلك المؤتمر يقبل بالأمر الواقع، أي إلحاق المناطق الكُردية بالدولة العربية. ولم يتردد فيصل في مساعيه الحثيثة لتأسيس دولة عربية كبرى، في ان يستخدم الفرنسيين ضد البريطانيين وبالعكس. ففي نيسان العام ١٩٢١، أخبر المسؤولون الفرنسيون نظائهم البريطانيين بمساعي فيصل للحصول على مساعدتهم بهدف إخراجهم من ولاية الموصى.<sup>٤٣٨</sup>

وفي سبيل تحقيق ادعائهم الإقليمية في كُردستان العثمانية، لم يتعدد الشريفيون حتى في القيام بنشاطات سرية بين صفوف الكُرد، تهدف الى خلق هوة بينهم وبين

<sup>٤٣٧</sup> Amir Faisal's Memorandum to the Supreme Council at the Paris Peace Conference, 1 January. Miller, My Diary, Vol. IV, 297-9.

<sup>٤٣٨</sup> Lawrence to Colonial Office, 13 April 1921, C0730/18, PRO.

الموظفين البريطانيين الميدانيين. وهذا الأمر في حالة تحقيقه سيُعرقل الجهود السياسية الجارية التي تهدف إلى قيام كُردستان مستقلة تحت رعاية بريطانية. ويبدو أن قيام الحكومة الكُردية الأولى في السليمانية كان عاملاً محفزاً للشريفين لكي يُكتفوا من نشاطاتهم في كُردستان. وحالما وصلت الحرب العالمية الأولى إلى نهايتها، سارع الشريف حسين إلى إرسال رسول إلى بعض مناطق كُردستان، أملاً في إبعاد الكُرد عن البريطانيين من خلال استغلال مشاعرهم الإسلامية. وكان ليجمن قد لفت الانتباه إلى نشاطات سرية شريفية كانت تجري في مناطق كُردية خاصة لسلطته، التي أكدت ازدياد اهتمام الشريف حسين بالوضع الكُردي.<sup>٤٣٩</sup> ومن جانبه، أبلغ نوئيل السلطات البريطانية في بغداد عن وجود نشاطات كان يقوم بها عُمَلاء تابعون للشريف حسين والأمير فيصل بين الكُرد الشماليين بغية توليد مشاعر العداء عندهم ضد البريطانيين.<sup>٤٤٠</sup> واتسعت دائرة التدخلات الشريفية في الشؤون الكُردية لتشمل كُردستان الشرقية، حيث أشار القنصل البريطاني في مدينة أورمية إلى وصول «رسُل من دمشق» إلى منطقته يهدفون إلى تأليب أهاليها من الكُرد ضد البريطانيين. وتضاعفت النشاطات الشريفية السرية التي وقف ورائها حسين وفيصل حتى وصلت إلى درجة إقامة اتصالات مع القوميين الاتراك، أعداء العرب حتى فترة قريبة.

وقف الشريف حسين وإبنه الأمير فيصل وزراء برنامج سياسي دعا إلى إقامة حكم شريفي في الولايات الثلاث. هذا البرنامج تبنته مجموعة من الشخصيات السنّية من عرب ميزوبوتاميا خاصة في بغداد والموصل. ويذكر أنه عن طريق المؤتمر السوري ولجنة حلب، قدم تلك الشخصيات السنّية مطالب لإنشاء دولة عربية واسعة، لا تشمل كُردستان الجنوبية فحسب بل أيضاً ولاية دياربكر الكُردية.<sup>٤٤١</sup> وانشغلت تلك الشخصيات أيضاً بنشاطات سياسية ودعائية مُنظمة تهدف إلى إقناع البريطانيين والكُرد الجنوبيين، كل على انفراد، بالحل الشريفي لما عُرف بمشكلة ميزوبوتاميا. وهو الحل الذي تمحور حول إقامة دولة عربية يحكمها أحد أبناء الشريف حسين. ففي حديثه مع هيوبرت يانغ، حاول نوري السعيد، الشخصية السنّية العربية المعروفة

<sup>439</sup> Memorandum from SSO, Mosul, to GHQ, 26 April 1919, AIR 20/512f PRO.

<sup>440</sup> Political, Baghdad, to Egypt Force, Cairo, 29 April 1919, AIR 20/512, PRO.

<sup>441</sup> The American Section of the International Commission on Mandates in Turkey, the King-Crane Report, Papers Relating to Foreign Relations of the United States, pp.780 & 782.

الذي أصبح في مرحلة لاحقة رئيساً للوزراء، إقناع نظيره البريطاني بالحل الشريفي  
يادعاه أنه:

ليس أهالي (ولايتها) الموصل وبغداد فقط، إنما أيضاً الـكُرد في كُردستان  
الجنوبية متلهفين بشأن أن يكون عبد الله (ابن الشريف حسين الأكبر) أميراً  
عليهم، شريطة أن لا يتخلّى البريطانيون عن تقديم النصيحة والمساعدة.

ولقاء إخضاع كُردستان الجنوبية للحكم العربي، أظهر نوري السعيد استعداد  
"البغداديين" الموجودين في مدينة دمشق، وجميعهم من السنة العرب ومن أنصار  
الأمير فيصل، لإبقاء ولاية البصرة تحت ((إدارة واحتلال بريطاني خاص)).<sup>٤٤٢</sup> وهذا  
يعني أن نوري السعيد ورفاقه، الذين هيمّنوا على حكم العراق ورفعوا لواء الوطنية  
العراقية طيلة العهد الملكي (١٩٢١-١٩٥٨)، كانوا على استعداد في أن يتركوا البصرة،  
وهي ولاية ذات أغلبية عربية ساحقة، تحت حكم استعماري بريطاني سافر، لقاء ان  
تخضع كُردستان الجنوبية لحكومة عربية على الضد من رغبة سكانها الأصليين.

لقد كان نوري السعيد مُدركاً، حينما كان في لندن، شدة المأزق الذي واجهته  
الحكومة البريطانية بعد الحرب، بسبب حاجتها الماسة إلى تعزيز نفوذها، من جانب،  
وعجزها عن تحمل التزامات مالية وعسكرية إضافية، من جانب ثانٍ. ولهذا سارع  
نوري السعيد إلى افتتاح تلك الفرصة ليطرح حلّه أمام كونفرانس شؤون الشرق  
الأوسط لما بين الوزارات (IDCM) والمتمثل بالحاكم كُردستان الجنوبية بميزوبوتاميا،  
الخاضعة لحكم أحد أمراء الأسرة الشريفية، بوصفه الطريق الأمثل لإنهاء جميع  
((المشكلات)), التي كان البريطانيون يواجهونها. وفي محاولة منه لإقناع الحاضرين في  
الجلسة، ادعى نوري السعيد أن الـكُرد الجنوبيين سيكونون ((مستعدين تماماً))  
للخضوع لحكم الأمير عبد الله، شقيق الأمير فيصل الأكبر، إذا ما نصّبه البريطانيون  
رئيساً لحكومة عربية في بغداد.<sup>٤٤٣</sup> ويذكر أن الشرقيين تمتّعوا بمساندة موظفين  
بريطانيين معروفين، في مقدمتهم غريتورد بيل وتي إي لورنس، اللذان كانوا من دعاة ما  
عرف بالحل الشريفي لمستقبل ميزوبوتاميا. ومع ذلك، يلاحظ أن هناك اختلاف  
واضح في وجهات نظر هذين الموظفين حول الحل الشريفي. فلورنس كان يُميّز بين

<sup>442</sup> Young, Foreign Office Minute No. E2571, 3 April 1920, FO 371/5068, PRO.  
Curzon read the Minute and approved of its inclusion in the agenda of IDCM.

<sup>443</sup> IDCM, Minute 37,13 April 1920, FO 371/5068, PRO.

ولالية الموصل ذات الأغلبية الكردية الواضحة وولاية بغداد والبصرة ذات الأغلبية العربية. فهو، على النقيض من غرتورد بل التي نادت بتوحيد الولايات الثلاث تحت حكم شريفي،<sup>٤٤٤</sup> دعا لفترة إلى إنشاء دولتين شريفيتين في ميزوبوتاميا: الأولى العربية والثانية عربية- كردية مختلطة.<sup>٤٤٥</sup>

إن المخاوف المتصاعدة من قيام دولة كردية عبر آليات مؤتمر السلام هي التي دفعت بالعرب السنة في ميزوبوتاميا إلى محاولة إحباط معنويات الكرد الجنوبيين من أجل صرف نظرهم عن فكرة الاستقلال السياسي. ففي هذا الصدد، أخبر جعفر باشا (ال العسكري) وناجي بك (السويدسي) الوفد الكردي الجنوبي الذي أرسل من السليمانية إلى باريس لغرض حضور جلسات مؤتمر السلام أن فكرة:

الاستقلال الكردي لن تتحقق الترحيب مطلقاً في باريس، وأنه على ضوء قرب السليمانية وكركوك من بغداد والموصل فإنه كان من الأفضل للكرد مساندة العرب الميزوبوتاميين، الذين سينالون استقلالهم بشكل مؤكد وقريباً جداً.<sup>٤٤٦</sup>

وبعد أن فشلوا في إقناع الحكومة البريطانية بمشروعهم المتمثل بإنشاء دولة سورية- ميزوبوتاميا موحدة تحت حكم الأمير فيصل، بادر الضباط السنة إلى المناداة بالأمير عبدالله ملكاً على ميزوبوتاميا في آذار عام ١٩٢٠، أملاً في إثارة العرب المحليين ضد الإدارة البريطانية القائمة في بغداد. وبالرغم من كل المساعي التي بذلها، سواء جاءت بصورة علنية أو بصورة سرية، ففشل الشريفيون وأنصارهم من عرب السنة في بغداد والموصل في إقناع الحكومة البريطانية بتبني الحل الشيفي لجسم مستقبل الولايات الثلاث ضمن إطار تسوية سلمية للإمبراطورية العثمانية. ويمكن إرجاع هذا الفشل إلى ثلاثة عوامل مهمة. ففي المقام الأول، رأت وزارتا الخارجية والهند بأهمية كردستان الجنوبية من الناحيتين الإستراتيجية والاقتصادية بالنسبة إلى الوجود البريطاني في ميزوبوتاميا وإيران إلى درجة لا يمكن التخلص منها عن هذا الإقليم لصالح الفرنسيين أو الشريفين. وفي المقام الثاني، أبدى الكولونييل ويلسون، بوصفه المسؤول ميدانياً عن إدارة السياسة البريطانية في ميزوبوتاميا، معارضة شديدة إزاء

<sup>٤٤٤</sup> Policy in Arabia, 20 November 1918, L.OoL/P. S/18/B297.

<sup>٤٤٥</sup> India Office, Political Department, Note on Kurdistan, 14 December 1918, FO 371/3386, PRO.

<sup>٤٤٦</sup> GSI, Mesopotamia, GHQ, 17 May 1919, AIR 20/512, PRO.

أية خطة تمنح حكماً ذاتياً للسكان، العرب منهم والكرد. وأخيراً، لم يكن هناك أي دعم شعبي يذكر للقضية الشريفية بين العرب الميزوبوتاميين، ناهيك عن الكرد الجنوبيين. ولكن، اندلاع سلسلة انتفاضات محلية في إنحاء متفرقة من ميزوبوتاميا العربية خلال العام ١٩٢٠ ، وما الحقته بالبريطانيين من خسائر كبيرة في الأرواح والأموال، برّهنت عجز نظام الحكم البريطاني المباشر في تسيير شؤون تلك البلاد. وكانت واحدة من أهم تداعيات تلك الانتفاضات العفووية هي دفع الحل الشريفي إلى الواجهة، بوصفه أحد أفضل خيارات البريطانيين لوضع حد لمعاناتهم العسكرية والمالية والسياسية في ميزوبوتاميا العربية. وعلى هذا النحو، فإن القرار البريطاني الخاص بشأن إقامة حكومة عربية في بغداد وتشكيل كيان عربي جديد لكي تعوض من خلاله الأمير فيصل ما خسره في سوريا هو الذي جعل من الشريفيين عاملاً مهماً يؤثر بشكل متزايد في السياسة البريطانية تجاه كردستان الجنوبية في السنوات اللاحقة. وحالما نصبه البريطانيون ملكاً على العراق العربي في العام ١٩٢١، استأنف الأمير فيصل وبطانته من عرب السنة وبحماسة منقطعة النظير حملتهم القديمة المتعلقة بالحق كردستان الجنوبية بالدولة العربية الجديدة.

### خاتمة الفصل

ثلاث نقاط محورية يمكن الخروج بها من دراسة السياسة الكردية التي أتبّعها البريطانيون خلال المدة ١٩١٨-١٩٢٠ على ضوء تطور الحركة القومية الكردية والقضية الأرمنية والعامل الشريفي - الميزوبوتامي. أولاً، بالرغم من الأولوية الواضحة التي منحتها بريطانيا إلى مصالحها الإستراتيجية والاقتصادية، عكست سياستها الكردية خلال مؤتمر السلام إلى حد ما موقفها من التطلعات القومية للكرد والطموحات السياسية للأرمن وللعرب. بمعنى آخر، لا يمكن للمرء أن يفصل السياسة البريطانية تجاه كردستان عن إطارها الإقليمي. فالباحث عن حل عملي للقضية الأرمنية واستحالة تجاهل النزعة القومية الكردية بوصفها قوة سياسية متنامية وطموحات الشريفيين الإقليمية ساعدت بمجموعها في تسليط الضوء على مستقبل الولايات التي تألفت منها كردستان العثمانية. ولعبت هذه العوامل دوراً مهماً في الارتقاء بالمسألة الكردية إلى مصاف دولي، وذلك من خلال تحريرها من إطارها المحلية القديمة ومن ثم إدخالها ضمن عملية التسوية السلمية للإمبراطورية

العثمانية. ثانياً، لم تتعامل بريطانيا، من خلال المواقف التي اتخذتها، مع الإدعاءات الإقليمية والتطورات السياسية للقوميات الجديدة بصورة متساوية، وذلك لدواعٍ إستراتيجية واقتصادية وسياسية وإلى حد ما دينية. وبالفعل، حين انتهت الحرب العالمية الأولى، كانت بريطانيا تفكر فقط في كيفية معالجة القضية الأرمنية، التي نالت دعم الرأي العام الأوروبي والأمريكي الواضح، كرد فعل على الادعاءات الخاصة بالمجازر التي ارتكبت ضدهم من قبل السلطات التركية خلال مراحل الحرب. وبالمقارنة مع القضية الأرمنية في تلك الفترة، لم تتل المسألة الكردية اهتماماً بريطانياً يذكر سواء بصورة رسمية أو غير رسمية.

ان مسار الأحداث والتطورات اللاحقة في كُردستان هي التي جعلت صُناع القرار في لندن يدركون بصورة متزايدة ان حل المسائل المتعلقة بالقوميات الجديدة في الإمبراطورية العثمانية كان أمراً في غاية التعقيد وأكثر غموضاً مما كانوا يعتقدونه في الماضي حول طبيعة الحركات القومية الجديدة وإدعائاتها الإقليمية المتضاربة وتطوراتها السياسية المتقطعة. بهذا الشكل، صار من الواضح انه ليس بالإمكان حل مسألة قومية واحدة بمعزل عن مسألة قومية أخرى. ولقد تأثرت سياسة بريطانيا تجاه الأرمن ب موقفها من مستقبل كُردستان الشمالية وبالعكس. وبينما الطريقة أثرت سياسة بريطانيا تجاه المسألة الشريفية - الميزوبوتامية بموقفها من الوضع في كُردستان الجنوبية. وهذه المسائل المتربطة داخلياً عكستها بنود معاهدة سيفر لعام ١٩٢٠، كما سيوضح ذلك الفصل اللاحق. وأخيراً، على النقيض من العامل الشريفي - الميزوبوتامي، الذي أثر بشكل محدود في السياسة البريطانية في كُردستان الجنوبية في المدة ١٩١٨-١٩٢٠، كان للعامل الأرمني تأثيرات قوية و مباشرة في سياسة بريطانيا تجاه المسألة الكردية خلال مؤتمر السلام، وهو الأمر الذي ساعد بصورة غير مباشرة على ارتقاء تلك المسألة الى مصاف المسائل الدولية بشكل غير مسبوق. مع ذلك، في الأعوام الثلاث التالية (١٩٢١-١٩٢٣)، خفت تأثيرات القضية الأرمنية على سياسة بريطانيا تجاه المسألة الكردية بصورة كبيرة، في الوقت نفسه تضاعف تأثير العامل الشريفي - الميزوبوتامي بشكل متزايد على مستقبل كُردستان الجنوبية، خاصة بسبب تشكيل الدولة العراقية، التي أُحْقِقَ بها ذلك الإقليم في نهاية المطاف.

## الفصل الخامس

### السياسة البريطانية تجاه مستقبل كُردستان في مؤتمر سان ريمو: بنود معاهدة سيفر (آب ١٩٢٠)

حين انتهت الجلسة الأخيرة لمؤتمر باريس للسلام في ٢١ كانون الثاني عام ١٩٢٠، لم يكن مصير الإمبراطورية العثمانية وممتلكاتها الإقليمية قد حُسم، وذلك بسبب تسخير قوى الحلفاء مساعيهم الدبلوماسية من أجل الوصول إلى تسوية أوربية شاملة، من جانب، وعدم اتفاقها الواحدة مع الأخرى بشأن شكل النظام الإقليمي الجديد للشرق الأوسط. وكل ما توصلت إليه تلك القوى قد تلخص بفرض نظام الانتداب على الأقاليم العثمانية غير التركية، بوصفه الآلية التي يمكنها من تحقيق مصالحها الإستراتيجية والاقتصادية في منطقة الشرق الأوسط. وبالرغم من هذا الاتفاق المبدئي حول تطبيق نظام الانتداب، عجز الحلفاء عن حسم أوجه حساسة من نظام الانتداب، في مقدمتها تسمية الأطراف التي ستتقاسم المناطق الخاضعة للانتداب وتعيين الحدود السياسية لتلك المناطق.<sup>٤٤٧</sup> وهذا الفصل سيتناول جملة عوامل إستراتيجية واقتصادية أثرت في الطريقة التي شخصت فيها بريطانيا مصالحها المباشرة وغير المباشرة في كُردستان على ضوء الانتداب المنوح لها في ميزوبوتاميا، فضلاً عن قراءة دقيقة لموقف كل من وزارة الخارجية ووزارة الهند ووزارة الدفاع نحو تسوية المسألة الكُردية برمتها.

برز إلى السطح التضاد بين المصالح البريطانية والمصالح الفرنسية في أثناء مناقشة قوى الحلفاء في باريس لقضايا أوربية وشرق أوسطية عدّة. وكانت تلك خلفية اتخاذ الحلفاء تمثّل بتأجيل حسم قضية مستقبل منطقة الشرق الأوسط كلها، لحين إجراء مشاورات جديدة بين الأطراف المعنية بالأمر. ووفق ذلك القرار، عقد كونفرانس سان ريمو في بيئة سادتها الخلافات بشأن العديد من المسائل، من ضمنها مستقبل اسطنبول والمضايق وكُردستان وسوريا الكبرى وارمينيا. ويدرس هذا الفصل تأثير المنافسة الإمبريالية المُحتدّة بين بريطانيا وفرنسا في المسألة الكُردية، التي أفضت إلى تقسيم كُردستان العثمانية. وبقدر ما يتعلّق الأمر بـكُردستان، سيتناول هذا الفصل

<sup>٤٤٧</sup> Klieman, *Foundations of British Policy in the Arab World*, p.2.

مضمون معاهدة سيفر (آب ١٩٢٠) على الصعيد الإقليمي من خلال إلقاء الضوء على عوامل جديدة تفاعلت على المسرح السياسي الشرق الأوسطي، كالتهديدات التي جاءت من روسيا البلشفية وحالة المد في التزععتين القوميتين الشوفينيتين التركية والفارسية.

### أهمية كُردستان الجيوسياسية والاقتصادية وحدود اهتمامات بريطانيا المباشرة وغير المباشرة

بسبب كون كُردستان منطقة جبلية تفصل بين دول ثلاث، الإمبراطورية العثمانية وإيران القاجارية وروسيا القيصرية، اتخذت أهمية جيوسياسية متميزة. وجعل من الممكن استخدام المناطق الكردية هذا الموقع الحساس كموقع إستراتيجية طبيعية تحمي الأقاليم الداخلية لتركيا العثمانية وإيران القاجارية أو كجسر يمكن ان تستخدمنه تلکما القوتان عسكرياً للوصول الى مناطق داخلية نائية تعود للطرف الآخر. ويبين تاريخ الصراعات الدموية التركية- الإيرانية منذ القرن السادس عشر فلاحقاً كيف كانت الهيمنة على كُردستان أو كسب ود حكامها المحليين من أبناء الأسر الأميرية الكردية أموراً حيوية بالنسبة لتعزيز أمن واستقرار الإمبراطورية العثمانية والممالك الإيرانية (الصفوية والزندية والقاجارية). ان المواقف المتسامحة في ظاهرها التي تبنتها السلطات المركزية التركية والإيرانية تجاه الإمارات الكردية الواقعة في المناطق الفاصلة بين تلك الدولتين عكسَ بشكل كبير حاجتها الى تعزيز أمن الحدود وكذلك رغبتهما في بسط نفوذهما على مناطق كردية جديدة تقع في دائرة النفوذ العائد للطرف الآخر.

اما بالنسبة الى روسيا، فقد لاحظت وزارة الهند في آذار ١٩١٥، ان كُردستان مثلت «الممر الوحيد»، الذي يمكنها من الوصول الى شواطئ البحر الأبيض المتوسط. ويعذر ما يتعلق الأمر بأية قوة تسعى الى السيطرة على سهول ميزوبوتاميا، فإن كُردستان ستمثل «تهديداً قائماً»، في حالة خضوعها الى نفوذ قوة معادية أخرى.<sup>٤٤٨</sup> وازدادت أهمية كُردستان الإستراتيجية بسبب الأوضاع السياسية غير المستقرة التي أنتجتها الحرب العالمية الأولى، في مقدمتها انبثاث نزعات قومية جديدة

<sup>448</sup> British Desiderata in Turkey in Asia, Appendix VI, The Future of Settlement of Eastern Turkey in Asia and Arabia, Note by the Secretary, Political and Secret Department, India Office, 14 March, CAB27/1, PRO, p.86.

وهزيمة الإمبراطورية العثمانية ومشارفتها على الانهيار وضعف قوة المملكة القاجارية والتهديدات البلاشفية المتزايدة القادمة من الشمال عبر حدود قوقازيا. وحالما انتهت تلك الحرب، بذل الفرنسيون والأترارك والعرب والأرمن والإيرانيون مساعي كبيرة للاستحواذ على أكبر قدر ممكن من الأقاليم الكردية. ولم يعجز البريطانيون هم أيضاً عن رؤية الأهمية المتنامية التي اتخذتها كُردستان بسبب موقعها الجيوسياسي. وبهذا الصدد، يقول المفوض السامي البريطاني في إسطنبول:

ثالث المسألة الكردية اهتماماً كبيراً من لدن حكومة صاحب الجلة، وحضرت لدراسة دقيقة. كُنا قد أبدينا الاهتمام بها، في الوقت الحاضر، بسبب ان الكُرد كانوا يشكلون عنصراً مهماً على جانبي حدودنا العسكرية في شمال بغداد وإنهم يشكلون واحداً من أهم (العوامل)، إذا لم يكونوا الأهم، في (المناطق) الواقعه مباشرة وراء الأرضي الخاضعة لاحتلالنا... كان ينبغي علينا أيضاً إبداء اهتمام دائمي بالكرد على صعيد المستقبل، وذلك لأنّه مهما حدث، ظلّ لدينا مستقبل في ميزوبوتاميا.<sup>449</sup>

أصبحت بريطانيا العظمى مهتمة بشكل خاص بمصير كُردستان الجنوبية نتيجة لإيمانها بأهمية ذلك الإقليم الإستراتيجية بالنسبة إلى ميزوبوتاميا، بالطريقة التي كان إقليم شمال - الغرب حليها بالنسبة إلى أمن إمبراطوريتها في شبه القارة الهندية. بالإضافة إلى ذلك، توافرت هناك احتمالات بوجود مصادر بتولية في كُردستان الجنوبية. ومصادر الطاقة الجديدة هذه أصبحت ذات أهمية خاصة بالنسبة إلى مسألة تحديث قطع البحريات البريطانية. وفي أعقاب احتلالها لمدينة الموصل، ركّزت بريطانيا مساعيها الدبلوماسية المبكرة على تعديل بنود اتفاقية سايكس - بيكيو، وذلك عن طريق تحويل السيطرة البريطانية المؤقتة القائمة على الأمر الواقع إلى سيطرة سياسية دائمة معترف بها من قبل بقية القوى. وبفضل سيطرتها العسكرية على ولاية الموصل وكذلك حاجة فرنسا لدعم بريطانيا الدبلوماسي في مواجهةmania في أوروبا، أصبحت حكومة لندن في موقف قوي جداً، وهو الذي مكّنها من ممارسة الضغوط على باريس لكي تتوافق على إعادة النظر في رسم حدود مناطق النفوذ ومناطق السيطرة

<sup>449</sup> De Robeck to Curzon, Confidential, 20 December 1919, Enclosure No.1, Ryan, Memorandum, 27 November 1919, F0371/4193, PRO .

المباشرة، التي اتفق عليها الجانبان بحسب بنود اتفاقية سايكس- بيكر. ففي بداية كانون الأول من العام ١٩١٨، أستطاع لويد جورج، رئيس وزراء بريطانيا، إقناع نظيره الفرنسي، جورج كليمونسو بأن تتنازل فرنسا عن حصتها الإقليمية في ولاية الموصل لقاء حصولها على امتياز بتولي. وهذا الاتفاق الشفهي أدخل إلى اتفاقية لونغ- بيرينغر الذي منح فرنسا حصة قدرها ٥٠٪ من شركة البترول التركية. ومع ذلك، ألغى لويد جورج هذا الاتفاق بسبب نشوء خلاف مع الفرنسيين يتعلق بمساحة سوريا الجغرافية. ففي هذا المقطع التاريخي صار لويد جورج يطالب، وكما نادى بذلك اللورد كورزون منذ البداية، من خلال مؤتمر السلام بتعيين حدود للمناطق الخاضعة لبريطانيا وتلك التي كانت خاضعة لفرنسا، وكذلك يأخذناع ولاية الموصل للانتداب البريطاني قبل مناقشة أية قضايا متعلقة بالامتيازات البتولية. وفي نهاية المطاف، عدلت بنود اتفاقية لونغ- بيرينغر لتحصل فرنسا بموجبها على حصة قدرها ٢٥٪ من شركة البترول التركية.<sup>٤٥٠</sup>

فضلاً عن أهميتها الإستراتيجية واحتمالات وجود ثروات بتولية ومعدنية، احتوت كُردستان منابع نهرين تاريخيين عظيمين، لا وهم دجلة والفرات. وكان لهذين النهرين أهمية قصوى بالنسبة إلى إحياء الزراعة في سهول ميزوبوتاميا العربية. وكان تحقيق ذلك المشروع الزراعي الكبير أحد العوامل التي دفعت وزارة الهند وحكومة الهند البريطانية إلى مساندة فكرة استعمار ميزوبوتاميا العربية أثناء الحرب. كما تفسّر أهمية المياه، ولو بمقدار جزئي، لماذا أظهر بلفور حرمه بشأن تعين حدود جغرافية للانتداب البريطاني بطريقة تُجنب حكومته تعقيدات سياسية غير ضرورية تتعلق بقضايا المياه وتوزيعها، وبخلاف ذلك سيتحتم على حكومته لاحقاً التدخل اضطراراً في تلك المناطق الواقعة خارج حدود السيطرة البريطانية. وبهذا الشكل، في أعقاب احتلال بريطانيا لميزوبوتاميا العربية وسيطرتها على كُردستان الجنوبية، تبلور توجهان في السياسة البريطانية بصورة مبكرة: تمثل الأول في ضرورة تجنب وضع يكون فيه النهر حدوداً سياسية للمناطق الخاضعة للسيطرة البريطانية وأما الثاني فتجسد في ضرورة منع أي من القوى المنافسة الأخرى من بسط سيطرتها على

مصادر المياه:

---

<sup>450</sup> Joshua C. Baylson, *Territorial Allocations by Imperial Rivalry: The Humane Legacy in the Near East*, [University of Chicago, Department of Geography, Research Paper No. 22, 1987], p.93.

(في المناطق المحتلة) تتناسب الخصوبية مع الري. ولذلك، إذا اتخذ نهر في أي مكان حدوداً لأسباب أخرى، فإنه سيستوجب الإسهام في تفاصيل بنود الاتفاقية المتعلقة بتقسيم المياه بين المزارعين على ضفتي النهر، الذين سيخضعون (على سبيل الافتراض) لانتداب دولتين مختلفتين.<sup>٤٥١</sup>

وعن طريق توسيع الرقعة الجغرافية الخاضعة لسيطرة بريطانيا لتشمل ولاية الموصل كلها، استطاعت بريطانيا أن تحقق، ولو بشكل جزئي، هدفها المتمثل بتجنب وضع تكون فيه الأنهر حدوداً سياسية تفصل المناطق الخاضعة لها عن تلك الخاضعة لدول أخرى. وبدلًا من الأنهر، سعى البريطانيون إلى استخدام الحدود العثمانية القديمة لولاية الموصل كحدود واضحة للمناطق الخاضعة لسيطرتهم. وأما الهدف الثاني المتمثل بسيطرة على مصادر المياه، فلم يكن في متناول بريطانيا، وذلك بسبب جملة قيود عسكرية وضغوط مالية نشأت عن الحرب العالمية الأولى. تلك كانت الطريقة التي شَحَّتْ بواسطتها بريطانيا المناطق الكردية (أي كُردستان الجنوبية)، التي ستخضع لسيطرتها لدواعٍ إستراتيجية واقتصادية.

وفي أعقاب تعين حدود المناطق الخاضعة أو التي ستخضع لسيطرتها، تابعت بريطانيا تحديد موقفها من المستقبل السياسي لبقية المناطق الكردية الخارجة عن سيطرتها (أي كُردستان الشمالية وكُردستان الشرقية) وكذلك تشخيص مصالحها الإستراتيجية والاقتصادية والسياسية في كُردستان، على ضوء التطلعات السياسية والادعاءات الإقليمية للأرمن والإيرانيين والعرب (من جانب)، وتنامي الخطر البلشفي واشتداد المنافسة الامبرiale مع فرنسا في منطقة الشرق الأوسط (من جانب آخر). في البدء، كان أمام بريطانيا خياران، وهما أما تنفيذ ترتيباتها السياسية الخاصة التي وضعتها فيما يتعلق بمستقبل كُردستان من أجل فرضه كأمر واقع على مؤتمر باريس للسلام أو الانتظار لحين قيام المؤتمر المذكور بمناقشة مصير ذلك البلد. مع ذلك، فإن غياب سياسة كردية واضحة المعالم، سواء خلال مؤتمر باريس للسلام أو في أعقابها مباشرة، لم تمنع الموظفين البريطانيين الميدانيين من تبني سلسلة إجراءات سياسية وإدارية في كُردستان الجنوبية الخاضعة للهيمنة البريطانية. وبالرغم من أن تلك

<sup>٤٥١</sup> Memorandum on Syria, Palestine and Mesopotamia: Reflections of Foreign Secretary Arthur James Balfour, 11 August 1919, DBFP, Vol.I, pp.340-349.

الإجراءات قد تم تفويتها بصفة مؤقتة، وجدت التغييرات التي أحدثتها طريقها إلى بنود معاهدة سيفر المتعلقة بمستقبل كُردستان، وكذلك إلى بنود الانتداب البريطاني على منطقة ميزوبوتاميا.

### تبليغ الأهداف البريطانية في كُردستان

كانت اللجنة الشرقية الجهة الرسمية المسؤولة عن تحديد معالم السياسة البريطانية تجاه قضايا الشرق الأوسط. وانهت هذه اللجنة آخر جلساتها في شهر كانون الأول من العام ١٩١٨. وأشرف لويد جورج، الذي كان يقود حكومة ائتلافية من الحزبين الليبرالي والمحافظ، على المفاوضات البريطانية- الفرنسية المبكرة حول قضايا الشرق الأوسط، واتفقت آراؤه بشكل عام مع توصيات اللجنة الشرقية ومع ميول وزارة الخارجية<sup>٤٥٢</sup>، التي كانت من نتائجها استحواذ بريطانيا على حصة فرنسا في ولاية الموصل. ومنذ العام ١٩١٩، بدأت ثناقيش مستقبل كُردستان وميزوبوتاميا بصورة مستفيضة خلال جلسات الـ(IDCM)، التي يرأسها عادة اللورد كورزون. وحضر تلك الجلسات ممثلون عن وزارات الخارجية والهند وال الحرب والقوة الجوية، والخزانة، فضلاً عن هيئة التجارة. وبين حين وآخر تستدعي الحاجة إلى مشاركة موظفين بريطانيين بارزين يعملون في منطقة الشرق الأوسط في جلسات الـ(IDCM)، منهم جنرال النبي وكولونيل ويلسون والميجر نوئيل<sup>١</sup>، الذين عرضوا تصوراتهم وتوصياتهم بشأن القضايا المطروحة على بساط البحث.

وحين انتهت الحرب بين قوى الحلفاء والإمبراطورية العثمانية في شهر تشرين الأول (١٩١٨)، لم تتعط وزارة الخارجية أو وزارة الهند اهتماماً يذكر بالعامل الكُردي. ولكن، انبعاث النشاطات القومية الكُردية واستدادها وقيام تقارير ميدانية رفعها موظفو بريطانيون، كالميجر نوئيل والكابتن وولي، بتسلیط الضوء على الوضع الكُردي وشرح ارتباطه بالوضع السياسي العام قد تضافرت كلها لتأكيد لصناع القرار البريطاني الحاجة إلى معالجة المسألة الكُردية بصورة عاجلة ضمن إطار التسوية السلمية الشاملة للإمبراطورية العثمانية. ولهذا صار من الضروري أن تضع الحكومة

<sup>٤٥٢</sup> Christopher M. Andrew, 'France, Britain and the Peace Settlement: A Reconsideration', -in- **The Great Powers in the Middle east, 1919-1939**, (Ed) Uriel Dann, (London & New York: Holmes & Meir, 1988), pp.158-159.

البريطانية سياسة واضحة المعالم والأهداف تجاه مستقبل المناطق الـكردية. وقامت وزارتا الخارجية والهند، المهتمتان بصورة مباشرة بالشؤون الـكردية، بدراسة جميع الآراء والمقترنات والتوصيات التي جاءت من الدوائر الرسمية البريطانية في الشرق الأوسط، كالمفوضية السامية في اسطنبول والمفوضية السامية في القاهرة والمفوضية المدنية في بغداد والسفارة البريطانية في طهران، تمهيداً لتحديد الحكومة البريطانية لموقفها الرسمي والنهائي نحو المسألة الـكردية.

وفي الوقت الذي تقاربت فيه وجهات نظر وزارتي الخارجية والهند بشأن إبقاء كـردستان الشرقية ضمن الوحدة الإقليمية الإيرانية في مرحلة ما بعد الحرب، فإن مواقفهم تجاه المسألة الـكردية قد تميّزت بطابعٍ متغيرٍ. ويتبين لدى مطالعة سجل جلسات الـ(IDCM)، أن تلك المواقف قد تغيّرت بمرور الوقت على ضوء الحصول على المزيد من المعلومات وكذلك رداً على تطورات سياسية حدثت في تركيا وإيران ومنطقة قوقازيا. وكان اللورد كورزون قد أكد خلال جلسات الـ(IDCM) صعوبة الوصول إلى موقف بـريطاني مـحدد بشأن المسألة الـكردية، وذكر الحاضرين أن الـ(IDCM) قد توصل إلى ((استنتاجات متضاربة تماماً)) في كل جلسة من جلساتها، ومنها (١) قيام دولة الـكردية تتمتع بـحكم ذاتي في أطراف ولاية الموصل و(٢) تقسيم كـردستان العثمانية بين بـريطانيا وفرنسا و(٣) ترك الـكرد و شأنهم ليقرروا مصيرهم بمفردهم.<sup>٤٥٣</sup>

ومن حيث الدوافع، اهتمت وزارة الهند أساساً بأمن المستعمرات الهندية، التي تطلبت حماية وحدة إيران الإقليمية وتعزيز الموقف البريطاني في ميزوبوتاميا العربية. أما وزارة الخارجية فنظرت إلى مستقبل كـردستان من زاوية أوسع، ويشمل هذا مستقبل ارمينيا السياسي، وتصاعد الخطر البلاشفي وطموحات فرنسا الإقليمية وانبعاث الحركات القومية في أقاليم الدولتين التركية والإيرانية. وجميع هذه الاهتمامات المتنوعة بين الدوائر الرسمية البريطانية والسمة غير الثابتة للوضع السياسي في منطقة الشرق الأوسط أصبحت مسؤولة جزئياً عن تردد لندن في تحديد أهداف سياستها الـكردية حتى شهر نيسان من العام ١٩٢٠.

ومن حيث تعين الحدود القصوى للنفوذ السياسي البريطاني، اقتصرت اهتمامات وزارة الهند في البداية على كـردستان الجنوبية بشكل أساس، وذلك بسبب

<sup>453</sup> Ibid.

أهمية هذا الإقليم الإستراتيجية والاقتصادية والسياسية بالنسبة إلى وجود إدارة ميزوبوتامية ناجحة وإستماريتها. فقد جاء في مذكرة رفعتها الدائرة السياسية في وزارة الهند ما يأتي:

تكمّن أهمية كُردستان بالنسبة إلى بريطانيا العظمى في حقيقة أن القوة السائدة في هذه البلاد ستسيطر على الطرق الإستراتيجية المؤدية إلى ميزوبوتاميا وعلى المياه التي تزود (الجانب) الشرقي الغنّي من دجلة، التي يعتمد عليها بصورة رئيسة بِيَ ميزوبوتاميا. علاوة على ذلك، إن (وجود) كُردستان مستقرة وصديقة أمر جوهرى بالنسبة إلى السلام في ميزوبوتاميا العليا، في حين ستكون البلاد قاعدة لتجنيد ثمينة للأغراض العسكرية. إن المناطق المنخفضة، التي تحد ميزوبوتاميا، تضم حقول بتول ومصادر طبيعية أخرى. وهناك تقارير تشير إلى أن مقاطعاتي السليمانية وحلبجة قابلة لتطور (اقتصادي) هائل، وتشمل منتجاتها البترول والفحم الحجري والتبيغ. إن النفط وجِدَ أيضًا في المقربة من طوزخورماتو على الطريق بين كفرى وكركوك وفي چيا سورخه في أقصى الزاوية الجنوبية- الشرقية من المنطقة.<sup>٤٥٤</sup>

وخلال عهد الحكومة الكردية الأولى، التي تزعمها الشيخ محمود، أبدت وزارة الهند رغبتها في قيام كُردستان جنوبية تتّمتع بحكم ذاتي تضم سلسلة من دويلات كُردية صغيرة تخضع لحماية بريطانية<sup>٤٥٥</sup>. بوصفه الإجراء الأمثل إذا ما بدأَت بريطانيا عاجزة عن تحمل المزيد من الالتزامات العسكرية. وكان آرثر هيرتزل في وزارة الهند، وهو الذي اقترح إقامة ((كُردستان جنوبية مستقلة)) ذات إدارة ودخل منفصلين، قد خشي من أن عودة الحكم التركي إلى الأجزاء المتبقية من كُردستان العثمانية يجعلها (جاراً غير مرئي) لكلا الكيانين المزعزع إنشاؤهما، أي الدولة العراقية الجديدة والمملكة الأرمنية.<sup>٤٥٦</sup> ولربما يفسر هذا لماذا أبدت وزارة الهند بعض الاهتمام ب فكرة توسيع الانتداب البريطاني لكي يشمل مناطق كُردية كانت تقع في جنوب أرمينيا،<sup>٤٥٧</sup> في حالة خضوع الأخيرة للانتداب الأمريكي.

<sup>٤٥٤</sup> Political Department, India Office, Note on Kurdistan, 14 December 1918, F0371/3386, PRO.

<sup>٤٥٥</sup> Briton Cooper Busch, **Mudros to Lausanne: Britain's Frontier in West Asia, 1918-1923**, (New York: State University of New York Press, 1976), p.370.

<sup>٤٥٦</sup> Shuckburgh, 1 August 1919, F0371/4192

<sup>٤٥٧</sup> British Delegation, Paris, 12 October 1919, F0371/4193, PRO.

لكن الحكومة الأمريكية اعتذرت، بسبب ضغط الكونغرس عليها، عن قبول مهمة الانتداب على دولة أرمينيا الجديدة. وهذا التطور المفاجئ قد أجبر صناع القرار البريطاني على إعادة خلط الأوراق وتعديل الموقف نحو التسوية السلمية للإمبراطورية العثمانية. وفي هذا المقطع الزمني، قام مونتيفيجيو بتعديل موقفه وبدأ يدعم، بالرغم من وجود بعض التحفظات، مقترنات ويسعون بشأن تقسيم كُردستان العثمانية بين تركيا الجديدة وميزوبوتاميا العربية. ولكن، مونتيفيجيو رأى من الضروري إقامة دولة كُردية صغيرة في بوتان (جزيرة ابن عمر) تخضع لحماية بريطانيا من أجل تعزيز دفاعات الموصل الإستراتيجية.<sup>٤٥٨</sup> كما أبدى مونتيفيجيو معارضته لأي انسحاب بريطاني من المناطق المهمة استراتيجيةً واقتصادياً في كُردستان الجنوبية، مثل خانقين وكركوك وزاخو.<sup>٤٥٩</sup> مع ذلك، ما لبث أن تراجع مونتيفيجيو خلال إحدى جلسات الـ(IDCM) في شهر نيسان (١٩٢٠) عن أطروحته الجديدة إذ نادى بتبني مشروع تحويل كُردستان الجنوبية إلى منطقة حدودية مستقلة على غرار إقليم الشمال الغربي في الهند،<sup>٤٦٠</sup> حتى وصل به الأمر إلى تأييد فكرة السماح لكردستان الجنوبية بالانضمام إلى كُردستان الشمالية في المستقبل إذا ما رغب سُكانها الكرد بذلك.

وعلى غرار وزارة الهند، قيمت وزارة الخارجية أهمية كُردستان من زاوية رغبتها في تدعيم موقف بريطانيا الاستراتيجي والاقتصادي في منطقة ميزوبوتاميا العربية، وكما إنها فكرت في إقامة كُردستان جنوبية منفصلة عن الكيانات المحيطة بها. ولكنها، على النقيض من وزارة الهند، أظهرت رغبة في التقليل إلى الحد الممكن من درجة التورط البريطاني في شؤون المناطق الكُردية، ولهذا رأت ضرورة الانسحاب منها. وكان من شأن كُردستان الجنوبية، في حالة انفصالها، أن تضم جميع المناطق الواقعة إلى الشرق من نهر دجلة، في حين ستضم المناطق الأخرى الواقعة إلى الغرب من ذلك النهر (التي مثلت جزءاً صغيراً من ولاية الموصل) إلى الدولة العربية المستقبلية.<sup>٤٦١</sup> وعلى ضوء الميلول التي أبدتها وزارة الخارجية والهند، أرسلت تعليمات إلى السلطات البريطانية في بغداد تُفيد بضرورة معاملة كُردستان الجنوبية

<sup>458</sup> A. Hirtzel, India office Recommendations on Kurdistan, 8 April 1920, F0371/5068, PRO

<sup>459</sup> Ibid.

<sup>460</sup> IDCM , Minute No.37 13 April 1920, F0371/5068, PRO.

<sup>461</sup> Toynbee, Foreign office Minute No.174037, 22 November 1918, F0371/3407 & No.146, 7 January 1919, F0371/4147, PRO.

بوصفها بلداً تتمتع بحكم ذاتي ومنفصلة عن ميزوبوتاميا العربية. وعكست فكرة كُردستان جنوبية ذات حكومة أهلية خاضعة لسيطرة بريطانية مخففة قلق وزارة الخارجية من زيادة عبء التزامات بريطانيا المالية والعسكرية. وكان هيوبرت يانغ من وزارة الخارجية قد اقترح اقتصار التدخل البريطاني على إقامة خط من المواقع في مناطق كُردية معينة لغرض حماية الطريق البري الاستراتيجي إلى شمال إيران، أي خط الاتصال بين بغداد وهمدان عبر كُردستان الجنوبية وكُردستان الشرقية. وشمل مقترح يانغ تعين ضباط اتصال سياسيين خاضعين لمسائلة السلطات البريطانية في بغداد.<sup>٤٦٢</sup> ومثلت خطة يانغ خيار الوسط ما بين انسحاب بريطاني كامل من كُردستان الجنوبية أو التعهد بتحمل المسؤولية السياسية الكاملة عنها. وهذا الخيار سيمكن بريطانيا من مساعدة إيران عند الضرورة وكذلك حماية حدود ميزوبوتاميا الشمالية من أية تهديدات محتملة قد تنطلق من روسيا البلشفية.

في أواخر العام ١٩١٩، سارت وزارة الخارجية في عهد وزيرها الجديد اللورد كورزون في اتجاه معارض لفكرة قيام كُردستان جنوبية وفق نظام الحكم الذاتي قبل أن يتخذ مؤتمر السلام قراره النهائي بشأن مستقبل كُردستان العثمانية. فكورزون عدَ المحافظة على السيطرة البريطانية في كُردستان الجنوبية، بما في ذلك ضمها إلى الانتداب البريطاني على ميزوبوتاميا، أمراً ضرورياً لدواعٍ إستراتيجية واقتصادية. وبالفعل، في نهاية العام ١٩١٩، ظهر إلى العيان توافق عام بين دوائر بريطانية معنية، سواءً في لندن أو في الشرق الأوسط، بشأن ضرورة إخضوع كُردستان الجنوبية إلى سيطرة بريطانية مباشرة. وكانت الخطوة الأولى في ذلك الاتجاه قد تمت بنجاح مساعي لندن في الحصول على موافقة الفرنسيين على التخلِّي عن منطقة نفوذهم في ولاية الموصل. وشكلت هذه الخطوة، فضلاً عن استيلاء الفرنسيين على جزيرة ابن عمر وحوض نهر الخابور في العام التالي، البداية الفعلية لتقسيم كُردستان العثمانية في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى. وأدخل هذا التقسيم إلى صيغة نظام الانتداب الخاص بِإدارة الولايات العثمانية السابقة الواقعة ضمن منطقة الشرق الأوسط. وأُلقي على عاتق عصبة الأمم وضع الأجزاء الجنوبية من كُردستان العثمانية تحت الانتداب البريطاني في ميزوبوتاميا، ووضع أجزائها الغربية تحت الانتداب الفرنسي في سوريا. ويعني كل هذا أن قرار تجزئة كُردستان العثمانية قد أُتخذ مُسبقاً،

<sup>462</sup> Young, Foreign Office Memorandum No. 164430, 10 January 1920, F0371/4193, PRO.

وليصبح حجر الأساس لبنيود معاهدہ سیفر المتعلقة بمستقبل تلك البلاد. مع هذا، لم يكن قد تقرر بعد شكل الروابط السياسية والإدارية والاقتصادية بين كُردستان الجنوبية ومیزوبوتامیا العربية على المدى الطويل، إذ ظلت بريطانيا متعددة إزاء خيار إقامة كُردستان جنوبية منفصلة، بوصفه الخيار العملي والأمثل لتحقيق مصالحها. ولهذا فضل صناع القرار البريطانيون الانتظار لحين تهيئ ظروف مؤاتية تساعد على اتخاذ مبادرة جديدة.

وبقدر ما يتعلق الأمر بمصير بقية أجزاء كُردستان العثمانية، درست وزارة الخارجية في البدء فكرة تشكيل دولة كُردية أو كونفدرالية من الدول الكُردية. وبسبب احتدام المعضلات المالية وارتفاع المعارضة الداخلية لأي تورط عسكري جديد، قرر الـ(IDCM) في تشرين الثاني (١٩١٩) في أن ترفض بريطانيا فكرة منحها انتداباً منفصلاً على كُردستان أو اتخاذ إجراءات عسكرية في مناطق تقع خارج حدود نفوذها في میزوبوتامیا وكُردستان الجنوبية. وزادت أهمية عدم جعل شؤون كُردستان الشمالية ضمن مسؤوليات بريطانيا في أعقاب رفض حكومة واشنطن، تحت ضغط الكونغرس، التورط بشكل مباشر في التسوية السلمية لأقاليم الإمبراطورية العثمانية، بما في ذلك التخلّي عن فكرة وضع أرمينيا تحت الانتداب الأمريكي.

ان مبدأ عدم الرغبة في قبول المزيد من الالتزامات العسكرية أو السياسية في كُردستان الشمالية هو الذي ترك تأثيراً قوياً وملماساً على المواقف البريطانية تجاه المسألة الكُردية خلال جلسات كونفرانس سان ريمو القادم. ومع ذلك، لم تكن وزارة الخارجية توافق على ترك سكان كُردستان الشمالية يتذرون شؤونهم لوحدهم من دون وجود دور بريطاني ما، على النقيض مما اقترحه دي روبيك.<sup>٤٦٣</sup> وكان جورج جي كیدستون، من وزارة الخارجية، قد أكد حاجة بريطانيا إلى كسب صداقته الكُرد على ضوء المستجدات المتعلقة بتزايد تهديدات روسيا البلشفية.<sup>٤٦٤</sup> ولضمان وقوف الكُرد مع البريطانيين، دعا آير كرو حكومته إلى الاعتراف بأمتهم وباستقلالهم.<sup>٤٦٥</sup> وبالرغم من الموافقة، من حيث المبدأ، على فكرة ان يتذرّب الكُرد الشماليون مصيرهم، لم يكن بمقدور البريطانيين ان يكتفوا بمشاهدة انتشار القلائل في المناطق الكُردية الواقعة

<sup>٤٦٣</sup> Busch, **Mudros to Lausanne**, p.371.

<sup>٤٦٤</sup> Letter From Kidston to Crowe, Paris, 28 November 1919, DBFP, Vol. IV, P.909.

<sup>٤٦٥</sup> Letter From Crowe, Paris, to Kidston, 1 December 1919, DBFP, Vol.IV, p.913.

خارج نطاق سيطرتهم، وذلك بسبب تأثيراتها السلبية على موقفهم السياسي والعسكري في مينزوبوتاميا، خصوصاً إذا ما أخذوا بنظر الاعتبار استمرار التهديدين الكمالى - التركى والروسي البلاشى من الجهة الشمالية. ولذلك، أصبح من الضروري أن تقوم بريطانيا بالتأثير في الوضع الكردى في المستقبل المنظور، على أقل تقدير، وهو الأمر الذى لا يمكن تحقيقه دون تلبية الحدود الدنيا من التطلعات الكردية في الحكم الذاتي.

حين بدأ كونفرانس سان ريمو جلساته، لم يكن للحكومة البريطانية بعد موقف حاسم نحو مستقبل كردستان الشمالية، باستثناء رفض فكرة الانتماب عليها تحت أي حال من الأحوال. وبين شهري شباط ونisan عام ١٩٢٠، طرأت سلسلة من التغيرات اللافتة للنظر على الموقف البريطاني نحو مستقبل كردستان الشمالية. ففي ٢٠ شباط، صرخ كورزون، الذى كان يترأس الوفد البريطانى في الكونفرانس المذكور، ان بريطانيا وفرنسا قد اتفقتا على استقلال كردستان الشمالية، سواء كدولة واحدة أو فدرالية من دول الحكم الذاتي. كما أظهر كورزون رفضه لـأى ((تصريح مؤقت ينص على إبقاء كردستان تحت سيادة تركيا)).<sup>٤٦٦</sup> وفي ٢٦ شباط، أشار لويد جورج إلى كردستان الشمالية بوصفها ضمن الأقاليم غير التركية التي ستتفصل عن الإمبراطورية العثمانية، وهو الأمر الذى عده واحدة من المبادئ التي تسترشد بها المفاوضات داخل مجلس الحلفاء. وفي ٦ آذار، أبلغ كورزون دى روبيك انه يُفكِّر في فصل كردستان الشمالية عن الإمبراطورية العثمانية، وضمان استقلالها. مع ذلك، رأى كورزون الحاجة إلى دراسة شاملة للوسائل التي يتم بواسطتها تحقيق ذلك الهدف.<sup>٤٦٧</sup> وبعد مرور عشرين يوماً على ذلك، تحدث كورزون مرة أخرى عن كردستان منفصلة تتبع بحكم ذاتي:

ان السياسة التي نوم اتخاذها في معاهدة السلام (مع الإمبراطورية العثمانية) ...  
بشأن كردستان هي ان لا تكون محمية واحدة تعود لإنكلترا أو لفرنسا، ولا أن تكون محمية منقسمة أو مجموعة من الدول تحت حماية اوربية، وإنما كردستان ذات حكم ذاتي ومفصلة عن تركيا، لدرجة إنها غير خاضعة للسيادة التركية.<sup>٤٦٨</sup>

<sup>٤٦٦</sup> British Secretary's Note Of Allied conference, London, 20 February 1920, DBFP, Vol. VII, p-159.

<sup>٤٦٧</sup> Foreign Office Telegram to De Robeck, Constantinople, Very Urgent, 6 March 1920, F0371/5067, PRO.

<sup>٤٦٨</sup> Curzon to de Robeck, Constantinople, Confidential, 26 March 1920, F0371/5067, PRO.

على الرغم من كل ما قيل في تلك التقارير المتبادلة، قررت الحكومة البريطانية في نهاية المطاف ان لا تعطي كُردستان الشمالية استقلالها بشكل فوري وإنما تمنح حكماً ذاتياً داخلياً مؤقتاً ضمن إطار الدولة التركية.

ان التغيير المفاجئ الطارئ في موقف صناع القرار البريطاني خلال مدة قصيرة (آذار - نيسان ١٩٢٠) قد عكس مخاوف حقيقة من أن تتورط بريطانيا عسكرياً وسياسياً في كُردستان الشمالية بصورة تتنافى مع رغباتها، أو حتى من خسارة كُردستان الجنوبية . فضلاً عن ذلك، لاحظ كورزون أن إبقاء الکُرد الشماليين تحت الحماية العثمانية قد يمثل خياراً مثالياً، إذا ما أخذ بنظر الاعتبار رغبة بريطانيا في التصدي لمحاولات الفرنسيين الرامية الى توسيع سيطرتهم السياسية داخل كُردستان الشمالية.<sup>٤٦٩</sup> ولاحظ يانغ سرعة التغيير الطارئ على الموقف البريطاني وكيف ان معاهدة السلام التركية قد اقتصرت على فصل ((المناطق المحررة)), التي كانت قد خضعت الى الاحتلال البريطاني والفرنسي، وتعاملت مع ما تبقى من المناطق بوصفها جزءاً من تركيا.<sup>٤٧٠</sup> في احدى لقاءات (ICDM) المنعقد في ١٣ نيسان، وهو اللقاء الأخير قبل التوصل الى معاهدة سيفر،<sup>٤٧١</sup> وكان كورزون قد أشار هو الآخر الى ان الكونفرانس قد مال الى فكرة ترك الکُرد الشماليين تحت الحكم التركي، وليصرح بعد ذلك في ١٩ نيسان، انه لم يعد من المرغوب، على النقيض من الاعتقاد السائد، فصل ما تبقى من كُردستان عن تركيا؛ وإنما جعلها تتمتع بحكم ذاتي داخلي. وعزّا كورزون هذا التغيير الى عدم وحدة الکُرد، وعجزهم عن التمسك بما سيحصلون عليه من مكاسب من كونفرانس السلام في ظلّ غياب دعم إحدى القوى الكبرى. وبهذا النحو، رست بريطانيا على موقف نهائي، خير ما عَبَرَ عنه بنود معاهدة سيفر المتعلقة بمصير كُردستان، التي صيغت في نيسان ١٩٢٠. وفي ضوء كل تلك التغييرات والتطورات، ينبغي التمييز لدى قراءة بنود تلك المعاهدة المتعلقة بمصير الشعب

<sup>٤٦٩</sup> British Secretary's Note Of Allied Conference, San Remo, 19 April 1920, DBFP, Vol. VIII, p.43.

<sup>٤٧٠</sup> Young, Foreign Office Minute No.2432, 30 March 1920, F0371/5068, PRO.

<sup>٤٧١</sup> لربما كان هذا اللقاء الأهم في تحديد الموقف البريطاني النهائي من المسألة الکُردية. ترأس كورزون هذا اللقاء، بوصفه وزيراً للخارجية، وحضره، فضلاً عن مونتيفيو، وزير الهند، ممثلين على مستوى عالٍ عن جميع الدوائر الرسمية ذات العلاقة، مثل وزارة الخارجية والهند وال الحرب والخزانة والطيران.

IDCM , Minute No.37 13 April 1920, F0371/5068, PRO.

الكردي بين نوايا قوى الحلفاء، في مقدمتها بريطانيا، ومضامينها الحقيقية، كما ستوضح الصفحات التالية.

### مضامين بنود سيفر على ضوء الأهداف البريطانية

لم تُثُر النور بنود محددة من معاهدة سيفر، خاصة تلك التي تعلقت بـ كردستان وارمينيا، بعد الإمضاء عليها، وذلك بسبب تنامي قوة الحركة القومية الطورانية، التي قادها مصطفى كمال، أحد كبار الضباط العثمانيين السابقين. ومع هذا، يمكن الخروج باستنتاجين رئيسيين عند دراسة بنود المعاهدة المذكورة والمتعلقة بمستقبل المسألة الكردية. أولاً، كان البريطانيون مسؤولين بصورة رئيسة عن وضع هذه البنود، ولا غرابة إذن في أن تُعبّر تلك البنود عن أهداف البريطانيين في كردستان على المدىين الطويل والقصير. أما الدور الفرنسي فأقتصر على نيل تنازلات اقتصادية وإقليمية بقدر ما تسمح به الظروف وموازين القوى على الأرض. ثانياً، تضمنت معاهدة سيفر بنوداً لم يكن في نية البريطانيين أو الفرنسيين تطبيقها، خصوصاً البندين ٦٢ و٦٤، وهما اللذان منحا حكماً ذاتياً إلى جزء من الشعب الكردي والموجود في ولاية دياربكر وجزء من ولايتي بتليس ووان. وهذا الحكم الذاتي ذا الطابع الداخلي كان بإمكانه ان يرتقي إلى مستوى الاستقلال السياسي الكامل، شريطة ان تتأكد لجنة من الحلفاء من قدرة الكرد على إدارة دولة خاصة بهم. كما أشار تلکما البندان إلى إمكانية إعادة توحيد كردستان العثمانية جزئياً، اي عن طريق توحيد كردستان الجنوبية الخاضعة للسيطرة البريطانية مع كيان الحكم الذاتي الكردي المستقبلي.

ويتبين من سير المناقشات الدائرة في اللقاءات المشتركة بين الوزارات المختلفة في لندن، من جانب، والمفاوضات الثنائية الجارية بين صناع القرار البريطاني والفرنسي، من جانب ثانٍ، ان الحكومة البريطانية لم تكن حقاً تؤمن بإمكانية تطبيق البندين ٦٢ و٦٤. فمونتيفيو كان أول من شكّ بقدرة دولته على إنشاء حزام كردي غير خاضع لحكم الأتراك في المناطق الواقعة إلى الشمال من كردستان الجنوبية الخاضعة للسيطرة البريطانية، وذلك بسبب عدم إبداء لندن أية رغبة في ان تلزم نفسها عسكرياً في تلك الأطراف من أجل تعزيز أمن ميزوبوتاميا.<sup>٤٧٢</sup> كما شكّ لورد كورزون، من جانبه، بإمكانية نجاح مشروع قيام كردستان تتمتع بحكم ذاتي، على ضوء القرار البريطاني القاضي بعدم التدخل أو تحمل مسؤولية مباشرة تجاه عملية تطبيق بنود معاهدة

<sup>472</sup> IDCM , Minute No.37 13 April 1920, F0371/5068, PRO.

سيفر الخاصة بـ كُردستان. وكان كورزون قد أدعى أمام الفرنسيين ان الكُرد أنفسهم يشعرون ان ((ليس بمقدورهم تعزيز وجودهم من دون مساندة قوى عظمى)), وإنهم، في غياب حماية دولية توفرها بريطانيا وفرنسا، يرغبون في خيار تركهم (تحت حماية الأتراك).<sup>٤٧٣</sup> ويرى المؤرخ روبرت أولسون انه كان من غير المحتمل جداً ان يضغط البريطانيون في اتجاه تطبيق البند ٦٢ في العام ١٩٢٠، نظراً لتنامي قدرة القوى القومية الكمالية.<sup>٤٧٤</sup> بتعبير آخر، لم يكن البريطانيون يتوقعون رؤية ظهور دولة كُردية في كُردستان الشمالية. ولهذا لم يكن من الصدفة ان يعتزم البريطانيون على منح المنظمة الدولية الجديدة (عصبة الأمم) دوراً في الشؤون الكُردية، حتى انهم تأكدوا من غلق الأبواب أمام أية شخصية كُردية تحاول ان تتحدث باسم الشعب الكُردي أو بالنيابة عنه فيKonférans سان ريمو، وهذا الموقف يتناقض مع الموقف الذي اتخذه تجاه ممثلي القوميات الجديدة الأخرى، كالآرمن.

ومع ان المقطع الأخير من البند ٦٤ قد أشار صراحة الى إمكانية توحيد الدولة الكُردية المستقبلية مع إقليم كُردستان الجنوبية. فإن الدلائل تشير، ودون أدنى التباس، الى إن البريطانيين لم يكونوا على استعداد في أن يتركوا سُكان ذلك الإقليم أو لممثليهم أمر اتخاذ قرار كان من شأنه توحيده مع أي جزء من أجزاء كُردستان الأخرى. وكان كورزون قد أكد بقوه، خلال مفاوضاته مع ممثلي القوى الحليفه الأخرى، أن الكُرد الجنوبيين لا يرغبون في الانفصال عن ولاية الموصل.<sup>٤٧٥</sup> ولم تكن كلمات كورزون تلك سوى تعبير عن موقف لندن النهائي المتمثل بعدم التخلی عن الانتداب البريطاني على تلك الولاية. وكما أكد قاسملو، سعى بريطانيا، عن طريق معايدة سيفر، الى جعل كُردستان الجنوبية منطقة بريطانية خاصة.<sup>٤٧٦</sup> لقد أصبح للإقليم المذكور أهمية إستراتيجية متزايدة بالنسبة الى أمن ميزوبوتاميا واستقرارها، الى الدرجة التي لم يُعد بإمكان البريطانيين التخلی عنه او تركه وشأنه، وإلا كيف يمكن تفسير جهودهم الدبلوماسية المضنية التي بذلوها قبل انعقاد مؤتمر السلام لجسم الموقف من المسألة الكُردية وعقدهم صفقات سياسية واقتصادية مع

<sup>473</sup> British Secretary Note.., San Remo, 19 April 1920, DBFP, Vol. VIII, p.43.

<sup>474</sup> Olson, **The Emergence of Kurdish Nationalism**, p.54.

<sup>475</sup> British Secretary's Note.., San Remo, 19 & 23 April 1920, DBFP, Vol. VIII, pp.44 & 133.

<sup>476</sup> Ghassemloou, **Kurdistan and the Kurds**, p.48.

الفرنسيين، ترمي الى إقناعهم بالتخلي عن مجال نفوذهم في ولاية الموصل بغية ضمها الى منطقة الانتداب البريطاني في ميزوبوتاميا، وهو الأمر الذي وجد طريقه لاحقاً الى القسم الأول والقسم السابع من معاهدة سيفر.

والسؤال الملح الذي يطرح نفسه هو لماذا أدخل البريطانيون ذلك المقطع الى البند ٦٤، إذا لم يكن في نيتهم تنفيذه؟ ان التفسير المرجح لذلك هو ان البريطانيين كانوا يسعون الى إعطاء انطباع زائف بأن سيطرتهم على كُردستان الجنوبية ذات طبيعة مؤقتة، وهذا يُمكنهم من تبرير الموقف المعارض الذي اتخذوه من مشروع تقسيم كُردستان العثمانية إقليمياً واقتصادياً وسياسياً بين الحلفاء، كما كان الفرنسيون يطالبون يالحاج. وتشير إحدى وقائع جلسات الـ(IDCM) كيف ان كورزون:

كان يفعل ما في وسعه لإبعاد تركيز السيد بيرثولو (ممثل الحكومة الفرنسية) عن هذه المنطقة (كُردستان الغربية)، مستخدماً الرأي القائل بأننا نحن (البريطانيين) كنا على وشك الانسحاب من كُردستان الجنوبية. وكان (كورزون) يخشى من إننا قد أيقظنا معارضة، إذا ما ذهبنا الآن الى سان ريمو وقلنا بأننا <sup>٤٧٧</sup> تخلينا عن نوايانا.

بتعبير آخر، سعى البريطانيون، من وراء ظاهرهم وإدعائهم بإمكانية انضمام كُردستان الجنوبية الى الدولة الكردية (في حالة إنشاء الأخيرة)، الى التصدي للمحاولات التي كان يقوم بها الفرنسيون في سبيل توسيع الرقة الجغرافية لنفوذها السياسي في أعمق المناطق الكردية الداخلية، اي تلك التي وقعت بين ارمينيا وإيران وكُردستان الجنوبية الخاضعة للسيطرة البريطانية. وفي تحليله للمنافسة الامبرialisية البريطانية- الفرنسية، يسلط الباحث كريستوفر أم أندره الضوء على كيفية قيام بريطانيا بأخذاء طموحاتها الامبرialisية في الشرق الأوسط تحت غطاء مفهوم تقرير المصير القومي، الذي كان الموضة الجديدة الراجحة آنذاك.<sup>٤٧٨</sup> وبالفعل، في مذكرة كتبت بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، أكد بلغور ان اتفاقية سايكس- بيكر قد أهملت ((المفاهيم الحديثة عن القومية)) وكيفية التعامل مع القوميات الجديدة، كالكرد والعرب واليهود.<sup>٤٧٩</sup>

<sup>477</sup> IDCM , Minute No-37 13 April 1920, F0371/5068, PRO.

<sup>478</sup> Andrew, 'France, Britain and the Peace Settlement', p.159.

<sup>479</sup> Memorandum On Syria, Palestine And Mesopotamia: Reflections Of Foreign Secretary A. J. Balfour, 11 August 1919, DBFP, Vol.IV, pp.340-349.

فضلاً عن كل ذلك، كانت بريطانيا تأمل، من وراء الأسلوب الذي وضعَت فيه البنود، في أن تتجنب حصول ردود فعل سلبية في كُردستان الشمالية، وهو الأمر الذي قد يؤدي إلى ابتعاد القوميين الكُرد منها، في وقت كان فيه الوضع السياسي يمر في حالة من التقلب والانعطاف المتواصل. لقد شكل ظهور الحركات القومية التركية والإيرانية ذات التوجهات الشوفينية، من طرف، وتقدم البشقيين الروس جنوباً في اتجاه منطقة قوقازيا وشمال إيران، من طرف ثانٍ، تهديداً جدياً لموقف بريطانيا الاستراتيجي على طول الخط الممتد من الهند إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط. ففي ظل تلك الظروف غير المؤاتية، كان من الطبيعي أن لا يرغب البريطانيون في مواجهة حالة من عدم الاستقرار الأمني والفووضى السياسية في كُردستان الجنوبية ، خاصة وأن القوى الكمالية كانت مصممة على استرجاع أكبر قدر ممكن من الأقاليم العثمانية السابقة خصوصاً في كُردستان وارمينيا. ولهذا تأكد البريطانيون من ان يُفهم الكُرد الجنوبيون بأن الخضوع إلى الانتداب البريطاني على ميزوبوتاميا لا يتعارض بتاتاً مع مصالحهم وأحاسيسهم القومية. ان دراسة دقيقة لفقرات الانتداب البريطاني على ميزوبوتاميا تدلّ على أنّ البريطانيين لم يحسموا بعد مستقبل إقليم كُردستان الجنوبية على المدى الطويل، سواء أتحولت إلى دولة (أم إلى عدة دوبيلات) كُردية تتمتع بحكومة أهلية أو تبقى جزءاً من ميزوبوتاميا البريطانية بشكل دائم. مع ذلك، يمكن التأكيد أنه لم يكن في نية البريطانيين السماح لـ كُردستان الجنوبية بأن تنضم إلى دولة كُردية شماليّة في حالة إنشائها.

كما ثبّت قراءة دقيقة للبندين ٦٢ و٦٤ بأنّهما يحويان بين طياتهما مضامين لافتة للنظر. فـ كُردستان التي تشير إليها معايدة سيفر لا تشكل سوى ٢٠٪ من رقعة كُردستان العثمانية الجغرافية، أو نحو ١٥٪ في حالة إضافة كُردستان الشرقية (انظر الخارطة رقم ١٨). وهذا يعني أن تلکما البندين المتعلّقين بالحكم الذاتي والاستقلال الكُردي لا يؤثّران، في حالة تطبيقهما، في وضع غالبية المناطق الكُردية. ولذلك فإن معايدة سيفر، في الجانب الأبرز منها، تمثل عملياً رمزاً لأول تقسيم لـ كُردستان على نطاق واسع ومتعدد الأبعاد بين تركيا العثمانية وسوريا الفرنسية وميزوبوتاميا البريطانية وإيران القاجارية والدولة الارمنية المقترحة لمرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى. ولا غرابة في أن لا تثير بنود معايدة سيفر المتعلقة بالمسألة الكُردية والمعلنة

في آب عام ١٩٢٠ ترحيباً يُذكر من قبل الجماعات القومية الـكردية، سواء داخل كـردستان أو في المنافي. وبدأت مشاعر التفاؤل تنزل لتحل محلها مشاعر التشاؤم في أوساط تلك الجماعات، حالماً أعلنت بنود معاهدة سيفـر، التي جعلت المسألة الـكردية أكثر تعقيداً وتآزماً، بسبب اتخاذ معيار استعماري واضح في عملية تقسيم كـردستان العثمانية على نطاق واسع.

ويبدو ان الحكومة البريطانية قد فضلت إنشاء كيان حكم ذاتي كـردي صغير ضمن تركـيا عثمانية جديدة ذات توجه بـريطاني. وبخصوص هذا البـديل، أشار المؤرخ بوش الى انه استند الى حسابات مشتركة بين الوزارات البريطانية المعنية بأمر الولايات الشرقية.<sup>٤٨٠</sup> إن وجود تركـيا جديدة بحسب الصورة التي تخيلها البريطانيون وارمينيا جديدة يـمكـن لهاـما أن يـخدـمـا مصالـحـ بـريطـانـياـ، وـذـكـ بـوـصـفـهـماـ حاجـزاـ طـبـيعـيـاـ يـقـفـ بـوجـهـ أـيـةـ مـحاـولـاتـ توـسـعـيـةـ إـقـلـيمـيـةـ قدـ تـقـومـ بـهـ روـسـياـ الـبـلـشـفـيـةـ فيـ أـعـاقـابـ اـنـسـاحـابـ الـقـوـاتـ الـبـرـيـطـانـيـةـ منـ مـنـطـقـةـ قـوقـازـياـ. وكانـ دـيـ روـبـيـكـ قدـ حـذـرـ، فيـ عـشـيـةـ انـعقـادـ كـوـنـفـرانـسـ سـانـ رـيـموـ، منـ زـحـفـ عـسـكـريـ يـقـومـ بـهـ الـبـلـشـفـيـونـ فيـ اـتـجـاهـ شمالـ إـيـرانـ وـقـوقـازـياـ، كماـ حـذـرـ منـ قـيـامـ تحـالـفـ مـعـارـ لـبـرـيـطـانـيـاـ يـضمـ الـأـتـراكـ الـكـمـالـيـينـ وـالـرـوـسـ الـبـلـشـفـيـينـ.<sup>٤٨١</sup> وـشارـكـ تـشـرـتشـلـ دـيـ روـبـيـكـ تلكـ المـخـاـوفـ، ولـذـكـ عـارـضـ فـرـضـ قـوـىـ الـحـلـفـاءـ تـسوـيـةـ سـلـمـيـةـ قـاسـيـةـ الشـرـوـطـ عـلـىـ تـرـكـياـ العـثـمـانـيـةـ.<sup>٤٨٢</sup> فهوـ، وـمعـهـ لـورـدـ كـورـزـونـ، قدـ أـوـصـيـاـ بـعـدـ فـصـلـ الـوـلـاـيـاتـ غـيرـ التـرـكـيـةـ عـنـ الـإـمـراـطـرـيـةـ الـعـثـمـانـيـةـ، باـسـتـثـنـاءـ الـأـقـالـيمـ الـعـرـبـيـةـ، كـمـ لـفـتـاـ الـانتـبـاهـ إـلـىـ حـقـيـقـةـ انـ الـقـوـىـ الـكـبـرـىـ الـأـخـرىـ، خـاصـةـ فـرـنـسـاـ وـأـمـرـيـكاـ، سـتـجـنـيـ فـوـائـدـ سـيـاسـيـةـ وـاقـتـصـادـيـةـ منـ أـيـةـ مـقاـوـمـةـ تـرـكـيـةـ محـتمـلةـ ضـدـ فـرـضـ تـسوـيـةـ سـلـمـيـةـ قـاسـيـةـ الشـرـوـطـ عـلـىـ اـسـطـنـبـولـ. كـمـ عـارـضـ مـونـتـيـغـيوـ، هوـ الـأـخـرـ، أـيـ معـاملـةـ قـاسـيـةـ لـلـأـتـراكـ الـمـنـهـزـمـينـ فيـ الـحـربـ، خـوفـاـ منـ أنـ تـؤـثـرـ سـلـبـاـ فيـ مـوـاـقـفـ الـمـسـلـمـيـنـ الـهـنـدـوـنـ تـجـاهـ بـرـيـطـانـيـاـ.<sup>٤٨٣</sup> ولـهـذاـ أـوـصـيـ مـونـتـيـغـيوـ بـمـعـاملـةـ تـرـكـياـ بـطـرـيقـةـ لـيـنـةـ، منـ خـالـلـ تـبـنيـ شـرـوـطـ تـسوـيـةـ سـلـمـيـةـ شـبـيهـةـ بـتـلـكـ الـتـيـ فـرـضـتـ عـلـىـ بـلـغـارـيـاـ.

<sup>480</sup> Busch, **Mudros to Lausanne**, p.371.

<sup>481</sup> J. De Robeck to the Secretary of State of Admiralty, 18 March 1920, F0371/5046, PRO.

<sup>482</sup> Kent, **Moguls and Mandarins**, p.101.

<sup>483</sup> Busch, **Mudros to Lausanne**, pp.79 & 84.

## **المصالح الإمبريالية الفرنسية وسياسة بريطانيا الـكـردـية**

قامت بريطانيا بالاشتراك مع حليفتها فرنسا بالإشراف على الطور الأول من الجهود الدبلوماسية الدولية المنصبة في تحديد مصير الإمبراطورية العثمانية بعد هزيمتها في الحرب.<sup>٤٨٤</sup> وطبقاً لما يقوله الباحث اندر، كانت إستراتيجية فرنسا الأولية في عهد جورج كلينمنسو تقوم على فكرة منح بريطانيا تنازلات خارج القارة الأوروبية أولاً في حصولها على (ركيزة)، حين يتناول مؤتمر السلام مستقبل الراين-لاند الحيوية جداً بالنسبة الى أمن حدودها المشتركة مع غريمتها المانيا.<sup>٤٨٥</sup> بتعبير آخر، أبدى كلينمنسو استعداده في ان يُضحي بمنطقة الشرق الأوسط لقاء تعزيز أمن فرنسا أمام المانيا. وهذا يفسر، مثلاً، تنازل فرنسا عن حصتها الإقليمية في ولاية الموصل والقبول بالسيطرة البريطانية على أرض فلسطين. وبالمقارنة مع نظرائهم الفرنسيين، اتفق صناع القرار البريطاني فيما بينهم، كما يُبين المؤرخ آل سي بي سيمان، على إن تحمل بريطانيا لمسؤولياتها تجاه إمبراطوريتها والكيانات ذات المصالح المشتركة (Commonwealth)، التي ازدادت بسبب الحرب العالمية الأولى، قد جعل من الصعب جداً عليها أن تتورط عسكرياً في أوروبا.<sup>٤٨٦</sup> وأصبحت في مقدمة أولويات حكومة لندن مسالتا تدعيم الموقف البريطاني في منطقة الشرق الأوسط واحتواء التهديد الذي شكلته روسيا البلشفية.<sup>٤٨٧</sup>

علاوة على ذلك، لم تكن بريطانيا تثق بنوايا فرنسا في أوروبا، ولهذا فضلت وجود شكل من أشكال توازن القوى في تلك القارة، بحيث لا يكون بمقدور أية قوة، بما في ذلك فرنسا، الهيمنة عليها.<sup>٤٨٨</sup> وبمساندة الدبلوماسية الأمريكية، ضمن صناع القرار في لندن عدم تمزيق أوصال المانيا المهزومة بالشكل الذي أراده رجال الدولة الفرنسية. وعلى سبيل المثال، أُبقيت الراين لاند الإستراتيجية، بالرغم من تحولها الى منطقة منزوعة السلاح، تحت السيادة الألمانية، على النقيض من رغبات الفرنسيين. بهذا

<sup>484</sup> Kent, *Moguls and Mandarins*, p.100.

<sup>485</sup> Andrew, 'France, Britain and the Peace Settlement', p.159.

<sup>486</sup> L.C.B. Seaman, *Post-Victorian Britain, 1902-1951*, (London: University Paperbacks, 1967), pp.127-129.

<sup>487</sup> Ibid .

<sup>488</sup> Sally Marks, *The Illusion of Peace: International Relations in Europe, 1918-1933*, (London: MacMillan,1976), p2.

النحو، لبَّدت التسوية الأوروبية في مؤتمر باريس للسلام أجواء العلاقات الثنائية بين بريطانيا وفرنسا، ليترك هذا الأمر تأثيراً سلبياً فيما بعد في تسوية مستقبل الإمبراطورية العثمانية في كونفرانس سانريمو القادم.

كانت الإمبراطورية العثمانية، حين اندلعت الحرب العالمية الأولى في العام ١٩١٤، كما جاء في الفصل الأول، قد قسمت على مناطق نفوذ اقتصادية للقوى الأوروبية المختلفة. ومنحت هذه الحرب فرنسا فرصة لا تفوت لتوطيد مصالحها وبسط نفوذها في الأقاليم العثمانية. وبالفعل، أصبحت فرنسا طرفاً رئيساً في اتفاقيات الحرب السرية، التي كان اثنان منها يؤثران بصورة مباشرة بمستقبل كُردستان العثمانية، أي اتفاقية اسطنبول واتفاقية سايكس- بيكيو. ومع اختفاء روسيا القيصرية من المسرح الدولي مؤقتاً وبوصفها كانت طرفاً أساسياً في تقرير مصير الإمبراطورية العثمانية، صعدت فرنسا من ضغوطها على بريطانيا من أجل الشروع بتقسيم كُردستان العثمانية على نطاق واسع بالاستناد إلى مضمون اتفاقيات الحرب. وبطريقة مماثلة، عدّت بريطانيا فرنسا، خاصة بعد اختفاء المانيا كمنافسة امبريالية قوية لها، العامل الرئيس المعموق لمساعيها الaramية إلى إعادة رسم النظام الإقليمي في الشرق الأوسط بالطريقة التي تراها مناسبة. ففي اللجنة الشرقية، قام كورزون بتشخيص فرنسا على إنها القوة التي تخشاها بريطانيا مستقبلاً أكثر من القوى الأخرى.<sup>٤٨٩</sup> تلك كانت خلفية التضاد في السياستين البريطانيتين والفرنسية تجاه مستقبل كُردستان في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب.

جاء المقترن الذي قدمه مارك سايكس حول إنشاء إمارة كُردية تضم الموصل ضمن إحدى المساعي البريطانية المبكرة التي استهدفت كبح طموحات فرنسا الإقليمية في كُردستان. وهذا يفسر لماذا رفض جورج بيكيو، مثل الحكومة الفرنسية، ذلك المقترن لأنَّه «يتناقض مع المصالح الفرنسية» ويُضحي بمصالح الكلدان والنساطرة، الذين ((حماهم الفرنسيون بصورة تقليدية)).<sup>٤٩٠</sup> وكذلك أكَّد بيكيو رغبة الحكومة الفرنسية في أن تكون الموصل ضمن منطقة نفوذها بحسب بنود اتفاقية سايكس- بيكيو.<sup>٤٩١</sup> ومن مناورات بريطانيا الأولى لمنع ظهور فراغ سياسي في

<sup>٤٨٩</sup> Eastern Committee Minute 40, 2 December 1918, CAB27/14.

<sup>٤٩٠</sup> IDCM, Secretary Note: Situation in Kurdistan, 6 September 1919, F0371/4193, PRO.

<sup>٤٩١</sup> G.L. Bell, Northern Kurdistan. 8 March 1920, AIR 20/513, PRO.

كُردستان وارمينيا، وهو الأمر الذي قد تستغله فرنسا لتنشيط موطن قدم لها، هي محاولة إقناع صناع القرار في واشنطن بقبول انتداب أمريكي على ارمينيا.<sup>٤٩٢</sup> فعلى النقيض من فرنسا، لم تكن أمريكا منافساً استعمارياً لبريطانيا، ولهذا لم تشكل تهديداً جدياً لمصالح بريطانيا الامبرialisية، خاصة في منطقة الشرق الأوسط. بتعبير أدق، سعت بريطانيا إلى استبدال فرنسا بأمريكا كشريك ((ثانوي)) لها في عملية إعادة رسم خارطة الشرق الأوسط لمرحلة ما بعد الحرب.<sup>٤٩٣</sup>

لقد أصبح اللجوء إلى القوة الأمريكية أمراً ضرورياً بالنسبة إلى بريطانيا، نظراً لتضخم مسؤولياتها الامبرialisية وتزايد الخطر القادم من روسيا البلشفية. وكان صناع القرار البريطاني يأملون في أنه إذا ما وافقت واشنطن على وضع ارمينيا تحت الانتداب الأمريكي وسيطر البريطانيون على مناطق كردية أخرى تقع بين ارمينيا وميزوبوتاميا العربية إلى انتدابهم، فإنه لن يصبح بمقدور الفرنسيين بسط سيطرتهم السياسية والاقتصادية على مناطق كردستان الداخلية.<sup>٤٩٤</sup> وبالفعل، أكد الوفد البريطاني في مؤتمر باريس للسلام وجود نوايا لدى الفرنسيين بشأن إخضاع مناطق كردية تقع بين ارمينيا وميزوبوتاميا إلى الانتداب الفرنسي.<sup>٤٩٥</sup> ولكن، رفض واشنطن لميثاق عصبة الأمم ومن ثم سحب رغبتها في فرض انتداب أمريكي على ارمينيا في نهاية العام ١٩١٩ بسبب معارضته غالبية رجال الكونغرس،<sup>٤٩٦</sup> غير الموقف السياسي رأساً على عقب. فهذه التطورات دفعت بفرنسا مرة أخرى إلى المقدمة، على النقيض من رغبة بريطانيا، بوصفها طرفاً رئيساً في عملية تسوية القضایا المتعلقة بمصير الولايات العثمانية غير التركية.

وبعد أن أصبحت بريطانيا غير قادرة على توسيع انتدابها على ميزوبوتاميا ليشمل مناطق من كردستان الشمالية، لم تُعد في موقف يُمكّنها من مقاومة ضغوط

<sup>492</sup> War Cabinet Minutes No.457 & 459, 13 & 15 August 1918, CAB23/43, PRO.

<sup>493</sup> Barry Rubin, 'America as Junior Partner: Anglo-American Relations in the Middle East, 1919-1939, -in- The Great Powers in the Middle east, 1919-1939, op. cit., pp.241-242.

<sup>494</sup> Ibid & William Stivers, *Supremacy and Oil: Iraq, Turkey and the Anglo-American World Order, 1918-1930*, (London& Ithaca: Cornell University Press, 1982), p.30.

<sup>495</sup> Crowe, British Delegation, Paris, to Curzon, 12 October 1919, F0371/4193, PRO.

<sup>496</sup> Stivers, *Supremacy and Oil: Iraq, Turkey and the Anglo-American World Order, 1918-1930*, pp.44-45.

فرنسا بشأن إيجاد ترتيبات إقليمية جديدة في كُردستان ثُغِير الواقع القائم على أوسع نطاق. ففي هذا السياق، أخبر ستيفان بيكون، وزير خارجية فرنسا، لورد كورزون انه بعد اختفاء أمريكا من الساحة بوصفها عاملًا في تسوية الشرق (الأوسط) وانتهاء جميع فرص فرض انتداب أمريكي على أي جزء من أجزاء الإمبراطورية التركية، يبقى هناك طرفان (بريطانيا وفرنسا)، لابد ان تدرس مصالحهما بجدية وأن يتتوافقا.<sup>٤٩٧</sup>

ولم يخفِ بيكون حقيقة أن حكومته قد أعطته صلاحية للدخول في محادثات مع نظرائه البريطانيين بأسرع وقت ممكن من أجل حسم مصير الولايات العثمانية غير التركية.<sup>٤٩٨</sup> أما البريطانيون فكانت لديهم خيارات ثلاثة بالنسبة الى تقرير مصير المناطق الْكردية الواقعة خارج سيطرتها المباشرة في كُردستان الجنوبية. تتمثل الخيار الأول في تقسيم تلك المناطق بين بريطانيا وفرنسا. وهذا الخيار كان غير مقبول تماماً من وجهة النظر البريطانية، لأنها تتنطوي على التزامات عسكرية ومالية إضافية. وتضمن الخيار الثاني على إعلان تلك المناطق دولة مستقلة فوراً. ولكن، هذا الخيار سيلقى بدوره معارضة فرنسية قوية، كما كان الحال في الماضي. لقد كان الفرنسيون يشككون دوماً بقيام دولة كُردية، لاعتقادهم بأن البريطانيين سينتفعون سياسياً واقتصادياً من هذا المشروع وكذلك بسبب التوجه البريطاني الذي أظهره القوميون الكُرد في تطلعاتهم السياسية. أما الخيار الأخير فتتمثل بعودة الحكم التركي الى تلك المناطق الْكردية، التي ستمنح حكماً ذاتياً داخلياً من أجل تلبية الحد الأدنى من الطموحات الْكردية السياسية والثقافية.

بالمقارنة مع الموقف البريطاني، تميز الموقف الفرنسي تجاه مصير كُردستان العثمانية بوضوحه الشديد، إذ تمحّر حول فكرة واحدة، وهي تقسيمهما بين القوتين البريطانية والفرنسية. ولربما يعود السبب في ثبات الموقف الفرنسي مقارنة بالموقف البريطاني الى إدراك الفرنسيين أنهم سيجنون فوائد اقتصادية وسياسية من وراء مشروع تقسيم كُردستان العثمانية. وبالفعل، كان الفرنسيون، منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى، يضغطون في اتجاه إعادة ترتيب وضع كُردستان العثمانية إقليمياً

<sup>497</sup> Curzon, Memorandum, 12 November 1919, F0406/41, PRO.

<sup>498</sup> Curzon's Record of a Conversation with the French Foreign Minister, 12 November 1919, DBFP, Vol. IV, pp.879-81.

بالاستناد الى بنود اتفاقية سايكس- بيكو السرية. ومع استمرار المعارضة البريطانية لتنفيذ بنود تلك الاتفاقية بحذافيرها، قدمت باريس خطة تقسيم جديدة في نهاية العام ١٩١٩. وشرح فيليب برثلو، السكرتير الأول للشؤون السياسية والتجارية في وزارة الخارجية الفرنسية، الخطة المذكورة بالنحو الآتي: لأن الكرد كانوا «منقسمين الى قبائل وطوائف» ولأنهم، على غرار العرب، «لم يكونوا متدينين من قبل في دولة قومية»، فإنه يستوجب على بريطانيا وفرنسا تقسيم كُردستان فيما بينهما. وهذا التقسيم، بحسب إدعاء برثلو، سيكون ذا طابع مؤقت، تمليه ضرورات «الوضع الجغرافي» و«الثروة الطبيعية» للبلاد، حتى يحين الوقت الذي سيتخذ مؤتمر السلام فيه قراره النهائي بشأن المسألة الكردية. ونصلت خطة برثلو على إقامة هيكلية فدرالية في كُردستان تقع تحت سيطرة بريطانية-فرنسية مشتركة، على ان تكون سلطة السلطان العثماني اسمية، في حين ستشكل مجالس محلية منتخبة تحت إشراف فرنسي-بريطاني. والجدير بالإشارة، ان الخطة الفرنسية قد حددت مساحة كُردستان بولاية دياربكر وجزء من ولايتي بتليس ووان. أما البريطانيون فرأوا في الخطة الفرنسية مشروعًا دائمًا لتقسيم كُردستان، على عكس ما أدعاه برثلو، إذ يهدف الى منح فرنسا مناطق سيطرة اقتصادية وسياسية واسعة. ولهذا السبب، رفض لورد كورزون الخطة الفرنسية، بحجة عدم إمكانية تنفيذها لدواع سياسية وفنية، من ضمنها معارضة الكرد لها وصعوبة تعين حدود لما يتبقى من مناطق كُردستان، باستثناء حدود كُردستان الجنوبية.<sup>٤٩٩</sup>

على صعيد آخر، كانت فرنسا قلقة جداً من حجم طموحات بريطانيا الإقليمية والسياسية في كُردستان. ونظرًا لحساسها بوجود ميلول قوية في أواسط القوميين الكرد تجاه بريطانيا، شكت فرنسا بأي مشروع ينص على تشكيل كُردستان منفصلة، أي مرتبطة بتركيا أو بالقوى الكبرى. وأصبحت تلك المخاوف الفرنسية واضحة للعيان، حين دعا كورزون الى وضع ما أسماه بـ«خطوط سياسة عامة»، التي تفترض أن تُرشد كيفية تعامل البريطانيين والفرنسيين مع الشؤون الكردية لحين يتخذ مؤتمر السلام القادم قراره النهائي الخاص بمصير كُردستان. وتمثلت أهم خطوط تلك السياسة العامة بـ: أولاً، أن لا يكون هناك انتداب بريطاني أو انتداب فرنسي أو انتداب

<sup>499</sup> Ibid.

بريطاني- فرنسي مشترك على مستوى كُردستان كلها، باستثناء تلك الأجزاء التي وقعت تحت الانتداب البريطاني في ميزوبوتاميا وتحت الانتداب الفرنسي في سوريا. ثانياً، لا ينبغي أن يستمر الحكم التركي في كُردستان «حتى بصفة اسمية». ثالثاً، لا يمكن دراسة المسألة الكُردية بمعزل عن القضية الارمنية، وذلك لأن الكُرد قادرُون لوحدهم على وضع «ترتيب عمل» مع الأرمن والآشوريين. رابعاً، ينبغي أن يترك للكرد قرار إنشاء «دولة واحدة أو مجموعة من المناطق الصغيرة المرتبطة في ارتباطها». خامساً، يفضل أن لا يكون هناك مستشارون بريطانيون أو فرنسيون في كُردستان، على الرغم من منح الكُرد ضمانة ضد أي «عدوان تركي». وأخيراً، يُحسن عدم خلق «مشكلة حدودية» لميزوبوتاميا في كُردستان، تكون شبيهة بتلك التي واجهتها بريطانيا في الهند.<sup>٥٠٠</sup>

لقد عكست تلك الخطوط العامة جزئياً القيود العسكرية والمالية التي كانت تمنع صناع القرار البريطاني من القبول بانتداب منفصل على كُردستان أو تقاسمها مع فرنسا. بتعبير آخر، سعى البريطانيون من وراء هذه الخطوط إلى سد الطريق أمام محاولات الفرنسيين في توسيع المناطق الخاضعة لانتدابهم في كُردستان. يبدو أن البريطانيين أثاروا مسألة كُردستان مستقلة لكي يجبروا الفرنسيين على التخلص عن فكرة إجراء تقسيم واسع النطاق في كُردستان بينهم. بالفعل، بسبب تشكيهم بدوافع البريطانيين الخفية وراء إقامة كُردستان منفصلة، غير الفرنسيون من موقفهم حين أصرّ بيرثيو على تعديل نص اتفاقية السلام التركية لكي يجعل المتبقى من مناطق كُردستان تحت السيادة التركية.<sup>٥٠١</sup>

في نهاية الأمر، أصبح ترك الشعب الكُردي شأنه ليتدارر مصيره، سواء أراد الانفصال أم البقاء ضمن تركيا الجديدة، الخيار الأمثل بالنسبة إلى الحلفاء، خاصة بريطانيا، في ظل الأوضاع الإقليمية والدولية السائدة آنذاك. قام الفرنسيون بفيتو خيار كُردستان منفصلة، من جهة، ومن جهة مقابلة، قام البريطانيون بفيتو تجزئة كُردستان بينهم وبين فرنسا على نطاق واسع. لقد أصبح ضرورياً أيضاً ان تتراجع بريطانيا عن فكرة تشكيل دولة الحكم الذاتي في كُردستان الجنوبية تحت إشرافها لكي

<sup>500</sup> IDCM, Second Additional Note on the Situation in Kurdistan, 10 January 1920, F0371/ 4193, PRO.

<sup>501</sup> British Secretary's Note.., London, 20 February 1920, DBFP, Vol. VII, p.159.

لا تطالب فرنسا بإنشاء دولة كُردية مماثلة في كُردستان الشمالية تحت سيطرتها غير المباشرة. وكان كورزون قد أكد هذه النقطة في لقاء له (IDCM) المنعقد في ١٣ نيسان (١٩٢٠) حين أشار إلى الارتباط الداخلي بين التطورات السياسية في كُردستان الجنوبية وتلك التي كانت تقع في كُردستان الشمالية.<sup>٥٠٢</sup>

بعد أن فشل الفرنسيون في إقناع البريطانيين بتبني مشروع تقسيم كُردستان بين الطرفين، أصرّوا من أجل حصولهم على تعويضات اقتصادية واقليمية في تلك البلاد. وأوضح برثلو للبريطانيين كيف أن المنطقة الخاضعة لهم في كُردستان ضمت «مصادر معدنية ذات قيمة عظيمة»، أكثر بكثير من تلك التي كانت موجودة في المنطقة الفرنسية في قليقلة.<sup>٥٠٣</sup> كما سعى الفرنسيون إلى الحصول على ضمانات بريطانية تضمن مصالحهم الاقتصادية بعد تسوية المسألة الكُردية. وأصبح هذا المطلب لاحقاً شرط الفرنسيين الرئيس لقبول مسودة البنود المتعلقة بتلك التسوية.<sup>٥٠٤</sup>

شكل تطور العلاقات البريطانية- الفرنسية المذكورة وما طرأ عليها من حالة مد وجزر خلفية لبنيود معاهدة سيفير، التي أرضت طموحات الفرنسيين الاقتصادية، وذلك من خلال الاعتراف بمصالحهم الخاصة في تلك المناطق الكُردية الممتدة من أناضوليا حتى كُردستان الجنوبية، ومن Арmenia حتى سوريا (أنظر الخارطة رقم ١٨). كما سعى الفرنسيون أيضاً إلى إخضاع مناطق كُردية جديدة لسيطرتهم، علاوة على جزيرة ابن عمر. وكان برثلو قد أثارَ بصورة متاخرة قضية حدود كُردستان أثناء التسوية السلمية للإمبراطورية العثمانية، حين إنتقد قرار البريطانيين في تثبيتها إلى الشرق من نهر الفرات.<sup>٥٠٥</sup> ومتّلت تلك إشارة واضحة أطلقها برثلو حول رغبة فرنسا في توسيع سيطرتها لتشمل بعض المناطق الكُردية الواقعة في الاتجاه المذكور. وفي نهاية المطاف، أرضت اتفاقية بريطانية- فرنسية ثنائية عُقدت في أثناء كونفرانس سان ريمو الحد الأدنى من طموحات فرنسا الإقليمية. كما إن معاهدة سيفير وخلال وضعها اللمسات الأخيرة على مشروع تجزئة كُردستان العثمانية، منحت فرنسا أورفا وماردين ونصيبين.

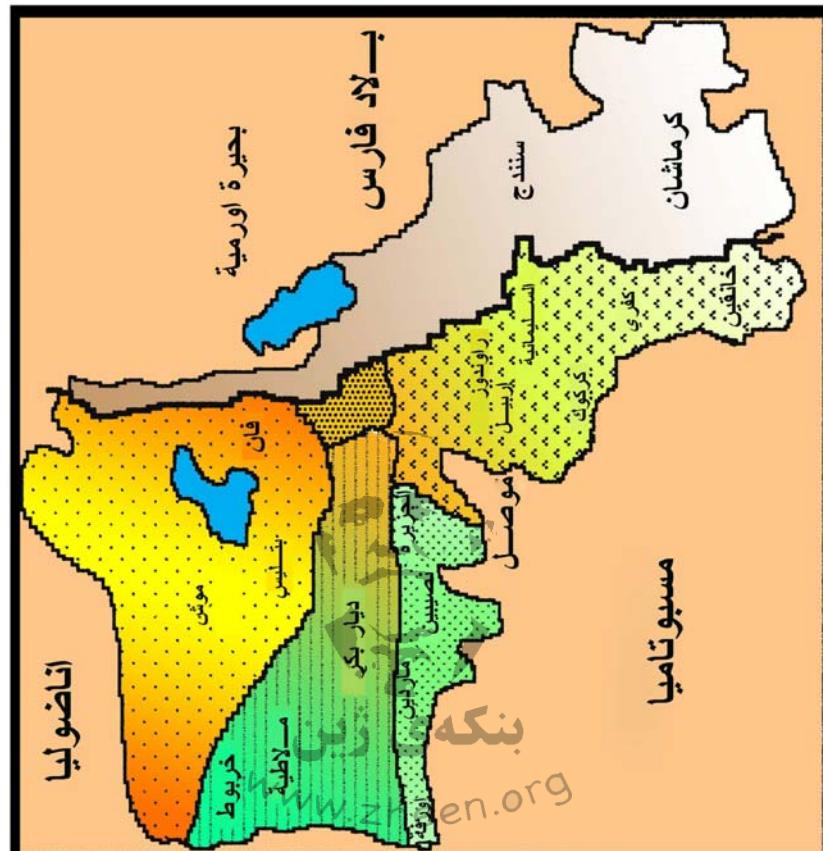
<sup>٥٠٢</sup> IDCM, Minute No.37 13 April 1920, F0371/5068, PRO.

<sup>٥٠٣</sup> British Secretary Note.., London, 26 February 1920, DBFP, Vol. VII, p.258.

<sup>٥٠٤</sup> British Secretary's Note.., San Remo, 21 & 23 April 1920, DBFP, Vol. VIII, pp.77 &133.

<sup>٥٠٥</sup> British Secretary's Note.., San Remo, 21 April 1920, DBFP, Vol. VIII: No. 8, p.77.

# مسبوتماميا



**الخريطة (18): تقسيم كردستان العثمانية بحسب بنود معاهدة سيرفر (1920)**

المناطق الدائمة ضمن مشروع الرئيس ويسليون حول دولة ارمينا  
المناطق الكردية ذات الحكم الذاتي اقرت ضمن منطقة الصالح الفرنسيّة الخاصة  
المناطق الكردية الخاضعة لــلاستداب  
الفرنسي في سوريا  
المناطق الكردية الخاضعة لــلاستداب  
البريطاني في مسبوتماميا  
منطقة كردية من المتفق العدتها بطران

Source: Treaty Of Peace With Turkey, No.s 11 & 12, 10 August 1920, Treaty Series, Cmd 963 & 964 (HMSO)

وفي سبيل تجنب وقوع حالة تنافس داخلية بين حلفاء الأمس حول كُردستان، سواءً أكانت تلك المنافسة ذات طبيعة اقتصادية أم طبيعة سياسية، توصلت الأطراف المعنية (بريطانيا وفرنسا وإيطاليا) في ٢٣ نيسان (١٩٢٠) إلى اتفاقية ثلاثة، نصَّت على الآتي<sup>٥٠٦</sup>:

في حالة وجود حكومة إمبراطورية عثمانية أو في وجود ظروف نصَّ عليها المقطع ٣ من المقدمة، وفي حالة أن تكون الحكومة الكُردية راغبة في الحصول على مساعدة خارجية في الإدارة المحلية أو حماية مناطق تم الاعتراف بوجود صالح خاصة فيها تعود لبريطانيا وفرنسا وإيطاليا، فإنَّ القوى المتعاقدة لن تتنازع حول دعوة التفضيل لقوة ما، حيث تم الاعتراف بصالحها الخاصة في تلك المناطق، في تقديم مثل تلك المساعدة. وهذه المساعدة ستوجه بشكل خاص نحو تعزيز الحماية المُقدمة إلى الأقلية العرقية أو الدينية أو اللغوية في مثل تلك المناطق.<sup>٥٠٧</sup>

ويتبين من دراسة كيفية تطور العلاقات بين الحلفاء في حقبة ما بعد معاهدة سيفر أنه على الرغم من عقد اتفاقيات تهدف إلى التوفيق بين مصالحهما الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية المتنوعة، لم يتوقف الحليفان السابقان، فرنسا وبريطانيا، عن بذل مساعي حثيثة من أجل إضعاف موقف الطرف الآخر في كُردستان. واشتدَّ وطيس تلك المنافسة، حين أُجبرت القوى القومية الكمالية الفرنسيين على التخلُّي عن نحو نصف ثناهم الإقليمية في كُردستان لصالح تركيا الجديدة. وهذا التطور فسره العديد من الموظفين المدنيين والمسؤولين العسكريين البريطانيين في بغداد على أنه محاولة فرنسية مُعتمدة ستحثِّ الكماليين الأتراك على شن حملة عسكرية لغزو كُردستان الجنوبية.

#### **المatum الإقليمية الإيرانية وسياسة بريطانيا الكُردية**

لقد وضعت ثورة أكتوبر في العام ١٩١٧ نهاية لعقدٍ من التفاهم والوفاق بين روسيا وبريطانيا حول شؤون إيران الداخلية، وأشعلت، في الوقت نفسه، نيران المنافسة

<sup>٥٠٦</sup> هذه الاتفاقية معاهدة سيفر تم التوقيع عليها معاً من قبل تركيا واللحفاء في مدينة باريس في ١٠ آب (١٩٢٠).

<sup>٥٠٧</sup> DBFP, Vol. VIII: Appendix A, to No.13, Draft of Tripartite Agreement, 23 April ١٩٢٠ DBFP, Vol. VIII, pp.141.

القديمة بينهما. واتخذت تلك المنافسة الجديدة - القديمة بعدهاً أيديولوجياً إضافياً تمثل بالصراع بين الشيوعية والرأسمالية. ومنذ العام ١٩١٩ فلاحقاً، بدأت سياسة بريطانيا تجاه إيران تُصاب بنكسات جدية عدّة. ففي شهر أيار من العام ١٩٢٠، قام الجيش الأحمر الروسي باحتلال شمال إيران، وبمساعدة كوادره البلشفية، أسس القوميون الإيرانيون جمهورية كيلان السوفيتية. وجنبًا إلى جنب الانتفاضة الكردية المستعرّة في كُردستان الشرقية، ظهرت حركات قومية جديدة أخرى، شكلت تهديداً جدياً لوحدة إيران الإقليمية. وظهرت واحدة من تلك الحركات القومية في إقليم آذربایجان الإيرانية، التي تميزت بمعادتها للمصالح البريطانية، بالقدر نفسه الذي كانت تعادي فيه السلطات المركزية القاجارية.<sup>٥٠٨</sup> ومثلت تلك المخاطر الخارجية والتهديدات الداخلية ناقوس خطر بالنسبة للبريطانيين، الذين ارتبطت مصالحهم الإمبريالية الإستراتيجية بقوة بوحدة إيران الإقليمية. ووصف كورزون، في إحدى المرات، مهمة بريطانيا في إيران بدون المساعد على تعزيز وحدتها الإقليمية لكي ((لا تُترك لوحدها وتتنفسن بفعل التأكّل)).<sup>٥٠٩</sup> بتعبير آخر، كان احتواء التهديدات الداخلية والتصدي للمخاطر الخارجية وتوطيد وحدة إيران الإقليمية وتعزيز سلطة الحكومة المركزية فيها السبيل الوحيد لأجل تعزيز أمن الموقف البريطاني في الهند وفي منطقة الخليج وميزوبوتاميا.<sup>٥١٠</sup> وما كانت معارضته بريطانيا لانفصال كُردستان الشرقية سوى تعبير عن مخاوفها من انحلال المملكة القاجارية.

ان التعقيدات التي تخللت قضايا منطقة الشرق الأوسط في تلك الحقبة التاريخية لم تُسبّبها التناقضات والتقطّعات في مصالح القوى الكبرى الإستراتيجية والاقتصادية والسياسية فحسب، بل أيضًا الإدعاءات الإقليمية التي قدمها ممثلو القوميات الجديدة، فضلاً عن الحكومات المركزية ذات النزعة التوسعية في تلك المنطقة، في مقدمتها الحكومة القاجارية في إيران، بالرغم من أنها واجهت خطر الانحلال سياسياً وإقليمياً. وتضمنت ادعاءات الحكومة القاجارية الإقليمية إلحاق مناطق شاسعة بإيران تعود أغلبها إلى الإمبراطورية العثمانية وروسيا القيصرية، بحجة تعويضها عن

<sup>٥٠٨</sup> Nasrollah Saifpour Fatemi, **Diplomatic History of Persia, 1917-1523: Anglo-Russia Politics in Iran** (New York: Russell F. Moore, 1952-), pp-144-254.

<sup>٥٠٩</sup> Ibid.

<sup>٥١٠</sup> Curzon, Memorandum on'the Persian agreement, 9 August 1919, DBFP, Vol. IV: No.710, p.1121.

الأضرار التي تكبدتها الإيرانيون نتيجة العمليات العسكرية التي قامت بها الجيوش الروسية والعثمانية خلال الحرب العالمية الأولى.<sup>٥١١</sup> ورغم أن الحكومة القاجارية، من وراء تقديم المساعدة إلى بريطانيا وحليفتها أمريكا، في الحصول على مقعد أساس في مؤتمر باريس للسلام، لكي تستغله من أجل إقناع قوى الحلفاء بإجراء تعديلات إقليمية جذرية لصالح إيران على حدودها الغربية والشمالية والشرقية المشتركة مع تركيا وروسيا.<sup>٥١٢</sup> وبقدر ما يتعلق الأمر بكردستان، طالب شاه إيران توحيد جزئها العثماني مع جزئها القاجاري تحت حكمه المباشر.<sup>٥١٣</sup> ومن اللافت للنظر أن يُقدم القوميون الإيرانيون المعارضون لحكم الشاه ادعاءات إقليمية مشابهة لتلك التي تقدمت بها الحكومة المركزية القاجارية. وفي حين أظهر البريطانيون رفضهم لمشاركة إيران رسمياً في جلسات مؤتمر باريس للسلام أو دعم ادعاءات حُكامها الإقليمية ((السخيفة)), على حد تعبير لورد كورزون، فإنهم أبدوا الاستعداد لإجراء تعديل لحدود إيران الغربية المشتركة مع الدولة العثمانية في كردستان.<sup>٥١٤</sup>

لقد كانت مشكلة تعين الحدود الإيرانية- العثمانية في المناطق الكردية قديمة في جذورها، إذ ترجع إلى ١٥١٤-١٥١٥، أي حين الحقت القوات العثمانية هزيمة ساحقة بنظيرتها الصفوية في معركة چالديران الشهيرة (١٥١٤-١٥١٥)، وهو الأمر الذي مكن السلطان العثماني من بسط نفوذه على الجزء الأعظم من كردستان. وفي عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى، كانت تلك المشكلة الحدودية قد خضعت لدراسة لجنة دولية، ضمت ممثلين عن بريطانيا وروسيا القيصرية. ومنع اندلاع الحرب المذكورة تطبيق توصيات تلك اللجنة الدولية الخاصة بإجراء تعديلات طفيفة على الحدود العثمانية- الإيرانية المشتركة. وفي أعقاب انتهاء الحرب، وبسبب حرصهم على أمن موقفهم في كردستان الجنوبية وإيران، أبدى البريطانيون الاهتمام بوضعية تلك الحدود لعدم استقرارها، والخارجة عملياً عن سيطرة كلتا الدولتين العثمانية والقاجارية. وفي سعيه لوضع حلٍ جذري لحالة عدم الاستقرار القائمة في أورمية في كردستان الشرقية، حيث

<sup>٥١١</sup> Ishtiaq Ahmad, *Anglo-Iranian Relations, 1905-1919*, (Bombay: Asia Publishing House, 1974), pp.314-318.

<sup>٥١٢</sup> Curzon to Cox, Tehran, 28 November 1919, DBFP, Vol. IV, pp.1245-9.

<sup>٥١٣</sup> Curzon to Earl of Derby, Paris, 25 October 1919, DBFP, Vol. IV, p.1214.

<sup>٥١٤</sup> Curzon to the Persian Minister for Foreign Affairs, 19 December 1919 & 5 January 1920, DBFP, Vol. IV, pp.1273-4.

تواجدت جماعات مسيحية موالية لقوى الحلفاء، دعا مارك سايكس الى عدم فصل تلك المنطقة عن إيران، وأشار الى ضرورة:

تحويل كُردستان التركية الى السيادة الفارسية، شريطة ان تتوحد مقاطعة اورمية معها إدارياً وان تصبح جميعها ولاية تتمتع إدارياً بحكم ذاتي بمساعدة خارجية. وهذا (الحل) سيضمن -إعادة بناء اروميه بشكل مؤثر بـ- توحيد النساطرة على جانبي الحدود جـ- تلبية الادعاءات الفارسية القديمة حول الحدود التركية-الفارسية... دـ- حماية موقفنا الاستراتيجي في ميزوبوتاميا.<sup>٥١٥</sup>

ولكن هذا الحل الجنري لم يكن ممكنا من الناحية العملية، وذلك بسبب قوة النشاطات المسلحة الكُردية على جانبي الحدود العثمانية- القاجارية القديمة وكذلك عدم إبداء الحكومة البريطانية استعداداً يذكر لأن تلزم نفسها بهذا الأمر، سواء أكان بصيغة سياسية أم بصيغة عسكرية. ولكن الحكومة البريطانية أبدت اهتماماً بأحد جوانب أسلوب تعامل سايكس مع الوضع القائم آنذاك المتمثل بمسألة ربط قضية الآثوريين والأقليات المسيحية الأخرى مع تعديل الحدود العثمانية- القاجارية في كُردستان.

وفي أعقاب ترك العديد من الآثوريين وبقية المسيحيين الأراضي الإيرانية خلال الحرب العالمية الأولى ودخولهم الى ميزوبوتاميا، أقدمت السلطات العسكرية البريطانية على طرح مقترن ينص على إعادة توطين اللاجئين في قرى كُردستان الجنوبية بعد أن يُزال منها سكانها الكُرد المسلمين، بذريعة قيامهم بنشاطات معادية للوجود البريطاني. ولم يبن المقترن المذكور قبولاً لدى المسؤولين البريطانيين بسبب تكاليفه المالية وإمكانية تعقيده للوضع المتأزم أصلاً في المناطق الكُردية. وفي أوائل العام ١٩٢٠، اقترح ويلسون حلّ آخرأً لمشكلة اللاجئين المسيحيين القادمين من إيران، الذين بدعوا يشكلون عبئاً مالياً ثقيلاً على إدارته في ميزوبوتاميا، على حد إدعائه، الذي نصّ على إعادة تسفيرهم الى منطقة تقع في كُردستان العثمانية وقريبة من الحدود الإيرانية، ومن ثمّ قيام الحكومة القاجارية بتعديل الحدود لصالح الدولة الإيرانية من أجل بسط سيطرتها السياسية والإدارية على تلك المنطقة. في بهذه الطريقة، رأى ويلسون أنّ اللاجئين المسيحيين لن يقعوا تحت رحمة الحكام الأتراك، وكذلك سيكونون عن أن يكونوا عبئاً مالياً على الإدارة البريطانية في ميزوبوتاميا.<sup>٥١٦</sup>

<sup>٥١٥</sup> Toynbee, Foreign office Minute No. 174037, 22 November 1918, F0371/3407, PRO.

<sup>٥١٦</sup> IDC M , Minute No.37 13 April 1920, F0371/5068, PRO.

ونالت تصورات ويلسون تلك مساندة وزارة الهند ووزارة الخارجية البريطانية، إذ صرَّح لورد كورزون ان البريطانيين كانوا ((قلقين)) بشأن خطة إعادة تسفير اللاجئين المسيحيين، ولهذا كانوا يبحثون عن وسيلة ملائمة لتنفيذها بحيث لا تخلق تعقيدات سياسية جديدة. ولكن كورزون رأى ضرورة توصل الحكومة القاجارية الى تفاهم مع الكُرد بشأن تعديل الحدود في كُردستان، ولربما لأنَّه رأى، بأنهم معنيون أكثر من غيرهم بهذا الأمر ولربما عكست أيضًا رغبته في تجاهل الأتراك ومعارضتهم لفكرة تعديل تلك الحدود لصالح إيران. تلك كانت خلفية إحدى بنود معاهدة سيفر، التي اشترطت على السلطات القاجارية القيام بمقابلات مباشرة مع الكُرد، وليس مع الأتراك، بهدف ضمان تعديل الحدود الإيرانية- العثمانية لصالحها. والأمر اللافت للنظر في بنود سيفر المتعلقة بتعيين الحدود الجنوبية لدولة أرمينيا الجديدة في إنها نصَّت على دخول الأرمن في مفاوضات مع الأتراك، لا مع الكُرد، بالرغم من أن تلك الحدود ستكون مشتركة مع كيان الحكم الذاتي الكُردي، التي أكدت تلك المعاهدة على قيامه.

وفي الوقت نفسه، منحت ادعاءات إيران الإقليمية في كُردستان العثمانية البريطانيين فرصة لتحقيق أهداف عدَّة. فطبقاً للبنـد ٦٢ من معاهدة سيفر:

ستتضمن خطة (الحكم الذاتي) تحصينات كاملة لحماية الكلدو- آثوريين والأقليات العرقية والدينية الأخرى ضمن تلك المنطقة، ولهذا الغرض ستزورها لجنة مؤلفة من ممثلين بريطانيين وفرنسيين وأيطاليين وفرس وكُرد لدراسة آية تعديلات ضرورية وإقرارها، التي يُمكِّن تنفيذها بحسب فقرات المعاهدة الحالية في الحدود التركية الموازية لحدود بلاد فارس.

كان للبنـد ٦٢، في حالة تطبيقه، تداعيات عميقة التأثير سياسياً واستراتيجياً بقدر ما يتعلق الأمر ببريطانيا وإيران. أولاً، فهي سُلطيل الخلافات حول الحدود التركية- الإيرانية، والذي يعني إمكانية التصدِّي لأي مسعى قد يقوم به الكماليون الأتراك لتشكيل حركة ذات نزعة إسلامية معادية لبريطانيا. والجدير بالإشارة، أنه بالرغم من قوة نزعتهم الطورانية الشوفينية، واصل الأتراك الكماليون، وعلى غرار الأتراك العثمانيين، استغلال المشاعر الإسلامية وبطرق متواترة في تعبئة الجماعات المسلمة من أصول أثנית ولغوية متعددة ضد الهيمنة الغربية. فوق ذلك، تلاقت مساعي الكماليين وتزامنت مع تلك التي كان يقوم بها البلشفيون الروس، الذين شنوا حملة

دعائية كبيرة ضد البريطانيين بين قوميات الشرق المسلمة. وقد أثارت الدعاية ذات النزعة الإسلامية والمعادية لبريطانيا في إيران القلق الشديد في صفوف المسؤولين البريطانيين في لندن والموظفين البريطانيين العاملين ميدانياً.<sup>٥١٧</sup> ثانياً، ان تعديل الحدود لصالح إيران، التي رغبت بريطانيا في إجرائه، كان من شأنه أن يُحث الحكومة القاجارية على بسط سلطتها بطريقة مؤثرة على تلك المناطق التي كانت مسرحاً لنشاطات المتمردين الكرد. تلك النشاطات التي شكلت تهديداً لوحدة إيران الإقليمية.<sup>٥١٨</sup>

ثالثاً، من الناحية الأخلاقية، وجدت بريطانيا نفسها غير قادرة على التهرب من مسؤولياتها تجاه الجماعات المسيحية المحلية التي ساندتها وحلفائها في الحرب ضد الدولة العثمانية. مع ذلك، أراد البريطانيون حل المشكلة الآثرية بأقل التكاليف الممكنة،<sup>٥١٩</sup> اي من دون تقديم التزامات سياسية. رأى كورزون، وعلى غرار السلطات البريطانية في بغداد، في تعديل الحدود العثمانية-القاجارية حلاً عملياً. ويُذكر انه أشار مراراً إلى الآثوريين بوصفهم عبئاً مالياً ثقيلاً على الإدارة البريطانية في ميزوبوتاميا. وأخيراً، ان بناء مستوطنة آثرية وتوسيع سلطة القاجاريين بحيث تضم مناطق كردية متمرة كان من شأنه ان يخلق حزاماً إقليمياً مستقراً قرب الحدود الشمالية لمناطق خاضعة للسيطرة البريطانية في كُردستان الجنوبية. بتعبير أدق، سيؤدي تعديل تلك الحدود الدولية الى تقوية خطوط الدفاعات الإستراتيجية البريطانية، واحتزالها في مواجهة الهجمات التركية أو البلاشفية المستقبلية، التي قد تشن عبر كُردستان. ويتبين من النقاط المشار إليها آنفاً، ان استعداد بريطانيا لدعم ادعاءات إيران الإقليمية في كُردستان، لم يكن أمراً عرضياً، وإنما جاء ضمن حسابات مدروسة.

### خاتمة الفصل

ان الدبلوماسية البريطانية في المحافل الدولية وسياساتها الميدانية قد أثرت بشكل واسع في تطور المسالة الكردية وأسلوب تسويتها سياسياً فيKonferans San Rımo (١٩٢٠). فحين انتهت الحرب العالمية الأولى، فرض البريطانيون سيطرتهم على

<sup>٥١٧</sup> Commander Luke to Admiral Webb, 25 December 1919, Enclosure 1, DBFP, Vol. IV, pp-1001-1003. & Ryan, Memorandum, Constantinople, 29 December 1919, Enclosure 2 in No.647, DBFP, Vol. IV, pp.1003-1005.

<sup>٥١٨</sup> Curzon to the Persian Minister for Foreign Affairs, 5 January 1920, DBFP, Vol. IV, p.1248.

<sup>٥١٩</sup> British Secretary's Note.., San Remo, 19 April 1920, DBFP, Vol. VIII, p.44.

مناطق تركية حيوية عدّة، منها البوسفور واسطنبول. كما كانت القوات البريطانية ونظيراتها الفرنسية والإيطالية واليونانية قد فرضت سيطرتها المباشرة وغير المباشرة على أغلب الأقاليم العثمانية، التركية منها وغير التركية. فضلاً عن ذلك، تمركزت قوات بريطانية في جنوب إيران وشمالها. وفي إثناء تلك التطورات، كان الجيش العثماني يمر في مرحلة الانحلال السريع، والأمر نفسه يسري على الجيش القاجاري، بالرغم من عدم اشتراكه في الحرب. إن الوهن الذي أصاب سلطة الحكمتين المركزيتين في اسطنبول وطهران كان كبيراً إلى الحد الذي خرجت فيه الأقاليم البعيدة عن سيطرة المركز، خاصة في كُردستان. ففي أجزاء كُردستان المختلفة، انشغل القوميون الكُرديون، الذين ظهروا في الميدان لملئ الفراغ السياسي الناشئ، في نشاطات سياسية وعسكرية مختلفة بهدف تحقيق تطلعاتهم القومية. هكذا كانت طبيعة الأوضاع، حين أصبحت بريطانيا في موقف قوي يمكّنها من إقامة دولة كُردية، إذا ما رغبت في ذلك. ولسوء حظ القوميين الكُرديين، لم يتطلب تأمين المصالح البريطانية الإستراتيجية والاقتصادية والسياسية إقامة مثل تلك الدولة – القومية خلال الأعوام ١٩٢٠-١٩١٨. وعدم تلاقي المصالح البريطانية مع التطلعات القومية الكُردية هو الذي يمكن أن يفسّر إلى حد كبير لماذا لم يحصل الكُردي على دولة خاصة بهم في أعقاب انهيار الإمبراطورية العثمانية، ولماذا أيضاً تعرضت كُردستان العثمانية إلى تقسيم استعماري اعتباطي لا يراعي العوامل الأثنية والجغرافية والتاريخية. وكما يؤكّد قاسملو، فإن الجانب الإيجابي الوحيد في معاهدة سيفر، قد تتمثل، من وجهة النظر الكُردية، في إشارتها إلى حقوق الشعب الكُردي، الذي جاء ضمن وثيقة دولية لأول مرة.<sup>٥٢٠</sup>

إن المسح المذكور آنفاً لتطور سياسة بريطانيا تجاه المسألة الكُردية وتبلور أهدافها المتنوعة في كُردستان في أعقاب الحرب العالمية الأولى يبرز نقطتين أساسيتين: أولاً، كانت دفعت الحاجة الملحة ببريطانيا إلى تشخيص شكل مصالحها وتعيين حدود نفوذها وطرق سيطرتها السياسية في كُردستان. وخضعت كل تلك الأمور، فضلاً عن الوضع السياسي الداخلي، إلى شروط ترتبط ارتباطاً وثيقاً بامكانيات بريطانيا العسكرية والمالية، التي تقلّصت إلى حد كبير، نتيجة لإطالة زمن الحرب وتكليفها الباهظة. وكانت من إفرازات تلك الأوضاع أن يمنحك صناع القرار في لندن أولوية خاصة

<sup>520</sup> Ghassemlo, **Kurdistan and the Kurds**, p.42.

الى مسألة تعزيز موقف بريطانيا الاستراتيجي في ميزوبوتاميا، الذي كان الأقرب جغرافياً الى منطقة الخليج ذات الأهمية البالغة. وهذا الأمر أثر بشكل كبير في طريقة تعامل بريطانيا مع أوضاع كُردستان الجنوبية إذ كان إخضاع هذا الإقليم الى الانتداب البريطاني على ميزوبوتاميا واحدة من تداعياتها المهمة. ان سلخ الجزء الجنوبي عنها كان بمثابة تقسيم الأمر الواقع لِكُردستان العثمانية، حتى قبل ان يسري مفعول قرارات مؤتمر السلام بشأن التسوية السلمية للمسألة الكُردية. ثانياً، تعاملت بريطانيا مع تسوية المسألة الكُردية على صعيدين مختلفين، الأول إقليمي، والثاني دولي. فتجدد منافستها الامبرialisية مع فرنسا وتزايد التهديد البلشفي لمصالحها والغموض المحيط بمستقبل تركيا وارمينيا، واهتمامها بوحدة إيران الإقليمية قد أثرت وبدرجات متفاوتة في موقف بريطانيا تجاه المسألة الكُردية، ومن ثم في طريقة صياغة بنود معاهدة سيفر المتعلقة بمستقبل كُردستان.



## الفصل السادس

### كردستان الجنوبية تحت الانتداب البريطاني في ميزوبوتاميا: من الانفصال الى الاندماج، خريف ١٩٢٠-خريف ١٩٢٣

في نهاية العام ١٩٢٠، تولّدت قناعة بضرورة تفكك نظام الإشراف المتداخل على قضايا منطقة الشرق الأوسط، الذي كان موزعاً ما بين عدة دوائر رسمية رئيسة، في مقدمتها وزارة الخارجية ووزارة الهند ووزارة الحرب. عكس هذا التوجه الجديد والحاجة الملحّة الى التغيير (١) فشل نظام السيطرة من الناحيتين السياسية والإدارية في مناطق خضعت توًّا للانتداب البريطاني، كميزوبوتاميا، التي شهدت في منتصف العام ١٩٢٠ اندلاع سلسلة انتفاضات محلية دموية، و(٢) التكاليف المالية الباهظة لإدارة تلك المناطق والدفاع عنها. وركّزت الصحف البريطانية على هذين العاملين في الانتقادات التي وجهتها الى السياسة البريطانية السارّة. وسرعان ما أخذت تلك الانتقادات طريقها الى مناقشات البرلمان البريطاني، حيث قام عدد من النواب بتوجيهه انتقادات الى السياسة البريطانية المتّبعة في ميزوبوتاميا. وهذه المناقشات البرلمانية مثّلت، بحسب تعبير كليمان، ((المحفز الآخرين)) للتغيير في عملية صنع القرار وفي وجهة السياسة البريطانية.<sup>٥٢١</sup> وفي نهاية الأمر، قررت الحكومة البريطانية المصغرة ان تعهد الى وزارة المستعمرات، عبر دائرة الشرق الأوسط المشكلة حديثاً، المسؤوليات المتعلقة بصنع القرار والإدارة والإتفاق المدني والعسكري.<sup>٥٢٢</sup> وكان محور تلك التغييرات الجديدة تثبيت دعائم نظام السيطرة غير المباشرة القائم على تشكيل إدارة أهلية في ميزوبوتاميا بإشراف بريطاني لتحمل محل الإدارة الاستعمارية السافرة، بهدف وضع حد للأعباء المالية الهائلة على الخزينة البريطانية.

ان التغيير الحاصل في عملية صنع القرار ووجهة السياسة البريطانية، بقدر ما يتعلّق الأمر بمنطقة الشرق الأوسط، صاحبه تأثيرات عميقة و مباشرة في مستقبل كردستان الجنوبية. يُركّز هذا الفصل أساساً وفي تحليلاته على دور برسي كوكس،

<sup>٥٢١</sup> Klieman, *Foundations of British Policy in the Arab World*, pp.84-85 & 87.

<sup>٥٢٢</sup> Recommendations of the Prime Minister's Interdepartmental Committee, C.P.2545, 7 February 1921, CAB21/186, PRO.

بوصفه المفوض السامي الجديد لميزوبوتاميا، ووينستون تشرشل، بوصفه وزير المستعمرات الجديد، اللذين ارتبط بهما وبشكل مباشر وصريح خياران متناقضان، وهما خيار الاندماج وخيار الانفصال بحسب الترتيب، المتعلقان بطبيعة العلاقة المثلثي والعملية بين كُردستان الجنوبية والدولة العربية الجديدة المُزعَم إنشاؤها في ميزوبوتاميا العربية. ان الجانب الجوهري في أسلوب تعامل تلك الشخصيتين البارزتين والمؤثرتين الى أبعد الحدود هو الوصول الى معادلة سياسية جديدة يتم من خلالها تحقيق هدفين مهمين: تمثل الهدف الأول بدعم الموقف البريطاني في ميزوبوتاميا العربية وكُردستان الجنوبية على المدى الطويل، وتجسد الهدف الثاني في احتواء تهديدات القوى الكمالية ضد أمن ميزوبوتاميا، في وقت كانت حكومة لندن تميل بقوة الى خيار سحب الحامية الامبرialisية منها.

#### **ظهور بدلين في السياسة البريطانية خلال كونفرانس القاهرة: كيانان منفصلان في مواجهة دولة أحادية**

افتتح كونفرانس القاهرة في ١٢ آذار من العام ١٩٢١ واستمرت جلساته حتى نهاية الشهر نفسه. وحضر تلك الجلسات نحو ٤٠ خبيراً مدنياً وعسكرياً في شؤون الشرق الأوسط. وتم تقسيم المشاركين الى مجموعتين من أجل إدارة أجندـة الكونفرانس: الأولى كانت اللجنة السياسية والثانية اللجنة العسكرية والمالية. وناقشت اللجنة السياسية، التي ترأسها وينستون تشرشل، ثلاثة قضايا مترابطة، وهي (١) مستقبل ميزوبوتاميا السياسي و(٢) خفض مباشر وسريع للالتزامات العسكرية البريطانية و(٣) مستقبل علاقة بريطانيا بميزوبوتاميا في ظل نظام الانتداب الجديد.

وفي خضم المناقشات الدائرة حول تلك القضايا الحساسة طرحت مسألة مستقبل كُردستان الجنوبية السياسي نفسها على بساط البحث خلال الجلسة الأخيرة للجنة السياسية. ومنذ البدء، انقسم أعضاء تلك اللجنة الى فريقين متباينين، قدما خيارين مُتضادين تماماً بشأن كيفية حسم مستقبل كُردستان الجنوبية. فمن جانب، تعامل كوكس، وبدعم من سكرتيرته الشرقية، غرتورد بيل، مع مسألة مستقبل كُردستان الجنوبية من وجهة نظر عربية. ففي معرض تأييده للادعاءات الإقليمية التي أطلقها أعضاء الأسرة الشرفية وأتباعهم من سُنة عرب ميزوبوتاميا، أدعى كوكس ان كُردستان الجنوبية مثلت جزءاً لا يتجزأ من العراق وإن الـكـرـدـ الجنـوـبيـنـ على عـلـمـ

بارتباطهم اقتصادياً بالعراق. فضلاً عن السليمانية، أدعى كوكس ومس بيل أن جميع الـ*الـكـردـ الجنـوـبيـين* راغبون في الانضمام إلى العراق في حالة قيامه كدولة حديثة. ولتعزيز وجهة نظره بهذا الشأن، زعمَ كوكس أن الدخل المتأتي من المناطق الـ*ـكـردـية* ليس بالمستوى الكافي لتغطية نفقات إدارتها.<sup>٥٢٣</sup> والجدير بالإشارة أنه قبل انعقاد كونفرانس القاهرة كان كوكس قد أبدى معارضته الصريحة لفكرة قيام حكومة أهلية كـ*ـكـردـية* حين أقترح منيغيو تعين حاكم كـ*ـكـردـيـ* على كـ*ـرـدـسـتـانـ الجنـوـبـيـةـ*.<sup>٥٢٤</sup>

إن ادعاء كوكس ومس بيل بقبول الـ*ـكـردـ الجنـوـبيـين* بالخضوع إلى حـ*ـكـمـ عـرـبـيـ*، وإن كـ*ـرـدـسـتـانـ الجنـوـبـيـةـ* لا يمكن لها أن تـ*ـتـدـعـمـ* أو تـ*ـتـعـيـلـ* نفسها اقتصادياً تناقض بشكل صارخ مع المعلومات، التي كان وفراها الكولونيـلـ ويلـسـونـ والمـيـجـرـ نـوـئـيلـ. وبالرغم من الاختلاف الواضح في وجهات نظر تلك الشخصـيـتـيـنـ بشأن كيفية إدارة الشؤون الـ*ـكـردـيةـ*، كان ويلـسـونـ وـنـوـئـيلـ متـقـيـنـ من حيث المبدأ على أن الـ*ـكـردـ الجنـوـبـيـينـ* يرفضـونـ جـمـيعـاـ فكرة الخـ*ـضـوعـ* إلى حـ*ـكـمـ عـرـبـيـ* غـ*ـرـيـبـ* عنـهـمـ. فـ*ـضـلاـ* عنـ ذـلـكـ، كان ويلـسـونـ يـ*ـشـيرـ* دـوـماـ، في مـعـرـضـ تـبـيرـ المسـاعـيـ التي كان يـبـدـلـهاـ من أجل دـمـجـ المناـطـقـ الـ*ـكـردـيةـ* في الإـدـارـةـ الـبـرـيطـانـيـةـ في مـيـزـوـبـوتـامـيـاـ الـعـرـبـيـةـ، إلى ثـرـاءـ كـ*ـرـدـسـتـانـ الجنـوـبـيـةـ* الـ*ـاقـتصـادـيـ*، بالـمـقـارـنـةـ معـ المناـطـقـ الـعـرـبـيـةـ الـجنـوبـيـةـ. وأـعـتـادـ وـيلـسـونـ فيـ أنـ يـؤـكـدـ ثـرـاءـ المناـطـقـ الـ*ـكـردـيةـ* منـ خـلـالـ إـشـارـتـهـ الـمـتـكـرـرـةـ إـلـىـ وجودـ فـائـضـ فيـ إـنـتـاجـ القـمـحـ وـالـخـشـبـ وـالـفـاكـهـةـ وـالـتـبـغـ، وـالـأـهـمـ منـ ذـلـكـ، وجودـ شـرـوـةـ نـفـطـيـةـ كـامـنةـ. وـفـيـ حـقـيقـةـ الـأـمـرـ، وـكـمـ تـبـيـنـ التـقـارـيرـ الإـدـارـةـ الـبـرـيطـانـيـةـ لـلـمـقـاطـعـاتـ الـ*ـكـردـيةـ*، أنـ كـ*ـرـدـسـتـانـ الجنـوـبـيـةـ*، وـعـلـىـ النـقـيـضـ منـ مـيـزـوـبـوتـامـيـاـ الـعـرـبـيـةـ، لمـ تـشـكـلـ عـبـئـاـ مـالـيـاـ ثـقـيلاـ عـلـىـ الـخـزـينـةـ الـبـرـيطـانـيـةـ. وـالـجـديـرـ بـالـذـكـرـ أنـ مـعـظـمـ النـفـقـاتـ الـبـرـيطـانـيـةـ قدـ تـرـكـزـتـ فيـ بنـاءـ سـكـكـ حـدـيدـيـةـ وـطـرـقـ بـرـيـةـ وـسـدـودـ وـجـسـورـ وـتسـهـيلـاتـ أـخـرىـ دـاخـلـ المناـطـقـ الـعـرـبـيـةـ، وـلـيـسـ دـاخـلـ المناـطـقـ الـ*ـكـردـيةـ*.

بالـمـقـارـنـةـ معـ تصـوـرـاتـ كـوـكـسـ وـمـسـ بـيـلـ، دـعاـ هـيـوبـرـتـ يـونـغـ، بـوـصـفـهـ الـآنـ السـكـرـتـيرـ الـمـسـاعـدـ فيـ دائـرـةـ الشـرـقـ الـأـوـسـطـ الـحـدـيـثـةـ التـشـكـيلـ، إـلـىـ جـعـلـ كـ*ـرـدـسـتـانـ الجنـوـبـيـةـ* فـورـاـ دـوـلـةـ مـنـفـصـلـةـ، وـذـلـكـ لـكـيـ تـؤـدـيـ مـهـمـةـ الـحـاجـزـ الـإـسـتـراتـيـجيـ بـوـجـهـ أـيـةـ

523 Report on Middle East Conference Held in Cairo and Jerusalem, 12-30 March 1921, F0371/6343, PRO.

<sup>524</sup> S/S for India to High Commissioner, Baghdad, 27 October 1920 & High Commissioner, Mesopotamia, 17 November 1920, F0371/5069, PRO.

تهديدات كمالية محتملة ضد دولة العراق الجديدة. ولم تتأتّل تصورات يانغ تأييد الميجر نوئيل، الذي حضر إلى الكونفرانس بوصفه الخبر الوحيد في الشؤون الكردية، فحسب، بل أيضاً مساندة تشرتشل القوية. فالأخير لم يخف خشيته من تجاهل المشاعر الكردية واضطهاد الأقلية الكردية من حاكم شريفي مدحوم بجيش عربي.<sup>٥٢٥</sup> وعلى غرار نوئيل، لم يرغب تشرتشل في رؤية دولة عربية قوية قد تشجع الأمير فيصل على إضعاف السيطرة البريطانية على ميزوبوتاميا.

وحين أنهى الكونفرانس أعماله، أصبح واضحاً أن أربعة من أصل سبعة من المسؤولين البريطانيين، الذين شاركوا في مناقشات اللجنة السياسية، قاموا بتأييد خيار إقامة كُردستان جنوبية منفصلة غير خاضعة لحكم عربي. وتألفت تلك الشخصيات الأربع من تشرتشل ويانغ ونوئيل وتي إيه لورنس. ويُذكر أن الأخير قد شارك في الكونفرانس بوصفه المستشار السياسي لدائرة الشرق الأوسط في وزارة المستعمرات. وبالمقارنة مع الشخصيات الأربع الآنفة الذكر، دافع اثنان فقط، هما كوكس ومسن بيل، عن خيار إلهاق كُردستان الجنوبية فوراً بالكيان العربي تحت زعامة أحد أمراء الأسرة الشريفية. وكان الميجر آر دي بابكوك، سكرتير اللجنة السياسية، العضو الوحيد الذي لم يصوت لصالح أي من الخيارات أو يعبر عن رأيه بخصوص مستقبل كُردستان الجنوبية. وبهذه الطريقة، حين أنهى كونفرانس القاهرة أعماله، لم يتخلّ البريطانيون عن فكرة قيام كُردستان جنوبية منفصلة. فعلى النقيض من استنتاج مكدول،<sup>٥٢٦</sup> رفض الكونفرانس المذكور تماماً فكرة إلهاق كُردستان الجنوبية بالعراق العربي، إلا في حالة مطالبة سُكانها الكرد بذلك.

وضع كونفرانس القاهرة مبدأ صريحاً لا لبس فيه نصّ على عدم إجبار إقليم كُردستان الجنوبية على الانضمام إلى الدولة العراقية المزعزع إنسائها في ميزوبوتاميا العربية (ولا يتي ببغداد والبصرة). والأهم من ذلك، قرر الكونفرانس الإبقاء على كُردستان الجنوبية كبلد منفصل، لكي يؤدي دور الحاجز الإستراتيجي لحماية الدولة العراقية لحين أن يُقرر الكرد الجنوبيون أو ممثلوهم مستقبلاً السياسي. وعلى ضوء مقررات كونفرانس القاهرة، أثار تشرتشل سؤالاً مهماً يتعلق بوجود الحاجة أو عدمها

<sup>٥٢٥</sup> Report on Middle East Conference Held in Cairo and Jerusalem, 12-30 March 1921, F0371/6343, PRO.

<sup>٥٢٦</sup> McDowall, *A Modern History of the Kurds*, p.151.

لإدخال فقرة خاصة إلى مسودة الانتداب البريطاني على ميزوبوتاميا. وعلى إثر ذلك دخل المستشار القانوني لوزارة المستعمرات في مشاورات قانونية مع مساعد المستشار القانوني في وزارة الخارجية تمخضت عن رفع توصية نهائية تتطرق بتعديل فقرات انتداب ميزوبوتاميا، على الرغم من معارضته كوكس له:

**ستقرأ من الآن فقرة ١٦ من انتداب ميزوبوتاميا:**

لا شيء في هذا الانتداب سيمنع المُنتدب من إقامة نظام حكم ذاتي في إدارة المناطق ذات الغالبية الكُردية في القسم الشمالي من ميزوبوتاميا بما تراه مناسباً.<sup>٥٢٧</sup>

ان موقف وزارة المستعمرات هذا أملته مخاوف جدية من ان فرض حكم عربي على الكُرد الجنوبيين على الضد من إرادتهم قد يُصعد من حالة عدم الاستقرار السياسي واتساع الفراغ الأمني في كُردستان الجنوبية. وهو الأمر الذي سيُجبر بريطانيا على تقديم المزيد من الالتزامات العسكرية والمالية لتأمين أمن الدولة العراقية المزعج إنشاؤها. وتضاعفت المخاوف تلك باستمرار بسبب ما بدا لبريطانيا من تبلور توجه توسيعي تركي - كمالي نحو الجنوب مستهدفة ميزوبوتاميا عبر المناطق الكُردية. ففي ظل أوضاع، كالتي كانت سائدة في كُردستان الجنوبية، فإن أية مقاومة أهلية لمشروع إلحاق ذلك الإقليم بالدولة العربية ستتطور على الأرجح بحيث تؤدي إلى نشوء تحالف كُردي<sup>٥٢٨</sup> تركي معاد لبريطانيا وللدولة العربية الوليدة. وستكون عاقبة كل ذلك إجبار حكومة لندن على سحب الحامية الامبرالية التي تحمي العراق العربي.

وبالمقارنة مع خيار الإلحاق، وكما يتبيّن من قراءة وثائق كونفرانس القاهرة، فإن خيار إبقاء إقليم كُردستان الجنوبية خارج الدولة العربية سيسهل على بريطانيا تنفيذ خطتها المتعلقة بسحب قواتها العسكرية وإنهاء مسؤولياتها المالية الثقيلة في ميزوبوتاميا. وتشترشل كان نفسه يأمل في أن يشرف الضباط البريطانيون على تشكيل وحدات عسكرية كُردية غير مكلفة لإحلالها محل الحامية البريطانية الموجودة، لكي تتصدى لمسؤولية الدفاع عن ميزوبوتاميا.<sup>٥٢٩</sup> ولم يكن تشرشل

<sup>٥٢٧</sup> Klieman, **Foundations of British Policy in the Arab World**, p.123.

<sup>٥٢٨</sup> Report on Middle East Conference Held in Cairo and Jerusalem, 12-30 March 1921, F0371/6343, PRO.

مؤمناً بقدرات الجيش العربي على حماية الدولة الجديدة من هجمات الأتراك الكماليين، ولهذا كرر على مسَنْعٍ من كوكس القيمة العسكرية للوحدات الكردية المسلحة في الدفاع عن تلك الدولة.<sup>٥٢٩</sup> فضلاً عن ذلك، سيساعد تعزيز الإحساس بالقومية الكردية عن طريق قيام كيان حكم ذاتي كُردي، بحسب اعتقاد تشرتشل، على عودة الاستقرار والأمن إلى كُردستان الجنوبية.

وعلى ضوء جميع تلك الحسابات السياسية والعسكرية والمالية، أبلغ تشرتشل رئيس الوزراء البريطاني، لويد جورج، بشأن النهج العام الذي ستسترشد به بصورة مؤقتة وزارة المستعمرات في تعاملها مع إقليم كُردستان الجنوبية. ولحين انتهاء فترة العام الذي نص عليه البند <sup>٥</sup> من معاهدة سيفر، سيبقى المفوض السامي البريطاني، وليس الحكومة المؤقتة العربية في بغداد، المسؤول المباشر عن إدارة شؤون الإقليم. ومن جانبه أبدى لويد جورج، الذي كان قد أظهر قلقه الشديد من النشاطات الكمالية المتزايدة والمُؤثرة في كُردستان الجنوبية، على نهج وزارة المستعمرات المتطابق مع توصيات كونفرانس القاهرة.<sup>٥٣٠</sup> بهذا النحو، أصبحت الصورة واضحة تماماً عند المعنيين بالشأن العراقي والكردي وهي أن الحكومة البريطانية فضلت خيار جعل كُردستان الجنوبية دولة حاجزة على خيار دمجها بالدولة العربية، وتوقع المسؤولون ان يكون هذا محور السياسة البريطانية نحو الإقليم في مرحلة ما بعد كونفرانس القاهرة.<sup>٥٣١</sup>

### سياسة كوكس الكردية بعد انتهاء كونفرانس القاهرة

ومع إن كونفرانس القاهرة قد أوصى بإقامة كُردستان جنوبية منفصلة على شكل حزام أرضي حاصل لحماية العراق العربي، لم ثبادر وزارة المستعمرات إلى إرسال توجيهات معينة أو تفاصيل محددة أخرى إلى السلطات البريطانية الميدانية في بغداد بشأن كيفية تطبيق تلك التوصية أو تحديد سقف زمني لها، كما كان هو الحال، مثلاً، مع تشكيل الدولة العربية في العراق. ويمكن إرجاع السبب في وضع تعليمات جديدة وإضافية إلى تركيز وزارة المستعمرات جُلّ طاقتها وتسخير وقتها من أجل إيجاد الشروط المؤاتية لإنجاح عملية سياسية بالغة الحساسية وذات شقين، الأولى بناء

<sup>٥٢٩</sup> Churchill to Cox, 18 June 1921, C0730/2, PRO.

<sup>٥٣٠</sup> Message from Prime Minister to Churchill, 22 March 1921, F0371/6342, PRO.

<sup>٥٣١</sup> Young, Colonial Office Minute of 20 June 1923 & H. Read, Colonial Office Minute of 21 June 1923, C0730/40, PRO.

الدولة العربية والثاني ترشيح الأمير فيصل لعرش العراق. ووجود مثل هذا الوضع هو الذي مَكِنَ كوكس من تجاهل توصيات كونفرانس القاهرة وعدم اتخاذ آية خطوة تصب في اتجاه إنشاء كيان كُردي للحكم الذاتي بحيث يتزامن نسبياً مع الخطوات التي ستُتَّخذ لإنشاء دولة في العراق العربي.

ومن أجل الالتفاف على توصيات كونفرانس القاهرة، قدمَ كوكس مخططات مختلفة تهدف جميعها إلى إلحاق الإقليم الكُردي بالدولة العراقية الجديدة، مُتوسلاً بشتى التبريرات السياسية والاقتصادية والمالية. فحالما أنهى كونفرانس القاهرة جلساته، سارع كوكس إلى انتقاد التداعيات الاقتصادية لخيار قيام كُردستان جنوبية مفصلة بالنسبة إلى المصالح البريطانية في ميزوبوتاميا. وزعم كوكس ومرؤوسه، ومن ضمنهم مس بيل، أن الروابط الاقتصادية بين المقاطعات الكُردية في لواء الموصل ومدينة الموصل نفسها كانتوثيقة جداً بحيث لن يرحب أهاليها الكُرد بأي فصل إداري يؤدي إلى ظهور (مانع جمركي) بين الطرفين. وبدلًا من خيار الانفصال، طالب كوكس ومن شاطره الرأي من الموظفين الميدانيين بتحويل تلك المقاطعات إلى أقضية، تكون خاضعة سياسياً ومالياً وقانونياً إلى بغداد.<sup>٥٣٢</sup> وأسهب كوكس في شرح البعد الاقتصادي من أطروحته ليشمل مناطق كُردية أخرى بحجة أن ((قادة الرأي الكُردي)) كانوا مدرkin تماماً مدى ارتباط كُردستان الجنوبية الاقتصادي والصناعي بالعراق العربي وكذلك بالمتاعب التي سيحدثها بقاء ذلك الإقليم منفصلاً عن العراق العربي.<sup>٥٣٣</sup> بالرغم من تقديمها لكل تلك الإدعاءات، وجدت السلطات البريطانية في بغداد نفسها غير قادرة على إنكار التطلعات السياسية لأهالي السليمانية، الذين أكدوا عدم رغبتهم في وجود أي شكل من أشكال الارتباط مع الحكم العربي، مهما كانت عواقبه الاقتصادية.<sup>٥٣٤</sup>

فضلاً عن تأكيدهاته المتعلقة بالتداعيات الاقتصادية التي ستنشأ عن خيار الانفصال، بينَ كوكس أن تعزيز النزعة القومية العربية في العراق، والمتمثل بتبني الإدعاءات الإقليمية العربية في كُردستان الجنوبية، هو النهج الأمثل في التصدي

<sup>٥٣٢</sup> Mesopotamian Intelligence Report (MIR), No.12, 1 May 1921, C0730/2, PRO.

<sup>٥٣٣</sup> MIR ,No.13, 15 May 1921, C0730/2, PRO.

<sup>٥٣٤</sup> High Commissioner's Communiqué No.13 to the Provisional Majlis of the Mosul Wilayet -in- MIR, No.14, 1 June 1921, F0371/6352, PRO.

<sup>٥٣٥</sup> للتهديدات الكمالية والبلشفية الموجهة ضد المصالح البريطانية في ميزوبوتاميا. وترجع أطروحتات كوكس في جذورها إلى الفترات الأولى من الحرب العالمية الأولى حين نجح البريطانيون في دق اسفين الفرقة بين عرب المشرق والثمانينيين الأتراك، من خلال دعم التطلعات السياسية للحركة الشريفية. تمكن البريطانيون، بالتعاون وبالتنسيق مع النخبة العربية، من إلحاق هزيمة كبيرة بالقوات التركية في الأقاليم العربية الشرقية أوسطية خلال الحرب. ولابد أن أثرت مس بيل، المعروف عنها في الأوساط البريطانية الرسمية بأنها من ابرز المدافعين عن التحالف البريطاني - الشرفي، في طريقة طرح كوكس لتصوراته المُناصرة لوجهة النظر العربية، التي كانت تتناقض كلياً مع ماضيه وتوجهاته الاستعمارية التقليدية.

وللبرهنة على صحة أطروحة إلحاق كُردستان الجنوبية بالدولة العربية الجديدة من الناحيتين الإدارية والسياسية، اقترح كوكس على وزارة المستعمرات خطة معقدة في شهر أيار من العام ١٩٢١، تتضمن قيام كيان حكم ذاتي كُردي ضمن إطار الدولة العربية، وهذه خطوة تضاربت تماماً وبشكل ملموس وصريح مع النهج الذي وضع كونفرانس القاهرة أُسسه. وطبقاً لهذه الخطة، تتحول المقاطعات الكُردية في لواء الموصل إلى أقضية، يُديرها مساعد مُتصرّف بريطاني، ويستبدل القائم مقام البريطاني الحالي بشخصية كُردية أو عربية قادرٌ على التحدث بالكُردية. ويُخضع اللواء المذكور من الناحيتين المالية والقضائية إلى الحكومة الوطنية في بغداد، كما يُرسل ممثليه إلى الجمعية الوطنية. كما منحت الخطة المفوض السامي البريطاني حق تعيين الإداريين في اللواء المذكور، بعد استشارة السلطات المحلية. وهذه التغييرات ستعني في حالة تطبيقها، خضوع المقاطعات الكُردية، دهوك وزاخو وعقربة وزيبار والعمادية إلى سيطرة بريطانية- عربية مشتركة، لتصبح بهذا الشكل جزءاً رسمياً من العراق.

وبقدر ما يتعلق الأمر بمقاطعات اربيل وراوندوز وكويسنجرق، نصّت الخطة على سيطرة الموظفين البريطانيين على الإدارة المحلية فيها، في حين يتم تعيين الموظفين الصغار وفق رغبات أهاليها الكُرد. بهذا النحو، وبالرغم من كونها جزءاً من دولة العراق المفترضة، تبقى تلك المناطق الكُردية تحت السيطرة البريطانية، كما كان الأمر في السابق. والجدير بالإشارة أن كوكس أسقط من خطته مناطق كُردية مهمة أخرى في لواء

<sup>535</sup> Cox to Churchill, 21 June 1921, C0730/2, PRO .

كركوك، وذلك لجعلها تخضع مباشرةً إلى الحكومة العربية في بغداد. أما المتبقى من مقاطعات كُردستان الجنوبية، وفي مقدمته السليمانية والمناطق المحيطة بها، فتتخضع إلى سيطرة إدارية كُردية- بريطانية مشتركة. ويعين المفوض السامي متصرفاً لها، يستطع مناشدته بصورة مباشرةً، وكما سيُعين كُردياً لمنصب القائممقام.<sup>٥٣٦</sup>

ان الطابع الظاهري والاسعى للضمانات المتعلقة بحماية الكُرد من حدوث اضطهاد عربي لهم، كمشاركة موظفين بريطانيين في الإدارة المحلية في كُردستان الجنوبية، فشل في أن يخفف من مخاوف الكُرد من مستقبل غير بعيد سيخضعون فيه إلى حكم عربي غريب. وبعض التقارير الرسمية البريطانية أدعت نشوء ردود أفعال إيجابية محدودة النطاق تجاه خطة كوكس حتى بين أعضاء المجالس المحلية التي أنشأها британцы في قضاء عقرة وقضاء زاخو. أما في المناطق الكردية الأخرى، التي منح المحليون الكُرد فيها فرصة التعبير عن رأيهم بحرية، فقد عارضتأغلبية كبيرة تلك الخطة بوصفها شكلاً من أشكال الخضوع إلى الحكم العربي. وكان أهالي مقاطعة السليمانية قد رفضوا بأغلبية ساحقة فرض اي حكم عربي عليهم من خلال الاستفتاء المحدود الذي أجري لمعرفة آراء الأهالي تجاه خطة كوكس. وفي مدينة السليمانية، اقتصر حق إبداء الرأي على من كان في حياته ملكية، وهو الأمر الذي يفسر نطاقه المحدود، إذ صوت ٣٢ فقط من أصل ١٩٠ لصالح الاندماج بالعراق. وفي مناطق أخرى، حيث لم تفرض قيود على إبداء الرأي، عارضت غالبية العظمى من الأهالي مشروع الاندماج.

وعلى نطاق قضاء السليمانية، صوت ٣٢ فقط من أصل ٤٠٠ شخص لصالح الاندماج. وفي شهر بازار، صوت الأهالي بالإجماع ضد الخضوع لحكم عربي، في الوقت الذي رحب أحد فروع كونفدرالية الجاف القبلية بمشروع الاندماج.<sup>٥٣٧</sup> وسعى كوكس إلى توظيف تلك النتائج لصالحه، إذ أشار في تقرير أرسله إلى وزارة المستعمرات إلى الطابع الإيجابي لردود فعل قادة الجماعات الكردية تجاه ما أقرره، وأستثنى من ذلك السليمانية. لكن سرعان ما تناقضت نتائج عملية الاستفتاء على تولي الأمير فيصل عرش المملكة العراقية الجديدة مع إدعاءات كوكس الخاصة بالموقف الكردي الحقيقي، حين رفضت غالبية الكُرد بسط سيطرة الحكومة العربية المستقبلية على كُردستان الجنوبية (كما سيوضح ذلك الفصل اللاحق وبالتفصيل).

<sup>٥٣٦</sup> MIR, No.13, 15 May 1921, C0730/2, PRO.

<sup>٥٣٧</sup> MIR, No.14, 1 June 1921, F0371/6352, PRO.

بالرغم من تلك الأمور التي جرت، ظلّ كوكس يتمسّك ب موقفه، مُدعياً أن نجاح النهج البريطاني الجديد، وبالاً خص العملية السياسية الجارية، يعتمد بالدرجة الأولى على كسب الرأي العام العربي. وبحسب تصورات كوكس، لم يكن الکُرد يتمتعون بشعور قومي، على النقيض من العرب، وكما لا يمكن الوثوق بهم من الناحية السياسية. وحينما لم يقدم الأشراف الکُرد مساندة ملحوظة لمشروعه الاندماجي، قام كوكس باستبعادهم من أية مناقشات تتعلق بمستقبل إقليم کردستان الجنوبية، منتهكاً بذلك توصيات كونفرانس القاهرة وكذلك تناقض ذلك تماماً مع أسلوب تعامله مع العرب حول أمور مُشابهة. فبدلاً عن الکُرد الجنوبيين، الذين كان مصيرهم هو موضوع النقاش والمداولات الرئيسية، قام كوكس بمحاورة مجلس الدولة العربي المشكّل في بغداد حول أسلوب التغلب على العقبة الکُردية، حتى انه قام بإبلاغ فيصل باختلاف تصوراته عن تلك التي تبنّاها تشرتشل وكذلك بدعمه المطلق لمشروع اندماج کردستان الجنوبية بملكته العربية الجديدة في العراق.<sup>٥٣٨</sup> وهذه الخطوة توضح بجلاء المدى الذي وصل إليه كوكس في إصراره على استخدام كافة الوسائل والإمكانيات السياسية التي أتاحتها العملية السياسية المتعلقة بتشكيل حكم عربي في تعزيز موقفه أمام وزارة المستعمرات في لندن.

ويُذكر أن كوكس كان قد اتّخذ قبل ذلك خطوة مهمة في اتجاه المشروع الاندماجي حين أخلى الجهاز الإداري في المناطق الکُردية من أولئك الموظفين الذين عارضوا ذلك المشروع، في مقدمتهم الميجر سون، الذين أصبح الآن من أشد دعاة إبقاء کردستان الجنوبية منفصلة سياسياً عن ميزوبوتاميا العربية. وبعد استبداله بـ بگولد سميث في الحقبة التي تلت كونفرانس القاهرة مباشرة، استمر سون في التمسّك ب موقفه عن طريق تزويد وزارة المستعمرات بآرائه عن مواقف الکُرد وردود أفعالهم خاصة تجاه فرض حكم عربي بطريقة تتناقض مع ما كان يدعيه كوكس. واستطاع كوكس، عن طريق إعادة ترتيب الجهاز الإداري في المناطق الکُردية، ان يخلق دعماً واسعاً ل موقفه تجاه مستقبل العلاقة بين إقليم کردستان الجنوبية والعراق العربي. ولهذا بدأ كوكس يؤكد باستمرار وجود إجماع بين أوساط المختصين الميدانيين بالشؤون الکُردية حول

---

<sup>538</sup> High Commissioner for Mesopotamia to S/S for the Colonies, 20 September 1921 C0730/5, PRO.

**ضرورة إلحاق جميع المناطق الـكردية، بما في ذلك السليمانية، سياسياً واقتصادياً<sup>٥٣٩</sup> بالدولة العربية في العراق.**

ان الجانب الأكثر إثارة للانتباـه في خطة كوكس آنفة الذكر هو تمزيق أوصال كـردستان الجنوبيـة سياسياً وإدارياً بطريقـة تعـسفـية لا تستند الى أية ضـرورـات اقتصـاديـة أو اجتماعية أو اثنـية أو تـاريـخـية. فعلى غـرار سـلفـهـ، الكـولونـيـلـ ويـلسـونـ، لم يـبـدـ كـوكـسـ استـعـدادـاـ أو رـغـبةـ تـذـكـرـ في وـصـفـ المـنـاطـقـ الـكـرـدـيـةـ كـوـحـدةـ إـدـارـيـةـ أوـ اـثـنـيـةـ أوـ جـغـرافـيـةـ مشـخـصـةـ المـعـالـمـ حتـىـ لوـ جاءـ الـأـمـرـ ضـمـنـ إـطـارـ الـدـوـلـةـ الـعـرـبـيـةـ الـعـرـاقـيـةـ. فـتـرـكـ السـلـيمـانـيـةـ وـشـائـهاـ لـكـيـ تـتـمـتـ بـحـالـةـ منـ الـانـفـصالـ القـائـمـ عـلـىـ الحـكـمـ الذـاتـيـ سـيـكـونـ، بـحـسـبـ تصـوـراتـ كـوكـسـ، مـصـدـرـ قـلـقـ سـيـاسـيـ جـديـ، إذـ إنـهاـ سـتـشـجـعـ منـاطـقـ كـرـدـيـةـ أـخـرىـ عـلـىـ رـفـضـ الـانـدـمـاجـ الـمـبـاـشـرـ بـالـدـوـلـةـ الـعـرـبـيـةـ فـيـ بـغـدـادـ، مماـ سـيـؤـدـيـ إـلـىـ انـهـيـارـ مـشـرـعـ إـلـحـاقـ كـرـدـسـتـانـ الـجـنـوـبـيـةـ بـالـعـرـاقـ الـعـرـبـيـ بـرـمـتهـ. وـكـانـ كـوكـسـ يـخـشـيـ بـشـكـلـ خـاصـ مـنـ أـنـ الـكـرـدـ سـيـنـقـلـبـونـ، أـوـ فـيـ أـقـلـ تـقـدـيرـ، سـيـبـتـعـدـونـ عـنـ سـلـطـةـ بـغـدـادـ حـالـ ظـهـورـ قـائـدـ قـومـيـ أـوـحـدـ وـنـشـوـءـ مـعـقـلـ قـومـيـ قـويـ. وـهـذـهـ الـاحـتمـالـاتـ كـانـتـ وـارـدةـ إذـ إنـهاـ تـحـقـقـتـ فـيـ خـرـيفـ الـعـامـ ١٩٢٢ـ حـينـ رـجـعـ الشـيـخـ مـحـمـودـ مـنـ مـنـافـاهـ لـيـشـكـلـ حـكـومـتـهـ الثـانـيـةـ (ـكـمـاـ سـيـأـتـيـ ذـكـرـ ذـلـكـ لـاحـقاـ ضـمـنـ هـذـاـ الفـصـلـ).

ولـتـلـكـ الـأـسـبـابـ الـآنـفـةـ الذـكـرـ حـاـولـ كـوكـسـ فـيـ بـرـقـيـةـ بـعـثـهـاـ إـلـىـ تـشـرـتـشـلـ أـنـ يـبـرـرـ رـغـبـتـهـ فـيـ إـخـضـاعـ السـلـيمـانـيـةـ لـلـحـكـمـ الـعـرـبـيـ فـيـ بـغـدـادـ، بـالـرـغـمـ مـنـ الـمعـارـضـةـ الـقوـيـةـ وـالـمـلـمـوـسـةـ الـذـيـ أـبـداـهـ أـهـالـيـهـ تـجـاهـ هـذـاـ المـنـحـىـ الـقـسـريـ، وـذـلـكـ مـنـ خـلـالـ تـأـكـيدـهـ عـلـىـ الـمـخـاطـرـ الـتـيـ سـتـنـجـمـ عـنـهـاـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ وـحدـةـ مـيـزـوـبـوتـامـيـاـ كـلـهـاـ:

سـتـدـرـكـ بـأـنـ الصـورـةـ سـتـكـونـ مـُـشوـهـةـ، بـطـرـيقـ اوـ بـأـخـرىـ، حـينـ تـبـقـيـ السـلـيمـانـيـةـ خـارـجـ (ـالـدـوـلـةـ الـعـرـبـيـةـ) بـمـفـرـدـهــ. انـ الـعـوـائـقـ الـجـمـرـكـيـةـ الـمـرـتـبـطـةـ بـهـذـاـ الـحـلـ سـتـكـونـ مـصـدـرـاـ دـائـمـاـ لـلـمـصـاعـبــ. فـيـ حـالـ السـماـحـ لـلـسـلـيمـانـيـةـ بـالـانـفـصالـ، فـإـنـ الـبـصـرـةـ وـالـجـمـاعـاتـ الـأـخـرىـ سـتـقـتـدـيـ بـهـاـ، وـسـيـكـونـ مـنـ الصـعـبـ (ـعـلـيـنـاـ) مـُـجـادـلـتـهـاـ.<sup>٥٤٠</sup>

<sup>٥٣٩</sup> High Commissioner for Mesopotamia to S/S for the Colonies, 5 June 1921 & MIR, No.13, 15 May 1921, C0730/2, PRO.

<sup>٥٤٠</sup> High Commissioner for Mesopotamia to S/S for the Colonies, 5 June 1921, C0730/2, PRO.

وفي محاولة منه لطمأنة تشرتشل حول نجاح مشروعه الاندماجي، طرح كوكس فكرة منح السليمانية ضمانت بريطانية بصيغة قيام إدارة بريطانية- كُردية مشتركة فيها لمدة ثلاثة سنوات بهدف إقناع أهاليها بالتخلي عن موقفهم الرافض للخضوع لحكم الدولة العربية العراقية.<sup>٤١</sup>

وبعد تبليغه بعدم انسجام نهجه الخاص في التعامل مع مستقبل كُردستان الجنوبية مع النهج العام الذي أقره كونفرانس القاهرة، أدعى كوكس انه خرج من ذلك الكونفرانس بانطباع مغاير وهو ان وزارة المستعمرات وقفت مع مشروعه الاندماجي، الذي كان قد طرحت على المُشاركين!<sup>٤٢</sup> ولكن، محاضر جلسات الكونفرانس المذكور تُبيّن ومن دون أي لبس ان موازين الآراء كانت لصالح خيار إبقاء كُردستان الجنوبية منفصلة عن العراق العربي، وإن توصياتها لم تكن غامضة في صياغتها بحيث يُمكن تفسيرها بطرق مختلفة أو متضاربة. فمن جانب، تضمنت التوصيات قيام دولة عربية تتشكل من ولايتي بغداد والبصرة يحكمها أمير من أبناء الشريف حسين، ومن جانب ثانٍ، أكدت على ضرورة بقاء كُردستان الجنوبية منفصلة، لكي تؤدي دور الكيان الحاجز القادر على حماية العراق من تهديدات القوى الكمالية التركية.

من الصعب جداً التخيّل أن موقف كوكس نجم عن سوء فهم لتوصيات كونفرانس القاهرة، خاصة لأنَّه كان الشخص المعنى الذي أوكلت إليه مهمة تطبيق السياسة البريطانية ميدانياً. فضلاً عن ذلك، فإن ملاحظات هيوبرت يانغ المصادفة ليومي ٢٠ و ٢١ حزيران ١٩٢٣ توضح بجلاء ان كوكس ((رفض)) بوعي وعن دراية توصيات الكونفرانس المذكور المتعلقة بإنشاء دولة كُردية بوصفها الكيان الحاجز.<sup>٤٣</sup> إن خطوات كوكس، التي أعقبت الكونفرانس، تُدلل بجلاء انه كان مصمماً على إتباع مختلف السُّبُل من أجل تعبيد الطريق أمام عملية دمج كُردستان الجنوبية بالدولة العربية المُزمع إنشاؤها في العراق، بغض النظر عن موافقة أهاليها أو رفضهم. وبالفعل، ولدى إبلاغه بعدم تطابق مقتراحاته مع موقف وزارة المستعمرات تجاه الوضع الكردي، ظلَّ كوكس يتمسك بموافقه القديم وذلك عن طريق طرح مشروع اندماجي معقد آخر

<sup>٤١</sup>Ibid.

<sup>٤٢</sup>High Commissioner for Mesopotamia to S/S for the Colonies, 21 June 1921, F0371/6346, PRO.

<sup>٤٣</sup>Young, Colonial office Minute of 20 June 1923 & H. Read, Colonial Office Minute of 21 June 1923, C0730/40, PRO.

يتعلق بمستقبل كردستان الجنوبية. ولم يكن المشروع الجديد سوى خطة لتمزيق أوصال المناطق الكردية سياسياً وإدارياً تمهيداً لإخضاع القسم الأعظم إلى الحكم العربي في بغداد. وبموجب فقرات المشروع الجديد ستضم جميع المناطق الكردية إلى الشمال من الراافدين الزاب الكبير والزاب الصغير ( خاصة القضية الكردية الخمسة: عمارية وعقرة ودهوك وزاخو وسنجر) مؤقتاً إلى الدولة العراقية، ولكنها ستحتفظ بحق تقرير مصيرها في المستقبل. ثانياً، ستكون المناطق الكردية شبه الجبلية الواقعة بين الراافدين الكبير والزاب الصغير، ومنها اربيل، ضمن الدولة العراقية. ثالثاً، ستخضع لسيطرة كوكس المباشرة القضية الكردية الجبلية الواقعة بين الراافدين المذكورين، مثل راوندوز ورانيه، التي ربما يمكن توحيدها مع مقاطعة السليمانية بهدف تشكيل إقليم منفصل خارج العراق. وأخيراً، يمكن لبقية المناطق الكردية الانضمام إلى الإقليم الكردي بعد مرور ثلاث سنوات على إلحاقها المؤقت بالدولة العراقية.<sup>٥٤٤</sup>

### **أسلوب تعامل تشرتشل مع مسألة مستقبل كردستان الجنوبية**

ان تصريح تشرتشل في مجلس العموم البريطاني، حين قام بتسلیط الضوء على علاقات بريطانيا المستقبلية مع كل من العراق العربي وكُردستان الجنوبية، يُعدّ أهم دليل على ان توصيات كونفرانس القاهرة أصبحت مُرشداً لسياسة حكومته تجاه شؤون كُردستان الجنوبية ومستقبلها على المدى المنظور. فيما ان الكُرد لا يستحسنون مستقبلاً يخضعون فيه لسلطة حكومة عربية)، بحسب تأكيدات تشرتشل، فإنه ينبغي على كوكس أن يدير شخصياً شؤون كردستان الجنوبية وبشكل مباشر. فهو صفة المفهوم السامي لميزوبوتاميا، سيؤدي كوكس «وظيفتين مزدوجتين» نحو كُردستان الجنوبية والعراق معاً<sup>٥٤٥</sup>. ولم يخف تشرتشل تفاؤله من ان الكُرد الجنوبيين سيقبلون بالإتحاد مع العراق العربي مستقبلاً تحت إشراف بريطانيا وتدخلاتها. ولكن، ما قصده تشرتشل بكلمة «الإتحاد» في ذلك التصريح هو شكل من

<sup>٥٤٤</sup> High Commissioner for Mesopotamia to S/S for the Colonies, 21 June 1921, F0371/6346, PRO.

<sup>٥٤٥</sup> Middle East, Government Policy, 14 June 1921, House of Commons. Robert Rhodes James, **Winston S. Churchill, His Complete Speeches, 1897-1963**, Vol.III, 1914-22. (Chelsea House Publishers, London & New York 1974), pp.3104-3105.

أشكال العلاقة الكونفدرالية بين المنطقتين الكردية والعربية، ولهذا لا ينبغي مساواة تلك الكلمة بمفاهيم أخرى كالاندماجية أو دولة أحادية المركز. يقول تشرتشل بهذا الصدد:  
أريد ان اوضح بصورة جلية اننا نطور، كما كان جارياً، مبدأ الحكم الذاتي  
لكردستان الجنوبية ضمن إطار منطقة ميزوبوتاميا العامة، في نفس الوقت الذي  
تطور فيه حكومة ذاتية عامة في ميزوبوتاميا.<sup>٥٤٦</sup>

بتعبير آخر، سيكون هناك كيانان، حسب رؤية تشرتشل الرسمية، يختلف الواحد عن الآخر في مستوى التطور السياسي والمكانة. ففي الوقت الذي سيكون فيه الكيانان مُتحدنان من حيث مصالحهما الاقتصادية والإستراتيجية، فإنهما سي Bipartite منفصلين إدارياً وسياسياً. وفي خطبه وتصريحاته واتصالاته، استخدم تشرتشل بصورة متكررة كلمة (البلد) من أجل التأكيد على سمة كردستان الجنوبية بوصفها كياناً منفصلاً. وكان تشرتشل يأمل في أن الإرشادات التي سيمعنها الموظفون البريطانيون الميدانيون وقيام المفوض السامي البريطاني بدور الإشراف المباشر ستساعد الكرد الجنوبيين على إدارة شؤونهم السياسية والإدارية والدعاية والأمنية من دون الحاجة إلى إخضاعهم لحكم الملك فيصل. وكما أكد تشرتشل في برقيته بعثها إلى كوكس بعد أربعة أيام فقط من الإدلاء بذلك التصريح أن الهدف هو المحافظة على كردستان الجنوبية ((متميزة عن البلدان العربية، كما هي النببال متميزة عن الهند)).<sup>٥٤٧</sup>

ولغاية شهر تشرين الأول من العام ١٩٢٢، وهو التاريخ الذي فقد فيه منصبه كوزير للمستعمرات في أعقاب انهيار حكومة لويد جورج الانقلافية، استمر تشرتشل في موقفه وتأكيده مراراً على التزام لندن بمبدأ عدم إرغام الكرد الجنوبيين على الانضمام إلى الدولة العراقية العراقية على الضد من رغباتهم وتوجهاتهم. وفي نفس الوقت، لم تلق أي من مقتراحات كوكس المتعلقة بالاندماج الجزئي والموقت أو الكلي وال دائم لكردستان الجنوبية في دولة العراق قبولاً من لدن رئيشه تشرتشل، الذي أصرّ على ضرورة وجود تمييز سياسي وإداري واضح المعالم بين المنطقتين الكردية والعربية،<sup>٥٤٨</sup> بحيث تخضع الأولى لإشراف المفوض السامي بصورة مباشرة لحين إقرار مصيرها بواسطة أهاليها، في حين تخضع الثانية لسلطة عربية.<sup>٥٤٩</sup> فضلاً عن كل ذلك،

<sup>٥٤٦</sup> Ibid.

<sup>٥٤٧</sup> Churchill to Cox, 18 June 1921, C0730/2, PRO.

<sup>٥٤٨</sup> Colonial Office Minute No.31558, 23 June 1921, C0730/2, PRO.

<sup>٥٤٩</sup> S/S for the Colonies to High Commissioner for Mesopotamia, 24 June 1921, F0371/6346, PRO.

قام تشرتشل بالتشكيك في المسوفات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية التي قام كوكس باستخدامها في دعم مشروعه الاندماجي.

فمن حيث التوزيع الثنائي، الذي كان قد استخدمه كوكس بوصفه برهاناً على عدم إمكانية تطبيق خيار الانفصال من الناحية الفنية والعملية، كان تشرتشل قادرًا بفضل مساعدة نوئيل وسون ويانغ على التأكيد في أنه لا توجد مصاعب جدية في حالة القيام برسم الحدود الفاصلة بين كُردستان الجنوبية، من جانب، وميزوبوتاميا العربية، من جانب ثانٍ. فضلاً عن ذلك، أدخل تشرتشل جميع المناطق الـكردية، التي أدعى كوكس بعدم غلبة الطابع الـكردي عليها، مثل كركوك وكفرني واربيل، إلى الإقليم الـكردي الحاجز. لقد توسلَ تشرتشل بآراء ووصيات موظفين بريطانيين كانوا يعملون ميدانياً، في مقدمتهم الميجر نوئيل والميجر سون والكابتن لونغريك، لدى محاولة رسم الحدود الثنائية لـكُردستان الجنوبية مع ميزوبوتاميا العربية.<sup>٥٥٠</sup> لقد كان للعامل الثنائي منزلة محورية في أطروحة تشرتشل الإستراتيجية المتمثلة في تشكيل كيان كُردي منفصل بوصفه أفضل الطرق للتصدي للتهديدات التركية- الكمالية المستمرة. أما بالنسبة إلى كوكس فإن الفحص الثنائي سيمنح العراق العربي موقعًا استراتيجيًّا ضعيفًا وحدودًا شماليًّا لا يمكن الدفاع عنها.<sup>٥٥١</sup> كما أن العامل الثنائي سيفقد أهميته، بحسب إدعاء كوكس، حينما تبقى كُردستان الجنوبية والعراق العربي تحت انتداب بريطاني واحد.

في شهر تشرين الأول شدَّ هيوبرت يانغ رحاله إلى بغداد في مهمَّة يبلغ من خلالها الملك فيصل بشكل خاص موقف وزارة المستعمرات البريطانية تجاه مستقبل كُردستان الجنوبية. وفي اللقاء، بينَ يانغ بشكل واضح وصريح أنَّ السياسة البريطانية كانت مبنية على عدم تشجيع «الإمبريالية العربية» في صيغة فرض حكم عربي اعتباطي على الـكرد الجنوبيين غير الراغبين في ذلك، وإنَّه إذا ما ساندت بريطانيا الإدعاءات العربية وألحقت كُردستان الجنوبية في العراق على الضد من رغبات أهاليها، فإنَّ الكماليين سيتمكنون من سوء استغلال ردود الأفعال الـكردية المعادية للعرب، بما

<sup>٥٥٠</sup> S/S for the Colonies to High Commissioner for Mesopotamia, 25 may 1921, C0730/2, PRO.

<sup>٥٥١</sup> High Commissioner for Mesopotamia to S/S for the Colonies, Part One: 24 June & Part Two: 5 July 1921, F0371/6346, PRO.

في ذلك كسب مؤيدين لهم من الكُرد ضد العراق العربي وبريطانيا. وإذا ما حاولت بريطانيا تحويل كُردستان الجنوبية الى مجرد (محمية بريطانية مباشرة)، فإن الكماليين سيلجئون الى الدعاية الإسلامية المغالية بهدف تأليب الكُرد ضد البريطانيين. ففي كلتا الحالتين فإن مصالح بريطانيا والعراق ستتعرض الى مخاطر جدية.

لقد سعى يانغ عن طريق طرح مثل تلك الاحتمالات وصيغ مختلفة للعلاقات بين الأطراف الثلاثة المعنية وهي بريطانيا وال伊拉克 العربي وكُردستان الجنوبية، ان يقود الملك فيصل الى خيار ثالث يمنع وقوع أية تطورات غير مرغوب فيها، يتمثل بتقوية نزعة القومية الكُردية من خلال تشكيل دولة جنوبية تحت إشراف بريطانيا ورعايتها المباشرة. فمن وجهة النظر الإستراتيجية، بحسب اعتقاد يانغ، ستؤدي كُردستان جنوبية صديقة دور الدرع الصلد، الذي سيحمي حدود ميزوبوتاميا الشمالية، في حين ان الكُرد الجنوبيين بدورهم سينتفعون اقتصادياً من منافذ العراق العربي الى البحر وأسواقه.<sup>٥٥٢</sup> ولتلك الأسباب، أوضح يانغ أن مصلحة العراق العربي تكمن في أن تبقى كُردستان الجنوبية منفصلة.

أن حديث يانغ آنف الذكر يسلط الضوء على حدة التناقض بين أطروحتين رئيستين تتعلقان بتوفير أفضل السُّبُل السياسية لحماية المصالح البريطانية على المدىين المنظور والبعيد. فمن جانب استندت أطروحة تشرتشل الى تعزيز النزعة القومية الكُردية في كُردستان الجنوبية بوصفها عاملًا يمكن استغلاله لاحتواء التهديدات الخارجية. وهذه الأطروحة تختلف تماماً في الشكل والمحتوى عن تلك التي دافع كوكس عنها والقائمة على مساندة النزعة القومية العربية خارج المناطق العربية والمتمثلة بفرض سيطرة عربية سياسية وإدارية على المناطق الكُردية حتى لو جاء على الصد من رغبات أهاليها.

فيما يتعلق بالمسوغ الاقتصادي الذي استندت إليه أطروحة كوكس المتعلقة بضرورة ضم كُردستان الجنوبية الى العراق العربي، لم يُعد بقاء حالة الانفصال السياسي والإداري، بحسب الأسلوب الذي اقترحه تشرتشل، يُشكل حاجزاً يمنع إقامة وحدة اقتصادية وثيقة بين عرب ميزوبوتاميا والكُرد الجنوبيين بذات الطريقة التي ستجمعهما مصالح إستراتيجية مشتركة. فعلى النقيض من كوكس، الذي عَدَ الانفصال

<sup>552</sup> Cox to Churchill, 25 October 1921, C0730/6, PRO.

خياراً سلبياً وضاراً على النفوذ البريطاني في العراق العربي بحجة أن فكرة وجود كُردستان جنوبية منفصلة ستثير سخط العرب وغضبهم، اعتقاد تشرتشل ان إخضاع ذلك الإقليم الى بغداد سيقوى موقف العرب كثيراً على حساب البريطانيين. لهذا فإن إبقاء كُردستان جنوبية منفصلة خيار سياسي مفيد، من وجهة نظر تشرتشل، خصوصاً إذا ما سعت بريطانيا الى تقوية نفوذها في العراق العربي. فلكل تلك الأسباب الإستراتيجية والسياسية، أصرَّ تشرتشل على ان يكون النهج البريطاني قائماً على وجود كُردستان جنوبية منفصلة، بحيث لا يمكن «الانحياز عنه سواء تحت ضغوط العرب أو آية أسباب أخرى».<sup>٥٥٣</sup>

أن موقف تشرتشل القائم على أطروحة إبقاء شؤون كُردستان الجنوبية السياسية والإدارية منفصلة عن العراق العربي قد تبلور، كما تم الإشارة إليه، قبل وصول الأمير فيصل الى بغداد. وكان بمقدور الموظفين البريطانيين أن يؤدوا دور حلقة الوصل والمنسق بين البلدين الكُردي والعربي على مختلف الأصعدة. وهذا الأمر، بحسب اعتقاد تشرتشل، سيمنع العرب من التدخل في الشؤون الكُردية.<sup>٥٥٤</sup> وبالرغم من كل ذلك، تغير الموقف مع وصول الأمير فيصل الى بغداد واتخاذ الاستعدادات لإجراء استفتاء عام يُضفي شرعية سياسية على قرار بريطانيا بتنصيب ملكٍ غريب على عرش العراق العربي. وسرعان ما توقف تبادل وجهات النظر والاطروحات المختلفة الخاصة بمستقبل كُردستان الجنوبية بين وزارة المستعمرات والسلطات البريطانية الميدانية في ميزوبوتاميا. ولمنع المسألة الكردية من ان تصيب عائقاً بوجه الترتيبات المتعلقة بتنصيب الأمير فيصل ملكاً على العراق العربي، لم تقم وزارة المستعمرات بتأجيل موضوع رسم الحدود الأثنية بين كُردستان الجنوبية وميزوبوتاميا العربية فحسب، بل أيضاً موضوع المستقبل السياسي للإقليم الكُردي.<sup>٥٥٥</sup> علاوة على هذا، خفَّ تشرتشل من موقفه الحازم السابق حين قبل باشتراك الكُرد الجنوبيين في الاستفتاء المزمع إجراؤه لمبايعة فيصل ملكاً على عرش العراق العربي، لكنه، مع

<sup>٥٥٣</sup> S/S for the Colonies to High Commissioner for Mesopotamia, 13 June 1921, C0730/2, PRO.

<sup>٥٥٤</sup> S/S for the Colonies to High Commissioner for Mesopotamia, 9 June 1921, C0730/2, PRO.

<sup>٥٥٥</sup> Colonial Office Minute No.31558, 23 June 1921, C0730/2 & S/S for the Colonies to High Commissioner, Priority, 9 July 1921, F0371/6552, PRO.

ذلك، أكد مجدداً التزامه ((بمبدأ عدم سيطرة العرب على الْكُرد))<sup>٥٥٦</sup> وان يتم إعلام الآخرين بأنهم أحرار في مسألة المشاركة أو عدم المشاركة في الاستفتاء المذكور، من دون ان يهدد ذلك مصالحهم. وهذا الأمر يكشف عن تناقض جلي بين التزام وزارة المستعمرات بمبدأ عدم إخضاع الْكُرد الجنوبيين الى حكم عربي، من جانب، وفكرة السماح لهم بالمشاركة في العملية السياسية الجارية في ميزوبوتاميا العربية، من جانب ثانٍ. وربما يفسر وجود هذا التناقض الضمني رغبة تشرتشل في ان يشكل الاستفتاء مناسبة تمكن البريطانيين من معرفة الموقف الحقيقي للْكُرد تجاه الأمير فيصل والحكم العربي.

أما بالنسبة الى كوكس فإن مشاركة الْكُرد الجنوبيين في الاستفتاء مَثَّلت فرصة لا يمكن تفوتها بأن أهالي كُردستان الجنوبية يميلون بشكل قاطع وأكيد الى خيار الاندماج، وهو الأمر الذي سيقرر تلقائياً وبطريقة حاسمة ونهائية مستقبل ذلك الإقليم وعلاقته بالعراق العربي وبريطانيا. لقد كان كوكس وفيصل متفائلين بقدرتهم على إقناع سكان المقاطعات الْكردية بالتصويت لصالح خيار الإلحاق بالدولة العربية في بغداد والبصرة. ومن جانبه، عَدَ رفيق حلمي قضية اختيار فيصل ملكاً على الدولة الجديدة محاولة بريطانية لتسوية المسألة الْكردية عن طريق إخضاع كُردستان الجنوبية الى الحكم العربي.<sup>٥٥٧</sup>

وبالرغم من الجهود الحثيثة التي بذلها كوكس ومساعدوه في المقاطعات الْكردية، رفضت الغالبية العظمى من الْكُرد الجنوبيين مبادعة فيصل ملكاً عليهم، وهذا الأمر يعني ضمنياً رفض الانضمام الى دولة العراق العربي (أنظر الفصل السابع لمزيد من التفاصيل حول موضوع الاستفتاء). وأدى عجز كوكس في إقناع أهالي كُردستان الجنوبية بالاندماج بالعراق العربي، من جانب، وتصاعد عدم الاستقرار السياسي والأمني في ذلك الإقليم، من جانب ثانٍ، الى دفع خيار الانفصال الى الواجهة بقوة بوصفه الحل الوحيد للخروج من المأزق السياسي والأمني. وتمثلت إحدى إفرازات الاستفتاء بقيام وزارة المستعمرات بالتدخل مباشرة في السياسة الْكردية الميدانية

<sup>556</sup> Churchill to Cox, 9 July 1921 -in- Martin Gilbert, **Winston S Churchill**, Vol.IV: Companion Part 3, Documents, April 1921-November 1922, (London: Heinman, 1977), p-1548.

<sup>557</sup> حلمي، ياداشت، ج ٢، ص ٣٤٥-٣٤٦.

ولتقيم علاقة إيجابية جديدة مع القومين الُّكُرُد حيث سمحت لهم بإقامة حكومة أهلية للمرة الثانية. وبالرغم من معارضته كوكس القوية، سمحت وزارة المستعمرات برجوع الشيخ محمود من منفاه في الهند، حتى إنها بعثت بالميجر نوئيل لمراقبته في طريقه إلى السليمانية، وللإشراف على تطبيق الإجراءات الجديدة الخاصة بتشكيل حكومة كُردية.

### تشكيل الحكومة الُّكُردية الثانية في خريف العام ١٩٢٢: الملابسات والغايات

لم يساعد إعلان بنود معايدة سيفر ولا السياسة البريطانية الميدانية في إعادة الاستقرار للوضع السياسي في كُردستان الجنوبية. وشكلت المناطق الجبلية، خاصة في راوندوز والسليمانية وبازان وعقرة، مسرحاً لاحتلال الأمن والنظام. وانشغلت السلطات البريطانية في ميزوبوتاميا بصورة مستمرة في تنفيذ عمليات عسكرية جوية وبرية لوضع حد للتمرادات المحلية بين الُّكُرُد، ومنهم السورجيين والزيباريين والبارزانيين والخوشناويين.<sup>٥٥٨</sup> وفي محاولة منهم لاسترجاع مناطق كانت خاضعة في الماضي للحكم العثماني، قام الكماليون الأتراك باستغلال الوضع القائم غير المستقر عن طريق إرسال بعض الأسلحة والضباط إلى المنتفضين الُّكُرُد، وكذلك من خلال تنظيم جمعيات سياسية بهدف شن حملة دعائية معادية للوجود البريطاني في مناطق كُردستان الجنوبية وميزوبوتاميا العربية.

وفي الوقت ذاته، بدأت تتضح معالم حركة سياسية واسعة في السليمانية، سرعان ما توسيعت لتشمل مناطق أخرى، كحلبجة وكيري وكركوك. وهذه الحركة التي امتنجت فيها عناصر التنسيق المسبق والعنفية والارتجالية، بدأت بالضغط على السلطات البريطانية الميدانية من أجل إطلاق سراح الشيخ محمود من أسره وعودته من منفاه إلى كُردستان الجنوبية.<sup>٥٥٩</sup> وفي الوقت نفسه، واصل بعض من أنصار الشيخ محمود نشاطاتهم المسلحة ضد الوجود البريطاني في منطقة السليمانية وضواحيها. ويتبين من الوصف الذي يقدمه أحد المعاصرین عن تلك الحقبة وعن الموقف البريطاني في كُردستان الجنوبية ان الوضع كان أسوأ بكثير مما كشفت عنه السلطات

<sup>٥٥٨</sup> MIR, No.16, 1 July 1921 F0371/6352 & NO.20, 1 September 1921 F0371/6353 & No.9, 1 May 1922 & No.11, 1 June 1922, F0371/7771, PRO.

<sup>٥٥٩</sup> MIR, No.23, 15 October 1921, F0371/6353 & No.8, 15 April 1922, F0371/7771, PRO.

البريطانية في بغداد في تقاريرها عن الوضع السياسي العام.<sup>٥٦٠</sup> وجميع تلك الأمور ثدلل على ان التحول في السياسة الميدانية البريطانية تجاه الكرد كان أمراً لا بد منه.

ومن جانبه حاول كوكس ان يرجع المشكلات التي كانت إدارته تواجهها في كردستان الجنوبية في المدة التي أعقبت كونفرانس القاهرة الى نشاطات دعائية واسعة قام بها الكماليون الأتراك،<sup>٥٦١</sup> بدلأ من سياساته الميدانية، التي أثارت إستياء الكرد وعارضتهم لها. واشتد القلق الكردي والتمردات المحلية بشكل خاص مع انتلاقة بناء الدولة العربية في ولاليتي بغداد والبصرة، كما يتضح من كلام احد الأشراف الكرد مع مساعد الموظف السياسي البريطاني في منطقة چمچمال، الذي كان يطالب بعودة الشيخ محمود بصورة عاجلة الى كردستان:

ان سياسة الحكومة البريطانية غير متجانسة بشكل خطير. فالبريطانيون كانوا قد انكروا على الكرد طموحاتهم العرقية. وفي الوقت الذي يحمل فيه (البريطانيون) على اكتافهم فيصل والحكومة العراقية، فإنه لم يُبدوا أية رغبة مشابهة تجاه الشيخ محمود وكُردستان. وفي حالة عدم قيام حكومة صاحب الجلالة البريطانية بالدور المنظر منها، فإن الكرد سيعارسون ضغوطهم بصورة سلمية، وإنما ذلك بديل آخر سوى الفوضى التي ترعاها الدعاية التركية.<sup>٥٦٢</sup>

عموماً، جاء الفراغ السياسي وعدم الاستقرار الأمني في مختلف مناطق كردستان الجنوبية نتيجة للتضاد هواجس مختلفة عكست رغبات وأولويات متباعدة. ففي المقام الأول، كان هناك فريق من الكرد من الذين كانوا يخشون من فرض حكم عربي على كردستان الجنوبية، ولمنع وقوع مثل هذا التطور سعوا حيثماً الى الحصول على ضمانات بريطانية مشخصة بشأن عدم تغيير الوضع القائم، أي استمرار الإدارة البريطانية. وثانياً، كان هناك فريق آخر من الكرد من الذين كانوا يشككون ببنو ابي البريطانيين السياسية في كردستان الجنوبية، ولهذا سعوا الى إبقاء مناطقهم بعيدة عن سيطرة البريطانيين والعرب على حد سواء. وعدّ هؤلاء تعاونهم مع الكماليين الأتراك

<sup>560</sup> حلمي، ياداشت، ج ٢، ص ٥٦٥-٥٨٠.

<sup>561</sup> High Commissioner for Iraq to S/S for the Colonies, 1 February 1922, F0371/7780,PRO.

<sup>562</sup> Iraq Intelligence Report (IIR), No.12, 15 June 1922, F0371/7771, PRO.

مجرد وسيلة لتحقيق تلك الغاية. وفضلَ هذا الفريق الْكُردي، كآخر خيار له، عودة الحكم التركي على الخصوص لحكم عربي، ذلك لاعتقادهم وحسب القول الدارج ان الشيطان الذي تعرفه أفضل من الشيطان الذي لا تعرفه. وأخيراً، الموقف الأكثر أهمية الذي اتخذه فريق القوميين الْكُرد، الذين لم يبغوا شيئاً سوى إقامة إدارة أهلية كُردية بمساعدة بريطانية أو حتى بدونها.

ان الفراغ السياسي وعدم الاستقرار الأمني القائمين واحتمالات تطورهما الى انتفاضة عامة معادية للبريطانيين تشمل جميع أنحاء كُردستان الجنوبية قد أثارت مخاوف حقيقة لدى وزارة المستعمرات، التي أبدت اهتماماً ملحوظاً خاصة وان الحكومة البريطانية قد عزمت على سحب حاميتها الامبرialisية من ميزوبوتاميا بأسرع وقت ممكن. ان الأمر الذي ضاعف من المخاوف البريطانية هو إصرار الكماليين الآتراك على مقاومة تطبيق بنود معاهدة سيفر، خاصة فيما يتعلق بكُردستان العثمانية وارمينيا. وبعد تحقيقها انتصارات لافتة للنظر على اليونانيين والأرمén، أصبح الكماليون الآتراك في موقف أفضل بحيث أتاح الفرصة لهم لتركيز مساعيهم السياسية والعسكرية على جبهة كُردستان الجنوبية الواقعة ضمن الانتداب البريطاني، وهو الإقليم الذي كانوا قد تدخلوا في شؤونه الداخلية عن طريق تزويد بعض المنتفعين الْكُرد بالأسلحة والضباط.<sup>٥٦٣</sup> ومكنت مثل هذه التدخلات الكماليين الآتراك من التوажд والتغلغل في عمق المناطق الْكُردية إلى الحد الذي شوهد فيه ضباط آتراك يرافقون المنتفعين الْكُرد في مقاطعات كُردية مهمة، مثل راوندوز ورانيه وكويسنجلق. فضلاً عن ذلك، وفي ظاهر الأمر، كان الموقف السياسي التركي - الكمالي أقوى من الموقف البريطاني بقدر ما تعلق الأمر ببنيل ود الْكُرد الجنوبيين وتأييدهم خاصة وان الميثاق الوطني الذي نادى به مصطفى كمال قد أعرّف بحكومة ذاتية للْكُرد الشماليين. كما تعهد المجلس الوطني للكماليين بإقامة إدارة ذاتية (لأشراف الأمة الْكُردية) بالتوافق مع عادتهم القومية. وتضمنت التعهدات الكمالية إعطاء الْكُرد الشماليين حق اختيار حاكم عام ومساعد له، ومفترش، فضلاً عن انتخاب مجلس وطني كُردي بطريقة حرة في الولايات الشرقية.<sup>٥٦٤</sup>

<sup>٥٦٣</sup> High Commissioner for Mesopotamia to S/S for the Colonies, 26 August 1921, F0371/6346f PRO.

<sup>٥٦٤</sup> Rumbold to Curzon, 29 March 1922, F0371/7781, PRO.

من الطبيعي ان يثير النهج الذي اتخذه الكماليون تجاه الوضع الكردي مخاوف البريطانيين لما له من آثار سياسية سلبية مباشرة على الكرد الجنوبيين. والأمر اللافت للنظر ان رئيس وزراء البريطاني، لويد جورج، كان قد أدرك خطورة الموقف حين أثار انتباه تشرتشل الى ضرورة ان يأخذ البريطانيون في الحسبان لدى صياغة مستقبل كردستان الجنوبية المحاولات الكمالية ((إغراء الكرد الجنوبيين بالتعاون مع إخوتهم الشماليين بهدف ضمهم الى دولة أناضوليا)).<sup>٥٦٥</sup> وكانت التقارير البريطانية المتعلقة بالنشاطات الكمالية- التركية في كردستان الجنوبية قد تزايدت فيها أخبار غير سارة بشكل ملحوظ:

ان الوضع الكردي حساس بشدة. من الممكن، في اقل تقدير، إذا لم تكن فرضية محتملة، ان الأتراك، وهم ما زالوا عازمين على مهاجمة العراق في الربيع، يعملون بشكل مقصود لدق اسفين بين الكرد وبيننا. نحن نعلم ان تركيا مستعدة لمنع كردستان (الشمالية) حكماً ذاتياً محلياً واسعاً. ونحن نعلم ان الكرد انفسهم يعملون من اجل تحقيق شكل من اشكال الاستقلال تحت حماية قوة ما.<sup>٥٦٦</sup>

وذلك كانت خلفية إرسال وزارة المستعمرات تعليمات بصورة متكررة الى كوكس بشأن الحاجة الى طمأنة الكرد الجنوبيين بأن لندن لن تجعلهم خاضعين لحكم عربي على الضد من إرادتهم، وان يقوم كوكس هو نفسه بمهمة إدارة الشؤون الكردية بالانسجام مع رغبات المحليين. وكل هذا يفسر لماذا بقيت إدارة إقليم كردستان الجنوبية منفصلة وغير متأثرة بالتطورات السياسية المت sarعة الحاصلة في ميزوبوتاميا العربية. علاوة على ذلك، أقام الكرد الجنوبيون أجهزة خاصة لتسخير شؤونهم المحلية، كال المجالس التي شكلت في كفري وكويسنجرج بهدف إدارة شؤونها المحلية.<sup>٥٦٧</sup> وفي كانون الثاني من العام ١٩٢١، أقامت مقاطعة السليمانية مجلساً محلياً منتخبأ لها، ترأسه الميجير گولد سميث، وضمّ ممثلي كرداً جاءوا من أربعة أقضية كردية، وهي حلبة وشهر بازار وچمچمال ورانيه. وتمثلت مسؤولية المجلس بتسيير الشؤون المحلية المالية والاقتصادية والتعليمية وغيرها.<sup>٥٦٨</sup>

<sup>٥٦٥</sup> Message from Prime Minister to Mr. Churchill, No.193, 22 March 1921, F0371/6342f PRO.

<sup>٥٦٦</sup> Baghdad, News Summary for Period Ended 21 December 1921, C0730/8, PRO.

<sup>٥٦٧</sup> MIR, No.23 15 October 1921, F0371/6353, PRO.

<sup>٥٦٨</sup> Residency, Baghdad, 7 December 1921, C0730/8, PRO.

على الرغم من اتخاذ تلك الخطوات، ظلَّ البريطانيون في حاجة إلى تبني إجراءات أوسع وأعمق في كُردستان الجنوبية لكي يستطيعوا تغيير الوضع القائم لصالحهم. وفي أثناء ذلك، واصل أنصار الشيخ محمود نشاطاتهم غير مكتفين بالتغييرات الإدارية المعتدلة في السليمانية، حيث ركزوا جهودهم على جبهتين: سياسية وعسكرية. فمن جانب، قام هؤلاء بتحرك سياسي واسع النطاق مدعوماً بحملة دعائية بهدف التحفيز بعودة الشيخ محمود إلى كُردستان الجنوبية. وكانت السلطات البريطانية الميدانية قد تسللت ثلاث عرائض وقعاها الكثير من الوجوه الْكردية المحلية في مقاطعة السليمانية.<sup>٥٦٩</sup> ورفعوا عرائض مماثلة وقعت عليها وجوه كُردية معروفة في كركوك وكفري وتضمنت إشارات واضحة إلى السلطات البريطانية في أن بإمكانهم نيل مساندة الْكرد وثقتهم إذا ما أطلقوا سراح الشيخ محمود وأرجعواه إلى موطنَه وسمحوا بإقامة حكومة ذاتية كُردية. ومن جانب ثانٍ، كثَّفَ أنصار الشيخ محمود من نشاطاتهم المسلحة حيث قام الهماوينيون الْكرد بقتل الكابتن أُس بوند، مساعد الموظف السياسي في چمچمال، والكابتن آر كي مكانت.<sup>٥٧٠</sup> وكانت الهجمات التي شنها محمود دزلي في منطقة حلبة قد أدت إلى قتل كابتن فيتزغيبون، فضلاً عن قتل أو اختفاء ما يقارب ٢٠ آخرين.<sup>٥٧١</sup>

وهذه التطورات عملت بصورة غير مباشرة على تعزيز الأهمية السياسية لبعض القوميين الْكرد، من الذين كانت توجهاتهم القومية معادية بشكل صريح للكمالية- التركية. وبسبب تدهور الوضعين السياسي والعسكري بوتيرة متسرعة، لم يكن بإمكان البريطانيين ان يتغاهلو أولئك القوميين الْكرد، خاصة وإنهم كانوا يُعدون وسيلة تصدي للتهديدات الكمالية- التركية المتزايدة. وأنشأ هؤلاء القوميون، وتحت زعامة الجنرال كُرد مصطفى باشا، تنظيمًا خاصاً بهم سُميَّ بـ(جمعية استقلال كُردستان)، كما قاموا بنشر صحيفة باسم ((دعوة كُردستان)) تهدف إلى تعبئة الْكرد من أجل قضية إقامة كُردستان جنوبية مستقلة. وفي الوقت نفسه، عمل هؤلاء القوميون على إقناع البريطانيين بضرورة مساندة مساعيهم السياسية بوصفها الوسيلة المُثلَّى للتصدي للنفوذ السياسي الكمالى- التركي المتنامي ومنع اندلاع انتفاضة كُردية واسعة ضدَّهم.<sup>٥٧٢</sup>

<sup>٥٦٩</sup> High Commissioner to S/S for the Colonies, 5 July 1922, F0371/7781, PRO.

<sup>٥٧٠</sup> High Commissioner of Iraq to Colonial Office, 22 June 1922, F0371/7781, PRO.

<sup>٥٧١</sup> High Commissioner to S/S for the Colonies, 14 January 1922, F0371/7780, PRO.

<sup>٥٧٢</sup> حلمي، ياداشت، ج ٢، ص ٣٣١-٣٣٢-٢٥١ و ٣٥٢-٥٠٦.

بحلول منتصف العام ١٩٢٢، أدركت وزارة المستعمرات أنه من الصعب تجاهل المطالب المتزايدة المتعلقة بعودة الشيخ محمود، خصوصاً في غياب اتفاقية سلام جديدة مع تركيا الكمالية وفشل كوكس في إقناع الـ<sup>الـ</sup>كُرد الجنوبيين بالانضمام إلى الدولة العربية في العراق. ففي ظل تلك الظروف، ظهر الشيخ محمود مرة أخرى بوصفه الشخصية الوحيدة القادرة على تعبئة الـ<sup>الـ</sup>كُرد الجنوبيين تحت لواء القومية ضد الكماليين الأتراك وعلى إعادة الاستقرار الأمني، كما فعل في الماضي في الفترة ما بين خريف العام ١٩١٨ وحتى ربيع العام ١٩١٩. وفي مجلس العموم البريطاني، حاول تشرتشل طمأنة أعضائه، الذين عبروا عن معارضتهم لأية التزامات عسكرية جديدة في كُردستان الجنوبية، بأنه ليس للحكومة البريطانية أية نية منها كانت صغيرة في ان تتورط بشكل جدي في ذلك البلد. وفي الوقت نفسه، كرر تشرتشل تأكيidاته بشأن عدم إجبار الـ<sup>الـ</sup>كُرد الجنوبيين على الخضوع لحكم فيصل، حتى إنه عبر عن حماسه الشديد إزاء دراسة رغبات الـ<sup>الـ</sup>كُرد و(تطوير شكل من اشكال الحكم الذاتي المحلي)، الذي منع إلى العراق، بحيث يمكن تطبيقه عليهم)).<sup>٥٧٣</sup>

وفي البداية، ساند كورزون فكرة تشجيع القومية الكُردية في كُردستان الجنوبية بوصفها حاجزاً أمام المؤامرات الكمالية- التركية.<sup>٥٧٤</sup> وكانت لشهادة نوئيل أهمية خاصة حيث أنها أكدت على نجاح تجربة الحكم الذاتي الكُردي السابقة في عهد الشيخ محمود في توفير الاستقرار السياسي من دون التورط في التزامات عسكرية أو مالية.<sup>٥٧٥</sup> كما أقرَّ الميجر سون وموظفون بريطانيون سابقون عدم رغبة الكُرد الجنوبيين في الخضوع الى حكم عربي، وإن فصلهم من العرب هو خيار منطقي. وفي نهاية المطاف، تجاهلت وزارة المستعمرات معارضته كوكس الشديدة إذ سمحَت بعودة الشيخ محمود الى السليمانية من أجل تأليف حكومة كُردية جديدة. بهذا النحو، بحلول منتصف العام ١٩٢٢، عملت الهواجس البريطانية المتزايدة الخاصة بتدحرج الوضع الكُردي على قلب الموازين لصالح خيار الإبقاء على حالة انفصال كُردستان الجنوبية، الذي نادى تشرتشل إليه.

<sup>573</sup> British Policy In Iraq, 11 July 1922, House of Commons -in- Robert Rhodes James, **Winston S. Churchill, His Complete Speeches**.

<sup>574</sup> Shuckburgh to Foreign Office, Mo.55849, 11 September 1922, F0371/7781, PRO.

<sup>575</sup> E.W.L. Noel, Note -in- Colonial office Minute No.4958, 22 July 1922, PRO.

## **كوكس وتشكيل الحكومة الكردية الثانية**

لم تُعنِّ عودة الشيخ محمود الى السليمانية ان حكومة لندن قد تبنت بشكل نهائياً خيار انفصال كُردستان الجنوبية سياسياً وإدارياً، وذلك لأنَّ حسم مستقبل هذا الإقليم على المدى الطويل كان لا يزال يتوقف على نجاح أو فشل فكرة إرضاء التطلعات القومية الكردية المتمثلة بإقامة حكومة أهلية بوصفه السبيل الأنجع لاحتواء التهديدات الكمالية - التركية المتزايدة وتشييد الاستقرار وتسهيل عملية انسحاب الحامية الامبرialisية. من الناحية العملية، كما أتضح لاحقاً، اعتمد الوضع الكردي بشكل رئيس على موقف كوكس ومرؤوسيه ومن شاركته توجهاته الاندماجية وعارضته لقيام حكومة أهلية في أي جزء من اجزاء الإقليم. ورغم أنَّ كوكس قد أقرَّ بحسب شهادة يانغ، بأنَّ ((نهج القاهرة كان الأفضل على عكس التوقعات))<sup>٥٧٦</sup> فيما يتعلق بتشكيل إدارات أهلية، فإنَّ الدلائل تشير الى تناقض جلي بين ما أقرَّه كوكس في أقواله وما انتهجه عملياً. ففي عشية عودة الشيخ محمود الى موطنَه، بذل كوكس مساعي حثيثة لإقناع وزارة المستعمرات بالتخلي عن فكرة إعادة تشكيل إدارة أهلية كُردية برئاسة الشيخ محمود، كالتي تم تشكيلها في أعقاب الحرب العالمية الأولى، حيث حذرَ من مغبة انتهاج مثل هذه السياسة، متوسلاً بكثير من الحجج:

مقارنة بالعربيين (العرب)، الذين (كانت) أهدافهم وطنية ودستورية، تصرف الشيخ محمود بصورة رئيسة وفق حسابات شخصية وملكية. وعن هذا (التصرف) هناك وفراً من الدلائل. وبالرغم من مواجهة ذات النزعة الإسلامية عن الجهاد، فإنَّ انصاره ليسوا سوى قلة من المرتزقة الذين جذبهم بواسطة المال... أنا أرى انه من غير المعقول منح الشيخ محمود حريته قبل ان يحيىن الوقت الذي يمكن فيه الاطمئنان على المستقبل السياسي بصورة اكثـر. من المحتمل جداً انه لم يتم الإدراك تماماً في ان سياستنا هي في صالح النزعة القومية الكردية بصورة اكـبر من تلك التي يـمثلها الشيخ محمود. فبينما نحن نعمل من اجل دستور محققين بعض النجاح، بالرغم من انها أوليغاركية في المرحلة الراهنة، لكنها تتتطور نحو الديموقراطية. ان الشيخ محمود مـفترض بسياسة النزعة المطلقة، وهو الذي يخشـى منه بوصفه باروناً إقطاعياً من اسوء

<sup>576</sup> Maj. Young, Colonial Office Minute, 20 June 1923, CO730/40, PRO.

الأنواع. حتى لو أطلق سراحه في الهند، فلنني أرى أنه سيكون له تأثير مُقلق،  
كما هو الحال الآن.<sup>٥٧٧</sup>

في تخليلاته لموقف كوكس من الوضع الكردي، يُبين روبرت أولسون كيف انه قام  
بتأخير جوابه لتشتت لمدة شهرين، بعد أن أثار الأخير تساؤلات عن إمكانية عودة  
الشيخ محمود إلى كردستان الجنوبية.<sup>٥٧٨</sup>

ومن جملة الإدعاءات التي قدمها كوكس هي انه رغم وجود مشاعر كردية قوية  
معادية للاندماج بالدولة العراقية ووجود «رغبة عامة لحاكم وطني» في كردستان  
الجنوبية، فإنه كان ((من المستحيل)) اختيار كردي لهذا الموقع وذلك لأن الكرد لن  
يعترفوا به جمِيعاً حاكماً عليهم، وإنَّه في غياب حماية بريطانية قوية لهذا الحاكم، فإنَّ  
كردستان الجنوبية ستُمر في حالة من الفوضى.<sup>٥٧٩</sup> وعدَ كوكس موافق الكرد، من  
الذين طالبوا بعودة الشيخ محمود، غير مُعبرة عن رغبات الشعب الكردي، لأنَّ هذا  
الشعب كان أما ((معارضاً للشيخ محمود بشكل مؤكد أو... غير مبال)).<sup>٥٨٠</sup> بتعبير آخر،  
بالرغم من ان نتائج الاستفتاء العام ١٩٢١ قد أجبرت كوكس على الاعتراف بالرفض  
الكردي لفكرة الخضوع لحكم عربي، فإنه ظلَّ يؤمن بخيار اندماج كردستان الجنوبية  
في العراق بوصفه الحل الوحيد، بحجة غياب قائد وطني كردي ذي أهلية.

وفي أعقاب عودة الشيخ محمود إلى موطنِه، بدأ كوكس يُسخر جهوده من أجل  
عرقلة المحاولات الرامية إلى إقامة إدارة أهلية كردية قبلة الحياة في السليمانية ومن ثم  
قادرة على بسط سلطتها إلى المقاطعات والاقضية الكردية المجاورة، أملاً في أن يُقنع  
وزارة المستعمرات بالتخلي عن موقفها القاضي بوجودإقليم كردي منفصل  
إداريةً وسياسياً عن ميزوبوتاميا العربية. وبوصفه المفوض السامي، احتل كوكس  
موقعًا حيوياً يؤهله لاتخاذ قرارات عاجلة إذا ما رأى أن الوضع الكردي يتطلب ذلك.  
ولهذا السبب استمر كوكس في أن يكون العامل الأهم سواء في نجاح تجربة الحكم  
الأهلي الثانية أو في فشلها. وهذا يعني أن تجربة الحكم الأهلي الجديدة قد جرت تحت

<sup>٥٧٧</sup> High Commissioner of Iraq to S/S the Colonies, 26 August 1921, C0730/4, PRO.

<sup>٥٧٨</sup> Olson, The Emergence of Kurdish Nationalism, p.61.

<sup>٥٧٩</sup> High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 2 July 1922, F0371/7781,  
PRO.

<sup>٥٨٠</sup> High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 5 July 1922, F0371/7781,  
PRO.

أُنظار وإشراف أناس كانوا هم من ابرز وأقوى المعارضين لها. وتلك كانت واحدة من جملة الارتباكات التي شابت السياسة الْكُرْدية لبريطانيا في مرحلة ما بعد كونفرانس القاهرة. وشكلت الطريقة التي عرض فيها كوكس عودة الشيخ محمود ومستشاره السابق الميجر نوئيل وكذلك عزمه على دمج كُردستان الجنوبية بالعراق العربي، بحسب تعبير روبرت أولسون، بداية لهيمنة سياسات ((الموظفين العيدانيين)) على تلك التي كانت عادة لـ((عاصمة بعيدة)) (أي لندن).<sup>٥٨١</sup>

ومثل ما عُرف بخطة "سيد طه" واحدة من الوسائل التي اتبعها كوكس من أجل عرقلة عملية تشكيل إدارة أهلية كُردية عامة أخرى. تضمنت الخطة الآنفة، التي وضعَت قبل عودة الشيخ محمود، إنشاء كيان للحكم الذاتي في السليمانية وراوندوز خاضعة لرئاسة حاكم كُردي.<sup>٥٨٢</sup> وهاتان المنطقتان تم اختيارهما لأسباب أمنية، بوصفهما مسرحاً للنشاطات المعادية للبريطانيين ومصدراً للقلق السياسي الدائم بالنسبة إلى عمل السلطات البريطانية في ميزوري تاميا منذ حزيران العام ١٩١٩. ومن خلال تقديم خطة سيد طه المحدودة في أبعادها الجغرافية ومضمونها السياسي والإدارية لم يحاول كوكس التصدي للتهديدات الكمالية التركية المتزايدة بقدر ما سعى إلى سد الطريق أمام عودة الشيخ محمود إلى كُردستان الجنوبية بوصفه رئيساً لمرة أخرى لإدارة أهلية كُردية جديدة منفصلة عن الإدارة الأهلية العربية في بغداد.

ونتيجة لغياب دعم محلي لخطته التي تزامنت مع عودة الشيخ محمود من منفاه إلى موطنها، أضطر كوكس إلى تعديها وذلك من خلال إقصارها جغرافياً على راوندوز والمناطق القريبة المحيطة بها. ولهذا الغرض، طلب كوكس من وزارة المستعمرات الموافقة على تقديم مساعدات على شكل أسلحة واعتهد وأموال ومتطوعين كُرد إلى السيد طه بهدف مساعدته في التصدي للمخططات الكمالية التركية في تلك الأرجاء. وكان الأخير قد وصل بالفعل إلى راوندوز في ٦ تشرين الثاني من العام ١٩٢٢. وكان من شأن تعزيز موقف السيد طه السياسي والعسكري منح كوكس فوائد كبيرة بقدر ما يتعلق الأمر بمساعيه الحثيثة التي كان يبذلها من أجل عرقلة الجهود الرامية إلى إنشاء إدارة أهلية كُردية حقيقة في السليمانية. ففي المقام الأول، كان من شأن إنهاء المشاكل

<sup>٥٨١</sup> Olson, The Emergence of Kurdish Nationalism, p.61.

<sup>٥٨٢</sup> IIR, No-14, 15 July 1922, F0371/7771, PRO.

التي واجهها البريطانيون في راوندوز ونواحيها، أن تتمكن كوكس من تعزيز موقفه ومن ثم مقاومته لفكرة ما عَدَهُ تنازلات سياسية كبيرة للقومين الْكُرُد المتطرفين الذين قادهم الشيخ محمود. وفي المقام الثاني، سيكون بالإمكان إبراز أهمية السيد طه والتأكيد على دوره بوصفه شخصية قومية ودينية يُؤتمن بها قادرة على منافسة الشيخ محمود. لقد أراد كوكس من السيد طه أن يعمل، وبدون وعي منه، على إضعاف مكانة الشيخ محمود السياسية ونفوذه الاجتماعي والديني من خلال إحداث شاقق جديد في صفوف القوميين والزعamas المحلية المتواجدة في إقليم كُردستان الجنوبية. ويُذكر أن سي جي إدموندز، الذي كان يعمل موظفاً سياسياً في المناطق الْكُرُدية، قد أطاح اللثام عن الهدف الرئيس وراء تقديم خطة السيد طه المُتمثلة بإضعاف موقف الشيخ محمود.<sup>٥٨٣</sup> وان كوكس نفسه قد أقرَّ أيضاً بأن أحدى الدوافع الرئيسة الكامنة وراء تقديم خطته هو التصدي لما أسماه بـ(إدعاءات) الشيخ محمود،<sup>٥٨٤</sup> أي عدم قدرة البريطانيين على الاستغناء عنه كلاعب رئيس في الساحة السياسية الْكُردية.

وأدرك الشيخ محمود من جانبه أنه هو المستهدف من وراء خطة السيد طه. ومع ذلك لم تصدر من الأول إشارات معادية للثاني. لقد تناقضت الخطة المذكورة بشكل واضح مع السياسة البريطانية المعتمدة التي أرجعت الشيخ محمود من منفاه. فمن جهة، بادر البريطانيون إلى إعادة الشيخ إلى موطنِه، أولاً في تمكينه من تشكيل إدارة أهلية كُردية جديدة تُعيد الاستقرار السياسي والأمن لكردستان الجنوبية التي تعرّك صفوفها نتيجة للنشاطات الدعائية والسياسية والعسكرية التي كان يقوم بها الكماليون الأتراك. ومن جهة ثانية، التجأت السلطات البريطانية الميدانية إلى خطة السيد طه لإضعاف موقف الشيخ ونفوذه بين الْكُرُد الجنوبيين. ولربما أحدث كل ذلك حالة من الإرباك الذهني لدى الشيخ محمود بما يفسر حدة ردود أفعاله التالية. وليس من الغريب في ظل تلك الأجواء غير الصافية في أن يُصَاب الشيخ محمود بخيبة أمل كبيرة، خصوصاً وأنه قد مرَّ قبل ذلك في تجربة مريرة مع السلطات البريطانية الميدانية في عهد الكولونيال ويلسون، التي انتهت بتدمير إدارته الأهلية الأولى ونفيه إلى الهند.

<sup>583</sup> C.J. Edmonds, Note on the Kurdish Situation, 4 January 1923, -in- Shuckburgh, Colonial Office, to Osborne, Foreign Office, 25 January 1923, F0371/9004, PRO.

<sup>584</sup> High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, December 1922, F0371/7782, PRO.

تميزت عملية إنشاء الحكومة الكردية الثانية بطابعها التدريجي بالتوافق مع سير التطورات والأحداث آنذاك. فقبل رجوع الشيخ محمود، وجدت السلطات البريطانية في بغداد نفسها في وضع مرتبك للغاية بحيث أجرها تدهور الوضع الكردي المتزايد على سحب موظفيها العاملين في كثير من المناطق الكردية، مثل السليمانية وراوندوز وكوييسنجق. وفي محاولة منهم لملء الفراغ السياسي والإداري والأمني الناجم عن انسحاب المسؤولين البريطانيين، بادر القوميون الكرد إلى إدارة الشؤون المحلية في مقاطعة السليمانية. ففي الوقت الذي أدعى كوكس ومرؤوسوه فيه أمام وزارة المستعمرات بأنهم كانوا وراء وضع تلك الترتيبات على الأرض، يُبَيِّنُ رفيق حلمي في مذكراته أن الكرد هُم الذين اتخذوا مبادرة تشكيل مجلس قومي كردي.<sup>٥٨٥</sup> ونظراً للطريقة المتعجلة والمرتبكة التي ترك فيها الموظفون البريطانيون السليمانية وسيطرة القوميين الكرد على المجلس الجديد وكذلك قرار الشيخ محمود في وقت لاحق في تطوير هذا الجهاز إلى حكومة أهلية جديدة، تبدو رواية رفيق حلمي هي الأقرب إلى الواقع من الرواية البريطانية.

ولكونه مُمثلاً للشيخ محمود وشقيقاً له، اختارت الزعامات الكردية المحلية الشيخ قادر رئيساً للمجلس القومي الكردي. وانتخب أعضاء هذا المجلس أيضاً مدراء لإدارة شؤون الشرطة والمالية والكمارك وغيرها. وكان القوميون الكرد قد عبّروا، من خلال إقدامهم على اعتقال ثلاثة شخصيات كردية معروفة بعلاقتها مع الأتراك، عن استعدادهم للتصدي للنفوذ الكمالى - التركى ولتوطيد العلاقات مع المفوضية السامية البريطانية في بغداد.<sup>٥٨٦</sup> وعلى وفق التقارير البريطانية الميدانية، نجح المجلس الكردي في تحقيق هدفه الرئيس المتمثل بتوفير الاستقرار في المناطق الخاضعة لها وكذلك في بعض المناطق الخارجية عن نطاق سيطرته، مثل پشدرو وخشناوتي.<sup>٥٨٧</sup> وساعدت هذه التطورات على التخفيف من حدة نفوذ الكماليين - الأتراك، الذين صمموا بقوة على إرباك الوضع الكردي وتأزم العلاقات الكردية - البريطانية. وبهذا الصدد، سلطاً تقرير العراق الاستخباراتي بعض الضوء على المتغيرات الإيجابية التي طرأت على الوضع الكردي:

<sup>585</sup> حلمي، ياداشت، ج ٢، ص ٣٣١-٣٣٢ و ٣٥١-٣٥٢.

<sup>586</sup> High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 9 September 1922, F0371/7781, PRO.

<sup>587</sup> IIR, No.18, 15 September 1922, F0371/7772, PRO.

ان حكماً رسمياً تحت سيطرة الشیوخ او الأغوات من شأنه ان يملك جاذبية اقوى من اي شيء يمكن للكماليين منافسته به، إلا إذا كان في مقدورهم مساندة الدعاية بالقوة ... وفي مقاطعة كركوك، لم تُثْرِ إحداث السليمانية آية مظاهر عدائية تجاه الحكومة (البريطانية) بين القبائل الکُردية، والكثير منهم هُم من أنصار الشیوخ (اي اسرة الشیوخ محمود) ومن المفترض ان ترضيهم عودة الشیوخ محمود.<sup>٥٨٨</sup>

وفي أعقاب عودته في بداية شهر تشرين الأول، قام الشیوخ محمود باستغلال التطورات السياسية آنفة الذكر بسرعة لإنشاء كيان للحكم الذاتي قابل للتوسيع الجغرافي والتطور السياسي. ان رفضه لتنسم منصب رئيس المجلس القومي الکُردي وتمسكه بلقبه السابق كحاكم لکُردستان،<sup>٥٨٩</sup> وتشكيله لقوة عسكرية کُردية بمساعدة بعض الضباط الکُرد واتخاذه علماً قومياً كلها كانت دلالات واضحة وملموسة على تطلعات الشیوخ وطموحه في ان يكون حاكماً وزعيمًا وطنياً، بدلاً من ان يكون رئيساً محلياً لمنطقة أو لعدد من المناطق الکُردية.

ان خطوات الشیوخ محمود الآنفة الذكر، التي لم تواجه معارضة بريطانية ميدانية تذكر، قد أسهمت في خلق انطباع قوي بين القوميين الکُرد في ان بريطانيا وافقت أخيراً على فكرة بقاء کُردستان الجنوبية منفصلة سياسياً تحت إدارة أهلية کُردية. ووصف نوئيل كيف ان عودة الشیوخ محمود الى السليمانية قد أدى الى فوران قومي وكيف ان الدعم الکُردي لحكومته قد تعدّت بسرعة حدود مقاطعة السليمانية لتشمل مناطق أخرى ومنها اربيل. كما جاء جميع قادة القبائل الکُردية في كفرى الى مدينة السليمانية مطالبين بتحديد تاريخ مبكر لإجراء انتخابات ((لكي يعبروا علينا عن نواياهم في مبادلة الشیوخ محمود)). وأعلن الکُرد من الطالبانيين والزنگنه مساندتهم لحكومة الشیوخ محمود الکُردية.<sup>٥٩٠</sup> ولم تكن سوى أيام قليلة حتى عبرت قبائل کُردية أخرى في كركوك واربيل عن مواقف مماثلة مؤيدة للشیوخ محمود. ومن جانبه، أرسل الشیوخ وفوداً الى كركوك وكفرى واربيل بغية تعبئة أهاليها الکُرد من أجل قضية استقلال کُردستان الجنوبية.

<sup>588</sup> Ibid.

<sup>589</sup> حلمي، ياداشت، ج ٢، ص ٥٣٥.

<sup>590</sup> IIR, No.1, I January 1923, F0371/7772, PRO.

لم تُسعد التطورات السريعة، التي شهدتها المناطق الـكـرـدية على إثر عودة الشـيـخـ محمود، السلطات البريطـانـية في مـيزـوبـوتـامـيا حيث فـسـرت إعلـانـ أـهـالـيـ كـفـرـيـ، بما فيـهمـ الطـالـبـانـيونـ، عن تقديم الـولـاءـ إـلـىـ قـيـادـةـ الشـيـخـ مـحـمـودـ علىـ إـنـهـ دـلـالـاتـ الفـوـضـيـ.<sup>٥٩١</sup> كما وجـهـتـ اـنـتقـادـاتـ بـرـيطـانـيـةـ مـيـدانـيـةـ مـاـثـلـةـ ضـدـ المـسـانـدـةـ الـكـرـديةـ فيـ اـرـبـيلـ لـلـإـدـارـةـ الـأـهـلـيـةـ فيـ السـلـيـمانـيـةـ. وـعـبـرـ آـدـمـونـزـ، الـذـيـ كـانـ قدـ أـشـارـ إـلـىـ كـسـبـ الشـيـخـ مـحـمـودـ لـأـهـالـيـ كـرـكـوكـ منـ الـكـرـدـ إـلـىـ جـانـبـهـ، عنـ مـخـاـوفـهـ منـ الـدـرـزـيـينـ الـكـرـدـ الـذـينـ سـيـطـالـبـونـ بـالـوـحدـةـ معـ الـكـيـانـ الـكـرـدـيـ فيـ السـلـيـمانـيـةـ، إـذـ حـدـرـ منـ (ـآـذـيـادـ)ـ نـفـوذـ الشـيـخـ، الـذـيـ مـثـلـ النـزـعـةـ الـقـومـيـةـ الـمـتـرـفـةـ.<sup>٥٩٢</sup> كما اـزـادـ حـجمـ المـسـانـدـةـ الـكـرـديةـ لـإـقـامـةـ إـدـارـةـ الـأـهـلـيـةـ كـرـدـيـةـ بـسـرـعـةـ مـلـحوـظـةـ فيـ رـانـيـهـ وـحلـبـةـ وـخـوـشـنـاوـتـيـ وـمـنـاطـقـ أـخـرـىـ. وـشـجـعـ الدـعـمـ الـكـرـدـيـ الـكـاسـحـ لـخـيـارـ كـرـدـسـتـانـ جـنـوـبـيـةـ مـسـتـقـلـةـ الشـيـخـ مـحـمـودـ عـلـىـ مـطـالـبـ كـوـكـسـ يـاـجـرـاءـ اـسـتـفـتـاءـ عـامـ فيـ الـمـنـاطـقـ الـكـرـدـيـةـ يـكـونـ مـشـابـهـةـ لـلـاستـفـتـاءـ الـذـيـ جـرـىـ فيـ مـيـزوـبـوتـامـياـ فيـ الـعـامـ ١٩٢١ـ حـوـلـ مـبـاـيعـةـ الـأـمـيرـ فـيـصـلـ مـلـكـاـ عـلـىـ الـعـرـاقـ. وـيـمـكـنـ لـلـمـرـءـ اـنـ يـسـتـنـتـجـ مـنـ دـوـنـ صـعـوبـةـ اـنـ طـالـبـ بـهـ الشـيـخـ الـإـدـارـةـ الـبـرـيطـانـيـةـ الـمـيـدانـيـةـ لـمـ يـكـنـ يـتـعـارـضـ مـعـ نـجـاحـ وـزـارـةـ الـمـسـتـعـمـرـاتـ الـحـقـيقـيـ، الـمـتـمـثـلـ بـتـرـكـ حرـيةـ الـاخـتـيـارـ لـلـكـرـدـ الـجـنـوـبـيـنـ فيـ مـسـأـلةـ تـحـدـيدـ مـصـيرـهـمـ.

### **انقلاب السياسة البريطانية من الانفصال إلى الاندماج**

نظـراـ لـلـتـأـيـيدـ الـوـاسـعـ الـذـيـ نـالـتـ الـإـدـارـةـ الـأـهـلـيـةـ الـثـانـيـةـ بـقـيـادـةـ الشـيـخـ مـحـمـودـ منـ وـجـهـاءـ الـعـدـيدـ مـنـ الـمـقـاطـعـاتـ وـالـأـقـضـيـةـ الـكـرـدـيـةـ وـكـذـلـكـ إـظـهـارـ قـدـرـتـهاـ عـلـىـ إـعادـةـ الـاستـقـرارـ إـلـىـ عـدـدـ مـنـاطـقـ فيـ فـتـرـةـ قـيـاسـيـةـ، فـإـنـ الـقـرـارـ الـبـرـيطـانـيـ القـاضـيـ بـالـحـاقـ كـرـدـسـتـانـ الـجـنـوـبـيـةـ قـسـرـاـ بـدـوـلـةـ الـعـرـاقـ الـعـرـبـيـ بدـأـ مـتـنـاقـضاـ تـامـاـ مـعـ رـغـبـةـ لـنـدـنـ فيـ تعـزيـزـ اـسـتـقـرارـ ذـلـكـ الإـقـليمـ. وـهـنـاكـ ثـلـاثـةـ أـسـبـابـ رـئـيـسـةـ تـفـسـرـ لـمـاـذـاـ قـرـرـتـ الـحـكـومـةـ الـبـرـيطـانـيـةـ فيـ نـهاـيـةـ الـأـمـرـ انـ تـخـضـعـ الـكـرـدـ الـجـنـوـبـيـنـ وـمـنـاطـقـهـمـ إـلـىـ حـكـمـ عـرـبـيـ عـلـىـ الـضـدـ مـنـ تـطـلـعـاتـهـمـ وـرـغـبـاتـهـمـ. أـوـلـاـ، مـنـذـ الـبـداـيـةـ الـأـوـلـىـ، وـاجـهـتـ حـكـومـةـ الشـيـخـ مـحـمـودـ الـثـانـيـةـ موـاـقـفـ عـدـائـيـةـ سـافـرـةـ مـنـ جـانـبـ كـوـكـسـ وـهـنـريـ دـوـبـنـ، المـفـوضـ السـامـيـ وـكـالـةـ،

<sup>٥٩١</sup> Ibid.

<sup>٥٩٢</sup> C.J. Edmonds, Note on the Kurdish Situation, 4 January 1923, -in- Shuckburgh, Colonial Office, to Osborne, Foreign Office, 25 January 1923, F0371/9004, PRO.

<sup>٥٩٣</sup> IIR, No.1, I January 1923, F0371/7772, PRO.

الذين كانوا مُصرّين على إنتهاء تجربة الحكم الأهلي في كُردستان الجنوبية. ثانياً، في تشرين الأول من العام ١٩٢٢، لم يُعد وينستون تشرتشل وزيراً للمستعمرات، إذ فقد منصبه في أعقاب انهيار حكومة لويد جورج الائتلافية. أما وزير المستعمرات الجديد، ليو أمري، فلم يكن مُطلعاً على الشؤون الكُردية، ولهذا لم يكن يمتلك رؤية واضحة ومتّسقة تجاه وضع كُردستان الجنوبية، على النقيض تماماً من سلفه، تشرتشل. فالأخير ترك بصماته بشكل ملموس على السياسة المُنتهجة بسبب الطابع المباشر والثابت لتدخلاته في الوضع الكُردي.

وأخيراً، جاء انعقاد كونفرانس لوزان في شهر تشرين الثاني (١٩٢٢) في ظروف لا تلائم القضية الكُردية بشكل عام ومسألة مصر إقليم كُردستان الجنوبية بشكل خاص، وذلك لأنّ الحكومة البريطانية المحافظة الجديدة برئاسة بونار لو كانت قد عَزّمت على التوصل إلى اتفاق ثنائي مع تركيا الكمالية من خلال تقديم بعض التنازلات. لقد تحتم على بريطانيا بسبب الخطر البشفي المتزايد، بحسب رأي حكومتها الجديدة، أن لا تجعل تركيا الكمالية تشعر بأن كُردستان الجنوبية ستكون مصدراً لقلقها الدائم وتهديداً مستمراً لامتها ولوحدتها الإقليمية. ففي ظل تلك الشروط الدولية والإقليمية المتغيرة، أصبح اندماج كُردستان الجنوبية في العراق العربي والتصدي للتطلعات القومية الجامحة للكرد الخيار الأمثل في رأي الساسة البريطانيين من أجل طمأنة الكماليين الأتراك بخصوص نوايا لندن السليمة تجاههم.

لم تكن النجاحات الأولى، التي حققها الشيخ محمود من خلال تعينة الكُرد الجنوبيين من أجل قيام كُردستان جنوبية منفصلة ومستقلة تحت إدارة أهلية، أخباراً سارة بالنسبة إلى كوكس ومرؤوسيه من شاركوه الرأي. ولم يرض كوكس بأن يتخد موقف المتفرج تجاه ما كان يجري من تطورات في المناطق الكُردية، إذ ضاعف من مساعيه الرامية إلى احتواء الحركة القومية الكُردية. ولتحقيق هذا الغرض، كتف كوكس من نشاطه على جبهتين مختلفتين في آن واحد: إقليم كُردستان الجنوبية ولندن. فعلاوة على خطبة السيد طه، ألقى كوكس ومرؤوسه بظلال الشك على أسباب شعبية حكومة الشيخ محمود بين الكُرد الجنوبيين. على سبيل المثال، أدعى مستشار مقاطعة كركوك أن رغبة القبائل الكُردية في تجنب دفع الضرائب ومعاداة الكرد لوجود حكومة حقيقة هي السبب الوحيد الذي يفسر الشعبية التي تتمتع بها الشيخ محمود

بعد عودته وتشكيله لإدارة جديدة.<sup>٥٩٤</sup> وفي تقاريره إلى حكومة لندن، أكد كوكس على وجود تعاون بين الشيخ محمود والكرد المناهضين للنفوذ البريطاني، وكذلك أدعى وجود اتصالات بينه وبين الكماليين الأتراك، الذين استطاعوا إخضاعه لإرادتهم.

والجدير بالإشارة أنه لا توجد أية دلائل واضحة تشير إلى قيام الشيخ محمود باتصالات، ناهيك عن تعاون أو تحالف، مع الكماليين الأتراك قبل فترة تدهور علاقاته مع المفوضية السامية البريطانية في بغداد. وجاءت اتصالات الشيخ محمود مع الأتراك، كما يُبيّن رفيق حلمي، في أعقاب رفض كوكس إجراء استفتاء عام يقرر من خلاله أهالي إقليم كردستان الجنوبية مصيرهم على غرار الطريقة التي اتبعتها البريطانيون لدى إقامة الحكم الأهلي في ميزوبوتاميا العربية. كما جاءت تلك الاتصالات بعد أن توضّح وبشكل ملموس عزم المسؤولين البريطانيين الميدانيين على تطبيق خيار الاندماج القسري وإخضاع الكرد الجنوبيين إلى حكم عربي غريب على الصد من إرادتهم. وتبين الوثائق البريطانية لتلك الحقبة أن كوكس كان قد وَعَ الشّيخ محمود بإرسال أسلحة وأعتدّه و٢٠٠ من أفراد قوات الليفي ولربما تقديم مساندة جوية بريطانية، ولكن لا شيء من هذا القبيل قد تحقق. وليس هذا فحسب وإنما قام كوكس بإرسال أوامره إلى الضباط الكرد يدعوهم فيها إلى العودة، بعد أن كانوا قد رافقوا الشّيخ محمود في طريق عودته إلى السليمانية. وتمثلت مهمّة هؤلاء الضباط بمساعدة الشّيخ محمود في بناء جيش كردي. ويؤكد رفيق حلمي أن الشّيخ كان يسعى إلى مقاتلة الكماليين الأتراك. ولكنه، بسبب غياب مساندة جوية بريطانية، لم يكن قادرًا على فعل ذلك.<sup>٥٩٥</sup>

تضافرت جملة تطورات، وفق استنتاجات رفيق حلمي، في تدهور العلاقات بين الشّيخ محمود والموظفين البريطانيين. ففي المقام الأول، لم يقدّم البريطانيون على منح حكومة الشّيخ محمود أية مساعدات عسكرية أو مالية ضرورية من أجل طرد العناصر الكمالية من كردستان الجنوبية. وثانياً، بعد أن تم تحرير كويسنجر من الوجود الكردي، رفض البريطانيون تسليمها إلى الإدارة الكردية إلا في حالة قيام الشّيخ محمود بإخراج الكماليين من راوندو<sup>٥٩٦</sup>. وأخيراً، فسّر الشّيخ محمود

<sup>٥٩٤</sup> IIR, NO-20, 15 October 1922, F0371/7772, PRO.

<sup>٥٩٥</sup> حلمي، ياداشت، ج ٢، ص ٥٦٥.

<sup>٥٩٦</sup> المصدر السابق، ص ٥٨٣-٥٨٢.

تجنب البريطانيين مسألة التورط مباشرة في القتال ضد الكماليين الأتراك على أنها إشارة تدل على رغبتهم في التخلص من كُردستان الجنوبية كلها، إذا ما تعرضوا إلى ضغوط كمالية متزايدة.

وبالمقارنة مع خصومهم البريطانيين، سعى الكماليون الأتراك إلى التصعيد من جهودهم العسكرية ونشاطاتهم الدعائية حتى إنهم ظهروا كما لو كانوا أكثر عزماً من البريطانيين في السيطرة على إقليم كُردستان الجنوبية.<sup>٥٩٧</sup> لتلك الأسباب، من جانب، ونظراً لوقف الموظفين البريطانيين ضد فكرة كُردستان جنوبية منفصلة مستقلة، من جانب ثانٍ، أضطر الشيخ محمود إلى الاتصال بالكماليين الأتراك، الذين كانوا يتعهدون بمنح الشعب الكُردي حكماً ذاتياً واسعاً ضمن إطار الدولة التركية الجديدة. ولكن الكماليين، على غرار الموظفين البريطانيين، لم يكونوا يثقون بنوايا الشيخ محمود، وذلك بسبب توجهاته القومية. ويذكر أن الكماليين قد قاموا بتنظيم حملة دعائية ضد الشيخ محمود حالما عاد من منفاه ليشكل حكومة كُردية جديدة.<sup>٥٩٨</sup> وحين اتصل الشيخ محمود بالعناصر الكمالية غير المنظمة الموجودة في المناطق الكُردية، أبدى أوزدمير باشا، قائد تلك العناصر، عدم ثقته بداعفه، ولهذا رفض دعم انتفاضته ضد البريطانيين.<sup>٥٩٩</sup>

إن النقطة التي تبرز للعيان لدى قراءة تفسيرات رفيق حلمي حول سير الأحداث في تلك الفترة الحساسة تتمثل في سعي الشيخ محمود أن يجعل خياراته السياسية مفتوحة إلا في حالة إبداء البريطانيين استعداداً قوياً وأكيداً للقبول بفكرة كُردستان جنوبية منفصلة تتمتع بيدارة أهلية وبحماية بريطانية. وفي ضوء تلك الحسابات، حاول الشيخ محمود أن يؤكد ويثبت بأنه هو العامل القادر على قلب الموازين لصالح هذا الطرف أو ذاك في كُردستان الجنوبية. ففي هذا الصدد، يُقال إن الشيخ محمود قد صرّح «في عبارات تکاد ان لا تكون مستترة بأنه بإمكانه إخراج الأتراك في أي وقت، متى ما شاء»، لكنه امتنع عن ذلك بشكل مقصود).<sup>٦٠٠</sup> ولكن، في غياب أية ضمانت بريطانية حول قيام كُردستان جنوبية مستقلة عن الحكم العربي في حالة إلهاق الهزيمة بالخطر

<sup>٥٩٧</sup> المصدر السابق.

<sup>٥٩٨</sup> المصدر السابق، ص ٥٢٢.

<sup>٥٩٩</sup> Foreign Office Minute No.3020, 11 April 1923, F0371/9004, PRO.

<sup>٦٠٠</sup> IIR, No.1, 1 January 1923, F0371/7772, PRO.

الكمالي - التركي، لم ير الشیخ محمود أیة فائدة في ان يُقاتل العناصر الكمالية بالنيابة عن البريطانيين والعرب. وبدلًا عن ذلك، حاول الشیخ ان يستغل بقدر المستطاع متابعي البريطانيين في المناطق الکردية لكي ينتزع منهم تنازلات في مقدمتها موافقتهم على قيام إقليم کردستان جنوبی منفصل. وبدورهم كان المسؤولون البريطانيون الميدانيون واعين للتكلكيات التي كان يتبعها الشیخ لفرض خیاره السياسي على جميع الأطراف. وألقى أدمندرن الضوء على الطريقة التي استخدم فيها الشیخ محمود الوجود الكمالی في منطقة رانیه کادا («لنزاع تنازلات») من الجانب البريطاني.<sup>٦٠١</sup>

من ناحية ثانية، رکز کوكس جهوده على خلق تأیید کردي لحكم الملك فيصل. ولذلك اتّخذت الإجراءات البريطانية الميدانية في المناطق الکردية بالتنسيق مع الحكومة العربية. كان الهدف الرئيس من وراء تلك الإجراءات عزل السليمانية عن المقاطعات الکردية الأخرى من خلال تسجيل ناخبيين أوليين لانتخابات المجلس التشريعي العربي،<sup>٦٠٢</sup> علاوة على تضييق الخناق على الحكومة الکردية اقتصاديًّا من خلال إرغام سُكان المناطق الکردية على دفع الضرائب الى الحكومة العربية في بغداد. وشمل التسجيل لانتخابات المقترحة مناطق کردية عدّ منها كفری وکركوك. فالأختتان كانتا ضمن المناطق التي رفضت مبایعة فيصل ملکاً وحكمه العربي، في حين أبدى سكانهما الکرد رغبتهم في الانضمام الى الحكم الأهلي الکردي القائم في السليمانية. وكانت هذه الإجراءات المناصرة للحكم العربي والمطامح العربية في إخضاع المناطق الکردية هي التي أثارت حفيظة الشیخ محمود ومن ثم أدت به الى اتخاذ مبادرات سياسية مستقلة دون استشارة السلطات البريطانية في بغداد. وعلى إثر سماعه بنباء شمول انتخابات المجلس العربي مناطق کردية ورفض البريطانيين لفكرة إجراء استفتاء لمعرفة رأي أهالي تلك المناطق، أعلن الشیخ محمود نفسه ملکاً على کردستان الجنوبي في أواخر شهر تشرين الأول:

من اليوم فصاعداً، وضعت في يدي دفة الدولة ومسؤولية حماية کردستان مستقلة. انه أملی في ان تعمدوا جميعكم وتناضلوا من اجل استمرار هذا اليوم

<sup>٦٠١</sup> C.J. Edmonds, Note On Kurdish Situation, 4 January 1923 -in- Shuckburgh, Colonial Office, to Osborne, Foreign Office, 25 January 1923, F0371/9004, PRO.

<sup>٦٠٢</sup> IIR, No.21, 1 November 1922, F0371/7772, PRO.

المجيد ولرفاهية الأمة وتقدمها. أيها الكرّد، الآن هي فرصتكم للعمل متعددين كأسرة واحدة من أجل تعزيز وصيانة الحقوق القومية التي كسبناها.<sup>٦٠٣</sup>

ولريما حاول الشيخ محمود من وراء تلك الخطوة المفاجئة ان يشدد من ضغوطه على البريطانيين لكي يقبلوا بقيام كُردستان الجنوبيّة منفصلة ومستقلة عن العراق العربي. وفي السياق ذاته، أرسل الشيخ محمود وفداً كُردياً الى مدينة بغداد حمل معه مطلبًا الى كوكس، بوصفه المفوض السامي، ينص على ضرورة إجراء انتخابات للناخبيين الثانويين في المناطق الكُردية بهدف خلق «نواة لجمعية وطنية كُردية وجسم مسألة مستقبل الدولة الكُردية وشكل الحكومة المناسبة للكرد».<sup>٦٠٤</sup> كما طلب الوفد الكُردي اعترافاً بريطانياً رسمياً وعلنياً بالحكومة الكُردية وباستقلال كُردستان الجنوبيّة.<sup>٦٠٥</sup> أما كوكس فرفض فكرة إجراء أية استفتاء منفصل في المناطق الكُردية،<sup>٦٠٦</sup> وطالب القوميين الكرد بتخفيف سقف مطالبهم، واعداً إياهم انه سيوصي حكومته وحكومة العراق «بالاعتراف رسمياً بحق الكرد في تشكيل حكومة وطنية ضمن إطار العراق».<sup>٦٠٧</sup> لم تكن فكرة إجراء استفتاء منفصل في المناطق الكُردية لتقرير مصيرها مقبولة لدى كوكس. فهو لم ينسَ بعد كيف رفض غالبية الكرد الجنوبيين مبادعة فيصل أو الاعتراف بحكومته العربية خلال استفتاء عام ١٩٢١. فأجراء مثل ذلك الاستفتاء في الإقليم الكُردي وتحت تلك الظروف ستكون نتائجه لصالح حكومة الشيخ محمود. وكان موظفوون ببريطانيون من العاملين ميدانياً قد نصحوا رئيسهم كوكس بعدم الأخذ بأراء المحليين في المناطق الكُردية، ومنها منطقة كفرى، فيما يتعلق بموقفهم من حكومة فيصل.<sup>٦٠٨</sup>

نظراً لوجود تضاد حاد بين التطلعات السياسية للقوميين الكرد المتمثلة بقيام كُردستان جنوبية منفصلة ومخططات السلطات البريطانية في بغداد القائمة على فكرة دمج ذلك الإقليم بالعراق العربي، صار تصادم الطرفين أمراً لا مفر منه. فرداً على رفض مطلبه في بسط الحكم الأهلي على رانيه وكوييسنجق، اللتين كانتا إدارياً جزءاً

<sup>603</sup> Ibid, Extract From Bang-i-Kurdistan, the official newspaper of the Kurdish government.

604 Ibid.

<sup>605</sup> IIR, No-22, 15 November 1922, F0371/7772, PRO.

<sup>606</sup> IIR, No.21, 1 November 1922, F0371/7772, PRO.

<sup>607</sup> IIR, No.22, 15 November 1922, F0371/7772, PRO.

<sup>608</sup> IIR, No.23, 1 December 1922, F0371/7772, PRO.

من السليمانية<sup>٦٠٩</sup>، قام الشيخ محمود بتطهير إدارته من موظفين شك بولائهم إلى البريطانيين.<sup>٦١٠</sup> وفي ٢٠ تشرين الثاني، طلبت الحكومة الكُردية من البريطانيين منع موظفي الحكومة العربية في بغداد من جباية الضرائب من المناطق الكُردية لحين رسم الحدود بين البلدين. وفي الوقت نفسه، بدأ موظفو الإدارة الكُردية بجباية الضرائب من المناطق الكُردية على الرغم من معارضة كوكس لهذا العمل.<sup>٦١١</sup> وكانت الحكومة الكُردية قد قاومت بشكل خاص محاولات عربية ترمي إلى فرض ضرائب، خاصة على التبغ الكُردي، الذي كان من أهم مصادر دخلها.

وجاءت نقطة الانعطاف في العلاقات بين القوميين الكُرد والموظفين البريطانيين في شهر تشرين الأول من العام ١٩٢٢ حين فقد وينستون تشرشل منصبه وزير المستعمرات إثر انهيار الحكومة الائتلافية التي ترأسها السياسي الليبرالي لويد جورج. أما كورزون، الذي احتفظ بمنصبه وزيرًا للخارجية في حكومة المحافظين الجديدة، فعد خطوة كوكس الاندماجية الوسيلة المُثلثة لبقاء المصادر البترولية الكامنة في كُردستان الجنوبية تحت السيطرة البريطانية. ففي كونفرانس لوزان، قام كورزون بتكرار حجج كوكس السياسية والاقتصادية والإستراتيجية لتبرير إلحاق كُردستان الجنوبية بالعراق العربي، محذرًا في الوقت ذاته الكماليين الأتراك من مغبة إجراء استفتاء في ذلك الإقليم لأن «الكُرد سيصوتون بدون أدنى شك لصالح كُردستان مستقلة».<sup>٦١٢</sup> وفضلاً عن هذا، على النقيض من سلفه تشرشل، لم يملك ليو أمري أي وجهات نظر خاصة بشأن الوضع الكُردي وهو الأمر الذي مَكِنَ موظفي المفوضية السامية البريطانية في بغداد من أداء دور حاسم أكبر بكثير مما كانوا يتوقعونه. بهذا النحو، مع اختفاء تشرشل من ميدان صنع القرار المتعلق بـكُردستان الجنوبية، قفز خيار الاندماج القسري إلى الواجهة بوصفه الحل الأسهل والأمثل لمسألة تحديد العلاقة بين ذلك الإقليم وال العراق العربي. وتمثلت الخطوة الأولى التي اتخذتها الحكومة المحافظة البريطانية الجديدة في الموافقة على خطة كوكس والقاضية بإنشاء كُردستان جنوبية تتمتع بحكومة ذاتية ضمن إطار دولة العراق.

<sup>٦٠٩</sup> Ibid.

<sup>٦١٠</sup> Ibid.

<sup>٦١١</sup> Ibid.

<sup>٦١٢</sup> Curzon's Reply to Ismet Pasha, Respecting Mosul, No.1, 23 January 1923, 371/9058, PRO.

جاءت المواجهة بين السلطات الميدانية البريطانية والحكومة الكردية في ظرف سياسي إقليمي ودولي غير ملائم بالنسبة إلى القوميين الكرد، إذ تزامنت مع انعقاد كونفرانس لوزان وتغيير الحكومة الوطنية في بريطانيا. ومن الضروري التذكير أن واحدة من الأسباب التي دعت الكماليين إلى الإدعاء بوجود حقوق تركية تاريخية وامتدادات ثانية في كُردستان الجنوبية قد وضحت في المقام الأول خشيتهم من ان البريطانيين سيقدمون على إنشاء كيان كردي مستقل في ذلك الإقليم، وهو الأمر الذي سيشكل في حال تحقيقه تهديداً جدياً للوحدة الإقليمية لتركيا الجديدة، التي شكل فيها الكرد الشماليون ثاني أكبر مجموعة ثانية تعيش غالبيتها في ربوع وطنها التاريخي. وكما أشار إرنست مين، كان البريطانيون مدركين تمنع كُردستان الجنوبية بأهمية كبيرة بالنسبة إلى أمن كلتا الدولتين: التركية الكمالية والعراق العربي.<sup>٦١٣</sup>

بالنظر إلى وجود المخاوف الكمالية تلك، كان كورزون مدركاً، على ما يبدو، في ان تبني خيار كوكس الاندماجي القسري هو بمثابة رسالة واضحة وصريحة موجهة إلى الأتراك تثبت عدم وجود نوايا بريطانية لإنشاء إقليم كردي جنوبى يمكن أن يُشكّل تهديداً مباشراً لأمنهم القومي. بالإضافة إلى ذلك، أصبح من الأسهل على البريطانيين الدفاع عن مشروع دمج كُردستان الجنوبية بالعراق وذلك من خلال اللجوء إلى بنود الانتداب البريطاني على ميزوبوتاميا بوصفها دليلاً على تعامل بريطانيا والمجتمع الدولي مع الولايات الثلاث بغداد والبصرة والموصى كوحدة سياسية وإدارية وتاريخية واحدة. وحالما بدأ كونفرانس لوزان أعماله، أصبحت تسوية مستقبل كُردستان الجنوبية بصورة عاجلة مسألة حيوية بالنسبة إلى حكومة لندن، التي لابد أن فكرت في حرمان الكماليين الأتراك فرصة استغلال عدم حسم مصير ذلك الإقليم ليدعوا عجز البريطانيين عن إدارة شؤونه. ففي ضوء تلك الحسابات، أصدرت المفوضية السامية البريطانية والملك فيصل بياناً مشتركاً نصّ على منح الكرد القاطنين ضمن "حدود"<sup>٦١٤</sup>

العراق الحق في تشكيل حكومتهم المحلية بالطريقة التي يرغبون بها.  
ومن السُّخرية أن يطرح كوكس خطته آنفة الذكر بوصفها تعزيزاً للنزعنة القومية الكردية، على الرغم من اقتصارها على مقاطعة السليمانية. لقد كان كوكس يأمل في

<sup>٦١٣</sup> Ernest Main, Iraq from Mandate to Independence (London: George Allen & Unwin, 1935), p.133.

<sup>٦١٤</sup> IIR, No.1, 1 January 1923, F0371/7772, PRO.

أن يؤدي إعلان الحكومة - الذاتية المحلية إلى تفريق صفوف القوميين الكرد بين مجموعة معتدلة وأخرى متطرفة، حيث وصف أعضاء المجموعة الأولى بـ "الكرد الأكثر تنوراً" والثانية الخاضعة لقيادة الشيخ محمود بـ ((العناصر الأكثر جهلاً وتعصباً)).<sup>٦١٥</sup> وأصبح منح السليمانية صيغة الحكم الذاتي، كما أبلغ البريطانيون الشيخ محمود بذلك، الأساس الوحيد لآلية مفاوضات مع القوميين الكرد. وبخلاف ذلك، وكما صرَّ مسئولو المفوضية السامية البريطانية، لم يُعد البريطانيون على استعداد في الدخول في مفاوضات مع الشيخ محمود. ويُذكر أن الأخير سارع إلى رفض صيغة الحكم الذاتي المحدود سياسياً وجغرافياً. وإزاء تصميم كوكس ومرؤوسه على فرض الاندماج القسري وامتناعهم عن التفاوض مع أعضاء وفد الحكومة الكردية الموجودين في بغداد، أضطرَّ الشيخ وأنصاره إلى إعلان انتفاضة جديدة ضدَّ البريطانيين، أملاً في تحقيق تطلعاتهم السياسية من خلال اللجوء إلى عامل القوة. وهذه الانتفاضة كانت الثانية من نوعها في مدة لا تتجاوز الأربعة أعوام. إن وجود كُردستان جنوبية في حالة قلقة غير مستقرة في وقت لم يستطع فيه البريطانيون والأتراك حسم مصيرها السياسي، لربما هو الأمر الذي يفسِّر تردد ليو بشأن إقحام أهالي الإقليم في الانتخابات القادمة في العراق العربي، بالطريقة التي اقترحها هنري دوبن، المفوض السامي البريطاني بالوكالة:

بنكهة زين

ان دعوة الحكومة (العراقية)، في حالة إحالة مسألة حدود (ولاية) الموصل إلى التحكيم، قد تضعف نوعاً ما في حال أن يكون التصويت الكردي بالضد من المشاركة في الانتخابات. ان من الجوهرى ... بالنظر إلى الاطمئنان الصريح الذي قدمه سلفي في البرلمان (البريطاني) في ١١ تموز من العام المنصرم (١٩٢٢) ... يوجب علينا منح الكرد فرصة حقيقة لكي يقرروا بأنفسهم موقفهم (من انتخابات العراق).<sup>٦١٦</sup>

أما دوبن، الذي سار على خطى سلفه كوكس بدقة، فأناك وجود آلية مخاطر قد تنشأ عن المشاركة الكردية في الانتخابات القادمة، ليستمر في تنفيذ خطة الاندماج

<sup>٦١٥</sup> High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 16 November 1922, F0371/7782, PRO.

<sup>٦١٦</sup> S/S to Acting High Commissioner, 7 June 1923, F0371/9014, PRO.

القسري. <sup>٦١٧</sup> ورفض دوبيز كذلك مسألة التباحث مع القوميين الـكـرـد بـقـيـادـة الشـيخ  
مـحـمـود بـشـأن جـمـلة قـضـايا سـيـاسـية أـسـاسـية، فـي مـقـدـمـتها منـح الـكـرـد الجـنـوـبيـين فـرـصـة  
حـقـيقـيـة لـكـي يـقـرـرـوا بـأـنـفـسـهـم مـصـيرـهـم السـيـاسـي بـحـرـيـة. <sup>٦١٨</sup> لـقـد مـتـلـ إـقـاحـاـم أـهـالـي  
كـرـدـسـتـان الجـنـوـبـيـة فـي اـنـتـخـابـات المـجـلـس التـشـريـعـي فـي صـيف الـعـام ١٩٢٣ تـجـسيـداً  
لـانـدـمـاج ذـلـك الإـقـلـيم قـسـراً بـالـعـرـاقـ الـعـرـبـيـ.

خاتمة الفصل

كان الاستخدام المتعمد للقنابل الغازية والهجمات الجوية ضد أهداف مدنية في المدة ١٩٢٢-١٩٢٥ تجسيداً حياً وصارخاً لمديات القلق الواسعة، التي انتابت البريطانيين، بشأن تطبيع أوضاع كردستان الجنوبية أمنياً وسياسياً في ظل أوضاع كان مصير الإقليم المذكور فيها ما زال معلقاً بين دمجه اعتباطياً بالعراق العربي وإرجاعه قسراً إلى تركيا الكمالية. وجد البريطانيون أنفسهم في حاجة ماسة إلى خلق انطباع إيجابي، في أثناء جولات المفاوضات الثنائية مع الكماليين الأتراك المتعلقة بمصير ولاية الموصل، بأن الوضع كان هادئاً وطبيعاً في المناطق الكردية وبأن سكانها الـ<sup>كـ</sup>رـدـ مـقـتـنـعـونـ وـقـانـعـونـ بـخـصـوـعـهـمـ إـلـىـ سـلـطـةـ الـحـكـوـمـةـ الـعـرـبـةـ فـيـ بـغـدـادـ.

كان اللجوء الى وسائل العنف الطريق الوحيد أمام البريطانيين إذا ما أرادوا إلحاق هزيمة ساحقة بالمنتفضين الكرد بقيادة الشيخ محمود، وتعبيد الدرب أمام فرض حكم عربي مباشر على مقاطعات كردستان الجنوبية. تدلل تجربة الإقليم في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ان الاستخدام الفاعل لطيران السلاح الجوي الملكي البريطاني لقمع المقاومة الكردية المسلحة كان احدى العوامل الأساسية في قلب الموازين لصالح مشروع كوكس الاندماجي القسري، وكذلك حماية وحدة الدولة العراقية الراهنة في الأعوام الطويلة التي تلت العام ١٩٢٣.

لقد أصبح الوصول إلى اتفاق سلام مع تركيا الكمالية وبأسرع وقت ممكن أحد العوامل المهمة المؤثرة في موقف بريطانيا تجاه مستقبل كُردستان الجنوبية السياسي عُشية انعقاد كونفرانس لوزان. ومع اختفاء المخاوف من قيام القوات الكمالية بغزو مفاجئ لمزيد وتأتمبا العربية عبر المناطق الـكُردية الشمالية، لم تعد هناك أية حاجة أو

<sup>617</sup> Acting High Commissioner to S/S, 16 July 1923, F0371/9014, PRO.

<sup>618</sup> Acting High Commissioner to S/S, 15 July 1923, F0371/9014, PRO.

تبرير بالنسبة الى البريطانيين لإبقاء كُردستان الجنوبي إقليماً منفصلاً لكي يؤدي دور الحزام الأمني الإستراتيجي لحماية ميزوبوتاميا العربية من جاره الشمالي. ومع تزايد حالة الوهن الذي أصاب الحركات القومية الكُردية في شمال كُردستان وشرقها، أصبح وجود حكومة كُردية في كُردستان الجنوبي عائقاً كبيراً، منع البريطانيين من الوصول الى اتفاقية سلام ثنائية مع تركيا الكمالية، إذ ان الأخيرة لم تخف معارضتها الشديدة لوجود إقليم كُردي منفصل يبمت بحكم ذاتي واسع.

يمكن إرجاع غبة خيار كوكس الاندماجي القسري على خيار إبقاء كُردستان الجنوبي كياناً منفصلاً ومستقلاً عن العراق العربي بين أواخر العام ١٩٢٢ ومنتصف العام ١٩٢٣ الى عوامل متضادة عدّة. ففي المقام الأول، شَكَلَ كوكس العنصر الأهم والأكثر تأثيراً في مسار الأحداث، التي رافقت رسم وإعادة رسم علاقة كُردستان الجنوبي بلندن سياسياً وإدارياً. فهو صفة المفوض السامي البريطاني، كان كوكس القناة الذي ثمرّ من خلاله السياسة الكُردية لوزارة المستعمرات، وعن طريقه تأتي الى تلك الوزارة المعلومات الخاصة بالوضع الكُردي. وفوق ذلك، تتمتع كوكس بخبرة سياسية وتجربة إدارية طويلة في الشؤون الامبرالية، حيث خدم المصالح البريطانية في الهند وفي بلاد فارس ومنطقة الخليج وميزوبوتاميا لأكثر من ربع قرن. كما طور كوكس ما ورثه من سلفه الكولونيال ويلسون من ترتيبات سياسية وإدارية قيدت حركة كُردستان الجنوبية نحو تحقيق المزيد من الاستقلالية والتمايز. وتبنى كوكس تكتيكات كان ويلسون قد التجأ اليها، ومنها استثناء العناصر غير المرغوب بها من الجهاز الإداري البريطاني، التي تحمل وجهات نظر مخالفة لتلك التي يحملها. وأفاد كوكس كثيراً من تصورات ويلسون الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية حول الضرورة المتعددة الأبعاد لمسألة دمج كُردستان الجنوبية قسراً بإدارة العراق العربي.

من المنطق الافتراض أنه لم يكن في مصلحة كوكس ومن هُم على شاكلته ان يرسل تقارير دقيقة عن أية مسائل أو أمور تتعارض مع تصوراته الأساسية عن الشؤون الكُردية أو ان يُنفذ دعاة الاندماج القسري بصدق وبحيادية توصيات الوزير وينستون تشرتشل الخاصة بكُردستان الجنوبية. لقد بالغ كوكس لدى وصفه ظاهرة النزعـة القومية العربية في العراق، في الوقت الذي قلل فيه الى أبعد المديات من أهمية المشاعر القومية الكُردية بوصفه عاملاً مؤثراً، سواء في رسم مستقبل كُردستان

الجنوبية أو في تحديد علاقتها ببغداد. وبفضل منصبه، كمفاوض سامي مسؤولاً بصورة ميدانية عن تطبيق سياسة السيطرة غير المباشرة التي تبنتها حكومة لندن، كان كوكس في موقف أقوى من أي مسؤول بريطاني آخر من حيث التأثير بوجهة التطورات السياسية في كُردستان الجنوبية ومسار الأحداث فيها. وبالطريقة نفسها التي استطاع ويلسون فيها تدمير الإدارة الكردية الأولى ومنع ظهور كُردستان جنوبية منفصلة تتمتع بحكم ذاتي في المدة ١٩١٨-١٩٢٠، تمكّن كوكس من تدمير الإدارة الكردية الثانية بحيث أغلق الأبواب أمام قيام كُردستان جنوبية منفصلة ومستقلة في المدة ١٩٢١-١٩٢٣. ولم يكن النفوذ الحاسم الذي مارسه كوكس في رسم مستقبل إقليم كُردستان الجنوبية بظاهره غريبة أو فريدة. فتاريخ الإمبراطورية البريطانية كان حافلاً بحالات مماثلة كشفت عن قدرة موظفين امبرياليين من العاملين ميدانياً على تحديد مسار التطورات السياسية في جنوب شرق آسيا والقارة الإفريقية من خلال تجاهل النهج الرسمي، مستغلين بعد المسافة وتأخر وسائل الاتصالات وقلة المعلومات لدى الحكومة المركزية.



## الفصل السابع

### قيام الدولة العربية في ميزوبوتاميا وتأثيراته في سياسة بريطانيا تجاه كُردستان الجنوبية لمرحلة ما بعد سيفر

لم يكن استبدال الإدارة البريطانية المباشرة بمؤسسة أهلية عربية في ولائيتي بغداد والبصرة عملية بسيطة، وذلك لأن البريطانيين لم يختبروا مثل هذه التجربة من قبل بحيث تمكّنهم من تطبيقها في منطقة الشرق الأوسط في أقل تقدير. وفي المقام الأول، لم تكن للدولة الجديدة حدود دولية مشخصة، خاصة في اتجاه الشمال والشمال الغربي، بعد أن نصبّ البريطانيون الأمير فيصل ملكاً على العراق في العام ١٩٢١. ولم يكن لرسم تلك الحدود بُعد سياسي بحت، بل أيضاً أبعاد مالية وإستراتيجية. بتعبير أدق، كان من الضروري رسم حدود العراق الشمالية بطريقة تضع بريطانيا في موقف يُمكّنها من سحب قواتها الامبرialisية بوصفها الوسيلة المباشرة التي ستتمكنها من وضع حد لنفقاتها العسكرية في منطقة ميزوبوتاميا الخاضعة لانتدابها. ثانياً، ونظراً لأهمية إنهاء جميع التزاماتها المالية، سعت بريطانيا إلى إنشاء دولة عراقية قادرة مُكتفية ذاتياً من النواحي الاقتصادية والمالية لدى شروعها في بناء مؤسسات مدنية وأجهزة عسكرية. وأخيراً، في الوقت الذي اعتمد فيه إنشاء نظام السيطرة غير المباشرة على العرب السنة، فإن الآخرين لم يمثلوا سوى أقلية من حيث العدد بالمقارنة مع العرب الشيعة. ولهذا أصبح من الضروري على البريطانيين، من جانب، وفيصل وأنصاره، من جانب ثان، البحث عن وسيلة تخفّف من حالة عدم التوازن الطائفي التي تؤثر سلباً في الواقع السياسي. ونظراً لوجود تلك الهواجس الإستراتيجية والاقتصادية والسياسية لدى البريطانيين، فإن هذا الفصل سيُبيّن كيف اكتسبت كُردستان الجنوبية أهمية جديدة بعد إقامة الدولة العربية، وكيف ان تلك العملية تركت تأثيرات حاسمة في القرار البريطاني القاضي بدمج ذلك الإقليم بتلك الدولة العربية على الضد من إرادة الأهالي. وكما سيُحلل الفصل كيف تلاقت فيه مصالح بريطانيا الإستراتيجية والاقتصادية والسياسية مع طموحات النخبة السياسية الحاكمة الجديدة في الدولة العربية الحديثة التكوين، التي تشكّلت تحت رعايتها الخاصة.

## **الماتمح العربية الإقليمية في مواجهة التطلعات القومية الـكردية**

### **١. فيصل وحدود دولة العراق ومنزلة كُردستان الجنوبية السياسية**

ان الادعاءات الإقليمية التي قدمها الشريفيون وأنصارهم من العرب السنة المبزوبوتاميين حول عائدية أجزاء واسعة من كُردستان العثمانية للوطن العربي قد تزامنت مع تلك التي أطلقها القوميون الكماليون في تركيا والقوميون المتشددون في إيران. لقد احتلت مسألة الاستيلاء بصورة تعسفية على اكبر قدر ممكن من المناطق الـكردية موقعاً متقدماً في برامج أصحاب النزعات الطورانية والإيرانية والعربية. كما إن كل قوة من تلك القوى القومية سعت الى بسط سيطرتها على المناطق الـكردية سواء على حساب القوى الأخرى أو على حساب التطلعات القومية لأهاليها من الـكرد. وبعد أن شكل البريطانيون أول مجلس وزراء عربي في نهاية العام ١٩٢٠ بوصفه نواة لدولة وإدارة أهلية جديدة، كانت واحدة من أولى قرارات ذلك المجلس خضوع المقاطعات الـكردية الخاضعة للإدارة البريطانية السابقة لقانون الانتخابات الخاصة بولايتي بغداد والبصرة.<sup>٦١٩</sup> وأتخد المجلس المذكور خطوة محسوبة تماماً حين حاول إعادة العمل بالنظام الإداري العثماني السابق لكي يحل محل المقاطعات الأربع عشر التينظمتها الإدارة المدنية البريطانية، والقائمة على الفوائل الأثنية والقبلية.<sup>٦٢٠</sup> وأدرك مجلس الوزراء العربي أهمية مقاطعة السليمانية بوصفها مركزاً للنشاط القومي، ولهذا سعت الى احتواء نفوذها وتأثيرها إدارياً عن طريق تحويلها الى قضاء صغير. واعتبر تقرير وزارة الدفاع العربية، الخاضعة لإمرة جعفر العسكري الذي أصبح واحداً من اشد المناصرين للحركة الشريفية بعد وقوعه في أسر القوات البريطانية خلال الحرب، كُردستان الجنوبية ضمن ((الحدود الطبيعية)) للعراق، داعياً البريطانيين الى إعطاء ضمانات للدفاع عنها ضد أي عدوan خارجي.<sup>٦٢١</sup> لقد حاول مجلس الوزراء المذكور التعامل مع كُردستان الجنوبية كما لو كانت جزءاً لا يتجرأ من الدولة العربية الجديدة، متجاهلة تماماً رأي سكانها من الـكرد أو بنود معاهدة سيفر الدولية لعام ١٩٢٠.

<sup>٦١٩</sup> MIR, No-4, 31 December 1920, F0371/6348, PRO.

<sup>٦٢٠</sup> Philip Ireland, Iraq: A Study in Political Development, (London: Jonathan Cape, 1937), p.296.

<sup>٦٢١</sup> MIR, No.9, 15 March 1921, F0371/6348, PRO.

ولأن مستقبل كُردستان الجنوبية لم يكن محسوماً بعد وفق المعاهدة الدولية، لم تكن الحكومة البريطانية على استعداد لدراسة القرار الفردي الذي اتخذه مجلس الوزراء العربي، ناهيك عن تبنيه. واستمرت حالة عدم التأكيد من المستقبل النهائي للإقليم حتى بعد أن أجلس البريطانيون فيصل على عرش العراق العربي. وقبل أن يتوجه فيصل إلى بغداد، أخبرته الحكومة البريطانية بصورة مباشرة وصريحة بأنها لم ترسم بعد حدود الدولة العربية المزعزع إنشاؤها. ولم يُبدِّ فيصل أي اعتراض أو تعليق على ذلك.<sup>٦٢٢</sup> فمن وجهة النظر البريطانية، عُدَّ ترسيم حدود الدولة العربية في ميزوبوتاميا، خاصة في الاتجاهات الشمالية والغربية، مسألة سابقة لا وانها، إذ كان من الضروري الترقب حتى تستقر الأوضاع وتتضمن الأمور، خاصة كيفية تطبيق بنود معاهدة سيفر المتعلقة بحدود سوريا الفرنسية وتركيا الجديدة. وأصبحت مسألة ترسيم حدود دولة العراق العربي الشمالية والجنوبية والغربية من المهمات الرئيسية لقسم الشرق الأوسط المستحدث في وزارة المستعمرات.<sup>٦٢٣</sup>

وحالما ثُصبَ فيصل ملكاً على العراق العربي، سارع إلى إثارة مسألة حدود دولته الشمالية، مطالبًا البريطانيين بخضاع كُردستان الجنوبية لسلطته. ولم تتوقف مطالب فيصل عند تلك الحدود، إذ طالب بمناطق كُردية أخرى تقع في غرب كُردستان العثمانية. وهي مناطق عدّها عربية حين كان حاكماً على سوريا. ومن الضروري التأكيد مرة أخرى أن هذه المطالب تعود في جذورها إلى المراسلات السرية التي دخل فيها والده، الشريف حسين، مع الحكومة البريطانية خلال زمن الحرب العالمية الأولى. وتلك المطالب تعدد في مضمونها ومداها ما كان يطالب به مجلس الوزراء العربي في بغداد. وتتضمن للعيان ادعاءات فيصل الإقليمية في كُردستان العثمانية حين حَدَّ الحدود الشمالية- الغربية لدولة العراق الجديدة:

أولاً، شمال الفرات: ينبغي ان تكون جزيرة ابن عمر ونصيبين معاً ... ضمن العراق، وان الحدود التي تتبع المسار المركزي لذلك النهر ونقطة تلاقيه بالفرات ينبغي ان يمتد من الجزيرة الى نصبيين ومنها نحو الجنوب الى ضفة (نهر) الخابور.<sup>٦٢٤</sup>

<sup>622</sup> Minute of the Meeting of the Eastern Committee on November 3, Regarding Policy in Kurdistan, F0371/6347, PRO.

<sup>623</sup> Klieman, **Foundations of British Policy in the Arab World**, p.93.

<sup>624</sup> High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 12 February 1922, F0371/7781, PRO.

ان النقطة الرئيسية التي انطلق منها فيصل في التعامل مع مسألة تعين الحدود تمثلت بطلبه من البريطانيين في ان ينظروا الى الوضع الكردي من زاوية تأمين متطلبات دولة العراق الجديدة على الأصعدة العسكرية والاقتصادية والسياسية، فضلاً عن ضرورة ديمومة الموقف المحلي العربي الودي تجاه لندن. إضافة الى ذلك، طرح فيصل المصالح البريطانية كما لو إنها كانت متماثلة ومتماشية مع طموحات العرب الإقليمية في كُردستان العثمانية، خاصة حين اشتدت الخلافات البريطانية- التركية بشأن مستقبل كُردستان الجنوبية بعد العام ١٩٢٠. بعد ان نالوا دعم كوكس وتشجيعه العلني وغير المنظور لإدعائهم الإقليمية في كُردستان الجنوبية،<sup>٦٢٥</sup> غالى فيصل وبطانته السنوية في بغداد في إدعائهم، حتى إنهم اقترحوا استدرج «الكرد الشماليين لكي ينضموا الى كُردستان ذات حكم ذاتي تقع تحت سيادة العراق».<sup>٦٢٦</sup> وفي الوقت ذاته، حذر فيصل البريطانيين من عواقب قيام كُردستان موحدة بالنسبة الى مصالحهم في ميزوبوتاميا العربية. ولتجنب وقوع تلك العواقب، دعا فيصل البريطانيين الى حسم مصير كُردستان الجنوبية فوراً وذلك عن طريق ضمّها الى الدولة العربية.<sup>٦٢٧</sup> أما لندن، التي كانت تعاني من مضلات كبيرة ترتبط بقلة المصادر المالية وكثرة الالتزامات العسكرية، فكانت ترفض أية خطوة بريطانية توسيعية في كُردستان، ناهيك عن إرضاء طموحات فيصل الجامحة فيها. وفي مرحلة لاحقة، واصلت وزارة المستعمرات معارضه مطالب فيصل وحاشيته السنوية القاضية بدمج الإقليم الكردي بالدولة العربية حتى العام ١٩٢٢، وذلك لأنها تراها تتناقض مع سياستها القائمة على تشجيع ((النزعنة القومية العربية لا النزعنة الامبرialisية العربية)).<sup>٦٢٨</sup>

## ٢. استفتاء ميزوبوتاميا لعام ١٩٢١

عدَّ فيصل إجراء الاستفتاء الخاص بترشيحه لعرش المملكة العربية في ميزوبوتاميا في صيف العام ١٩٢١ فرصة لا تفوت لخضاع كُردستان الجنوبية

<sup>٦٢٥</sup> High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 20 September 1921, C0730/5, PRO.

<sup>٦٢٦</sup> High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 15 August 1922, F0371/7800, PRO.

<sup>٦٢٧</sup> High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 23 September 1921, F0371/6347 ٢٣ & September 1921, C0730/5, PRO.

<sup>٦٢٨</sup> High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 25 October 1921, F0371/6347, PRO.

لسلطته المباشرة. وكان المسؤولون الميدانيون البريطانيون في بغداد قد نجحوا في إقناع وزارة المستعمرات بدخول الـ*كُرد الجنوبيين* إلى ذلك الاستفتاء، كما طالب فيصل، أملًا بالحصول على نتائج يُمكن استخدامها كوسيلة تبرير إلحاق كُردستان الجنوبيّة بالعراق العربي. أما الاستفتاء نفسه فقد كان تجربة ديمقراطية مزيفة، إذ ان المستشارين البريطانيين والمتصرفيين المحليين الموالين لهم سخروا جل جهودهم في ضمان خروج فيصل منتصراً من تلك العملية السياسية. وغالباً ما أخذ هؤلاء الموظفون على عاتقهم مهمة التعبير عن رأي أهالي أغلبية المقاطعات الإدارية، وهو من أقام اللقاءات وأدار الجلسات وأعلن نتائج الاستفتاء. وتميزت قواعد الاستفتاء بطابع بالغ التبسيط، إذ اتخذت شكل عرائض (مضبطة):

نحن الموقعون أدناه، سكان ناحية محلة ...، في قضاء مدينة ...، في اللواء ...،  
سمعنا وفهمنا وتدارسنا تماماً قرار مجلس الدولة أعلاه، وافرزا عن ... أعلنوا  
عن الموافقة عليه وعبروا عن مبادئ الأمير فيصل، بينما عبر  
المخالفون ... .<sup>٦٢٩</sup>

ونظراً لتصميم البريطانيين على تنصيب الأمير فيصل ملكاً على العراق العربي بغض النظر عن رغبات الأهالي ومقاطعة الشيعة وقيادتهم التقليدية للاستفتاء، فإنه لا يمكن اعتبار نتائج تلك العملية تعبيراً حقيقياً عن رغبات السكان الأصليين، سواء في كُردستان الجنوبيّة أو في ميزروتاميا العربية. ويوضح فيليب آيرلند في تحليله لأسلوب إجراء الاستفتاء انه في مقاطعة البصرة تم دعوة ممثلين تم انتقاومهم على شكل مجموعات ليعلنوا نيابة عن السكان المحليين آراءهم بحضور لجنة انتخابية.<sup>٦٣٠</sup> وغالباً ما جلب الأشراف المحليون عريضتين الى الموظفين البريطانيين نيابة عن سكان منطقة واحدة: عريضة ترفض تنصيب فيصل ملكاً على العرب العراقيين، والأخرى توافق على تنصيبه. وكان هذا يعني عملياً انه وقع على عاتق الموظفين البريطانيين مسألة اختيار واحدة من العريضتين لكي يتم تقديمها بوصفها تعبيراً عن إرادة المحليين.

جاء الاستفتاء ليتحقق غايتين رئيسيتين بالنسبة الى حكومة لندن. أولاً، لم يكن الاستفتاء سوى محاولة سياسية لإضعاف صبغة شرعية على مسألة ترشيح الأمير فيصل لعرش المملكة العربية الجديدة. ثانياً، سعت الحكومة البريطانية من خلال الاستفتاء الى

<sup>629</sup> MIR No.18, 1 August 1921, C0730/4, PRO.

<sup>630</sup> Ireland, Iraq: A Study in Political Development, p.332.

إقطاع أعضاء البرلمان البريطاني بان الوضع في ميزوبوتاميا ما زال تحت السيطرة، ولهذا فإنه لا توجد هناك حاجة تدعو بريطانيا إلى إنهاء وجودها أو علائقها السياسية مع ذلك البلد في أعقاب سلسلة الانتفاضات الدموية التي وقعت خلال العام ١٩٢٠.

أما فيصل فسعى، على غرار كوكس، إلى استغلال الاستفتاء لغاية أخرى وهي استخدامها وسيلة لإخضاع كُردستان الجنوبية للسيطرة العربية المباشرة. في البدء، كان الاستفتاء شأنًا خاصًا يتعلّق بعرب ميزوبوتاميا، أي دون أن يشمل الكُرد الجنوبيين. ومن خلال توسيع عملية المشاركة في الاستفتاء لتشمل كُردستان الجنوبية، كان فيصل يأمل في الاستفادة من نتائجها بطريقة تمكنه من إلحاق ذلك الإقليم بالدولة العربية. وبهذا الشكل، لا يُجرد الاستفتاء سلاح القوميين الكُرد من الناحية السياسية فحسب، بل سيمنع أي تطور في اتجاه قيام إقليم كُردستان منفصل ومستقل. وعلى الرغم من قرارها الأولي بالتعامل مع الشؤون الكُردية بشكل منفصل عن شؤون ميزوبوتاميا العربية، وافقت وزارة المستعمرات على ترك المجال مفتوحًا أمام ثلاث مقاطعات إدارية ذات الغالبية الكُردية في السليمانية وكركوك والموصى أمر المشاركة في الاستفتاء، في حالة إبداء المحليين الكُرد الرغبة في ذلك.

في مقاطعة السليمانية، حيث أدرك القوميون الكُرد الأبعاد السياسية الحقيقة لأية مشاركة كُردية في الاستفتاء، رفض سكانها بالإجماع تقريبًا فكرة الاشتراك في تلك العملية السياسية. وهذا يعني أن ما يقارب ثلث الكُرد قد رفضوا المشاركة بمبدأً في الاستفتاء، تأكيدًا عن التصويت لصالح الأمير فيصل وحكومته العربية. أما في المقاطعتين ذات الأغلبية الكُردية، أي الموصى وكركوك، اللتين تميزتا بقلة نشاطات القوميين الكُرد، فقد أشارت التقارير البريطانية إلى مشاركة الكُرد في عملية الاستفتاء.

وبالرغم من شيوع حالات التلاعُب وانعدام النزاهة وفقدان الشفافية التي تخللت عملية الاستفتاء بشكل عام، يمكن للمرء الخروج من نتائجها بعدَ نقاط مهمة تسلط الضوء على المواقف الكُردية تجاه مسألة فرض حكم عربي على إقليم كُردستان الجنوبية. لقد أشارت التقارير إلى أن المحليين الكُرد القاطنين في أقضية مقاطعة الموصى، مثل سنجار والعمادية وعقرة ودهوك وزاخو، قد صوتوا لصالح فيصل والحكومة العربية. فالعرايض المقدمة في تلك المقاطعة، التي بلغ عددها ٦٨، بيّنت وبوضوح أن الكُرد الموقعين عليها، أرادوا الاحتفاظ بحق الاتحاد مع إخوتهم من الكُرد

الشماليين في حالة حصول الآخرين على دولة مستقلة، وان قبولهم بفيصل كان مشروطاً بحماية حقوقهم في الحكومة والتعليم والقضاء وغيرها من الميادين الحيوية. وهذا الأمر يكشف، في أقل تقدير، عدم إدراك هؤلاء الـكُرد للتداعيات السياسية الحقيقة الناجمة عن عملية مشاركتهم في الاستفتاء. فحالما قبل هؤلاء بسلطة فيصل وحكومته العربية، استحال عليهم أمر الانضمام الى أية دولة كُردية في حال تشكيلها في المستقبل القريب أو البعيد. ويبدو ان هؤلاء الـكُرد اعتبروا حكم فيصل إجراءً مؤقتاً، نظراً للتطورات التي من الممكّن أن تحصل بالنسبة الى رسم مستقبل كُردستان النهائي.

ومن الضروري ملاحظة ان غالبية الاقضية الـكُردية الواقعه ضمن مقاطعة الموصل كانت مسرحاً لانتفاضات كُردية محلية في حينه. ولهذا لا يمكن للمرء سوى التشكيك بإدعاءات البريطانيين القاضية بمشاركة غالبية الـكُرد في الاستفتاء عن طريق زعاماتها التقليدية. ان الفوضى الإدارية وعدم الاستقرار السياسي وانعدام الأمن وشروع حالات التمرد المحلي المعادي للبريطانيين في تلك الاقضية لا يتفق تماماً مع إدعاءات التقارير البريطانية بأن أهالي مقاطعة الموصل من الـكُرد قد صوتوا بالإجماع لصالح فيصل وحكومته العربية. ان الوضع المتردي العام في تلك الاقضية هو دليل بحد ذاته على ان سكانها الـكُرد لم يقبلوا بحكم الموظفين البريطانيين، فكيف إذن ارتبوا بفرض حكم غريب آخر عليهم بحسب الادعاءات البريطانية ! ففي تعليقه على نتائج عملية الاستفتاء، أشار الموظف السياسي البريطاني في مقاطعة الموصل الى انه لو منحت حرية اتخاذ القرار للـكُرد والإيزديين والمسيحيين وال فلاحين العرب لعبروا عن رأيهم الحقيقي المعارض لفرض حكم عربي عليهم.<sup>٦٣١</sup> وهذه لم تكن المرة الأولى التي أشارت فيها تقارير بعض الموظفين الى رفض غالبية سكان مقاطعة الموصل فرض حكم شريفي - عربي عليها. ففي استفتاء أجراه كولونيل ويلسون في المدة ١٩١٨ - ١٩١٩، أبدى أهالي المقاطعة المذكورة معارضتهم لإقامة حكم عربي.<sup>٦٣٢</sup>

اما التقارير الخاصة بمقاطعة كركوك فقد أشارت الى تصويت ممثليها ضد فيصل وضد الإلتحاق بالدولة العربية، إذ رفضت ٢١ عريضة تنصيب فيصل ملكاً، في حين وافقت ٢٠ عريضة على ذلك، على الرغم من وجود عدد من العرائض الأخرى غير

<sup>٦٣١</sup> Mosul, Annual Administration Report for 1921, 371/7801, p.14, PRO.

<sup>٦٣٢</sup> Ireland, Iraq: A Study in Political Development, p.168.

المُكتملة. وتشير تلك التقارير أيضاً ان غالبية العرائض المعارضة لفيصل كانت تحمل توقيع أنس (من غير العرب)، من الذين «فضلوا الانتظار لحين استقرار وضع كُردستان مستقلة».<sup>٦٣٣</sup> وفي لقاءات غير رسمية، قرر مشاركون في الاستفتاء انه إذا ما صار فيصل ملكاً، فانهم ((سيطالبون بالوحدة مع كُردستان)).<sup>٦٣٤</sup> وأخبرت الزعامات الكردية، حتى بعض الأشراف العرب، المستشار البريطاني عبر محادثات خاصة ((بأنهم لا يريدون فيصل أو أية حكومة عربية)).<sup>٦٣٥</sup> وفي حين أصرت الجماعة التركمانية على الانضمام فوراً إلى تركيا، فإن أهالي جميع المناطق الكردية، التي تشكلت منها مقاطعة كركوك، طالبوا بإقامة حكومة كُردية منفصلة.<sup>٦٣٦</sup> وحقيقة أن قيام ٢٦١ شخصاً من أصل ٣١,٢٦٩ في تلك المقاطعة بالتصويت لصالح حكم فيصل والاندماج بالعراق العربي لهو دليل بحد ذاته على قدرة الموظفين البريطانيين الميدانيين في التلاعب بالنتائج، إذ إنهم أعلنوا ان الفارق العددي بين العرائض المعارضة لفيصل والعرائض المؤيدة له هو واحد فقط. ويدرك آيرلند لدى تحليله لنتائج عملية الاستفتاء، كيف استخدم الموظفون البريطانيون كلمة الإجماع بصورة اعتباطية، بدلاً من ((الأكثرية)) حين الإعلان عن نتائج الاستفتاء في مدينة أو في قضاء.<sup>٦٣٧</sup> إن ما يمكن استنتاجه من طريقة إجراء عملية الاستفتاء هو انه بالرغم مما بذله كوكس من مساعٍ سياسية حثيثة دعماً لفيصل، فإن الغالبية العظمى من الكُرد الجنوبيين قد رفضت سلطة فيصل وحكومته العربية: ولابد ان نتائج الاستفتاء قد أصابت فيصل بخيبة أمل، خاصة وانه كان يسعى الى استخدامها كدليل على وجود قبول كُردي بسلطته وبخيارات الاندماج الفوري بالعراق العربي.

بعد إجراء عملية الاستفتاء لعام ١٩٢١ واستقرار الحكم الملكي للأسرة الهاشمية، أستمر فيصل في جهوده الرامية الى إقناع حكومة لندن بالتخلي عن فكرة إجراء استفتاء منفصل خاص بإقليم كُردستان الجنوبية من أجل أن يُقرر أهاليه مصيرهم السياسي بصورة مباشرة وحاسمة. وبهذا الصدد، أدعى الملك فيصل بأن إجراء استفتاء آخر في المقاطعات الكردية لابد أن يُلقي بظلال الشك على ((شرعية))

<sup>٦٣٣</sup> IIR, No.19, 15 August 1921, F0371/63531 PRO.

<sup>٦٣٤</sup> Ibid.

<sup>٦٣٥</sup> Ibid.

<sup>٦٣٦</sup> Ibid.

<sup>٦٣٧</sup> Ireland, Iraq: A Study in Political Development, p.332.

عملية الاستفتاء الأولى التي جرت في ميزوبوتاميا.<sup>٦٢٨</sup> وقام فيصل بتنسيق مساعيه بصورة وثيقة مع المفوض السامي البريطاني حول شمول كُردستان الجنوبية بقانون الانتخابات المتعلق باختيار مجلس وطني عربي في بغداد.<sup>٦٢٩</sup> وبالفعل أخذت تلك الخطوة في وقت كان التأزم السياسي والفلتان الأمني قد وصلا ذروتهما في المناطق الكُردية، وتقاطعت تماماً مع مطالب مستمرة كان يقدمها الكُرد حول ضرورة رجوع الشيخ محمود من منفاه القسري وبناء حكومة كُردية جديدة.

وحيث قررت وزارة المستعمرات في نهاية المطاف السماح للشيخ محمود بالعودة من منفاه إلى السليمانية أملأ في تهدئة الأوضاع الملتهبة، عارض فيصل هذا الإجراء، لأنـه، على ما يبدو، كان يخشى من قدرة الشيخ محمود على ملئ الفراغ السياسي والأمني القائم بسبب الانسحاب البريطاني وذلك عن طريق إقامة إدارة أهلية كُردية فاعلة. وفي الوقت الذي كان فيه الشيخ محمود في طريقه إلى مدينة السليمانية عائداً من منفاه، قام كوكس بترتيب لقاء خاص له مع الملك فيصل. وبالرغم من ان المصادر البريطانية لم تشر إلى أسباب عقد اللقاء المذكور، فمن المعقول القول ان فيصل، وبدعم من كوكس، كان يأمل في إقناع الشيخ محمود بمباعنته وإعلان الولاء لحكمه ومن ثم شرعنة إلحاق كُردستان الجنوبية بالدولة العربية. ويدلل غياب أي تصريح أو تعليق رسمي حول الحوارات الدائرة على فشل اللقاء المذكور في الوصول إلى نتيجة تذكر. ولم يُبَدِّل الشيخ محمود استعداده الثناء أو بعد اللقاء على الاعتراف بسلطة فيصل وحكومته العربية، ولا موافقة فيصل هو الآخر على فكرة وجود كُردستان جنوبية منفصلة ومستقلة عن سلطته.

وكما بين الفصل السابق، أدى تشكيل حكومة المحافظين في لندن في شهر تشرين الأول من عام ١٩٢٢ إلى تقهقر خيار قيام كُردستان جنوبية منفصلة إلى الوراء وتتصدر خيار الاندماج القسري والفوري في الواجهة بسبب انسجامه مع المصالح البريطانية الإستراتيجية في العراق. تلك كانتخلفية التنسيق الوثيق والعمل المشترك بين العرش والمفوضية السامية البريطانية في بغداد، الذي أثارَ عمـا عُرف بالإعلان

<sup>٦٢٨</sup> High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 5 January 1922, F0371/7780, PRO.

<sup>٦٢٩</sup> IIR, No.8, 15 April 1922, F0371/7771, PRO.

البريطاني - فيصل حول منح حكم ذاتي كُردي ضمن إطار العراق في شهر كانون الأول من العام ذاته:

تعترف حكومة صاحب الجلالة البريطانية وحكومة العراق بحقوق الكُرد القاطنين ضمن حدود العراق بإقامة حكومة كُردية ضمن تلك الحدود، وتأملان بأن تتوصل العناصر الكُردية بأقرب وقت ممكن إلى اتفاق فيما بينها حول الشكل الذي ستتخذه تلك الحكومة، وإرسال مندوبين مخولين عنها إلى بغداد لمناقشة علاقاتهم الاقتصادية والسياسية مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية وحكومة العراق.<sup>٦٤٠</sup>

لقد سعى فيصل من وراء وضع هذا الإعلان إضعاف موقف الشيخ محمود بين أوساط القوميين الكُرد من خلال تقسيمهم إلى معتدلين من الذين سيقبلون بحكم ذاتي محدود ضمن العراق، ومتطرفين من الذين لا يريدون سوى إقامة كُردستان الجنوبية منفصلة. إن التخلّي السريع عن الحكم الذاتي الكُردي بعد مرور أسابيع قليلة من طرحه على الملأ يكشف أن المشروع برمنته لم يكن سوى مناورة سياسية وإعلامية من طرف فيصل، الذي لم تكن لديه أية نية صادقة في ترجمته إلى واقع مادي ملموس، مقتدين بالنهج الذي كان يتبعه مصطفى كمال في كُردستان الشمالية.

## بنكى زين

إقامة الدولة العراقية وتداعياتها السياسية  
بالنسبة إلى مستقبل كُردستان الجنوبية

### ١. متطلبات الانتقال الناجح من السيطرة

#### البريطانية المباشرة إلى السيطرة غير المباشرة

اعتمد النهج الذي اتخذته بريطانيا في التحول إلى السيطرة غير المباشرة على نجاح خطوتين سياسيتين. تمثلت الأولى بتأسيس مملكة عربية في ميزوبوتاميا والثانية بترشيح فيصل لإشغال عرشه. وبالنظر إلى معاناتها من مضطربات مالية حادة ووقعها تحت ضغوط سياسية داخلية كبيرة من أجل التعجيل بخطوة الانسحاب البريطاني من ميزوبوتاميا، لم تكن حكومة لندن قادرة على تحمل أي تأخير في عملية تنفيذ النهج الجديد. فبحسب تعبير تشرتشل، منح ترشيح فيصل لعرش العراق الحكومة

<sup>640</sup> IIR, No.1, 1 January 1923, F0371/7772, PRO.

البريطانية ((أرخص حلٍ)) للمشكلة الميزوبوتامية.<sup>٦٤١</sup> أما بقية القضايا السياسية التي كان على حكومة لندن التعامل معها، فقد أُجلت بغية تسخير كافة الجهود والطاقات لعملية إقامة مملكة عربية في ميزوبوتاميا وتنصيب فيصل ملكاً عليها.

وكان حسم مستقبل كُردستان الجنوبية واحدة من تلك القضايا المهمة التي أُجلت، بما في ذلك ترسيم حدودها الأثنية مع ميزوبوتاميا العربية، الذي كان البريطانيون على وشك الانتهاء منه. ويُلقي محضر وزارة المستعمرات الآتي الضوء على الارتباط الداخلي بين شؤون ميزوبوتاميا العربية وشؤون كُردستان الجنوبية:

لا ينبغي اتخاذ أي قرار نهائي بشأن سياستنا الكردية (أي رسم الحدود الكردية- العربية)... حتى الوقت الذي يُتاح لكوكس فرصة مناقشة الموضوع مع فيصل ... إن اتخاذ خطوة في الاتجاه الخطأ قد يؤدي إلى نتائج كارثية، لا تقتصر على كُردستان فقط. نحن منهمكون في عملية سياسية حساسة في ميزوبوتاميا، وليس بمقدورنا المخاطرة من دون أية دواع، وإن الأمر الأكثر أهمية عند وصولنا إلى قرار بشأن سياستنا الكردية، ان تكون تلك السياسة صحيحة.<sup>٦٤٢</sup>

هكذا كان الموقف حين أبلغ تشرتشل كوكس بأن تعطى الأولوية لمسألة ((التأكد من الاختيار المبكر لفيصل)) بوصفه ملكاً على الدولة العربية الجديدة، ((وينبغي أن تأتي من بعدها المسائل الأخرى)),<sup>٦٤٣</sup> ويشمل ذلك ضمنياً الإجراءات المتعلقة بـكُردستان الجنوبية. وكانت واحدة من أهم الإفرازات المباشرة لقرار تأخير الإجراءات بشأن تأكيد الوضع السياسي والإداري للإقليم المذكور هي ظهور مصدر جديد للضغط في الاتجاه المعاكس، الذي سرعان ما بدأ يترك تأثيره الواضح والمباشر على اتجاه السياسة الكردية للبريطانيين. بتعبير آخر، ان حاجة بريطانيا الماسة إلى تأمين سُبل الانتقال المُبسط والسريع وغير المُكلف من نظام السيطرة المباشرة إلى نظام السيطرة غير المباشرة هي التي جعلت فيصل وحاشيته من عرب السنة في موقف مكثهم فيه ولأول مرة من أداء دور مؤثر في الوضع الكردي. ولم يكن خافياً على هؤلاء

<sup>٦٤١</sup> Report on the Middle East Conference Held in Cairo and Jerusalem, F0371/6342, PRO, p.36.

<sup>٦٤٢</sup> Colonial Office Minute No.31558, 23 June .1921, C0730/2, PRO.

<sup>٦٤٣</sup> S/S for the Colonies to High Commissioner of Iraq, Priority, 9 July 1921, F0371/6552, PRO.

مدى حاجة البريطانيين الماسة الى وضع حدٍ لأعبائهم المالية وخفض سقف التزاماتهم العسكرية والسياسية في منطقة الشرق الأوسط، ولذلك لم يترددوا وبقدر الإمكان في استغلال تلك الموضوعات الحساسة ذات الصلة الوثيقة بجملة مسائل أمنية واقتصادية وسياسية حيوية بالنسبة الى ديمومة الدولة العربية الجديدة، وذلك من خلال إقناعهم البريطانيين بأن الضرورات هي التي تُحتم دمج كُردستان الجنوبية بالعراق العربي. كما ان ظهور فيصل وحاشيته السنّية بوصفهم قوة سياسية جديدة تدعى الى الاندماج القسري بين الإقليم والكيان السياسي الجديد قد قوّى من موقف كوكس أمام وزارة المستعمرات.

قام فيصل ومقربيه من العرب السنة بإigham تحديد مصير كُردستان الجنوبية ضمن الشؤون الداخلية للدولة العربية الجديدة. ولأنه كان حاكماً غريباً يفتقد الى شرعية سياسية واجتماعية لحكم العراق العربي أو الى تخويل من المحليين العرب، اتكاً فيصل على دعم قلة من العرب السنة جلهم من الضباط السابقين في الجيش العثماني. وناهيك عن امتلاكه لطموحات إقليمية قديمة في كُردستان العثمانية تسبق نشوء الدولة العراقية، حاول فيصل ان يظهر بصورة القائد الوطني المبدئي الذي لا يرتضي انتزاع جزء من بلده، وهو الأمر الذي سيُرسخ من جذور تحالفه الذرائي مع العرب السنة، في نفس الوقت الذي سيخلق له شعبية بين السكان العرب. ان الموقف المشترك تجاه مستقبل كُردستان الجنوبية هو الذي عزّز الصلة بين فيصل وفئة متميزة جديدة من كبار العسكريين والسياسيين السنة المؤثرين في حياة الدولة الجديدة، وليجعل منهم عاملًا سياسياً مهماً لحد ما يؤثر في وجهة السياسة الكُردية للبريطانيين، حيث كان بإمكانهم وضع عراقيل أمام أي تقدم حقيقي في اتجاه قيام كُردستان جنوبية منفصلة ومستقلة.

وأستغل كوكس سياسياً العامل العربي الجديد (أي فيصل ومجموعة العرب السنة)، حين سارع الى التحذير من مخاطر مسألة ترسيم الحدود الأثنية بين إقليم كُردستان الجنوبية المنفصلة والدولة العربية الجديدة، التي كانت وزارة المستعمرات تُفكّر فيها بصورة جديدة:

ان العناصر العربية الأكثر تطرفاً ستتسخط كثيراً من فعلنا هذا، وانها (أي رسم الحدود الأثنية) ستلقى معارضة، وسيقبلها مجلس الدولة (العربي)

باحتاج ... ان المملكة العربية، التي ستقف لوحدها على قدميها في يوم ما، ستمعن، من وجهة النظر الإستراتيجية، حدوداً لا يمكن الدفاع عنها. ان القوميين العرب يدركون تماماً هذه القضية.

وبداً فيحصل يُثير الشكوك بشأن قدرة بريطانيا على الوفاء بالتزاماتها على المدى الطويل بشأن الدفاع عن كُردستان الجنوبية ضد عدوان تركي خارجي قد يهدد أمن العراق العربي عبر ذلك الإقليم، وكذلك تحمل مسؤولية منع وقوع الفوضى فيه، التي وصفها على أنها تُشكل تهديداً للعراق.<sup>٤٥</sup> بهذه الطريقة أراد فيحصل أن يوحى بأن خيار اندماج المناطق الـ<sup>الـ</sup>كردية القسري بملكته هو الذي سيوضع حداً لمخاوف بريطانيا من ارتفاع تكاليف حماية مصالحها في ميزوبوتاميا. وسواءً أكان الأمر حقيقياً أو مُختلفاً، لم يترك فيحصل أي حدث سياسي أو تطور عسكري إلا وصَوَّره على أنه تهديد جدي مشترك ضد ملكته الوليدة، ضد المصالح البريطانية. وكان فيحصل قد أدعى ان الغاية الرئيسية من وراء عقد الاتفاق بين تركيا الكمالية وفرنسا في العام ١٩٢١ هي إفشال السياسات البريطانية وإجهاض الطموحات القومية العربية.<sup>٤٦</sup>  
وشدد فيحصل على التهديد الذي شكلته تلك الاتفاقية لأمن العراق لكونها أعطت الكماليين الأتراك حافزاً قوياً جديداً للاندفاع نحو حياكة المزيد من المؤامرات ونشر الدعاية المغرضة ضد العراق العربي. ومن أجل التصدي للتهديد الكمالى - التركي، حثَّ فيحصل البريطانيين على إصدار ((بيانٌ نهائٍ)) و((رسٌٰ صريح)) بخصوص مسألة أمن مملكته.<sup>٤٧</sup> ففي حالة عدم إبداع بريطانيا استعداداً لتحمل مسؤولية عسكرية كاملة لحماية حدود العراق، فإن فيحصل أراد ان يكون صاحب ((الصوت الحاسم في القرار الخاص بتعيين حدود "ملكته"))، اي تخوم ولاية الموصل الشمالية. وكان كوكس والمسؤولون العسكريون البريطانيون في بغداد قد شاركوا فيحصل هواجسه بشأن التهديدات الكمالية التركية لأمن العراق عبر مناطق كُردستان الجنوبية.<sup>٤٨</sup>

<sup>644</sup> High Commissioner of Iraq to S/St for the Colonies, Part One, 24 June 1921, F0371/6346, PRO.

<sup>645</sup> High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 25 October 1921, F0371/6347, PRO.

<sup>646</sup> High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 18 November 1921, F0371/6347, PRO.

<sup>647</sup> High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 12 November 1921, F0371/6347, PRO.

<sup>648</sup> News Summary for the Period Ended 11th November 1921. C0730/7. PRO.

<sup>649</sup> High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 21 November 1921, C0730/7, PRO.

وهناك حسابات سياسية أخرى استخدمها فيصل والبطانة العربية السنوية في تبرير ادعاءاتهم الإقليمية في كُردستان الجنوبية، منها ان ظهور إقليم كُردي مستقل من شأنه أن يُشجع المناطق العربية، خاصة في البصرة، على رفع مطالب مشابهة إلى الحكومة البريطانية. وشاطر كوكس هواجس فيصل تلك، حيث حذر تشرتشل من فكرة إقامة كيان كُردي منفصل لأنه سيكون نموذجاً تقتدي به جماعات أثنية أخرى، كالتركمان والأتوريين والكلدان. فحسب إدعاء كوكس، ((إذا تركت السليمانية تنفصل، فإن البصرة والجماعات الأخرى ستريد الشيء نفسه، وسيكون من الصعب مجادلتهم)).<sup>٦٥٠</sup>

ان ظهور مثل تلك الأطروحات التي تعكس الأوضاع الشائعة في ميزوبوتاميا ثُبّرَ مدى هشاشة الأسس التي بني عليها البريطانيون الدولة الجديدة. وتُبيّن التقارير البريطانية الميدانية إنه حين طلب البريطانيون من أشرف البصرة التعبير عن رأيهم بشأن تشكيل دولة عربية عن طريق دمج ولايتي بغداد والبصرة، أبدى الآخرون معارضتهم للمشروع في البدء، إذ لم تكن لديهم رغبة تُذكر في الخضوع إلى حكم بغداد بواسطة فيصل و((ضباطه البغدادية)). حتى بعد أن أقنعهم البريطانيون بضرورة قبول مشروع اندماج البصرة مع بغداد، ظلّ أشرف البصرة يصرُّون على تمنع ولايتم بـ(معاملة خاصة) من خلال منحها حكماً ذاتياً، بما في ذلك تشكيل مجلس تشريعي خاص وجيش وقوة شرطة.<sup>٦٥١</sup>

في حقبة مبكرة، تدارس تشرتشل فكرة منح البصرة حكماً ذاتياً ضمن الكيان العراقي. ولكن السلطات البريطانية في بغداد لم تُثبِّتْ رغبة تُذكر في إقامة دولة ميزوبوتامية فرالية، ولهذا السبب صُرُفَ النظر تماماً عن تلك الفكرة. إن أهمية اللجوء إلى وسائل القسر في إقامة الدولة العربية تجلّت بوضوح في إصرار المسؤولين البريطانيين الميدانيين علىبقاء القوات الامبرالية في البلاد، إذ كانت الهواجس تنتابهم من ان أي انسحاب بريطاني سابق لآوانه قد لا يشجع الكماليين - الأتراك على غزو البلاد فحسب، بل أيضاً سيفسر في طول ميزوبوتاميا وعرضها على أنها ((دلالة ضعف وبرهان على تردد لندن)),<sup>٦٥٢</sup> وهو الأمر الذي سيؤدي في نهاية المطاف إلى تفرق أوصال ميزوبوتاميا، بدلاً من توحيدها سياسياً.

<sup>٦٥٠</sup> High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 5 June 1921, C0730/2, PRO.

<sup>٦٥١</sup> High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 29 June 1921, C0730/2, PRO.

<sup>٦٥٢</sup> S/S for Air, Memorandum, 16 November 1922, F0371/7772, PRO.

ان حاجة البريطانيين الماسة للتوصل الى ترتيبات سياسية وعسكرية مشتركة مع فيصل بوصفه الآن رئيساً لدولة عربية من أجل وضع اللمسات الأخيرة على طابع العلاقة بين لندن وبغداد قد استغلها الأخير لمارسة بعض الضغوط على الحكومة البريطانية. فلقاء ان تقدم بريطانيا موافقتها على إلحاق كردستان الجنوبية في العراق العربي، أبدى فيصل استعداده للعمل نحو تحقيق اتفاقية مشتركة بصورة ترضيها. في الوقت نفسه حاول فيصل إقناع البريطانيين بأنه إذا ما أقرت تلك الاتفاقية اندماج كردستان الجنوبية في العراق العربي ومن ثم أرضت الرأي العام العربي فستكون لها تأثيرات رادعة بالنسبة الى مخططات تركيا الكمالية.<sup>٦٥٣</sup> ونقل كوكس وجهة نظر فيصل الى تشرتشل بالصيغة الآتية:

سترى تركيا فشل مغامرتها في العراق، حالما تدرك ان البلد أصبح مستقلاً وشعبه موحداً ومعادياً لتركيا، من خلال التوصل الى اتفاق معنا... إن فيصل يحث على إتمام سريع لاتفاقية وفق الأسس المذكورة آنفاً.<sup>٦٥٤</sup>

بهدف خلق رأي عام عربي وتعبيته من أجل تحقيق مطلبهم المتمثل بـإلحاق كردستان الجنوبية في العراق العربي، أعدَّ فيصل وأنصاره حملة دعائية خلال المحادثات بين قوى الحلفاء وتركيا الكمالية حول عقد اتفاقية سلام جديدة، مؤكدين ان لنتائج تلك المحادثات آثاراً مصرية بالنسبة الى مستقبل العلاقات البريطانية-العراقية والموقف العربي العام تجاه بريطانيا. وبهذا الصدد كتبت جريدة العراق، المؤيدة لفيصل:

ان العرب على قناعة انه لا توجد هناك امة اخرى مثل بريطانيا العظمى تتغاضف كثيراً مع التطلعات العربية... لاشك ان فخامتة (كوكس) سيناضل من اجل تعزيز العلاقات بين العراق وبريطانيا العظمى. ان العراق العربي هو، قبل كل شيء، صديق لبريطانيا، وانه امة تتميز بجهاها العميق للحرية، وتؤمن ان الفائدة المتبادلة هي الأساس لحماية علاقاتها مع العراق واحترام رأي الشعب العراقي وتشجيع الحس القومي داخل البلد.<sup>٦٥٥</sup>

<sup>٦٥٣</sup> High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 1 February 1922, F0371/7780, PRO.

<sup>٦٥٤</sup> High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 4 February 1922, F0371/7780, PRO.

<sup>٦٥٥</sup> Al Iraq, No.89, 12 January 1923 -in- II R, No.3, I February 1923, F0371/7772, PRO.

وفي الوقت الذي رغبت فيه وزارة المستعمرات أن ترى كُردستان الجنوبية خارجة عن سيطرة حكم عربي، وان هدفها الرئيس في عدم تأخير وإعاقة عملية ترشيح فيصل للعرش الجديد والانتقال من نظام السيطرة المباشرة إلى نظام السيطرة غير المباشرة في ميزوبوتاميا جعلها في موقف صعب جداً لا يمكنها من تجاهل المعارضة العربية لوجود إقليم كُردستان منفصل. ان وجود هذا الوضع وتزامنه مع انعقاد مؤتمر لوزان للسلام أدى في نهاية الأمر إلى تغيير الموازين لصالح بديل الاندماج القسري الذي نادى إليه كوكس والملك الجديد.

## ٢. السياسة الطائفية واندماج كُردستان الجنوبية بدولة العراق العربي

لم تشتراك الولايات العثمانية الثلاث، وهي الموصل وبغداد والبصرة، في قواسم سياسية واقتصادية وثقافية معينة تحت حكم العثمانيين الأتراك (كما أشار الفصل الرابع)، إذ تبيّنت الوحدة عن الأخرى في تركيبتها الأثنية- الدينية فضلاً عن توجهاتها السياسية والاقتصادية والثقافية. وكان للحرب العالمية الأولى تأثيراً مشهوداً في تعميق تلك الخصائص الاقتصادية والثقافية والأثنية بين الجماعات القاطنة في تلك الولايات، بدلاً من إضعافها، حيث تبلورت تطلعات سياسية متضاربة بطريقة ملموسة. وفي كُردستان الجنوبية (ولاية الموصل)، بذل القوميون الكُرد مساعي حثيثة لإنشاء كيان سياسي كردي، وتميزت تطلعاتهم السياسية بالرغبة في الوحدة والتعاون مع أقرانهم في كُردستان الشمالية وكُردستان الشرقية.

أما الوضع في ميزوبوتاميا العربية فكان مختلفاً تماماً عما كان قائماً في كُردستان الجنوبية. فمن ناحية، مثلَ الانتماء الديني - الطائفي العامل المؤثر الأقوى بالنسبة إلى العرب الشيعة، وقد يفسر هذا عدم تعاطف قادتهم التقليديين مع ما سُمي بالثورة العربية الكبرى، التي قادها الشريف حسين، على النقيض من الموقف المؤيد والمحمس الذي اتخذه بعض أعضاء النخبة العربية السنّية. وكما يُبين آيرلند، فإن مفهوم ((النزعَةِ القوميَّة)) كان يعني لدى رجال الدين الشيعة إنشاء دولة إسلامية.<sup>٦٥٦</sup> بشكل عام، أبدى الشيعة العرب مقاومةً أوسع وأشد للغزو البريطاني لميزوبوتاميا بالمقارنة مع العرب السنّة. وفي حقبة الحكم البريطاني المباشر، التي تلتها، شهدت مناطق الشيعة تمرداً محلية متفرقة معادية للبريطانيين، ووصلت ذروتها خلال

<sup>٦٥٦</sup> Ireland, Iraq: A Study in Political Development, p.246.

الانتفاضات الدموية التي شهدتها العام ١٩٢٠. أما الجماعات الأثنية والدينية الصغيرة فتبنت مواقف متباعدة تجاه مستقبل الأقاليم التي تواجدوا فيها. فالجماعة اليهودية كانت تتوجس من قيام دولة عربية يحكمها الشريفيون، في حين عارض التركمان والأثوريون إقامة كيانات عربية وكردية. فالتركمان رغبوا بعودة الحكم التركي السابق، بينما نشد الآثوريون مساعدة البريطانيين لإقامة كيان أثني - ديني في كردستان.

ومن ناحية أخرى، خشي ممثلو العرب السنة في ولاية بغداد من مجيء وضع سياسي جديد يجعل الأقلية العربية السننية خاضعة لسلطة الأكثريّة العربيّة الشيعيّة، ولهذا فضلوا أما استمرار الإدارة البريطانية المباشرة أو إقامة دولة عربية تحكمها شخصية سنية، بغض النظر عن انتتمائهما الأثني، كال Amir التركي برهان الدين، ابن السلطان العثماني عبد الحميد الثاني.<sup>٦٥٧</sup> وكان نقيب بغداد وزعيم العرب السنة فيها، عبد الرحمن الكيلاني، قد مثلَ التوجه الأول، في حين مثلَ السيد طالب، وهو من أشراف العرب السنة في البصرة، التوجه الثاني. في بداية الأمر، أبدت هاتان الشخصيتان وغيرهما من الشخصيات العربية السننية الخشية من فرض حكم شريفي، لافتراضهما خطأً في أن ذلك سيؤدي إلى هيمنة شيعية على الدولة العربية حالة إنشائها.<sup>٦٥٨</sup> وطبق شهادة غيرتزوود بيل، قال نقيب بغداد لها وبصريح العبارة:

سوف لن أوفق على تعيين الشريف (حسين) لابنه أميراً (على العراق). إن الحجاز شيء والعراق شيء آخر. لا يوجد هناك أي رابط (بينهما) سوى الدين ... أنا أفضل وألف مرّة عودة الأتراك إلى العراق على رؤية تنصيب الشريف أو ابنه هنا.<sup>٦٥٩</sup>

لقد أدى قلة من الضباط السنة العرب، وأغلبهم يرجعون إلى أصول بغدادية، دوراً مهماً في صياغة تحالف سياسي ذرائي الطابع يوفّق بين رغبات النخبة العربية السننية وتطلعات الأسرة الشريفية، من جانب، وبين الطموحات المشتركة للتحالف الشريفي-السنّي الجديد ومصالح السلطات البريطانية في بغداد، من جانب ثانٍ. والجدير بالإشارة إلى تاريخ انضمام بعض العرب السنة وجّلهم من العسكريين إلى المعسكر

<sup>٦٥٧</sup> R.W. Bullard, Colonial office Minute No.14659, 4 April 1921, Notes on MIR, No.6, 31 January 1921, C0730/1, PRO.

<sup>٦٥٨</sup> Ibid.

<sup>٦٥٩</sup> Elizabeth Burgoyne, *Gertrude Bell, From Her Personal Papers, 1914-1926*, (London: Ernest Benn, 1958), p.10.

الشريفي قد جاء في الغالب أثناء الحرب العالمية الأولى أو بعد انتهائها. ومنهم من رافق فيصل حين نصبه البريطانيون حاكماً على سوريا لحقيقة وجيبة.<sup>٦٦٠</sup> ومنذ تلك المدة ولاحقاً، أصبح هؤلاء من أقوى المناذين والمدافعين عن القضية الشريفية، المتمثلة بإنشاء دولة عربية تحت سلطة أمير من الأسرة الشريفية. فمن وجهة نظرهم، تتمتع الشريفيون بخصائص أساسيتين: الأصل العربي من الناحية الأثنية، والانتماء السنوي من الناحية المذهبية. ولكل تلك الأسباب لن يحيد الشريفيون عن السياسة التقليدية التركية السابقة المتمثلة بدعم الهيمنة السنوية سياسياً واجتماعياً وثقافياً على الكيان العربي الجديد. وبرهنـت التطورات السياسية في ميزوبوتاميا بين عامي ١٩٢٠ و١٩٥٨ على صحة تلك التوقعات، إذ سيطرت أعضاء النخبة العربية السنوية على جميع الحكومات العراقية والمؤسسة العسكرية وأجهزة الخدمة المدنية.

إن هذا المستقبل المرجو والمتمثل باستمرار سيطرتها وامتيازاتها السابقة كان هو الدافع الرئيس وراء قبول عدد من الزعامات العربية السنوية التقليدية والجديدة في بغداد والبصرة والموصـل للحلـ الشـريـفيـ، الذي تجـسـدـ في تـنـصـيبـ الأمـيرـ فيـصلـ مـلكـ علىـ العـرـاقـ العـرـبـيـ. تلكـ كانتـ الـخـلـفـيـةـ الـحـقـيقـيـةـ لـقـيـامـ تحـالـفـ سـيـاسـيـ ثـلـاثـيـ أـسـتـندـ إـلـىـ حـمـاـيـةـ مـصـالـحـ الـأـطـرـافـ الـثـلـاثـةـ: السـلـطـاتـ الـبـرـيـطـانـيـةـ وـالـأـسـرـةـ الـهـاشـمـيـةـ وـالـنـخـبـةـ الـعـرـبـيـةـ السـنـيـةـ. فـمـنـ جـانـبـ، وـجـدـ فيـصلـ نـفـسـهـ بـسـبـبـ عدمـ اـنـتـمـائـهـ إـلـىـ أـهـالـيـ مـيـزوـبـوـتـامـيـاـ الـأـصـلـيـنـ وـعـدـ اـمـتـلـاـكـهـ الـشـرـعـيـةـ تـارـيـخـيـةـ تـدـعـمـ مـوـقـفـهـ السـيـاسـيـ، فـيـ حـاجـةـ مـاـسـةـ لـوـجـوـدـ قـوـةـ سـيـاسـيـةـ دـاخـلـيـةـ فـاعـلـةـ، أيـ النـخـبـةـ الـعـرـبـيـةـ السـنـيـةـ، تـدـعـمـ سـلـطـتـهـ وـتـشـرـعـهـ، وـلـوـجـوـدـ قـوـةـ خـارـجـيـةـ، أيـ بـرـيـطـانـيـاـ، بـوـصـفـهـ قـوـةـ كـبـرىـ توـفـرـ لـهـ دـعـماـ دـاخـلـيـاـ وـدـولـيـاـ فـيـ آـنـ وـاـحـدـ. وـبـسـبـبـ طـمـوـحـاتـهـ السـيـاسـيـةـ وـالـاجـتـمـاعـيـةـ، أـرـادـتـ النـخـبـةـ الـعـرـبـيـةـ السـنـيـةـ حـاكـماـ لـاـ يـبـقـيـ عـلـىـ اـمـتـيـازـاتـهـ السـابـقـةـ فـحـسـبـ، بلـ وـيـفـسـحـ المـجـالـ أـمـامـهـ لـبـيـسـطـ هـيـمـنـتـهـ عـلـىـ أـجـهـزـةـ الـدـوـلـةـ الـجـدـيـدـةـ، خـاصـةـ الـحـسـاسـةـ مـنـهـاـ كـالـحـكـومـةـ وـجـهاـزـ الـوـظـيفـةـ الـمـدـنـيـةـ وـالـجـيـشـ. انـ حـمـاسـةـ سـنـةـ مـيـزوـبـوـتـامـيـاـ الـعـرـبـيـةـ سـوـاءـ فـيـ الدـاخـلـ اوـ فـيـ الـمـهـجـرـ وـانـدـفـاعـهـمـ الشـدـيـدـ نـحـوـ الـمـشـارـكـةـ الـمـؤـثـرـةـ فـيـ الـعـمـلـيـةـ السـيـاسـيـةـ

<sup>٦٦٠</sup> من سخرية الأقدار أنه باستثناء نوري السعيد، حارب جميع الضباط البغداديين إلى جانب الأتراك ضد الحلفاء في المراحل الأولى من الحرب. وكان جعفر العسكري، على سبيل المثال، قد انضم إلى الجانب الشريفين بعد أسره من قبل القوات البريطانية وسجنه في مصر.

الانتقالية من نظام السيطرة البريطانية المباشرة (مُجَسَّدةً بوجود إدارة بريطانية ووجود قوات أميرالية) إلى نظام السيطرة غير المباشرة (مُجَسَّدةً بإنشاء دولة عربية خاضعة لانتداب البريطاني) قد عبرت عن رغبة شديدة للتأثير في السياسة البريطانية تجاه ميزوبوتاميا من زاوية ملء المناصب السامية الشاغرة في الإدارة الأهلية الجديدة. وكان جعفر العسكري، أول وزير للدفاع بالوكالة في أول تشيكية حكومية عربية، قد نظر إلى مسألة ملئ تلك المناصب في الإدارة الأهلية الجيدة من زاوية طائفية، إذ دعا البريطانيون إلى استثناء شيوخ العشائر (وغالبيتهم من العرب الشيعة) من تسنم مناصب إدارية سامية في مناطقهم، باستثناء مدینيتي النجف وكربلاء، مدعياً عدم أهليتهم.<sup>٦٦١</sup> والأكثر أهمية من ذلك هو مقاومة الشخصيات العربية السنوية لفكرة إنشاء تمثيل منفصل للعشائر في المجلس الوطني المزعزع إنشاؤه، لأنه سيتمكن الشيعة من أن يكونوا قوة سياسية كبيرة ومؤثرة. ويكشف آيرلندا كيف وجهت شخصيات عربية شيعية انتقاداتها إلى مجلس الدولة العربي لعدم ضمه عناصر شيعية، وهو الأمر الذي جعل كوكس يتدخل شخصياً ليمتحن الشيعة وزارة التعليم.<sup>٦٦٢</sup> والمثير للسخرية أن الموقف الطائفي لدى التعامل مع الحياة السياسية في الدولة الجديدة الذي اتخذته النخبة العربية السنوية قد تناقض تماماً مع خطابها المستند إلى النزعة العراقية والتزعةعروبية، التي الترجات إليه لتمرير مطالبها بعائدية كردستان الجنوبية إلى العراق العربي.

فضلاً عن تقديم عدد محدود من العسكريين والعناصر المدنية السنوية العون لإنشائها، كانت الدولة العراقية مشروعًا بريطانياً جملةً وتفصيلاً، وتم تنفيذه في غياب حركة سياسية على مستوى ميزوبوتاميا أو بنية تحتية صلدة.<sup>٦٦٣</sup> فمساعدة العرب

<sup>٦٦١</sup> Note on Mesopotamia-, op. cit.

تلك كانت جذور خرافة أن الشيعة العرب غير مناسبين للدخول في الميادين الحساسة، مثل تبوء مناصب سامية في جهاز الوظيفة المدنية والحكومة والجيش، التي أصبحت نقطة انطلاق لبعض المتخصصين، مثل آيرلندا وحنا بطاطو.

Ireland, Iraq: A Study in Political Development, & Hanna Batatu, *The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq*, Vol.I, (New Jersey: Princeton University Press, 1978).

<sup>٦٦٢</sup> Ireland, Iraq: A Study in Political Development, pp.297-298.

<sup>٦٦٣</sup> على سبيل المثال لا الحصر، راجع الكتاب التالي:  
Liora Lukitz, *Iraq, the Search for National Identity*, (London: Frank Cass, 1995).

السنة، من جانب، والمقاومة الشيعية الأولى للوجود البريطاني، من جانب ثانٍ، أقنعت السلطات البريطانية في بغداد بأنه من مصلحتها إقامة دولة ذات طبيعة طائفية مخفية، بحيث تمنع الشيعة من تسمم مناصب حكومية ومدنية وعسكرية حساسة بطريقة تتوافق مع التقاليد العثمانية - التركية المتمحورة حول فرض هيمنة السنة على الشيعة سياسياً واجتماعياً وثقافياً. ونظراً للطبيعة الطائفية للدولة الوليدة، أصبح لاحقاً كُردستان الجنوبية ذات الغالبية السنوية الواضحة بالعراق العربي قيمة إضافية حيث سيكون بالإمكان تعديل الموازين بين الشيعة (الأكثريّة الكاسحة) والسنة (الأقلية الواضحة) ليصبح الفارق العددي بين الطائفتين قليلاً نسبياً (راجع التوزيع الديني والطائفي للولايات الثلاث في الجدول أدناه).

#### **سكان ميزوبوتاميا وبضمنها كُردستان الجنوبية**

بلغ سكان ميزوبوتاميا ٢٨٤٩،٢٠٢ حسب إحصاء تقديرى بريطانى جرى في العام ١٩٢٠، وكانت التركيبة الدينية والطائفية للولايات الثلاث بالشكل الآتى:

الولاية	سنة	شيعة	يهود	مسحيون	ديانات أخرى	المجموع
البصرة	٤٢,٥٥٨	٧٢١,٤١٤	١٠٠,٨٨	٢,٥٥١	٨,٩٨٩	٧٨٥,٦٠٠
بغداد	٥٢٤,٤١٤	٧٥٠,٤٢١	٦٢,٥٦٥	٢٠,٧٧١	٢,١٣٣	١,٣٦٠,٣٠٤
الموصل	٥٧٩,٧١٢	٢٢,١٨٠	١٤,٨٣٥	٥٥,٤٧٠	٣١,١٨٠	٧٠٣,٣٧٨
المجموع	١٠٤٦٦,٦٨٥	١٠,٤٩٤,٠١٥	٨٧,٤٨٨	٧٨,٧٩٢	٤٢,٣٠٢	٢٠,٨٤٩,٢٨٢

تشمل الأرقام المتعلقة بالموصول سكان منطقة السليمانية التي قدرت بـ ١٥٥,٠٠٠<sup>٦٦٤</sup> جميعهم من السنة، عدا ١,١٠٠.

واستخدم فيصل الورقة الطائفية لمصلحته من أجل أن يعزز موقفه في بلد غريب لا يملك فيه دعماً شعبياً، خاصة بين الأكثريّة العربيّة الشيعيّة، التي وقعت تحت تأثير قياداتها الدينية التقليديّة. وهذه القيادات شكلت جزءاً مهمّاً من مؤسسة دينية شيعيّة أمميّة الطابع، التي كانت تعادي المشاريع البريطانيّة في إيران وفي العراق. ولجا فيصل إلى الطائفية بشكل مباشر وصريح لدى تقديميه ميراثات تخص إلحاقي كُردستان

<sup>٦٦٤</sup> Colonial office List (London: Waterlow & Sons Limited, 1921).

الجنوبية بملكه العربية. فبهذا الصدد يشير كوكس الى ما قاله فيصل له في احدى برقياته:

لقد أكد ان مسألة كُردستان لها بعد آخر بالنسبة إليه بوصفه ملكاً على العراق، وهو الذي لم يدرس، على الأغلب، بصورة تامة من قبلنا. وتلك هي كثرة السنة أو الشيعة فيما يتعلق بشكل خاص بمسألة الجمعية الدستورية التي ستجتماع في وقت قريب. وكما نحن نعلم، هناك كثرة فنية وعديمة للشيعة، وإن إخراج شريحة واسعة من الأقضية السنوية (الكردية) في العراق من الدولة واستثناء ممثليهم من الجمعية الوطنية سيضع الشيعة في موقف قوي جداً، وهو الأمر الذي أصابه بالشكوك.<sup>٦٦٥</sup>

وشاطر كوكس فيصل وجهة نظره تلك حول أهمية السياسة الطائفية بالنسبة إلى المصالح البريطانية أيضاً، بحيث حثّ تشرتشل على دراسة التداعيات السياسية لأية مشاركة كُردية في الجمعية الوطنية، التي عدها جوهريّة:

سيكون نهجاً معقولاً للعمل من أجل شمول الأقضية الكردية (في مقاطعات الموصل وكركوك والسليمانية) ومشاركتها في الجمعية الوطنية، شريطة وجود موافقة محلية وإشراف خاص من الموظفين البريطانيين، ومن المفوض السامي، إن كان ذلك ضرورياً.<sup>٦٦٦</sup>

تزامنت مسألة أهمية كُردستان الجنوبية بالنسبة إلى التوازن الطائفي مع حصول احتقان شديد بين كتلة فيصل وحلفائه السنة، من جانب، وقيادة الشيعة التقليديين، من جانب ثانٍ.<sup>٦٦٧</sup> وانتهى الأمر بطرد الآخرين من البلاد، بهدف إضعاف نفوذهم خلال فترة الانتخابات القادمة للجمعية الوطنية. لقد استخدمت السلطات البريطانية الميدانية والنخبة السنوية على حد سواء الورقة الطائفية بدقة في لعبة تعزيز موقعها وبسط هيمنتها. فمن جانب، استخدم البريطانيون الطائفية أداة لحكم البلد من خلال الأقلية السنوية، التي ستبقى وفيّة لهم بحكم معرفتها بضعفها العددي أمام الأكثريّة

<sup>٦٦٥</sup> High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 23 September 1921, F0371/6347, PRO.

<sup>٦٦٦</sup> Ibid.

<sup>٦٦٧</sup> والجدير باللحظة أن قادة الشيعة كانوا يقومون بتبعة الإيرانيين ضد تنامي النفوذ البريطاني السياسي والاقتصادي في إيران بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى.

الشيعية، مما يحتم عليها الاعتماد على الدعم البريطاني في سبيل مواصلة هيمنتها السياسية والاجتماعية. ومن جانب ثانٍ، سُبّقى النخبة السنّية على هيمنتها على الدولة ومؤسساتها الحساسة بواسطة إشغال الشيعة بمشاكل الكُرد.

### **ال الحق گرستان الجنوبي بالدولة العراقية: الحسابات الاقتصادية- البترولية**

لدواعٍ إستراتيجية بصورة رئيسة، أقدم البريطانيون على بسط نفوذهم السياسي والاقتصادي على أقاليم عُرف عنها أو أعتقد بأنها تحوي مصادر بترولية. وإذا ما أتيحت لهم الفرصة سعى البريطانيون إلى التصدي لنفوذ القوى المنافسة الأخرى سواءً أكان اقتصادياً أم سياسياً. وكما أوضح الفصل الأول، دخلت بريطانيا بين عامي ۱۹۰۰ و ۱۹۱۴ في منافسة دولية شديدة مع القوى الكبيرة الأخرى من أجل الحصول على امتيازات بترولية في عدد من الأقاليم الآسيوية التابعة للإمبراطورية العثمانية. وابرز وقوع الحرب العالمية الأولى حاجة بريطانيا إلى الوصول إلى البترول عن طريق السيطرة على مصادره أو الجهات المجهزة له. ولكي تكون لها سيطرة رسمية على جميع مناطق ولاية الموصل، التي ساد الاعتقاد بوجود البترول فيها، أقدمت القوات البريطانية على احتلال مدينة الموصل بعد انتهاء الحرب مباشرة. ومن حينها، سحرت الحكومة البريطانية عملها الدبلوماسي من أجل تهيئة مستلزمات تحويل تلك السيطرة القائمة على الأمر الواقع إلى سيطرة قانونية معترف بها دولياً. وكانت الخطوة الأولى التي اتخذت في هذا الاتجاه، كما أوضح الفصل الخامس، هي نجاح الساسة البريطانيين في تغيير بنود اتفاقية سايكس- بيكيو لعام ۱۹۱۶، بحيث مكنت بريطانيا من الاستحواذ على مجال النفوذ الفرنسي في ولاية الموصل لقاء حصول فرنسا على حصة في شركة البترول التركية بنسبة ۲۵٪. ولإحباط أي دعم أمريكي للادعاءات التركية في الموصل، منحت بريطانيا الولايات المتحدة حصة مماثلة لها في تلك الشركة. ومن خلال منحها الأميركيين والفرنسيين حصصاً معينة في الشركة المذكورة سعت بريطانيا إلى تمكين الحكومة العراقية من الحصول على دخل مستمر يأتيها عن طريق استغلال حقوق البترول المحتملة في ولاية الموصل في أقرب فرصة ممكنة من دون مواجهة أية تعقيدات إقليمية أو دولية.

وأتخذت مسألة البترول في أهميتها بُعداً إضافياً آخر بعد العام ١٩١٨، نتيجة لظهور الحاجة إلى إقامة إدارة بريطانية وفي وقت لاحق استبدالها بحكومة أهلية في ميزوبوتاميا تكون مكتفية ذاتياً من الناحية المالية. وكان كولونيل ويلسون أول من أثار مسألة أهمية البترول حين سعى إلى إقناع حكومته بالتعامل مباشرة مع قضية الامتيازات البترولية في ولايتي بغداد والموصل، وأهتم بشكل خاص بمسألة تعزيز القدرة المالية للإدارة البريطانية القائمة حينذاك. ولأن المصادر البترولية كانت ثروة ميزوبوتاميا الأولى، نادى ويلسون إلى التعامل معها بوصفها ضماناً للحصول على قروض ضرورية لتطوير ميزوبوتاميا مادياً.<sup>٦٦٨</sup> ولهذا السبب أراد ويلسون ان تفرض إدارته، سيطرتها على تلك الثروة المهمة بدلاً عن الشركات التجارية.

ان تشييد بنية تحتية مادية صلبة في خضم المساعي المبذولة لإنشاء دولة عربية في ميزوبوتاميا كانت ومازالت ذات طابع حيوي بالنسبة إلى الحكومة البريطانية. ففي غياب ثروات طبيعية أخرى، وبسبب مستوى التخلف الاقتصادي الكبير السائد في ميزوبوتاميا العربية، أصبح البترول مهماً من الناحية السياسية والإستراتيجية بالنسبة إلى عملية بناء الدولة العراقية الوليدة وديمومتها على المدى الطويل. وبهذا النحو، دفع قيام تلك الدولة إلى الواجهة بشكل تلقائي مسألة تطوير المصادر البترولية الكامنة في ولايتي بغداد والموصل لمصلحة الإدارة الأهلية الجديدة.

وكانت قضية ضمان الأمن المادي للدولة العراقية قد أثارت اهتماماً خاصاً لدى المسؤولين البريطانيين العاملين في ميزوبوتاميا، في مقدمتهم كوكس، الذي ربط، على غرار سلفه ويلسون، قدرة الإدارة الأهلية على البقاء بالاستغلال العاجل لثروة البلد البترولية، حيث قال:

أُنشئت حكومة عراقية، ورغم أنها ما زالت غير قادرة على الوقوف على قدميها، فإن أركانها تتثبت بسرعة، وتتطلب تطويراً لمصادر البلد ... لقد وجد البترول في نفط خانه<sup>٦٦٩</sup> ورغم إنه ليس بكميات تُدر دخلاً، فإن مستقبلها زاهر. إذا ما استغل البترول لصالح الدولة العراقية، فإن تأثيره سيكون ممتازاً من الناحيتين السياسية والاقتصادية ... إن توفير وقود رخيص سيفي، من دون أدنى شك،

<sup>٦٦٨</sup> India Office Conference, No.56571 & 27792, 8 April 1919, F0371/11-095, PRO.

<sup>٦٦٩</sup> تقع نفط خانه في منطقة كُردية كانت تابعة للدولة الإيرانية، قبل أن تحول إلى الإدارة البريطانية في ميزوبوتاميا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى.

## **مشكلة السكك الحديدية تماماً وسيكون حافزاً عظيماً للتطور الزراعي وشراء الماكنات.<sup>٦٧٠</sup>**

ان الحاجة لتعزيز القدرات المادية للدولة الجديدة بشكل سريع لكي تقف على قدميها قد أضاف بعدها اقتصادياً آخر لوجهة نظر كوكس وأتباعه، وهي ان مسألة إلحاقي كُردستان الجنوبية وبسبب ما لها من ثروات بتولية كاملة قد صارت ضرورة اقتصادية بالنسبة الى العراق. لقد شاركت وزارة المستعمرات الموظفين البريطانيين الميدانيين هواجسهم بشأن جعل العراق دولة مكتفية ذاتياً من حيث الإنفاق على مؤسساتها وخدماتها. لقد أصبح واضحاً بشكل لا يقبل الخطأ ان نجاح نظام السيطرة البريطانية غير المباشرة قد استند برمه على قدرة الدولة العربية الجديدة في إقامة بنية تحتية مادية قوية قابلة للحياة وللاستمرار. وقد أقرّ شووكبر، على سبيل المثال، بأهمية عثور الدولة العراقية على مصادر جديدة للدخل، وهي المصادر ((الأقل احتمالاً في الواقع تحت تأثير المتغيرات السياسية والفوضى)) مثل جباية الضرائب الجمركية والتبغ، بالمقارنة مع الضرائب العقارية.<sup>٦٧١</sup>

ويجب التنويه ان عملية إقامة نظام السيطرة غير المباشرة بدلاً من نظام السيطرة المباشرة، التي تجسدت في إنشاء دولة عربية، لم تستهدف وضع حد لالتزامات بريطانيا المالية فحسب، بل أيضاً استرجاع وبقدر الإمكان ما أنفقته تلك الدولة في تطوير البنية التحتية لمينزيوتاميا. بعبارة أخرى، رغبت بريطانيا في ان يقوم العراقيون بتسديد ما أنفقوه في بناء السكك الحديدية والموانئ والطرق والجسور وخطوط التلغراف وغيرها من المرافق الحديثة أثناء الحرب وبعد انتهائها. ونصلت بنود الاتفاقية المالية البريطانية- العراقية لعام ١٩٢٤ والقائمة على اتفاق سابق في تشرين الأول ١٩٢٢ على دفع الحكومة العراقية بشكل دفعات تكاليف مرافق عامّة قامت سلطات الاحتلال البريطانية بتشييدها خلال المدة ١٩٢١-١٩١٤، التي بلغت سبعة ملايين جنيه إسترليني. وكانت الحكومة البريطانية قد رفضت تحويل تلك المرافق العامة الى الحكومة العراقية قبل ان تدفع تكاليفها، على الرغم من انها تنازلت عن مبلغ ٩٤,٥٤٠ روبيّة هندية أنفقتها في مشاريع عامّة أخرى.

<sup>٦٧٠</sup> High Commissioner of Iraq to Sls for the Colonies, 25 December 1921 C0730/101, PRO.

<sup>٦٧١</sup> Shuckburgh, Colonial Office, 15 July 1921, C0730/2, PRO.

وفي هذا المجال، سلط وليام ستايفرس الضوء على التناقض في السياسة البريطانية تجاه الشؤون المالية للدولة العراقية الوليدة.<sup>٦٧٢</sup> فمن جانب، طالبت بريطانيا الحكومة العراقية بدفع ما أنفقته من أموال على مراقب عامة متعددة، وهذا شكل عبئاً مالياً كبيراً على الدولة الجديدة لم تكن تتوقعه. ومن جانب ثانٍ، أرادت بريطانيا من العراق أن يكون كياناً مكتفياً ذاتياً، بوصفه حجر الزاوية في سياستها الجديدة القائمة على السيطرة غير المباشرة. فطبقاً إلى تلك الحسابات، فإن اندماج كُردستان الجنوبية في العراق العربي سيساعد الأخير على تعزيز قدراته الاقتصادية دون الاعتماد على المساعدات المالية البريطانية. ومن هذا المنطلق، قامت بريطانيا بمساعدة الحكومة العراقية في الوصول إلى اتفاقيات مرضية تتعلق بالامتيازات البترولية في خريف العام ١٩٢٣. وأشار وزير المستعمرات البريطاني الجديد، ليو أمري، إلى اهتمام حكومته المزدوج: تعزيز المصالح البترولية البريطانية الخاصة، أولاً ، تمكين الدولة العراقية من الاستفادة بصورة مناسبة من الامتيازات البترولية، ثانياً.<sup>٦٧٣</sup>

ان الحاجة الماسة إلى تسديد المبالغ المترتبة على تشييد مراقب عامة إلى الجانب البريطاني وضرورات تمويل بناء الدولة العراقية ومؤسساتها دون الاتكال على المساعدات المالية البريطانية كانت من المهام الثقيلة التي واجهها فيصل وحكومته العربية بصورة مبكرة. ونصلت اتفاقية العام ١٩٢٣ بين الحكومة البريطانية والملك فيصل على قبول الحكومة العراقية المسؤلية كاملة عن توطيد استقرار النظام والأمن الداخلي والدفاع عن البلد من أي عدوان خارجي.<sup>٦٧٤</sup> وتطلب من الحكومة العراقية، بحسب الاتفاق المذكور، تخصيص نسبة ٢٥٪ من موردها المالي لأجل تعزيز قدرات جيش وطني واحتياطي. ومنذ البدء، وجد فيصل وحكومته العربية أنفسهم في حاجة ملحة للعثور على مصادر مالية من أجل زيادة موارد الدولة لكي تستخدم لتطور مؤسساتها الرئيسية كالجيش والشرطة وغيرها. وفي مثل تلك الظروف، ليس من الغرابة أن يُصوب فيصل وحكومته أنظارهما في اتجاه استغلال الثروة

<sup>٦٧٢</sup> Stivers, *Supremacy and oil: Iraq, Turkey and the Anglo-American World Order, 1918-1930*, p.88.

<sup>٦٧٣</sup> Colonial Office to High Commissioner, Baghdad, 4 August 1923 & Memorandum of Meeting Held at the Colonial Office 7 September 1923, in Stivers, *Supremacy and oil*, p.88.

<sup>٦٧٤</sup> Ernest Main, *Iraq from mandate to Independence*, p.60.

البترولية الكامنة في كُردستان الجنوبية. ففي بداية شهر كانون الأول ١٩٢٢، بدأ مجلس الوزراء العراقي مناقشة مسألة الحقوق البترولية في ميزوبوتاميا وتوزيع الحصص البترولية. وتم خوض النقاش عن موافقة المجلس المذكور على تبني قرار يشير ضمنياً إلى بدول المناطق الكردية: ((ان الحكومة العراقية غير قادرة على الموافقة على أية مفاوضات قد تجري بالنيابة عنها بشأن مصادر البلاد الطبيعية او الاعتراف بأي قرار قد يتخذ من دون موافقتها)).<sup>٦٧٥</sup> وابلغ فيصل وحكومته المسؤولين في لندن بنوایاهم باغتنام أية فرصة تسنح من أجل تطوير حقول البترول المحتملة أملاً في حصول العراق على ((مورد كبير)).<sup>٦٧٦</sup> وفي معرض رده على مسألة استغلال المصادر البترولية، أكد تشرتشل بوضوح انه لا يعترض على ان تمنح الحكومة العراقية الامتيازات، باستثناء تلك التي استندت الى ادعاءات سبقت وقوع الحرب العالمية الأولى.<sup>٦٧٧</sup> وهذا يعني ان العراق لا يستطيع التعويل على بدول ولاية الموصل. ان الحاجة المتزايدة للحصول على الأموال هي التي دفعت بوزارة المالية الى حد الحكومة العراقية على السماح لشركة النفط التركية بتطوير المناطق البترولية.<sup>٦٧٨</sup> على إثر ذلك، حاول فيصل إقناع بريطانيا بضرورة فتح الحوار بشأن الامتيازات البترولية القديمة والجديدة في ولاية الموصل. لكن بريطانيا عدّت الظرف القائم غير ملائم، نظراً لعدم التأكيد بعد من مصير ولاية الموصل النهائي.<sup>٦٧٩</sup> كانت بريطانيا تخشى من انه في حالة قيامها باستغلال بدول ولاية الموصل فأنها ستولد انطباعاً سلبياً لدى الولايات المتحدة وفرنسا وهو ان رفضها للإدعاءات التركية قد حرّكته حسابات بترولية.

ولم يكن خافياً على فيصل وحكومته العربية، من جهة، وكوكس وسائر الموظفين البريطانيين الميدانيين، من جهة ثانية، ان دمج كُردستان الجنوبية بالدولة العربية سيجلب على الأخيرة فوائد اقتصادية ملحوظة. وكان كوكس قد دعم موقف حكومة بغداد في فرض ضرائب على التبغ الكردي، التي عدّها ((المحصول الأهم)) و((مصلحة

<sup>٦٧٥</sup> IIR, No.24, 13 December 1922, F0371/7772, PRO.

<sup>٦٧٦</sup> Weakley, Minute No.12708, 13 December 1921, F0371/6364, PRO.

<sup>٦٧٧</sup> S/S for the Colonies to High Commissioner for Iraq, 30 January 1922, F0371/7782, PRO.

<sup>٦٧٨</sup> IIR, No.3, 1 February 1923, F0371/7772, PRO.

<sup>٦٧٩</sup> Ibid.

مهماً للموارد والقابل للتوسيع<sup>٦٨٠</sup>). وطبقاً لذلك، طلب كوكس من لندن توفير الحماية للتبع الكُردي من خلال منع استيراد التبغ الأجنبي. وكان كوكس يأمل من وراء توفير تلك الحماية إنشاء صناعة تبغ محلية لتكون «مورداً كبيراً» للحكومة العراقية. أما خليفته، هنري دوبن، الذي وصفته الخاتون بيل على أنه يمتلك «خبرة ناضجة في الشؤون المالية» بسبب مساهمته في إدارة الشؤون المالية للدولة الجديدة، فقد أكد مجدداً على أهمية تبغ كُردستان الجنوبية لاقتصاد العراق.

ان الحاجة الماسة إلى إيجاد مصادر مالية جديدة لملء خزينة الدولة العراقية الخاوية قد تجسدت خير تجسيد في المنافسة التي جرت بين حكومة الشيخ محمود الكُردي في السليمانية وحكومة فيصل العربي في بغداد من أجل السيطرة على الموارد الزراعية في كُردستان الجنوبية، وكذلك على جبایة الضرائب المفروضة على التبغ الكُردي. وكانت مناطق كُردية عدّة قد أعلنت امتناعها عن دفع الضرائب إلى بغداد بسبب رفضها الخضوع سياسياً وإدارياً إلى الحكم العربي. وأعطت مسألة استغلال البترول وجباية الضرائب وجهة النظر المؤيدة للاندماج القسري زخماً وبعداً مهماً آخر، بحيث صُورَ إلهاق كُردستان الجنوبية بالدولة العربية على أنه ضرورة اقتصادية، إذا ما أرادت بريطانيا قيام دولة عراقية مستقرة اقتصادياً على المدى الطويل. وكما أتضح لاحقاً، منذ العام ١٩٢٧ تحديداً، اعتمد الاقتصاد العراقي بصورة متزايدة على بترول كُردستان الجنوبية بوصفه المصدر الرئيسي للدخل.

#### **إلهاق كُردستان الجنوبية بالدولة العراقية: الحسابات الإستراتيجية**

عاملان استراتيجيان كانا الدافعين الرئيين وراء احتلال بريطانيا للولايات الميزوبوتامية الثلاث، البصرة وبغداد والموصى، في المدة ١٩١٤-١٩١٨. أولهما، لكي تضمن أمن الممر البحري إلى الهند من تهديدات القوى المنافسة الأخرى، عملت بريطانيا على تعزيز موقعها في منطقة الخليج عن طريق السيطرة على ميزوبوتاميا. ثانياً، ستتمكن بريطانيا من خلال فرض احتلالها الولايات الثلاث من السيطرة على الطريق البري الاستراتيجي المؤدي إلى الهند: لندن - اسطنبول - الموصل - بغداد - قم

<sup>٦٨٠</sup> High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 22 June 1921, C0730/2, PRO.

<sup>٦٨١</sup> Lady Gertrude, *The Letters of Gertrude Bell*, Vol.I, (London: Ernest Benn, 1927) pp.508-509.

أو أصفهان- كويته. وأكدت لجنة حكومية تشكلت في أعقاب انتهاء الحرب، أهمية الممر الجوي للإمبراطورية عبر ميزوبوتاميا:

من المفهوم ان بغداد تُعد نقطة حيوية على الممر الجوي الى الشرق. في الوقت الحالي، توجد خدمة جوية بين بغداد ومصر. ان البريد الجوي النصف شهري والمعوجد منذ أكثر من عام قد قلل المسافة بين بغداد ولندن الى ١٠ او ١١ يوما.<sup>٦٨٢</sup>

لقد أصبحت القوة الجوية تدريجياً وسيلة مؤثرة جديدة في حماية المصالح البريطانية في الهند. وان الأهمية الإستراتيجية، بقدر ما يتعلق الأمر بميزوبوتاميا، قد أكدت عليها مراراً دوائر عسكرية ومدنية بريطانية سواء في لندن أو في بغداد بعد قيام الدولة العراقية. فالآن، أصبحت المصالح البريطانية الإستراتيجية متربطة ومتداخلة بصورة لا مفر منه مع ديمومة الدولة العربية الجديدة على الصعيد العسكري. علاوة على ذلك، ظهرت عوامل أخرى لوضع المزيد من التأكيد على ذلك الترابط، خاصة وصول الحركة القومية الكمالية الى السلطة في تركيا، جار العراق الشمالي. ان تصاعد التهديدات الكمالية واشتداد الادعاءات التركية حول عائدية كُردستان الجنوبية قد أثارت مراراً مسألة إعادة رسم الأهداف البريطانية في ميزوبوتاميا وتحديد الوسيلة المُثلث لتحقيقها في ظل الظروف القائمة آنذاك. وأملت بريطانيا في أن تصل الى معادلة سياسية تُمكّنها من تعزيز موقفها على المدى الطويل في ميزوبوتاميا، من دون ان ينطوي ذلك على التزامات مالية وعسكرية كبيرة. هذا لأن عملية إحلال نظام السيطرة غير المباشرة (إدارة محلية عربية تحت الانتداب) مكان السيطرة البريطانية المباشرة (إدارة بريطانية) قد اعتمد أساساً على كيفية توفير بريطانيا إمكانيات توفر الضمان لأن من الدولة الدائرة في فلكها.

وفي ظل تلك الأوضاع، أدت الحاجة الى توطيد أمن العراق العربي أمام تركيا، وهي القوة المطالبة بالتغيير الجيوسياسي لصالحها، الى التأكيد على أهمية كُردستان الجنوبية من الناحية الإستراتيجية. فالأخيرة شكلت حزاماً طبيعياً منيعاً يُسهل الدفاع عنه وغير مُكلف بفضل جبالها الشاهقة ووديانها العميقه. وهذه السمات الجغرافية المتميزة ستساعد بريطانيا على خفض سقف التزاماتها العسكرية وتقليل كلفة الدفاع عن العراق العربي الى أقل مقدار ممكن. كما ان بإمكان كُردستان الجنوبية توفير

<sup>682</sup> Cabinet Committee On Iraq, No. I.R.O. 3, 11 December 1922, F0371/7772, PRO.

تسهيلات أخرى، في مقدمتها إحلال مجندين محليين من الْكُرد مكان القوات الامبرالية للدفاع عن شمال البلاد. ان الْبُعد الاستراتيجي من المعضلة البريطانية في ميزوبوتاميا، كما بين الفصل السادس، كان هو القوة الدافعة وراء فكرة تشرتشل بشأن جعل كُردستان الجنوبية حزاماً إقليمياً منفصلاً بغية تعزيز أمن الدولة العربية الجديدة. وكان هيوبرت يانغ قد عبر في لقائه مع فيصل عن وجهة نظر وزارة المستعمرات حول طريقة تعزيز أمن العراق العربي ومصالحه، من دون إخضاع كُردستان الجنوبية لحكم عربي غريب عن أهاليها:

بالنسبة الى العراق، وجود كُردستان صديقة امر حيوى لكونها درعاً محتملاً ضد تركيا، وشريكاً للعراق في مصالح مشتركة او بالعكس تهديد في حد ذاته ... وقناة لعدوان خارجي. بالنسبة الى كُردستان، صداقة العراق امر حيوى لكونه السوق الخارجي الرئيس، إذا لم يكن السوق الوحيد، ولكونه المنفذ الوحيد الى البحر. فمن دون الأخذ بنظر الاعتبار العامل الخارجي، ينبغي ان تقود مجموعة المصالح لوحدها الى تعاون وثيق وعلاقات صداقة بين المنطقتين، بحيث تكون المنطقة الواحدة تحت رحمة الاخرى.<sup>٦٨٣</sup>

في الوقت الذي بدأ فيه مؤتمر لوزان جدول أعماله، صار من الواضح انه توجب على البريطانيين التخلی عن خيار كُردستان جنوبية منفصلة ليس بسبب معارضة فيصل له، بل، والاهم من ذلك، بسبب ما له من تأثيرات سياسية سلبية على علاقتهم مع الأتراك والإيرانيين على المدى الطويل (راجع التفاصيل في الفصل الثامن). وأدت تلك الضرورة الى دفع خيارات أخرى الى الواجهة، منها منح كُردستان الجنوبية الى تركيا أو تقسيمتها بين تركيا وال伊拉克 العربي أو إلحاقها بكل بالكيان الآخر. وينبغي التذكير ان قرارات كونفرانس القاهرة (١٩٢١) المتعلقة بالعملية الانتقالية من الإدارة البريطانية المباشرة الى حكم أهلي في ظل انتداب بريطاني قد استندت الى فرضية وهي ان لا تتعرض ميزوبوتاميا الى تهديد خارجي أثناء تلك الحقبة او في أعقابها مباشرة. وساد اعتقاد بأنه لم يكن الطيران الملكي البريطاني (RAF) ولا الحامية الامبرالية البريطانية في ميزوبوتاميا في موقف يُمكنهما من التصدي بشكل مؤثر لأي

<sup>683</sup> High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 25 October 1921, F0371/6347, PRO.

هجوم خارجي.<sup>٦٨٤</sup> ونظراً لاحتاجتها الماسة إلى خفض نفقاتها العسكرية، لم تُثبت لندن أية رغبة جامحة في ضمان أمن العراق العربي من أي عدوان خارجي قد تقوم به تركيا الكمالية كلما أثار الملك فيصل تلك المسألة معها. وتلخصت المهام المتبقية للحامية البريطانية بتعزيز النظام والأمن الداخلي في ميزوبوتاميا العربية، في حين أدت القوة الجوية الملكية البريطانية وبمساعدة قوات الليفي الآشورية، وأحياناً قوات ليفي كُردية، دوراً مماثلاً في المناطق الـكُردية. وكان من المؤمل أن تحل قوات الليفي المحلية موقع القوات البريطانية حين إخلائها في كُردستان الجنوبية.

ان الحقبة التي أعقبت كونفرانس القاهرة لم تشهد أية إشارة تدل على ان ميزوبوتاميا غير مهددة بعدوان خارجي، هذا لأن الكماليين الأتراك واصلوا وبحماس كبير نشاطاتهم العسكرية والدعائية في المناطق الـكُردية، مستغلين مخاوف أهلها من فرض حكم عربي أجنبى عليهم. ولهذا سببَ قرار لندن في الانسحاب من المناطق الـكُردية، وقبل التوصل إلى اتفاقية سلام مع تركيا الكمالية، قلقاً كبيراً في أوساط المسؤولين العسكريين والموظفين المدنيين البريطانيين في ميزوبوتاميا.<sup>٦٨٥</sup> وبهذا الشأن، بينَ كوكس ان ((الانسحاب من تلغر وعقرة وزاخو سيجعل من المستحيل الاحتفاظ بالموصل وبقية الولاية)).<sup>٦٨٦</sup> وهذا يعني انه لا يمكن معالجة ضعف العراق العسكري إلا عن طريق إلحاق كُردستان الجنوبية بالعراق العربي. بهذا الشكل، أضاف كوكس، وعلى غرار فيصل الذي طالب البريطانيين بوضع حدود إستراتيجية شمالية لدولته، بُعداً استراتيجياً لوجهة نظره المتعلقة بإلحاق ذلك الإقليم بالدولة العربية بوصفه أمراً مصرياً.

ولأن بريطانيا لم تكن في موقف عسكري يُمكنها من إرغام تركيا الكمالية على قبول اتفاقية سيفر القديمة أو اتفاقية سلام جديدة، ولأنها افتقدت وسائل الضغط الدبلوماسي، على سبيل المثال مساندة قوى الحلفاء الآخرين لموقفها، طرح كورزون فكرة التوصل إلى مساومة مع تلك الدولة أمام الدوائر العسكرية والمدنية البريطانية. وهذه المساومة انطوت على إجراء تعديل محدود لحدود ولاية الموصل لصالح تركيا

<sup>684</sup> Colonial Office, Middle Eastern Committee, Fourth Minute by Shuckburgh, 4 November 1921, F0371/6347, PRO.

<sup>685</sup> Colonial Office, Middle Eastern Committee, First Minute by Shuckburgh, 5 May 1921, F0371/6344, PRO.

<sup>686</sup> Ibid.

الكمالية. وكان الأمل من وراء ذلك هو ان يصبح السلام مع تلك الدولة وسيلة رئيسة لتعزيز أمن العراق على المدى الطويل، والذي سيوفر بدوره للحامية البريطانية فرصة الانسحاب من تلك البلاد. ولكن هذا الخيار لم يكن سهلاً، وذلك لأن تقديم تنازلات إقليمية في كُردستان الجنوبية سيوضع تركيا في موقف استراتيجي أقوى من ذي قبل في مواجهة العراق، ناهيك عن كونها بمثابة دعوة مفتوحة للكماليين لعمارة المزيد من الضغط للحصول على تنازلات أخرى. بتعبير آخر، إذا منحت بريطانيا قضاء زاخو وقضاء العمادية إلى تركيا، سيزداد التهديد المباشر الذي يُشكله الكماليون لبقية مناطق كُردستان الجنوبية حيث تقع حقول البترول. وإذا قررت بريطانيا تسليم الإقليم الكُردي بكامله، الذي قدرت مساحته بأكثر من ٨٨ ألف كيلومتر مربع وتعداده بأكثر من ٧٠٠ ألف فرد، سيصبح الكماليون الأتراك على بعد ١٥ ميل فقط من مدينة بغداد.

وكان قائد الطيران البريطاني قد أشار من جانبه إلى عواقب عسكرية وسياسية عدّة لربما تنتج عن قيام بريطانيا بالتنازل عن ولاية الموصل. أولاً، سيعتبر العرب تسليم الولاية المذكورة بمثابة «هزيمة بريطانية»، ومن ثم سيضعف هذا من مصداقية بريطانيا السياسية في كل أنحاء ميزوبوتاميا. ثانياً، سيشعر فيصل أن البريطانيين قد أضعفوا موقفه بالقدر الذي أضعفوا فيه أمن دولته. ثالثاً، سيُجبر البريطانيون على تقوية حامياتهم في بغداد<sup>٦٨٧</sup> وذلك لأن بسط السيطرة التركية على كُردستان الجنوبية والموصل سيعني حرمان العراق من «قسم من حزامها الحاجز»<sup>٦٨٨</sup>.

وعلى غرار قائد الطيران، أجمع قائد هيئة الأركان العامة ووزارة المستعمرات على معارضته الانسحاب من كُردستان الجنوبية قبل التوصل إلى اتفاق سلام مع تركيا الكمالية:

آجلأً أو عاجلاً، سيتحتم علينا القبول بالنفوذ التركي حتى أطراف السهول ومن ثم الانقطاع عن خط الاتصالات الوطني ما بين الموصل وبغداد، الذي يمر عبر كركوك والتون كوبري واربيل ... إن (خطوط) إتصالات بغداد - الموصل، وهي نحو ٢٠٠ ميل، ستكون محاطة من الجانبين ببلاد مرتفعة مضطربة. ومن الممكن ان تقطع (خطوط) إتصالاتنا في اي وقت، وفي الحقيقة سيكون من

<sup>687</sup> Cabinet Committee On Iraq, No. I.R.O. 1st, 8 December 1922, F0371/7772, PRO.

<sup>688</sup> Annexure i, Lord Curzon's Tentative Proposals Regarding Cession of Portion of Kurdistan, Lausanne, 6 December 1922, F0371/7772, PRO.

المستحيل الاحتفاظ بالموصل من الناحية العسكرية ... ان التخلی عن البلاد الكُردية سيُعرض الى الخطر وبالطريقة نفسها خط الاتصال المهم بين بغداد وبلاد فارس عبر قرليباط وخانقين ... وسيكون امراً ضرورياً إضافة تعزيزات كبيرة الى الحامية الموجودة، إذا ما أريد تعزيز الموقف ... وإذا ما ثالت موافقة الأتراك، ستكون خطوة اولى نحو توسيع (تركي) آخر، وهو الأمر الذي سيقود بصورة لا مفر منه الى تخلينا عن الموصل ككل والعواقب المترتبة عليه.<sup>٦٨٩</sup>

لقد حشىَّ البريطانيون من ان مواجهة عواقب أخرى تترتب على فشل سياستهم في ميزوبوتاميا، كإنهاء الوجود البريطاني في أعلى الخليج، الذي سيشكل بدوره تهديداً للهند وللتجارة الامبرialisية،<sup>٦٩٠</sup> فضلاً عن إثارة عداوة العرب وتقوية النفوذ البلشفي في بلاد فارس.<sup>٦٩١</sup>

لقد أنهت اتفاقية السلام التركية الجديدة في لوزان (١٩٢٣) جميع المخاوف البريطانية من قيام غزو تركي لميزوبوتاميا في المستقبل المنظور في أقل تقدير. وظللت مسألة مهمة لم تُحسم بعد بالنسبة الى البريطانيين الا وهي الطريقة التي يستطيعون فيها إبقاء كُردستان الجنوبية قانعة ومستقرة ضمن الدولة العراقية. ان الخبرات البريطانية المتراكمة في ذلك الإقليم كانت تؤشر بوضوح ان اللجوء الى القوات البرية أمر مكلف من الناحيتين البشرية والمالية. وأنصح ان اللجوء الى سلاح الطيران الملكي البريطانية ضمن ما عُرف بـ«خططة السيطرة الجوية» هو الأسلوب الأكثر فاعلية في تهدئة كُردستان الجنوبية. ان سلاح الطيران، كما يُبيّن ارنست مين، قد مَثَّلَ الوسيلة الأقل كلفة والأسرع لإعادة فرض السيطرة البريطانية او البريطانية- العراقية على ذلك الإقليم.<sup>٦٩٢</sup> هذا السلاح الذي يتلاءم مع حقائق المناطق الكُردية الجغرافية بوصفها بلاداً جبلياً وسمات أهاليها الاجتماعية، الذين تعودوا على مقاومة الحكومة المركزية بوسائل الكر والفر. كما ان سلاح الطيران سيسمح لبريطانيا التخلی عن وجود حامية كبيرة في ميزوبوتاميا لحماية النظام والاستقرار الداخلي فيها. ان خطة

<sup>٦٨٩</sup> Annexure ii, Lord Curzon, Lausanne, 8 December, F0371/7772, PRO.

<sup>٦٩٠</sup> Cabinet Committee On Iraq, No. I.R.O. 2nd Conclusion, 12 December 1922f F0371/7772, PRO.

<sup>٦٩١</sup> Foreign Office Memorandum on the Political consequences of British Withdrawal from Iraq, 15 December 19220, F0371/7772, PRO.

<sup>٦٩٢</sup> Ernest Main, **Iraq from Mandate to Independence**, 114.

السيطرة الجوية قد استندت الى خبرات بريطانية سابقة في المدة ١٩١٩-١٩٢٠، حين شنَّ سلاح الطيران бритاني غاراته ضد العديد من المناطق الکردية المنتفضة. وبحسب الخطة المذكورة، سيكون اللجوء عادة الى القصف الجوي المركز للأهداف المدنية، بما في ذلك القرى والمدن الصغيرة، بحيث تؤدي الى تقويض الحياة اليومية الاجتماعية والاقتصادية ومن ثم كسر المقاومة الکردية فيها. وكان مثل وزارة الطيران قد أعاد الى ذهان مسؤولي وزارة المستعمرات في العام ١٩٢١ ((أن قمع الفوضى بالتنسيق مع الليفيين كان واحدة من مهام سلاح الطيران في کردستان، كما هو في العراق الأصيل)).<sup>٦١٣</sup>

بعد العام ١٩٢٢، اتّخذ دور القوة الجوية الملكية بُعداً سياسياً مُهماً خالل عملية إلحاق كُردستان الجنوبية بالعراق العربي على الضد من رغبات أهاليها.<sup>٦٩٤</sup> وفي لحظة ما، عارض ونستون تشرشل قصف القوة الجوية الملكية لأهداف مدنية كُردية. مع هذا، لم تتواصل مثل هذه الأفعال فحسب بل تصاعدت حين التجأ البريطانيون إلى استخدام القنابل الغازية، وهي أسلحة لم تستخدمها من قبل أية قوة أخرى ضد انتفاضات محلية، ناهيك عن استخدامها ضد أهداف مدنية. ويتبّع من تاريخ المسألة الكُردية بين عامي ١٩٢٣ و١٩٤٢، من دون اللجوء إلى القوة الجوية الملكية في قمع الانتفاضات الكُردية، لم يكن بالمقدور إتمام عملية إلحاق كُردستان الجنوبية بالعراق العربي أو ان يستمر ذلك الإلحاق لفترة طويلة، إذ ان بريطانيا كانت مصممة باستمرار على عدم استخدام قواتها البرية في حفظ النظام. وعلى الرغم من ان الاستخدام المؤثر لسلاح الطيران البريطاني ضد الانتفاضات الكُردية قد منح الدولة العراقية الوقت الكافي لبناء قواتها البرية وسلاحيها الجوي، ظلت الحكومات العربية في بغداد عاجزة عن فرض سيطرتها بمفردتها على كُردستان الجنوبية. وبهذا الشكل، كان ظهور سيطرة عسكرية ثنائية بريطانية- عربية ((بصيغة سلاح جوي بريطاني وقوات برية عربية) الترتيب الوحيد القادر على فرض الاستقرار من وقت لآخر على المناطق الكُردية في المرحلة التي أعقبت مؤتمر لوزان.

<sup>693</sup> Shuckburgh, Middle Eastern Committee, Fourth Minute, 4 November 1921, F0371/6347, PRO.

<sup>694</sup> ان كتاب ديفيد اويمسي يُبيّن دور سلاح الطيران الملكي في إبقاء كُردستان الجنوبية تحت السيطرة المشتركة البريطانية-العراقية عن طريق قمع انتفاضات كُردية متعاقبة في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي : David E. Omissi, *Air Power and Colonial Control: the Royal Air Force, 1919-1939*, (Manchester; 1990).

## خاتمة الفصل

حين قررت الحكومة البريطانية في نهاية الأمر إقامة دولة عربية في العام ١٩٢٠ لم يكن ضمن مخططاتها إلحاق كُردستان الجنوبية قسراً بتلك الدولة، التي ضمت ولايتها بغداد والبصرة. ان عملية تشكيل تلك الدولة، التي بدأت في نهاية العام ١٩٢٠ واستمرت في الأعوام الثلاثة التالية، لم تكن سهلة وانسيابية، على رأي بعض المسؤولين البريطانيين. فمنذ ساعة تشكيلها، أثارت الدولة العربية الجديدة قضايا عسكرية واقتصادية ومالية وسياسية تتعلق بقدرتها على البقاء والتطور على المدى الطويل. وأجبر تصاعد التهديدات الكمالية- التركية لموقفها ومصالحها في ميزوبوتاميا الحكومة البريطانية على الاهتمام بشكل جدي وسرع بمسألة تلبية حاجات تلك الدولة العربية من أجل جعلها مشروعًا قابلاً للتنفيذ والاستمرار. ومن خلال تأكيدات المسؤولين البريطانيين سواء في بغداد أو في لندن المتعلقة بمسألة أمن العراق العربي على المديين القصير والطويل من قبل، أصبحت التهديدات الكمالية- التركية العامل الأهم من حيث التأثير في قرار حكومة لندن النهائي القاضي بإخضاع كُردستان الجنوبية لحكم عربي مباشر، بدلاً من تحويلها إلى كيان سياسي منفصل يتمتع بحكم ذاتي في ظل الانتداب البريطاني. بتعبير آخر، نظراً لقرار بريطانيا النهائي في سحب حاميتها الامبرialisية وضعف الجيش العربي الحديث التأسيسي، تحول إلحاق كُردستان الجنوبية بالعراق العربي إلى ضرورة، وذلك لكونه حزاماً جبلياً دفاعياً طبيعياً يحمي السهول من أي غزو خارجي من ناحية الشمال.

كانت كُردستان الجنوبية مهمة بالنسبة إلى بريطانيا، كما كانت مهمة بالنسبة إلى مصالح الدولة العربية الموالية لها. فمن وجهة النظر الاقتصادية، تميز الإقليم بأهمية مزدوجة. فمن جانب، سعت بريطانيا إلى فرض سيطرتها على حقول البترول في المناطق الـكردية من خلال إنشاء كيان موالي لها، وهو الأمر الذي سيمكّنها من التزود بالبترول الحيوي بالنسبة إلى سلاح البحرية الـامبرialisية، خاصة في ظروف الحرب. إن كُردستان جنوبية منفصلة أو عودة السيطرة التركية إليها قد يعني فقدان بريطانيا لسيطرتها على حقول البترول على المدى الطويل. ومن جانب آخر، أدرك البريطانيون الأهمية القصوى لإنشاء دولة عربية موالية تقوم على مبدأ الاكتفاء الذاتي من الناحية المالية، إذا ما أرادوا تحقيق غاياتهم الرئيسية في وضع حد لأعبائها المالية الثقيلة في

ميزوبوتاميا. كما كان فيصل وحكومته العربية مدرkinin قيمة البترول الكردي بوصفه مصدرًا ثابتاً لإيرادات الدولة العربية التي يمكن استخدامها في تطوير مؤسساتها العسكرية والمدنية. كان من الطبيعي إذن أن تتلاقي هواجس بريطانيا المالية مع هواجس فيصل وحكومته المادية لتجعل من إلحاقي كُردستان الجنوبية بالعراق العربي ضرورة من الناحية الاقتصادية.

وتمثلت قيمة كُردستان الجنوبية السياسية بالنسبة إلى الدولة العربية الجديدة، بحسب تصورات المسؤولين البريطانيين، برغبتهم في إدامة نهج قسم وأحكام الامبرالي التقليدي. وهذه الرغبة كانت نتيجة مباشرة لتجارب بريطانية سابقة في ميزوبوتاميا بين عامي ١٩١٨ و١٩٢٣، حين قاوم الشيعة العرب بزعامة رجال الدين التقليديين الحكم البريطاني المباشر وكذلك رفضهم اللاحق للمشاركة في عملية قيام دولة عربية تحت إشراف بريطانيا ورعايتها. لهذا لم يكن منسجماً مع المصالح البريطانية أن يُشكل العرب الشيعة الأغلبية الساحقة من سكان الدولة الجديدة، في حين شكل العرب السنة أقلية صغيرة مقارنة بهم. فمن وجة النظر البريطانية، إخضاع الكرد وغالبيتهم من السنة لحكم عربي سيساعد على تعديل الموازين الطائفية الحساسة في الحياة السياسية للدولة الجديدة. فضلاً عن ذلك، كان وجود التنوع الأثني والثقافي والديني وظهور مجتمع غير متجانس وهوئيات جماعاتية قوية يصب في مصلحة البريطانيين حيث ستتمكن تشكيل حركة قومية سياسية كبرى على مستوى البلاد تكون قادرة على مقاومة التفозд البريطاني. وفي نفس الوقت، كان فيصل، الذي افتقد إلى دعم شعبي باستثناء مساندة عدد من العسكريين والزعامات المدنية من السنة العرب، هو الآخر قد أقر بأهمية الكرد الجنوبيين في تعديل الموازين الطائفية في البلاد، إذ سيخفف من ضغط الغالبية الشيعية عليها. كان من الطبيعي إذن أن تتلاقي مخاوف فيصل والنخبة السنوية العربية المتحالفه معه مع قلق المسؤولين البريطانيين الميدانيين في بغداد بشأن احتلال التوازن الطائفي بشكل كبير وملموس. في نهاية الأمر، تم إلحاقي كُردستان الجنوبية بالدولة العربية على الضد من رغبات سكانها، الذين رفض غالبيتهم المشاركة في عملية تشكيل الدولة العراقية أو مبايعة فيصل ملكاً عليهم. ولم تتوقف معارضة الكرد لفرض حكم عربي عليهم حيث عبرت عن نفسها في اندلاع سلسلة من الانتفاضات المسلحة خلال عشرينيات وثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي.



## الفصل الثامن

### سياسة بريطانيا الكردية مرحلة ما بعد معاهدة سيفر ومؤتمر لوزان

ولدت معاهدة سيفر ميتة، إذ لم تترجم بنودها الى واقع ملموس، ويعود السبب الرئيس في ذلك الى ازدياد قوة القوميين الاتراك بزعامة مصطفى كمال، الذي عارض بشدة التسوية السلمية المفروضة على تركيا. ووفرت اتفاقية الكماليين المستمرة في أناضوليا ضد السيطرة والنفوذ الأجنبي فرصة لانتشار النفوذ البلشفي في منطقة الشرق الأوسط، خاصة بعد أن حول الجيش الأحمر ارمينيا الروسية الى جمهورية سوفيتية في شهر كانون الأول من العام ١٩٢٠. في أثناء ذلك، غير الايطاليون والفرنسيون، حلفاء البريطانيين السابقين، بشكل تدريجي من موقفهم تجاه الحركة الكمالية، حيث بدأوا ينادون بسياسة التقارب من خلال عقد اتفاقيات ثنائية معها، بدلاً من مجابتها.

وهذا الفصل يحلل مدى تأثر السياسة الكردية لبريطانيا بالتطورات الإقليمية والدولية المهمة آنفة الذكر ما بين صيف العام ١٩٢٠ وصيف العام ١٩٢٣. وينبغي التذكير بهذا الصدد انه بدون التوصل الى اتفاقية مع تركيا الكمالية، سواء جاء عن طريق القوة او عن طريق الدبلوماسية السلمية، عدّ صناع القرار السياسي البريطاني في وزارتي الخارجية والمستعمرات تطبيق نظام السيطرة غير المباشرة الجديدة أمراً غير واقعي وبعيد المنال. فكما سيوضح هذا الفصل، كان لمسألة لجوء البريطانيين الى وسائل سلمية او قسرية تأثيرات مباشرة في طريقة تعاملهم مع الوضع الكردي، وذلك بسبب حالة عدم الاستقرار السياسي السائدة في جنوب كردستان وشمالها. ويُبين هذا الفصل أيضاً، كيف ان بريطانيا وتركيا الكمالية قد أخذتا بنظر الاعتبار وجود ذلك الوضع غير المستقر والمُتغير في المناطق الكردية، لدى بذلهما مساعي حثيثة من أجل تحقيق غایاتهما، أي السيطرة على كردستان الجنوبية. وفي غضون ذلك، اخفق القوميون الكرد في مساعيهم لاستغلال الاختلافات بين البريطانيين والكماليين الاتراك في سبيل تحقيق تطلعاتهم السياسية القومية.

## القوميون الُّكرد وبريطانيا والوضع الُّكردي بعد عقد معاهدة سيفر

### ١. نشاطات الحركات القومية الُّكردية لمرحلة ما بعد سيفر

أيدى القوميون الُّكرد ردود أفعال غير مؤيدة لمعاهدة سيفر، وذلك لأن بنودها الخاصة بمستقبل كُردستان لم تكن مرضية أو قابلة للتنفيذ. وكان السيد طه واحداً من أولئك القوميين ((المشككين)) بإمكانية تطبيق بنود سيفر، خصوصاً ان لجنة الحلفاء المقترحة لم تكن مدعاومة بالقوة لأداء مهمتها في كُردستان.<sup>٦٩٥</sup> وبدلًا من الانتظار حتى الزمن الذي سُتطبق فيه بنود معاهدة السلام، اتخذ القوميون الُّكرد مبادرات عدّة من أجل تحقيق تطلعاتهم السياسية. وباستثناء قلة منهم، وهم من الذين لم تكن لديهم أية ثقة بنوايا الحلفاء ورأوا ان أسلم الخيارات هو التعاون مع القوى الكمالية من أجل الحصول على حكم ذاتي لكردستان ضمن تركيا الجديدة، فإن غالبية القوميين الُّكرد كانوا وما زالوا يعدون مساندة بريطانيا، سواءً بصورة مادية أم معنوية، عملاً مهماً في نجاح مساعيهم الرامية إلى قيام كُردستان مستقلة. وهذا الهدف لا يمكن الوصول إليه، بحسب اعتقاد الأكثريّة، إلا من خلال استغلال الخلافات بين بريطانيا وتركيا الكمالية.

ففي دياربكر، انخرطت الوجوه المحليّة الُّكردية وأضباط سابقون وموظفو مدنيون في تنظيم حركة مسلحة من أجل ان تحصل كُردستان على استقلالها من تركيا، وبدأوا بإقامة ارتباطات وصلات بين مختلف الدوائر القوميّة الُّكردية في اسطنبول وخاربوبت وبوليس، فضلاً عن دياربكر. وكان منظمو هذه الحركة متّحدين للخاتمة ببيان إقامة اتصالات مباشرة مع السلطات البريطانية في ميزوبوتاميا.<sup>٦٩٦</sup> وبغية التعامل مع حكومة لندن كجبهة موحدة، اتحدت الكتلتان القوميتان الُّكرديتين المعتدلة والمتشددة ليُنشئوا منظمة سياسية جديدة تسنم عبد القادر نهري رئاستها، في حين صار أمين بك بدرخان نائباً للرئيس.<sup>٦٩٧</sup> وفي الوقت ذاته، قرر السيد طه وحليفه سمكو شاك وقادة محليون آخرون في أعقاب سلسلة من اللقاءات إقامة كونفدرالية

<sup>٦٩٥</sup> Shuckburgh, India office, Urgent, 15 December 1920, F0371/5069, PRO.

<sup>٦٩٦</sup> High Commission, Mesopotamia, 17 November 1920, F0371/5069, PRO

<sup>٦٩٧</sup> Ryan, Memorandum, Constantinople, 23 December 1920, F0371/6346, PRO.

كُردية على طول الحدود العثمانية- القاجارية، وكما ناشدوا بريطانيا لمساندة مشروعهم السياسي.<sup>698</sup> لقد أعتقد هؤلاء أن فكرة إقامة كونفدرالية كُردية ستroc للحكومة البريطانية، نظراً لمخاوفها المتزايدة من شن الكماليين والبلشفيين هجمات ضد ميزوبوتاميا عبر مناطق كُردستان.<sup>699</sup> وكانت شخصيات كُردية أخرى، كحمدي باشا، وزير البحري العثماني السابق، قد طرحاً فكرة مشابهة أمام البريطانيين.<sup>700</sup> ويبدو ان التطور الذي صعدَ من تلك الآمال بين أوساط بعض القومين الكُرد هو احتلال البلاشفة لباكو، عاصمة أذربيجان، وتقديمهم جنوباً نحو الحدود القاجارية- العثمانية- الروسية القديمة. تلك كانت خلفيّة قيام سمو بمبادرته للاتصال بالسلطات البريطانية في ميزوبوتاميا، موضحاً أنه بسبب ضعف السلطة الفارسية في كُردستان الشرقية فإن مساندة البريطانيين لحركته ستساعد على التصدي لزحف البلشفيين واحتواء تهديدات الكماليين الأتراك ضد كُردستان الجنوبية.<sup>701</sup>

يُعرف في الأدب التاريخي البيهقي عن مواقف البلشفية تجاه المسألة الكُردية في الحقبة ١٩٢٠-١٩٢٣. مع ذلك، يمكن القول بأن قادة الكرملين الجدد قد ابدوا بعض الاهتمام نحو الشؤون الكُردية بالانسجام مع إستراتيجيتهم الشرق الأوسطية القائمة على التأثير في توجهات الحركات السياسية القومية للأمم الجديدة بهدف استخدامها ضد المصالح الإمبريالية البريطانية في تلك المنطقة. وبالرغم من ان المصادر البريطانية قد أشارت بشكل مباشر الى الدعاية البلشفية المتواصلة ضد بريطانيا في كُردستان، لم تظهر أية مجموعة بلشفية او ذات ميل بلشفية بين أوساط القومين الكُرد. ويمكن عزو السبب في ذلك الى الموقف البلشي المعادي للدين التي روجته الماكينة الدعائية البريطانية في بلاد فارس وفي الولايات الشرقية العثمانية السابقة. ومن المعروف أنه شارك ثمانية من الممثلين الكُرد في الكونفرانس الأول لشعوب

<sup>698</sup> كانت القبائل المنظمة الى مشروع الكونفدرالية قد جاءت من شرق كُردستان وشمالها، كالشراك والهكارين والحيدرانيين والبكزاده والهركية والارتوشية.

Memorandum from Civil Commission, Baghdad, to Under SIS for India, 8 October 1920 ,F0371/5069, PRO.

<sup>699</sup> Shuckburgh, 10 (No.8580, Urgent) 15 December 1920, F0371/5069, PRO.

<sup>700</sup> Ryan, Memorandum, Constantinople, 23 December 1920, F0371/6346f PRO.

<sup>701</sup> Memorandum from Assistant Political officer, Rania, to Political Officer, 20 July 1921, F0371/6347, PRO.

الشرق، الذي نظمه البلشفيون في باكو في ١٩٢٠.١٩٢٠<sup>٧٠٢</sup> مع هذا، لا توجد معلومات موثقة عن الميول السياسية لهؤلاء الممثلين الكرد. فهل كان هؤلاء من أصحاب التوجهات القومية أم من أصحاب الميول البلشفية؟ ونظراً لوجود جماعات كردية ملحوظة في أرمينيا الروسية وجورجيا وأذربيجان، فإن من المحتمل جداً أنه جاء هؤلاء الكرد من تلك البلدان للمشاركة في الكونغرس المذكور. ولربما سعى البلشفيون إلى تنظيم الممثلين الكرد في حزب قومي موالي لهم، إذا ما تطلبت التطورات ذلك، كما فعلوا ذلك في بلاد فارس وتركيا.

وفي أعقاب معاهدة سيفر، شكلَ كيان كردي تتمتع بحكم ذاتي في قوقازيا بالانسجام مع توجيهات لينين زعيم البلشفيين الروس. عُرف كيان الحكم الذاتي هذا بـ(كردستان الحمراء). وكانت إحدى أهم الوسائل التي لجأ إليها البلشفيون في التأثير في الوضع الكردي قد تمثلت بحثًّا القوى القومية الكمالية على منح حق تقرير المصير للقوميات غير التركية، مثل العرب والكرد، أملاً في التصدي لمساعي البريطانيين في استغلال المسألة القومية كأدلة في تعزيز موقفهم في البلدان المحيطة بحدود روسيا الجنوبية. ولكن، السياسة القومية للبلشفية الروسية قد طرأ عليها تحول جذري تجاه الحركات القومية الكردية في أعقاب توطيد ستالين لموقعه في قيادة الدولة والحزب البلشفي. وكانت أولى إشارات ذلك التحول قد تمثلت يالغاء كيان الحكم الذاتي الكردي، التي تبعتها إجراءات معادية أخرى وصلت ذروتها حين قدمت روسيا الستالينية المساعدة إلى تركيا الكمالية في قمع انتفاضتي العام ١٩٢٥ والعام ١٩٣٠. وبحسب لوبي فيشر، رأت روسيا الستالينية أن بريطانيا كانت تستخدم الكرد لمصالحها الخاصة في الشرق الأوسط سواء عن طريق إنشاء دولة كردية مستقلة أو كيان يتمتع بحكم ذاتي داخلي.<sup>٧٠٣</sup> ولممنع البريطانيين من استخدام الكرد كورقة سياسية، سعت روسيا إلى تقارب وجهات النظر بين الدولتين التركية والإيرانية، لكي يتعاونا وينسقا الجهود من أجل فرض الاستقرار على المناطق الكردية الحدودية.<sup>٧٠٤</sup> ولربما يفسر الموقف المعادي الذي اتخذته روسيا الستالينية جزئياً لماذا ظلت

<sup>٧٠٢</sup> Edward H. Carr, *The Bolshevik Revolution*, Vol. III [London: Penguin Books, 1971], p.262.

<sup>٧٠٣</sup> Louis Fischer, *The Soviets in World Affairs. A History of the Relations between the Soviet Union and the Rest of the World, 1917-1927*, [ed.] Vol.II, [New Jersey & Princeton: Princeton University Press, 1951], p.732.

<sup>٧٠٤</sup> Ibid, pp.732-733.

الحركات القومية الْكُرديَّة غير منجذبة سياسياً وإيديولوجيَا نحو البُلشفيَّة حتى بدايات أربعينيات القرن الماضي.

عَدَّ القوميون الْكُرد المساندة الغربية، خاصة البريطانية، المادية منها أو المعنوية، أمراً جوهرياً في نجاح مساعيهم لتبهنة الْكُرد من أجل فكرة نيل الاستقلال والحق الهزيمة بخصوصهم الأقوياء، أي الأتراك والإيرانيين. وبالرغم من الجهد الحثيثة التي بذلها القوميون الْكُرد من أجل التقرب من الحلفاء، لم تزل أي من الانتفاضات الْكُرديَّة، التي تباهنت من حيث شدتها واتساعها، على دعم خارجي مادياً أو معنوياً. ففي المناطق الْكُرديَّة إلى الشرق من سيواس، وقعت انتفاضة كُرديَّة معادية للقوى الكمالية.<sup>٧٠٥</sup> وفي درسيم، كان أهاليها الْكُرد في حالة تمرد مستمر لأكثر من عام. ووُقعت انتفاضات كُرديَّة أخرى في دياربكر ونصيبين وهكاري وماردين، في حين فرض سكان موش الْكُرد سيطرتهم على تلك المدينة.<sup>٧٠٦</sup> وتمثل التطور الأهم باندلاع انتفاضة خريف العام ١٩٢١ التي شملت مناطق دياربكر ودرسيم ووان وبطليس. وفضلاً عن المطالبة بإقامة انتداب بريطاني على المنطقة الْكُرديَّة أسوة بأقاليم عثمانية أخرى، أبلغ قادة الانتفاضة الموظفين البريطانيين أنه في حالة تقديم المساعدة لانتفاضتهم فإنهم سيحولون كُردستان الشمالية إلى حزام حاجز أمام التهديدات الكمالية والبُلشفيَّة على حد سواء. في جانب الحاجة إلى مساعدة ضابط أو ضابطين بريطانيين، كالميجر نوثيل، طلب الْكُرد من البريطانيين إرسال مدفعين جبليين وعدد من الأسلحة الرشاشة وخمسة آلاف بندقية، وبعض الاعتداء، والاهتمام من كل هذا، توفير ممر للتجهيزات عبر كُردستان الجنوبية.<sup>٧٠٧</sup>

أما اليونان فقد وعدت القوميين الْكُرد في تلك الأثناء بتقديم دعم عسكري، في حالة سماح بريطانيا لها بإرسال المساعدات عبر ميزوبوتاميا.<sup>٧٠٨</sup> وبحسب روبرت أولسون، زُوِّد المفوض السامي اليوناني في إسطنبول أمين عالي بدرخان عبد الرحمن بمنحة حين زار الأثنان القاهرة، وانزعجم الأول صاغ بياناً باللغة الْكُرديَّة بالتعاون مع اليونانيين. كما يصف أولسون كُرد مصطفى باشا بأنه أحد القوميين الْكُرد اللذين

<sup>٧٠٥</sup> Rumbold to Curzon, Confidential, 18 May 1921, F0371/6346, PRO.

<sup>٧٠٦</sup> High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 8 August 1921, F0371/6346, PRO.

<sup>٧٠٧</sup> Cox to Churchill, 28 October 1921, C0730/6, PRO.

<sup>٧٠٨</sup> Cox to Churchill, Very Secret, 28 October 1921, F0371/6347, PRO.

أقاموا صلات مع اليونانيين ومع القوميين الأرمن.<sup>٧٠٩</sup> وكانت تلك الشخصية القومية قد سعت إلى ضمان مساندة بريطانيا لقيام كُردستان جنوبية مستقلة حتى يمكن تعبئة أهاليها الكُرد من أجل التصدي للدسائس الكمالية في الإقليم المذكور. لقد بدأ اهتمام القوميين الكُرد باليونانيين والتوجه إليهم بسبب إبداء الآخرين اهتماماً جدياً أكبر في ما يخص تقديم الدعم لنشاطاتهم الرامية إلى إضعاف العدو المشترك، أي الكماليين الأتراك. ولربما رأى القوميون الكُرد في أن تقريرهم من اليونان قد يقنع بريطانيا بتقديم المساعدة السياسية اللازمة لهم، حالما تورط حليفتها اليونان في الوضع الكُردي. ويمكن أن يكون هذا العامل الذي دفع أمين عالي بدرخان إلى إشعار البريطانيين بوجود اتصالات كُردية- يونانية تهدف إلى تنظيم حركة سياسية كُردية جديدة ضد القوى الكمالية التركية. ففي تقرير له، وأشار أندرو ريان، أحد منتسبي المفوضية السامية البريطانية في إسطنبول، إلى ما تضمنه طلب بدرخان المتمثل بسماح البريطانيين له ولرفاقه الآخرين بالتوجه إلى الموصل، بغية الإعداد لتنظيم كُردي جديد في المناطق الكُردية الخاضعة لسيطرتهم وذلك تمهيداً لإعلان اتفاقية كُردية جديدة.

ولأن الحكومة البريطانية مازالت تأمل في التوصل إلى اتفاقية سلام ثنائية مع تركيا الكمالية، فإنها لم ترفض منح المساعدة العسكرية المباشرة أو حتى السماح لليونانيين بإرسال مساعداتهم إلى القوميين الكُرد عبر كُردستان الجنوبية فحسب، بل أيضاً طلبت من الكُرد عدم طرح أية مقتراحات تتتعلق بموضوع تقديم مساعدات بريطانية لهم.<sup>٧١٠</sup> ومع ذلك، لم يتوقف القوميون الكُرد عن مناشدة بريطانيا في تقديم الدعم لهم لحين عقد اتفاقية لوزان في العام ١٩٢٣. وغالباً ما كانت المناشدات الكُردية تُحذر من وقوع مذابح تركية ضد الشعب الكُردي إذا ما ترك الآخرون يواجهه مصيره لوحده.

في المرحلة التي أعقبت معاهدة سيفير، ركز المسؤولون البريطانيون (سواء في لندن أو في إسطنبول أو في بغداد) انتباهم على التهديدات الكمالية والبلشفية المتزايدة، التي جعلت من الصعب جداً على لندن أن لا تُعيد النظر في سياستها الكُردية، خاصة في كُردستان الجنوبية، وإنما ستواجه احتمال خسارة كُردستان الجنوبية وحتى ميزوبوتاميا العربية برمتها. وجاءت إشارات بضرورة اتخاذ مبادرات

<sup>٧٠٩</sup> Olson, *The Emergence of Kurdish Nationalism*, p.64.

<sup>٧١٠</sup> Rumbold to Curzon, 31 May 1921, F0371/6346, PRO.

جديدة في كُردستان من جانب وزارة الهند، التي أثارت مسألة تعيين حاكم كُردي لِكُردستان الجنوبيَّة ليكون رداً على التحالف المعادي لبريطانيا بين القوتين الكمالية والبلشفية.<sup>٧١١</sup> وحين أصبح الوضع السياسي أكثر تهديداً للمصالح البريطانية، أثارت وزارة الهند موضوع اتخاذ مبادرة جديدة تقوم على فكرة إنشاء كونفدرالية كُردية برعاية بريطانية في المناطق الواقعة على طول الحدود القاجارية - العثمانية في شرق كُردستان وغيرها.<sup>٧١٢</sup> وحثَّ الوزير مونتاغيو حكومته على الاستجابة لتطلعات السيد طه في إنشاء كونفدرالية كُردية تحت رعاية بريطانية وعلى ضرورة تجاهل بنود معاهدة سيفر، التي لا يمكن تنفيذها. كما اقترح مونتاغيو الآتي:

خطوة أولية، ينبغي إرسال تعليمات إلى الميجر نوثيل تدعوه إلى التوجه فوراً إلى ميزوبوتاميا، وأن يضع نفسه تحت تصرف المفوض السامي (البريطاني) بهدف فتح قنوات للاتصالات بالزعماء الْكُرد البارزين في الحدود الشمالية للإقليم الخاضع للاحتلال (البريطاني)، وأن يُرسل تقريراً فورياً إلى ميزوبوتاميا بشأن التوجّه العام للمشاعر المحلية في تلك المناطق، خاصة احتمالات نجاح تطبيق السياسة التي دعا إليها السيد طه المتمثلة بقيام كونفدرالية كُردية تحت رعاية بريطانية.<sup>٧١٣</sup>

ولا يعني كل ذلك أن مونتاغيو كان على استعداد في أن يورط بريطانيا في التزامات عسكرية جديدة، إذ إنه رفض فكرة إرسال ذخائير بريطانية إلى السيد طه،<sup>٧١٤</sup> كما إن فكرته في إرسال الميجر نوثيل قد اشترطت معرفة مستوى حميمية العلاقة بين الكماليين الأتراك والبلشفيين الروس والوضع السياسي في أرمينيا، وهما الأمان اللذان، بحسب رأيه، كانا يؤثران بصورة ملحوظة في موقف بريطانيا الاستراتيجي في كُردستان الجنوبيَّة وميزوبوتاميا العربية.<sup>٧١٥</sup> وكان الصوت الوحيد المؤيد لمشروع السيد طه قد جاء من طرف الموظفين البريطانيين العاملين في المناطق الكُردية.<sup>٧١٦</sup>

<sup>٧١١</sup> S/S [for India] to High Commission ,Baghdad, 27 October 1920, F0371/5069, PRO.

<sup>٧١٢</sup> S/S to High Commission, Baghdad, 26 November 1920, F0371/5069, PRO.

<sup>٧١٣</sup> Shuckburgh, India office, urgent, 15 December 1920, F0371/5069f PRO.

<sup>٧١٤</sup> Ibid.

<sup>٧١٥</sup> Ibid.

<sup>٧١٦</sup> Political Officer, Mosul, to Civil Commissioner, Baghdad, Confidential, 21 September 1920, F0371/5069, PRO.

## ٢. مساعي بريطانيا لتطبيق نسخة معدلة عن بنود معاهدة سيفر حول كُردستان

لم تكن لندن تؤمن إطلاقاً بامكانية التوصل إلى اتفاق مع تركيا الكمالية بشأن تنفيذ بنود سيفر حول كُردستان بصيغتها الحرفية، كما اقترح هيوبرت يانغ ، لأن قيام كُردستان مستقلة أو حتى تتمتعها بحكم ذاتي داخلي سيضعف الموقف البريطاني في ميزوبوتاميا. وكان مقترح يانغ قد نصَّ على وجود حكم تركي مؤقت في كُردستان الشمالية وكردستان الجنوبية لمدة عام واحد، في غضون ذلك سيترك للكرد أمر تقرير مصيرهم، سواء بالإعلان عن كُردستان مستقلة أو عن كُردستان تتمتع بحكم ذاتي داخلي ضمن إطار الدولة التركية.<sup>٧١٧</sup> ولكن حكومة لندن كانت تسعى، بدلاً عن ذلك، إلى إضفاء اللمسات الأخيرة على مشروع تقسيم كُردستان التي وضعت هي أُسسه في العام ١٩٢٠، اي حين وضعت كُردستان الجنوبية تحت الانتداب البريطاني الخاص بميزوبوتاميا، وكردستان الغربية تحت الانتداب الفرنسي الخاص بسوريا. ففي كونفرانس لندن (٢١ شباط - ١٢ آذار ١٩٢١)، اشترك الأتراك بوفدين مثل الأول السلطات العثمانية والثاني القوى الكمالية المتمردة عليها، فضلاً عن اشتراك ممثلي بريطانيا وحليفاتها. وفي هذا الاجتماع الدولي، وهو الأول من نوعه بعد عقد معاهدة سيفر على صعيد التعامل مع التسوية السلمية التركية، بادر البريطانيون إلى إجراء أول تعديل على بنود معاهدة سيفر المتعلقة بفكرة تقرير المصير الكردي، حيث وضعوا أمام الكماليين خطة تسوية جديدة نصَّت على الآتي:

فيما يخص كُردستان، سيبدي الحلفاء استعدادهم لدراسة تعديل المعاهدة (سيفر) بطريقة تنسجم مع الواقع القائم حول الوضع، شريطة تسهيل (قيام) حكم ذاتي وحماية كافية للمصالح الكردية والأثرية- الكلدانية.<sup>٧١٨</sup>

وهذا الموقف كان يعني تخلي الحلفاء عن التزامهم بحق الكرد في تقرير المصير الذاتي، على النقيض من الأرمن الذين ظلوا يحتفظون بمثل ذلك الحق، بما في ذلك إقامة دولة قومية خاصة بهم.<sup>٧١٩</sup> حتى فكرة إشراف المنظمة الدولية، عصبة الأمم، ومفوض سامي عن الحلفاء على طريقة تنفيذ الحكم الذاتي الكردي تم التخلی عنها

<sup>٧١٧</sup> Young, Colonial Office Minute No.21102, 29 April 1921, C0730/1f PRO.

<sup>٧١٨</sup> Shuckburgh to Churchill, Cairo, 15 March 1921, C0730/1, PRO.

<sup>٧١٩</sup> Foreign Office to Rumbold, Constantinople, 11 March 1921, F0371/6467, PRO.

بسبب معارضه الفرنسيين والإيطاليين.<sup>720</sup> علاوة على ذلك، ولأن المقترنات المتعلقة بالكرد سُتطبق في المناطق الكردية الواقعة إلى الشمال من كُردستان الجنوبية الخاضعة للسيطرة البريطانية،<sup>721</sup> فإنه تم التخلص تماماً عن فكرة كُردستان عثمانية موحدة، سواءً أكانت تحت السيطرة البريطانية أو تحت السيطرة التركية. وعكس هذه التنازلات المفاجئة تحولات ملحوظة على الوضع الإقليمي كان مصدرها بالدرجة الأولى زيادة قوة الكماليين وثقتهم بأنفسهم، وثانياً تعقّم الخلافات بين الحلفاء بشأن كيفية التعامل مع الكماليين، وثالثاً، الحاجة الماسة إلى منع قيام تحالف كردي-بلشفي معادٍ للمصالح البريطانية، وأخيراً، فشل مشروع إقامة دولة أرمنية موحدة.

وتعني الخطة التساؤمية، التي رفضها الوفد الكردي في نهاية المطاف، خسارة بريطانيا لنفوذها في كُردستان الشمالية، وهو الإقليم الذي كان ما يزال يحتفظ ببعض أهميته بالنسبة إلى أمن موقعها في كُردستان الجنوبية وميزوبوتاميا. وهذا الأمر لربما يفسر لماذا انتقد مونتاغيو موقف كونفرانس لندن تجاه المسألة القومية، حيث طالب بإصدار إعلان يفهم الكماليين والقوميات الخاضعة المعنية على حد سواء إصرار الحلفاء على عمل ما في وسعهم من أجل تنفيذ البنود المتعلقة بالأقلية.<sup>722</sup> وبالرغم من قبول وزارة الخارجية في لندن برأي مونتاغيو بشأن الحاجة إلى إصدار إعلان خاص بتنفيذ بنود الخطة الجديدة حول الأقلية القومية، مثل الكرد الشماليين،<sup>723</sup> لم يتحقق أي شيء من هذا القبيل. ولم تبدِّ عصبة الأمم ولا حلفاء بريطانيا السابقون استعداداً يذكر لتحمل أي مسؤولية سياسية في ذلك الشأن. وكان من تأثيرات فشل كونفرانس لندن أن يتذمّر البريطانيون موقفاً أكثر دفاعية وتحفظاً تجاه الوضع الكردي، ولهذا السبب لم ينزل القوميون الكرد الشماليون دعماً بريطانيا يذكر، على النقيض مما يراه أوليسون بهذا الخصوص.<sup>724</sup> بهذا الشكل، بدأت المسألة الكردية تخسر أبعادها الدولية منذ العام ١٩٢١، لتكتسب مضموناً داخلياً ضيقاً.

<sup>720</sup> Curzon, Paris, 23 March 1922, F0371/7858, PRO.

<sup>721</sup> S/S for the Colonies to Cox, Cairo & Acting High Commissioner, Baghdad, 17 March 1921, C0730/1, PRO.

<sup>722</sup> Memorandum from Montagu to Curzon, 23 April 1921, F0371/6469, PRO.

<sup>723</sup> Adam, Foreign Office Minute on Montagu's Memorandum, 26 April Foreign Office to Montagu, 29 April 1921, F0371/6469, PRO.

<sup>724</sup> Olson, *The Emergence of Kurdish Nationalism*, p.65.

**الأطروحة الدفاعية في مواجهة الأطروحة الهجومية  
في التعامل مع أوضاع كُردستان الشمالية:  
بريطانيا واحتواء التهديدات الكمالية**

**١. مواقف المفوضة السامية البريطانية في بغداد واسطنبول**

في الحقبة التي أعقبت كونفرانس القاهرة، أثارت النشاطات العسكرية السرية المتواصلة التي كان تقوم بها القوى القومية الكمالية ضد أمن ميزوبوتاميا، من جهة، وحالة عدم الاستقرار السياسي السائدة في كُردستان الجنوبية، من جهة ثانية، مخاوف حقيقة واسعة بين الأجهزة المدنية والعسكرية البريطانية في بغداد، التي خشيت من أن يؤدي انسحاب القوات البريطانية تحت ظل تلك الظروف غير المؤاتية إلى تشجيع الأتراك على غزو البلاد عبر المناطق الكردية. ففي ضوء تلك الهواجس، وبينما كان كوكس يحث حكومته على تكثيف جهودها من أجل التوصل إلى اتفاقية سلام مع تركيا الكمالية بأسرع وقت ممكن، دعا إلى تبني نهج هجومي في التعامل مع الكماليين الأتراك، في حال فشل الجهد дипломاسي والسلمي، بغية إجبارهم على وقف اعتداءاتهم ومن ثم الموافقة على عقد اتفاقية سلام جديدة تؤكد على إلحاق كُردستان الجنوبية بالدولة العراقية الجديدة. واستند نهج كوكس الهجومي أساساً، الذي نال دعم الأجهزة العسكرية والمدنية البريطانية في ميزوبوتاميا، فضلاً عن تأييد الملك فيصل<sup>٧٢٥</sup>، إلى فكرة تقديم دعم بريطاني إلى القوميين الكرد الشماليين في صراعهم مع الجانب التركي. وأعاد كوكس إلى أذهان وزارة المستعمرات أنه في خريف العام ١٩٢٠، تدارست الحكومة البريطانية بدقة فكرة ((تحفيز فعال)) لانتفاضة كُردية في كُردستان الشمالية<sup>٧٢٦</sup> وهي الفكرة التي تم التخلص منها بسبب عدم وجود شروط حيوية مُسبقة لنجاحها، منها قيام البريطانيين باحتلال جزيرة ابن عمر بصورة مؤقتة. فضلاً عن ذلك، أبدت وزارة الهند معارضتها لتلك الفكرة، خوفاً من أن تتطور بريطانيا بصورة أوسع وأعمق في الشؤون الكردية. لكن الأوضاع بدأَت مختلفة في حزيران من عام ١٩٢١ بحسب تصور كوكس، أي إنه في حالة ما إذا أدى كونفرانس لندن إلى ((عداء سافر)) بين بريطانيا وتركيا الكمالية، فإن الأولى مازالت في موقف

<sup>725</sup> High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 21 November 1921, C0730/7, PRO.

<sup>726</sup> High Commissioner for Mesopotamia to S/S for the Colonies, 21 June 1921, F0371/6346, PRO.

يُمكنها من مساندة الْكُرَد، الذين ينْبَغِي إشعارهم بطبيعة المساعدات البريطانية ومداها.<sup>727</sup> ولكن كوكس لم يُعْطِ أية تفاصيل بشأن كيفية تقديم حكومته المساعدة إلى القومين الْكُرَد.

في شهر آب، بدا كوكس أكثر تصميماً في إقناع حكومته علىأخذ المبادرة، في وقت اشتدّ فيه تحرك كُردي ميال إلى البريطانيين من أجل نيل الاستقلال:

إذا ما تطور الموقف وفق هذه المسارات، سيؤدي بالضرورة، عاجلاً أو آجلاً، إلى انفصال مقاطعات كُردية عن بلاد فارس وتركيا بحسب الترتيب. إن تغير موقف الحكومة الفارسية نحو بريطانيا والهزائم التركية في أناضوليا ثُبِّين ان الحسابات، التي كانت تدفعنا في السابق إلى عدم تشجيع مثل ذلك التحرك، قد فقدت في الوقت الحاضر كثيراً من أهميتها ... لهذا اقترح، إلا في حالة صدور تعليمات مغايرة، أنه إذا رفضنا إقامة اتصالات رسمية مع الزعماء الْكُرَد المحليين الموجودين خارج حدودنا، علينا أن تستغل فرصة تأكيدهم على نوایاهم واتخاذ خطوات سريعة، عندما تستدعي الضرورة، لضمان سلامة حدود العراق.<sup>728</sup>

ولدعم وجهة نظره حول ضرورة وجود دور بريطاني فاعل في شؤون كُردستان الشمالية، أشار كوكس إلى أنه سواء تدخلت بريطانيا أو لم تتدخل، فإنها ستُثْبِّتُ بـ((التوافق)) في أية اتفاقية كُردية تنبع ضد القوى الكمالية.<sup>729</sup> إن التَّشَدُّد المتزايد في موقف كوكس هذا قد تناقض مع تصاعد التهديدات الكمالية ضد مصالح بريطانيا الإقليمية. فكلما صَعَّدَ الكماليون من تهدياتهم للموقف البريطاني في كُردستان الجنوبية وميزوبوتاميا، فضلَ كوكس تبني نهج هجومي في التعامل معهم. وينبغي التأكيد أن كوكس قدم فكرته في استخدام الْكُرَد الشماليين بوصفه بدليلاً لفكرة تشرتشل القائمة على استخدام الْكُرَد الجنوبيين كأداة للتصدي لأي زحف كمالي عبر كُردستان الجنوبية. كما سعى كوكس إلى الاستفادة من نفوذ الزعيم سموك لاحتواء النفوذ الكمالي في كُردستان الشرقية ومن أجل إرجاع المسيحيين إلى منطقة

<sup>727</sup> Ibid.

<sup>728</sup> High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 26 August 1921, F0371/6347, PRO.

<sup>729</sup> Ibid.

أورمية.<sup>٧٣٠</sup> وشارك كوكس موقفه هذا عدد من الموظفين البريطانيين العاملين في كُردستان الجنوبية. فالموظفي السياسي في السليمانية، أوج أي گولد سميث، عَدَّ نفوذ سمكو ((حاجزاً مؤثراً)) بين المناطق الخاضعة للكماليين في كُردستان الشمالية والمناطق الخاضعة للبريطانيين في كُردستان الجنوبية، ولهذا السبب دعا إلى عقد اتفاق أو تحالف مع سمكو،<sup>٧٣١</sup> لكونه يُسيطر على مناطق واسعة تقع على طول الحدود القاجارية- العثمانية القديمة.

في ضوء إعراب اليونان عن استعدادها لتقديم دعم مادي للقوميين الْكُرْد واندلاع انتفاضات كُردية في دياربكر ودرسيم ووان وبطليس في خريف العام ١٩٢١، رفع كوكس مقترحاً إلى تشرتشل بشأن إرسال متقطعين بريطانيين وفسح المجال لمراور التجهيزات، باستثناء الأسلحة، إلى الْكُرْد. لكن، لذنب رفضت مقترن كوكس، مؤكدة الحاجة إلى تجنب أي تورط بريطاني في شؤون كُردستان الجنوبية من شأنه أن يفاقم الوضع المتأزم أصلاً. وفي ضوء هذا التوجه المتحفظ، أبلغ المفوض السامي البريطاني في بغداد القادة القوميين الْكُرْد أن دولته لن تقوم بمساندة انتفاضتهم لكونها تشنّد السلام مع الكماليين الأتراك. وأخبر البريطانيون خليل بدرخان، أحد هؤلاء القادة القوميين، بوجوب مغادرة بغداد، كي لا يخلق وجوده الشك في قلوب الكماليين بشأن تورط بريطانيا في شؤون كُردستان الشمالية.<sup>٧٣٢</sup>

وإذاء استمرار معاندة الكماليين وتتمسكهم بموقفهم العدائي والخوف من ردود فعل سلبية لدى الأوساط الكُردية، طلب كوكس المرة أخرى من تشرتشل في شهر كانون الأول مراجعة فكرة تقديم مساندة بريطانية إلى الْكُرْد الشماليين، إذ أبدى خشيه من أنه إذا استمرت بريطانيا في تبني موقف محايد تجاه الوضع الْكُردي، في وقت لم يُعبر فيه الكماليون عن أية رغبة في إيقاف نشاطاتهم المعادية في كُردستان الجنوبية، فإنها لن تخسر هيبيتها بين الْكُرْد فحسب، بل أيضاً ستثير غضبهم عليها:

**وبيّنما نحن، بهذا النحو، نُمنع من اتخاذ إجراءات فاعلة لمعارضة التهديد الكُمالي بسبب احتفالات مفاوضات السلام، فإن السبب نفسه يخلق تائياً معاكساً تماماً في السياسة الكُمالية. وسيؤدي ذلك إلى النتيجة الآتية وهي أنه في**

<sup>٧٣٠</sup> High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 26 August 1921, F0371/6347, PRO.

<sup>٧٣١</sup> Secret Memorandum from Political Officer, Sulaimaniya, to High Commissioner, 29 July 1921, F0371/6347, PRO.

<sup>٧٣٢</sup> News Summary, Baghdad for Period Ended 25th November 1921, C0730, PRO.

الوقت الذي يمنهم موقفنا السلبي جميع الفرص لفعل ذلك بنجاح، فان الكماليين سيضاعفون مساعيهم ضدنا. اشعر انه من واجبي ان أفت الانظار الى الخطط، لكي لا تؤدي سياستنا الحالية والقائمة على عدم تشجيع الکرد، في وقت يحاول الكماليون فيه بقوة كسبهم الى جانبهم، الى معاداة الکرد لنا ورميمهم عملياً في احضان الكماليين، على النقيض من مساعدينا.<sup>٧٣٣</sup>

وبحسب رأي كوكس، مadam اتفاق السلام ليس في الأفق المنظور بالنسبة الى بريطانيا، فإنه ليس بمقدورها خسارة الکرد الشماليين لصالح الكماليين، الذين سيستخدمونهم حتمياً كوسيلة في تحقيق هدفهم الأساس في السيطرة على کردستان الجنوبية، ولربما ميزوبوتاميا أيضاً. واستمرت محاولات كوكس لإقناع حكومته بضرورة استغلال المواقف المعادية للكمالية في أوساط القومين الکرد الشماليين حتى بداية العام ١٩٢٣، أي لحين بدأ مؤتمر لوزان أعماله.

على النقيض من نظيره في بغداد، ساند المفوض السامي البريطاني في اسطنبول نهج الترضية الذي تمسكت به وزارة الخارجية والمستعمرات في التعامل مع الكماليين، أملأاً في تحقيق السلام وتسوية إقليمية بأقرب فرصة ممكنة. ولهذا عارض المفوض السامي المذكور أي تورط بريطاني في شؤون کردستان الشمالية من شأنه أن يُصعد حالة التوتر بين البريطانيين والكماليين. وعلى غرار سلفه، دي روبيك، شارك أوج رومبولد استخبارات هيئة الأركان العامة البريطانية في اسطنبول في رأيها إنه لكي يمكن استخدام القوى الكمالية كأداة لاحتواء النفوذ البلشفي، فإنه يتوجب على بريطانيا التعبير عن استعداد لتبني سياسة ترضية تجاه تركيا الكمالية عن طريق تعديل بنود معاهدة سيفر.<sup>٧٣٤</sup> وبخلاف ذلك، ووفق رأي رومبولد، فإن أي تغيير في موقف بريطانيا المحايد نحو الصراع الكمالي - الکردي من شأنه أن لا يعطي فرصة نجاح لأية مقاوضات سلام بريطانية - کمالية.<sup>٧٣٥</sup> ولهذا لم يشجع رومبولد، الذي أشار في تقرير له الى حالة الهيجان الذي سببه كونفرانس لندن لدى المجموعات القومية

<sup>٧٣٣</sup> High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 20 December 1921, F0371/6347, PRO.

<sup>٧٣٤</sup> Rumbold, Constantinople, 4 January 1921 & Cabinet Meeting, 20 January 1921, F0371/6464, PRO.

<sup>٧٣٥</sup> High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 20 December 1921, F0371/6481, PRO.

الكردية، الزعماء الكرد على إرسال برقيات الى الكونفرانس للتوضيح موقفهم من المسألة الكردية.<sup>٧٣٦</sup> بالرغم من ذلك، لم يكن بمقدور الموظفين البريطانيين في اسطنبول تجاهل الكرد بوصفهم ورقة سياسية مؤثرة. فإذا استمرت القوى الكمالية في مواقفها العدائية حيال بريطانيا أو أُجبرت الأخيرة على الرد على نشاطات القوميين الأتراك والبلشفيين المعادية لها في كردستان، فإنها سيظل بمقدورها استخدام القوميين الكرد كوسيلة لاحتواء تلك النشاطات،<sup>٧٣٧</sup> وهذا النهج سيُطبق، بحسب استنتاجاته، من دون أن تقدم بريطانيا أية التزامات سياسية أو عسكرية نحو القضية الكردية.

## ٢. نهج تشرتشل الداعي في التعامل مع شؤون كردستان الشمالية

على النقيض من وجهة نظر كوكس، دعا تشرتشل الى تبني نهج تصالحي وإرضائي تجاه الكماليين الأتراك بحيث تتخلى بلاده عن اي مخطط يجعلها في موقف تساند فيه مسامي القوميين الكرد الشماليين لإنهاء الهيمنة التركية في كردستان الشمالية. كان تشرتشل يخشى على موقف بريطانيا في منطقة الشرق الأوسط من تبعات تبني إستراتيجية هجومية واتخاذ موقف معادي للكماليين ومساندة للأقليات القومية غير التركية، ومنهم الكرد، وحدّر من فكرة دعم الكرد الشماليين أو اليونانيين ضد الكماليين الأتراك لأنها ستؤدي الى قيام تحالف كمالي - بلشفي معاً للإمبراطورية البريطانية.

ولا ينفي تحليل موقف تشرتشل نحو شؤون كردستان الشمالية، الذي يمكن وصفه بالنهج الداعي المغاير لنهج كوكس الهجومي، بمعزل عن تصوراته المتعلقة بمستقبل كردستان الجنوبية. ففي الإقليم الآخر، نادى وزير المستعمرات الى تشكيل كيان كردي لحماية الدولة العربية الحديثة التأسيس من تهديدات الكمالية، ولربما أيضاً من الخطر البلشفي. وبال مقابل، سعى كوكس من وراء نهجه الهجومي الى نقل معركة التصدي لتهديدات القوميين الأتراك من كردستان الجنوبية الى كردستان الشمالية بغية تعرية نقاط ضعف تركيا الكمالية ومن ثم إجبارها على القبول بتسوية سلمية تضمنبقاء الإقليم الأول تحت الانتداب البريطاني وضمن الدولة العراقية.

<sup>736</sup> Rumbold, Constantinople, 2 March 1921, F0371/6346, PRO.

<sup>737</sup> Rumbold, to Curzon, 29 December 1920 & Ryan, Constantinople, 23 December 1920, F0371/6346, PRO.

ان نهج تشرتشل، في حال تبنيه، سيجعل من تركيا - الكمالية، لا بريطانيا، الدولة المعنية لأنها ستبدو الطرف الذي انتهك بنود هدنة مودروس (1918)، التي أنهت الحرب بين الدولتين، والتي وضعت ولاية الموصل تحت السيطرة البريطانية. فضلاً عن ذلك، فإن نهج تشرتشل سيجنب بريطانيا خطر التورط عسكرياً خارج المناطق الكردية الخاضعة لانتدابها، وهو الأمر الذي سيجعل من تركيا الكمالية تهديداً دائماً لمصالحها في ميزوبوتاميا.

يرجع نهج تشرتشل التصالحي والارضائي تجاه الحركة القومية الكمالية في جذوره الى الفترة التي كان يشغل فيها منصب وزير للحرب حتى شهر شباط من العام 1921. ففي شهر تشرين الأول من العام 1919، أكد تشرتشل ان أي نهج معادٍ لتركيا من شأنه ان يؤدي الى استفحال مشاعر النزعة الإسلامية المعادية لبريطانيا في الهند والى قلقل جديدة في مصر والى مضاعفة الاضطرابات العربية ومذبحة جديدة تُرتكب ضد المسيحيين الأرمن. بالإضافة الى ذلك، لن يكون بمقدور بريطانيا، بحسب ادعاء تشرتشل، استخدام ((مصطفى كمال وتركيا متصالحة بوصفهم حاجزاً امام البشفيين)).<sup>728</sup> وعدّت وزارة الحرب في عهد تشرتشل النزعة البشيفية الخطير الأعظم في الشرق الأوسط، ولهذا وجّه على بريطانيا سد الطريق أمام أية تطورات قد تقود الى ظهور تحالف بشفي - كمالي موجه ضد المصالح البريطانية الإمبريالية في تلك المنطقة. لقد كان الكماليون، بحسب رأي تشرتشل، غير معادين لبريطانيا، وإنما هم معارضون لتقسيم أوصال تركيا بعد انتهاء الحرب، ولذا تساءل عن دواعي مناصبهم العداء ((لأجل مصلحة أعرق غريبة ومفتوحة؟)).<sup>729</sup>

وفي أعقاب تسلمه منصب وزير المستعمرات، وهو الذي جعله مسؤولاً عن إدارة الأقاليم الخاضعة لانتداب البريطاني في الشرق الأوسط، أطلق تشرتشل التصريحات ذاتها، التي شاطره الرأي فيها كل من الوزيرين لورد كورزون وإدويون مونتاغيو. لقد عارض تشرتشل وكورزون دوماً نهج لويد جورج المؤيد لليونانيين على حساب الكماليين الأتراك، إذ كانوا يخشيان، على غرار هيئة الأركان العامة،<sup>730</sup> من ان يؤدي

<sup>738</sup> Martin Gilbert, **Winston Churchill, Vol. IV, 1917-1922**, (London: Heinemann, 1977), p.501.

<sup>739</sup> Churchill, Memorandum on Military Policy In Asia Minor, 9 October 1919, CAB24/89, PRO.

<sup>740</sup> Kent, **Moguls and Mandarins**, p.103.

ذلك النهج الى رمي الكماليين في أحضان روسيا البلشفية. مع ذلك، لم تغير آراء زملائه في الحكومة ولا بوادر الاعتدال في السياسة الفرنسية تجاه تركيا من موقف لويد جورج المعادي للكمالية والمناصل للموقف اليوناني.

لقد مثلَّ شيوخ مثل تلك التصورات المتناقضة بعد انعقاد كونفرانس القاهرة حالة من عدم اليقين في أوساط المسؤولين البريطانيين، سواء في الداخل أو في الخارج بشأن النهج الذي سيُمكِّن بريطانيا من ربط موقفها من الوضع الكردي بسياساتها العريضة في منطقة الشرق الأوسط، حيث احتلَّ السلام مع تركيا واحتواء البلشفية مكانة مركبة. ففي وزارة الخارجية، دعا سي جي إدموندز إلى اتفاق الخصوم (modus vivendi) بين بلاده وتركيا، في حين نادى زميله فوربس آدم بانتهاج سياسة استخدام القوة ضد الكماليين.<sup>٧٤١</sup> أما كبار المسؤولين في وزارة المستعمرات فكانوا عموماً مؤيدين لموقف تشرتشل بشأن عدم التدخل في شؤون كُردستان الشمالية، حتى إن بعضهم اقترح تعديل الحدود بين كُردستان الجنوبية وكُردستان الشمالية ((بوصفه السبب)) الذي سيجعل الكماليين يتخلون عن مواقفهم المعادية لبريطانيا،<sup>٧٤٢</sup> وهي المواقف التي كانت تعرقل عملية تطبيق السياسة البريطانية الجديدة القائمة على السيطرة غير المباشرة في ميزوبوتاميا. كما انتقد شوكبور مقترحاً قدّمه كوكس بشأن مساندة بريطانيا لمساعي القوميين الكرد الشماليين، خوفاً من أن يجعل تركيا ((عدواً أبداً)) لبريطانيا، في وقت كانت متطلبات السياسة البريطانية الجديدة في العراق تقتضي وجود ((تركيا ودودة)). ورأى شوكبور بأن الانتفاضة المعادية للكماليين في كُردستان الشمالية قد تؤدي إلى ((فضيحة)), ومن ثم إلى مزيد من التدهور في وضع العراق، بدلاً من تحسينه.<sup>٧٤٣</sup> فالنسبة إليه، لم تكن بريطانيا في موقف يسمح لها بتقديم مساندة كافية لانتفاضة الكرد الشماليين عند اندلاعها أو احتواء اللاجئين الكرد في حالة فشلها.

كان الوضع السياسي في كُردستان الشمالية ووضع الحركات القومية الكردية في تلك الفترة من الأسباب التي جعلت الحكومة البريطانية غير مستعدة لأن تتورط

<sup>٧٤١</sup> Edmonds & Adam, Foreign Office minutes No.4766, 25/26 April 1921, F0371/6346, PRO.

<sup>٧٤٢</sup> Second Minute Middle Eastern Committee, Colonial Office, 12 may 1921, F0371/6344, PRO.

<sup>٧٤٣</sup> Shuckburgh, Colonial Office Minute of 10 November 1921, C0730/6, PRO.

بصورة جدية في شؤون ذلك الإقليم، إذ كان أغلب المسؤولين البريطانيين غير مقتنعين بقدرة القوميين الـكـرد على قيادة انتفاضة ناجحة ضد القوى القومية الكمالية. وتلخص إحدى ملفات وزارة المستعمرات الموقف الرسمي البريطاني نحو الحركة القومية الـكـردية في كـردستان الشمالية بالـنـحو الآتي: ((ان دروس الأعوام القليلة الأخيرة تـقـفـ بشـكـلـ كـاسـحـ ضـدـ اسـتـخـادـ اـصـدـقاءـ ضـعـفـاءـ ضـدـ اـعـدـاءـ اـقـوـيـاءـ،ـ حـيـنـماـ لاـ نـكـونـ فـيـ مـوـقـعـ يـمـكـنـنـاـ مـنـ تـقـديـمـ الدـعـمـ الـكـافـيـ))).<sup>٧٤٤</sup> ولهذا السبب عـدـ أيـ تـورـطـ بـرـيطـانـيـ فـيـ الـأـنـفـاضـاتـ الـكـردـيـةـ مـقـاـمـةـ خـطـرـةـ،ـ لـاـ يـنـبـغـيـ اللـجوـءـ إـلـاـ فـيـ حـالـةـ الـاـضـطـرـارـ بـوـصـفـهـ الـخـيـارـ الـأـخـيـرـ،ـ أـيـ بـعـدـ انـ تـسـتـنـزـفـ الـخـيـارـاتـ السـلـمـيـةـ الـأـخـرـىـ.ـ كـمـ أـشـارـ شـوـكـبـورـ إـلـىـ فـكـرـةـ اـسـتـخـادـ الـكـردـ الشـمـالـيـيـنـ كـخـيـارـ أـخـيـرـ فـيـ مـعـرـضـ تـعـلـيقـهـ عـلـىـ رـدـ تـشـرـتـشـلـ عـلـىـ كـوـكـسـ بـشـأنـ كـيـفـيـةـ التـعـاـمـلـ مـعـ الـكـمـالـيـةـ.ـ وـأـوـضـعـ شـوـكـبـورـ اـنـ مـؤـتمرـ لـوزـانـ بـمـثـابـةـ فـرـصـةـ أـخـيـرـ لـبـرـيطـانـيـاـ لـإـقـنـاعـ الـكـمـالـيـيـنـ بـضـرـورةـ التـوـقـيعـ عـلـىـ اـتـفـاقـيـةـ سـلـامـ جـديـدـةـ،ـ وـإـلـاـ فـانـهـ سـيـتـحـتـمـ عـلـىـ حـكـومـتـهـ التـفـكـيرـ ((فـيـ الإـفـادـةـ أـوـلـاـ مـنـ فـرـصـةـ التـعـاـنـوـنـ مـعـ الـكـردـ (ـالـشـمـالـيـيـنـ)،ـ الـتـيـ يـسـنـحـهاـ مـرـاجـمـ الـحـالـيـ،ـ ضـدـ عـدـوـانـ تـرـكـيـ مـحـتمـلـ))).<sup>٧٤٥</sup> ولـكـنـ،ـ نـجـاحـ مـؤـتمرـ لـوزـانـ فـيـ تـحـقـيقـ اـتـفـاقـيـةـ سـلـامـ تـرـكـيـ جـديـدـةـ أـنـهـتـ مـسـأـلةـ رـعـيـةـ بـرـيطـانـيـاـ لـأـنـفـاضـاتـ مـعـادـيـةـ لـلـكـمـالـيـيـنـ فـيـ كـردـسـتـانـ الشـمـالـيـ،ـ حـتـىـ وـإـنـ ظـلـ مـسـتـقـبـلـ كـردـسـتـانـ الـجـنـوـبـيـ مـعـلـقاـ فـيـ الـهـوـاءـ بـيـنـ الـطـرـفـيـنـ الـمـعـنـيـيـنـ:ـ بـرـيطـانـيـاـ تـرـكـيـاـ.

### ٣. عـدـ اـتـفـاقـيـةـ لـوزـانـ وـتـدـاعـيـاتـهاـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ الـمـسـأـلةـ الـكـردـيـةـ

تـمـيـزـ تـارـيخـ المـوـقـعـ الـبـرـيطـانـيـ مـنـ الـمـسـأـلةـ الـكـردـيـةـ فـيـ أـعـقـابـ مـعـاهـدـةـ سـيـفـرـ بـسـلـسلـةـ تـرـاجـعـاتـ مـسـتـمـرـةـ عـنـ مـبـداـ حـقـ تـقـرـيرـ الـمـصـيـرـ وـعـنـ الـمـحتـوىـ الدـولـيـ لـتـلـكـ الـمـسـأـلةـ.ـ وـمـثـلـ كـوـنـفـرانـسـ لـندـنـ خـطـوةـ أـوـلـىـ فـيـ ذـلـكـ الـاـتـجـاهـ وـذـلـكـ مـنـ خـالـلـ رـفعـ الـمـسـأـلةـ الـكـردـيـةـ مـنـ الـواـجهـةـ الـدـولـيـةـ.ـ وـبـعـدـ مـرـورـ عـامـ تـقـرـيـباـ،ـ تـمـ تـجـاهـلـ الـمـسـأـلةـ الـكـردـيـةـ لـمـرـةـ أـخـرىـ فـيـ اـثـنـاءـ قـيـامـ الـحـلـفـاءـ بـمـفـاـوـضـاتـهـ بـشـأنـ التـسـوـيـةـ الـتـرـكـيـةـ،ـ حـيـثـ شـكـاـ الـبـرـيطـانـيـيـنـ مـنـ عـدـمـ تـقـدـيمـ حـلـفـائـهـ الدـعـمـ لـمـوقـفـهـ تـجـاهـ قـضـائـاـ الـأـقـلـيـاتـ غـيرـ الـتـرـكـيـةـ.<sup>٧٤٦</sup> وـفـيـ الـلـقـاءـ الـثـانـيـ،ـ وـافـقـ الـحـلـفـاءـ عـلـىـ اـنـ تـقـومـ عـصـبـةـ الـأـمـ بـتـعـيـنـ مـفـوضـيـنـ لـهـاـ لـلـقـيـامـ بـزـيـاراتـ مـيـدانـيـةـ لـلـمـنـاطـقـ الـتـيـ وـصـلـ فـيـهـاـ التـأـزـمـ الـاـثـنـيـ وـالـدـيـنـيـ إـلـىـ ذـرـوـتـهـ،ـ

<sup>٧٤٤</sup> Colonial Office Minute, 11 November 1921, C0730/6, PRO.

<sup>٧٤٥</sup> Shuckburgh, 21 February 1922, F0371/7781f PRO.

<sup>٧٤٦</sup> Hardinge, Paris, 24 March 1922, F0371/7858, PRO

كازمير وبونتوس وأنقرة وقليقل.<sup>٧٤٧</sup> ولم تكن هناك إشارة واحدة، سواء جاءت بصورة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، إلى المناطق الكردية أو إلى المسألة الكردية في اللقاءات التسعة التي عقدها الحلفاء، الذين لم يوافقوا على مقترن قدمه كورزون بشأن توسيع صلاحيات مفوضي العصبة بغية الإشراف على وضع المسلمين غير الأتراك، بضمهم الكرد.<sup>٧٤٨</sup> وكان خطاب كورزون في مجلس اللوردات البريطاني بمثابة تأكيد على إقصاء الحلفاء للكرد من مناقشاتهم الخاصة بمسألة الأقليات في تركيا الآسيوية.<sup>٧٤٩</sup> وفي أعقاب ذلك مباشرة، تم إقصاء بعض الأقليات المسيحية الأخرى، كالاثوريين والكلدان من النقطة السادسة في المسودة النهائية المتعلقة بمسألة الأقليات بسبب المعارضة الفرنسية:

أن رغبة (الحلفاء) في توفير الحماية والأمن للأقليات المتنوعة، سواء كانت مسلمة أم مسيحية أم من الأعراق والعوائد الأخرى، سواء كانت في أوروبا أم في آسيا، من تلك التي وجدت نفسها ضمن تجمعات سياسية وأثنية أوسع.<sup>٧٥٠</sup>

لقد أصبح ما اتفق عليه الحلفاء في لقاءاتهم قاعدة لطريقة التعامل مع مسألة الأقليات القومية في مؤتمر السلام القادم في مدينة لوزان السويسرية.

جاء اختيار مدينة لوزان مكاناً لعقد مؤتمر السلام لكونها تقع في بلد محايد، أي سويسرا. كان هذا المؤتمر، على حد تعبير المؤرخ بوش، المؤتمر الوحيد الذي جلس فيه الحلفاء المنتصرون مع تركيا المهزمـة على قاعدة متساوية.<sup>٧٥١</sup> وتمحور جدول أعمال المؤتمر حول ثلاث قضايا رئيسية: مستقبل ترس والموصـل والإسلام. وشكلـت ثلاثة لجان لهذا الغرض، حيث ترأس لورد كورزون فيها اللجنة الإقليمـية والعسكرية الحساسـة. وفضلاً عن تأثيرـها بالمواقف التصالـحـية التي اتخـذـها حلفـاؤـها السابقـون تجاه تركـيا الكـمالـية، وقـعـت موقفـ بـريـطـانـيا ونشـاطـها خـلالـ المؤـتمرـ تحتـ

<sup>٧٤٧</sup> كانت عصبة الأمم قد عينت مفوضـاً سـامـياً قبل ذلك، كما أصدرـت قـرارـاً في بداية العام ١٩٢٢ لـفتـتـ فيهـ أنـظـارـ قـوىـ الـحـلـفـاءـ إـلـىـ وجـودـ حاجـةـ مـاسـةـ لـضـمانـ حـمـاـيـةـ الـأـقـلـيـاتـ، وـأـبـدـتـ استـعدـاـهـاـ لـالـتـعاـونـ معـ تـلـكـ القـوىـ منـ أـجـلـ تـحـقـيقـ بـنـودـ مـعـاهـدـةـ سـيـفـرـ فيـ ذـلـكـ.

<sup>٧٤٨</sup> Curzon to Foreign Office, Paris, 23 March 1922, F0371/7858, PRO.

<sup>٧٤٩</sup> Parliamentary Debate in the House of the Lords, 30 March 1922 ,F0371/7859, PRO.

<sup>٧٥٠</sup> Foreign Office Minute of the 9th Meeting of Allied Foreign Ministers in Paris, 26 March 1922, F0371/7858, PRO.

<sup>٧٥١</sup> Busch, **Mudros to Lausanne**, p.365.

تأثير تطورات سلبية عدّة، ومنها ما شهده شهر أيلول من العام ١٩٢٢، من انهيار للجبهة اليونانية في آسيا الصغرى، الذي تبعه مباشرة زحف القوات الكمالية نحو إزمير والحزام المحايد للمحيط بالمضائق. وكان للتطور الأخير أهمية خاصة إذ إنها مكنت الكماليين من تحدي البريطانيين بصورة مباشرة. كما كشفت اندلاع أزمة جاناك ضعف موقف بريطانيا الدبلوماسي والعسكري، حينما لم يُبَدِّل حلفاؤها السابقون حتى في ممتلكاتها الاستعمارية البيضاء أية رغبة في مقاتلة الكماليين.<sup>٧٥٢</sup> وأدت هذه الأزمة دوراً في سقوط حكومة لويد جورج الأنجلوافية في ١٩ تشرين الأول (١٩٢٢).

وترك صعود حزب المحافظين إلى السلطة بعد يوم واحد تأثيرات مباشرة على المسألة الكردية، لكونه كان مؤيّداً لنهج المصالحة والتراضية تجاه تركيا الكمالية واتخاذه لمواقف غير مبالية نحو قضية الأقليات غير التركية. ويُذكر أن لويد جورج قد اتهم المحافظين بموالاة الأتراك باستمرار. وفي الواقع، كانت حكومة المحافظين مصممة على تطبيع العلاقات البريطانية- التركية، أملاً في استخدام الكماليين وبقدر الإمكان ضد روسيا البلشفية. وكان عدم التأكيد على قضية مستقبل الأقليات غير التركية بمثابة وسيلة التجأ إليها المحافظون لتحسين العلاقات الثنائية مع تركيا الكمالية. وكان لاحتفاظ كورزون بمنصبه كوزير للخارجية أهمية خاصة لكونه من أشد مناصري نهج تحسين العلاقات مع الكماليين. وفي غياب لويد جورج، الذي اعتاد على اتخاذ المبادرات من وراء ظهر وزير خارجيته،<sup>٧٥٣</sup> أصبح كورزون حُرّ اليدين في انتهاج سياسة جديدة لا تتطلب من بريطانيا الاهتمام كثيراً بمصالح اليونانيين، والأهم من ذلك، بمصالح الأقليات غير التركية في تركيا الآسيوية. وأدار كورزون، الذي فضل خيار إلحاق كردستان الجنوبية بالدولة العربية في ميزوبوتاميا على انفصالها، أهم جلسات المحادثات المتعلقة باتفاقية السلام الجديدة مع تركيا.

في المراحل المبكرة التي شهدتها مؤتمر لوزان في كانون الأول (١٩٢٠)، منح الحلفاء الوفد الكمالى، على حد تعبير كورزون، «تنازلًا عظيمًا» فيما يخص المسألة الكردية، التي أصبحت منذ ذلك الوقت شأنًا داخليًا غير ذي صلة بالقضايا السياسية والدولية:

<sup>752</sup> Kent, *Moguls and Mandarins*, p.100.

<sup>753</sup> Busch, *Mudros to Lausanne*, p.360.

الابتعاد عن جميع اتفاقيات الأقلية الأولمبية... إلى درجة بحيث تم استثناء الأقليات المسلمة من جميع بنود فصل الأقلية من الاتفاقية، بما في ذلك البند

<sup>٧٥٤</sup>

الذي يضع ضمان التطبيق بيد عصبة الأمم.

وتوقع الحلفاء السابقون من تركيا الكمالية الالتزام بإعلان عام يخص حماية الأقليات غير التركية وحرياتها، بغض النظر عن الولادة والعرق واللغة والدين. ولم يكن هناك أية إشارة مباشرة إلى الأقليات باستثناء الأرمن. ولم تمنح عصبة الأمم أي دور في تنفيذ بنود ((حماية الأقليات))، التي تركت تماماً لمشيئة الكماليين الآتراك. لا غرابة في أن يوافق الوفد الكمالى - التركي فوراً على كل تلك التنازلات.

ومن المهم الإيضاح أن بنود اتفاقية لوزان المتعلقة بحماية الأقليات القومية قد خصت الأقليات المسيحية فقط<sup>٧٥٥</sup>، ولم يكن لها تأثير ايجابي حقيقي على وضع سكان كُردستان الشمالية. ولم تكن للبنود المتعلقة بالأقليات القومية في اتفاقية السلام التركية أية قيمة حقيقية، نظراً لعزם الكماليين وتصميمهم على فرض تمثال ثقافي وسياسي تركي على الشعوب غير التركية، في مقدمتها الشعب الكردي. إذن، لم تُمثل تلك البنود سوى محاولة بائسة من قبل بريطانيا وحلفائها السابقين من أجل حفظ ماء الوجه، بعد أن فشلوا في إجبار الكماليين على القبول بصيغة معدلة عن معاهدة سيفير. وتمثلت واحدة من أهم جوانب مفاوضات لوزان بتوصيل بريطانيا وتركيا الكمالية إلى اتفاق نص على حسم قضية الحدود بين تركيا ودولة العراق عن طريق ((محادثات ودية)) في غضون تسعه أشهر. وفي حالة فشل الفريقين في التوصل إلى اتفاق حدودي، فإن النزاع سيحول إلى مجلس عصبة الأمم لحسمه. وفي غضون ذلك، تعهدت كل من بريطانيا وتركيا الكمالية بعدم اللجوء إلى القوة أو إلى أية وسائل أخرى لتغيير الوضع القائم في الأقاليم المعنية، أي ولاية الموصل.<sup>٧٥٦</sup>

ترك مؤتمر لوزان منذ البدء تأثيرات مباشرة على السياسة الكردية لبريطانيا. فمع بدء مفاوضات السلام بين الحلفاء السابقين وتركيا الكمالية، أثار عدد من صناع القرار البريطانيين، منهم كورزون، الشكوك حول جدوى دعم النزعة القومية في

<sup>754</sup> Curzon, Lausanne, 30 December 1922, F0371/9058, PRO.

<sup>755</sup> Appendix: Section III: Lausanne Treaty of Peace with Turkey and Accompanying Straits Convention and Declaration on the Administration of Justice, Great Britain, Parliamentary Papers, 1923, Treaty Series No.16, Cmd, 1929.

<sup>756</sup> Section 1, Article 3, ibid.

كُردستان الجنوبية بوصفها وسيلة للتصدي للخطر الكمالى. وهذه الأطروحة، التي شابهتها أطروحة أخرى استندت إلى دعم القوميين الـكُرد في كُردستان الشمالية من أجل نيل الاستقلال السياسي الناجز، صارت خطرة جداً بسبب إثارتها للمخاوف التركية حول نوايا بريطانيا، وهو ما سيُعرقل مسار محادثات السلام:

هل يصح في هذه اللحظة، ونحن نتفاوض مع الأتراك (في لوزان) وموقف ولاية الموصل موضع شك محتمل، أن تتخذ خطوة، كالتي اقترحتها وزارة المستعمرات، في اتجاه تعزيز الحركة القومية الـكُردية؟ نظراً لوجود هذا الوضع وحقيقة ان الوضع يتغير في لوزان من يوم لاخر، فإنه من الصعب جداً على (وزارة الخارجية) ان تضع اية توصيات نهائية بخصوص تلك المسألة.<sup>٧٥٧</sup>

لقد جعلت الأوضاع السياسية المحيطة بمؤتمر لوزان من محمود وأنصاره القوميين مصدراً لإثارة المشاكل السياسية التي أضعف الموقف البريطاني في كُردستان الجنوبية. واكتشف البريطانيون ان تشجيع النزعنة القومية الـكُردية سيُعرقل مساعيهم لإبقاء كُردستان الجنوبية خارج سيطرة الأتراك، وذلك لأنها ستتجعل الكماليين أكثر تعنتاً وإصراراً على منع ظهور كيان سياسي كُردي منفصل يهدد بشكل جدي وحدتهم الإقليمية والسياسية. أما خيار إلحاق الإقليم بدولة العراق فأن من شأنه أن يسهل كثيراً على البريطانيين دحض الادعاءات الكمالية في أنبقاء الإقليم المذكور خارج سيطرتهم السياسية سيُعرض وحدة تركياً الإقليمية وأمنها إلى خطر جدي. وكذلك، أصبح أسهل بكثير على كورزون ان يقدم إلحاق كُردستان الجنوبية بدولة العراق بوصفه نتيجة منطقية وطبيعية، نظراً لوقوع الإقليم ضمن الرقعة الجغرافية الخاضعة لانتداب البريطاني في ميزوبوتاميا. وبالفعل، أصر كورزون، خلال سعيه إلى تعزيز إدعائه في أن كُردستان الجنوبية تمثل جزءاً طبيعياً من العراق، على حصول البريطانيين على وضع قانوني في العراق استند إلى طبيعة الانتداب.<sup>٧٥٨</sup> بعبارة أخرى، تكون كُردستان الجنوبية جزءاً من انتداب ميزوبوتاميا، فان البريطانيين ملزمون أخلاقياً وقانونياً بداخلها ضمن الدولة العراقية الجديدة. وبحسب رومبولد، صرَّح كورزون خلال مؤتمر لوزان انه:

<sup>٧٥٧</sup> R.C. Lindsay, Foreign office Minute No.130941, 24 November 1922 , F0371/7782, PRO.

<sup>٧٥٨</sup> Curzon to Foreign Office, 19 January 1923, F0371/9060 ,PRO.

ينبغي إدخال ولاية الموصل ككل في الدولة العراقية بشكل صحيح، فمنذ الهدنة (مع الدولة العثمانية)، عدّت حكومة صاحب الجلالة حدود الولاية الشمالية حدود الأمر الواقع الإدارية للدولة العراقية.<sup>759</sup>

ففي ظل تلك الأوضاع، كان الهدف من وراء إيقاف بريطانيا لعملية سحب قوتها من كُردستان الجنوبية الذي كان مرهوناً بالتوصل إلى اتفاقية سلام نهائية مع تركيا، بحسب تعبير دوبز، تزويدها ((بسلاح الأمر الواقع الثمين دبلوماسياً)).<sup>760</sup> وهذا الأمر كان أساسياً بالنسبة إلى عملية دمج كُردستان الجنوبية بالدولة العراقية.

### الاعتبارات الدولية والإقليمية وتأثيراتها في الموقف البريطاني تجاه المسألة الكردية، ١٩٢٣-١٩٢١

#### ١. موقف حلفاء بريطانيا السابقين

منذ بدء العام ١٩٢١، شهد الوضع السياسي في الشرق الأوسط سلسلة تطورات أدت إلى ظهور تهديدات مباشرة للوجود البريطاني في ميزوبوتاميا العربية وكُردستان الجنوبية. ففي غضون أسبوع واحد، توصلت تركيا الكمالية إلى اتفاقيتين مع حلفاء بريطانيا السابقين، إيطاليا وفرنسا، في ١٣ و ١٧ آذار (١٩٢١) بحسب الترتيب. كما تخللت الحقبة الفاصلة بين تلك الاتفاقيتين اتفاقية أخرى عقدها الكماليون مع روسيا البلشفية في ١٥ آذار. تكمن حساسية هاتين الاتفاقيتين، من وجهة النظر البريطانية، في إنها تُعدان انتهاكاً فرنسياً وإيطالياً لبنود الاتفاقية الثلاثية السابقة بين حلفاء الأمس (١٠ آب ١٩٢٠)، التي عُقدت بهدف تسهيل عملية إعادة تنظيم الإمبراطورية العثمانية المهزومة عن طريق إنهاء المنافسة الإمبريالية بين تلك القوى الأوروبية. ونصت الاتفاقية المذكورة على (١) وجود لجان سيطرة دولية و(٢) الحصول على مرافق وتنازلات تجارية وأخرى في ميدان المواصلات و(٣) المساعدة الدبلوماسية و(٤) الإشراف على خطوط السكك الحديدية و(٥) تعين حدود المناطق ذات المصالح بين فرنسا وإيطاليا و(٦) سلطات الانتداب على الأقاليم المُنْتَرَّزة من تركيا العثمانية و(٧) التصرف بحق هيراكليا للفحم الحجري و(٨) انسحاب القوات الفرنسية

<sup>759</sup> Rumbold, Lausanne, 2 May 1923, F0371/9005, PRO.

<sup>760</sup> Acting High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies, 14 May, ١٩٢٣ F0371/9005, PRO.

والإيطالية (٩) حماية الأقليات. إن تطبيق أو عدم تطبيق النقاط السنتين الأولى، إضافة إلى النقطة التاسعة، كان من شأنه التأثير على وضع بريطانيا في كُردستان الجنوبية، ونفوذها في المناطق الْكُردية المتبقية.

إذا أخذ بنظر الاعتبار تورط فرنسا المباشر في عملية إعادة ترتيب الولايات العثمانية السابقة، فإنه لابد للاتفاقية الفرنسية- الكمالية أن تؤدي إلى تداعيات بالنسبة إلى وضع البريطانيين في كُردستان الجنوبية وميزوبوتاميا. ففي المقام الأول، بفضل إنهائها حالة الحرب بين فرنسا وتركيا من جانب واحد (اي دون وجود تنسيق بين فرنسا وحلفائها السابقين) مثّلت الاتفاقية اعترافاً صريحاً بحكومة أنقرة الكمالية، في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا مازالت في حالة حرب معها، من وجهة النظر الفنية. لهذا شعرت بريطانيا بعزلة ووجدت نفسها في موقف دفاعي في مواجهة تركيا الكمالية، البلد الذي كان مصمماً على فرض سيطرته على أكبر قدر ممكن من الأقاليم العثمانية غير التركية السابقة. ثانياً، بفضل تخليها عن بعض المناطق الْكُردية لصالح تركيا الكمالية، كالجزيرة ونصيبين، تخلت فرنسا عملياً عن مسؤولياتها تجاه حماية الأقليات غير التركية بحسب بنود معاهدة سيفير لعام ١٩٢٠.<sup>٧٦١</sup> وأخيراً، تخلت فرنسا عن التزاماتها السابقة بحسب بنود المعاهدة آنفة الذكر بخصوص وجود قوات فرنسية في منطقة المصالح العائدة لها، لحين تنفيذ الأتراك لبنود اتفاقية السلام.<sup>٧٦٢</sup> لقد شعرت بريطانيا بأنها أصبحت أكثر ضعفاً من الناحيتين الدبلوماسية والعسكرية أمام تركيا الكمالية. وجعل هذا مبادئها مسألة توصل البريطانيين إلى اتفاقية سلام مرضية جديدة مع تركيا أكثر صعوبة، نظراً للموقف العنيف الذي اتخذته الكماليون، الذين ارتفعت معنوياتهم بسرعة بسبب النجاحات الدبلوماسية التي حققوها خلال شهر آذار (١٩٢١).

ومن جانب آخر، أبدى المسؤولون العسكريون البريطانيون الميدانيون القلق الشديد إزاء الاتفاق الفرنسي- الكمالى المفاجئ، لما سيتركه من تأثيرات سلبية مباشرة على الموقف البريطاني في ميزوبوتاميا، حتى أنه تولد عندم الشك بوجود مؤامرة ضد بريطانيا. فالفرنسيون يتآمرون، وبمساعدة الكماليين، من أجل بسط نفوذهم على الْكُرد من خلال إقامة كونفدرالية كُردية كبيرة خاضعة لرعايتهم:

<sup>٧٦١</sup> Curzon to the Count de Saint-Aulain, 5 November 1921, C0730/7, PRO.

<sup>٧٦٢</sup> Ibid.

في البدء، سيتكون أعضاء (الكونفدرالية) من البرازبي، ما بين بلخ و(نهر) الفرات، والملّي، ما بين بلخ ونهر (Jajjagahg Su)<sup>\*</sup>، وفيما بعد كوچر وهاجان وميران وكُرد ماردين إذ ان الهدف النهائي هو توسيع النفوذ الفرنسي حتى السليمانية. ان هذا التحرك ... موجه ضد البريطانيين.<sup>763</sup>

وكل هذا يوضح، بحسب التفسير البريطاني المشتر إلية، السبب لماذا ((تخلى عداؤ)) الفرنسيون عن معظم التزاماتهم تجاه التسوية التركية بحسب بنود معاهدة سيفر. ولكن، هذا التفسير البريطاني كان في غير محله بقدر ما يتعلق الأمر بنوايا الفرنسيين في كُردستان العثمانية. فالفرنسيون أبدوا في كل مناسبة معارضتهم للتطبعات القومية الكُردية، لاعتقادهم الخاطئ بأن لندن تسعى إلى إقامة كُردستان ذات توجّه بريطاني تتمتع بوضع استقلالي منفصل أو بحكم ذاتي داخلي. وسعى الفرنسيون، عن طريق إقامة علاقة جيدة مع تركيا الكمالية، إلى تعزيز نفوذهم الاقتصادي وإضعاف ما عدوه ورقة بريطانية، أي الأقليات القومية، في توطيد نفوذها. ووفق تلك الحسابات، قامت فرنسا في أثناء كونفرانس لندن (١٩٢١) بمعارضة تدخل عصبة الأمم في قضية الأقليات القومية ورفض الاقتراح القاضي بتعيين مفوض سامي لمراقبة مصالح تلك الأقليات ومنها الكُرد.<sup>764</sup> لقد انتابت الفرنسيين شكوك قوية بتورط البريطانيين في جميع الجهود السياسية والعسكرية المناهضة للكمالية، التي كان يبذلها القوميون الكُرد ولربما يُفسر ذلك، على سبيل المثال، لماذا رفضت السلطات الفرنسية السماح لأكرم بيك، وهو قائد قومي كُردي شارك في إعداد اتفاقية كُردية معادية للكمالية، بالذهاب إلى دياربكر عبر بيروت.<sup>765</sup>

ورأى البريطانيون، ومن منظور استراتيجي، أن لنقل المناطق الكُردية في نصيبين وجزيرة ابن عمر من السيطرة الفرنسية إلى السيطرة الكمالية تداعيات مباشرة على مصالحهم. فلهاتين المنطقتين الكُرديتين ((أهمية إستراتيجية عظيمة بالنسبة إلى الموصل وميزوبوتاميا)). كما توجد أهمية إستراتيجية مماثلة بالنسبة إلى ((إعادة جزء

\* الأسم الصحيح هو (جِقْجِق). ساعدنا الاستاذ عبد الرقيب يوسف مشكوراً في تصحيح هذا الأسم وأسماء أخرى. [الناشر]

<sup>763</sup> General Headquarter, Mes.EX.Force, 26 September 1921, F0371/6369, PRO.

<sup>764</sup> Curzon, Paris, 23 March 1922, F0371/7858, PRO.

<sup>765</sup> Rumbold, Constantinople, to High commissioner, Baghdad, November , ١٩٢٠ . F0371/6346, PRO.

من خط بغداد للسكك الحديدية الواقع ما بين چوبان بى ونصيبين<sup>٧٦٦</sup>). ولذلك سارع كورزون الى إبلاغ الفرنسيين انه بسبب التهديد الموجه ضد الموقف البريطاني في ميزوبوتاميا، فان حكومته لن تبقى مكتوفة اليدين تجاه إعادة جزء من خط بغداد للسكك الحديدية والمناطق الــ الكردية في جزيرة ابن عمر ونصيبين الى تركيا<sup>٧٦٧</sup>. وبالفعل، أدت تلك التطورات حال وقوعها الى تعزيز الموقف الكمالى العسكري في المناطق القريبة من الحدود ومن ثم جعل من الغزو التركى لــ كردستان الجنوبية أمراً ممكناً في أي وقت. ففي ظل مثل تلك الظروف، أصبح إجراءً منطقياً ان ثبقي بريطانيا قواتها الإمبريالية في المواقع النائية من المناطق الــ الكردية الواقعة تحت انتدابها، وان تحفظ بمسؤولية الدفاع عن ميزوبوتاميا وأمنها لحين التوصل الى اتفاقية سلام مع تركيا الكمالية.

وكان لاتفاق الفرنسيــ الكمالى تداعيات سياسية أخرى، من وجهة النظر البريطانية، بالنسبة الى مصير كــ ردىستان الجنوبية. فالبريطانيون كانوا يخشون من أن التنازلات الإقليمية التي قدمها الفرنسيون في غرب كــ ردىستان سوف تُــ شجع الكماليين على ممارسة المزيد من الضغط عليهم بهدف الحصول على تنازلات إقليمية مماثلة في كــ ردىستان الجنوبية<sup>٧٦٨</sup>. اضافة الى ذلك، سيُــ ضفي الاعتراف الفرنسي بــ عائدية مناطق الجزيرة ونصيبين الــ الكردية الى الحكم والسيادة التركية شرعية على ادعاءات الكمالية حول مناطق كــ ردية أخرى كانت خاضعة للانتداب البريطاني. وبالرغم من التطمئنات التي قدمتها الحكومة الفرنسية لنظيرتها البريطانية حول عدم تقديم أية تسهيلات للنشاطات الكمالية ضد ميزوبوتاميا أو تزويد تركيا بــ تجهيزات عسكرية، فإن اتفاق الفرنسيــ الكمالى سبب وبشكل ملموس في تجدير النهج الدفاعي الحذر الذي انتهجه بــ ريطانيا تجاه الوضع الــ الكردي.

وشهدت الفترة التي سبقت انعقاد مؤتمر لوزان والممتدة من شهر أيلول ولغاية شهر تشرين الأول ١٩٢٢، إصراراً كــ مالياً متزايداً على إلغاء كافة بنود معاهدة سيفر للسلام المتعلقة بالقوميات غير التركية في كــ ردىستان وارمينيا. وتزايدت الإشاعات

<sup>٧٦٦</sup> Ibid

<sup>٧٦٧</sup> Curzon to M. de Montille, 25 November 1921, C0730/7, PRO.

<sup>٧٦٨</sup> Curzon to the Count de Saint-Aulain, 5 November 1921, C0730/7, PRO.

<sup>٧٦٩</sup> S/S for the Colonies to High Commissioner, 30 November 1921, C0730/7, PRO.

بشأن حصول تفاهم فرنسي - كمالي يتضمن تحريضاً فرنسياً للأتراك على مضايقة الجهود من أجل السيطرة على ولاية الموصل. ويُذكر أن لقاءات لوزان الأولى قد تزامنت مع مفاوضات باريس المتعلقة بمسألة التعويضات الألمانية لفرنسا. وكما يُشير ماريان كَنْت، كان للاختلافات الحادة في السياستين الفرنسية والبريطانية حول مسألة التعويضات التي أعقبها الاحتلال الفرنسي - البلجيكي المشتركة لمنطقة روه爾 الألمانية في شهر كانون الثاني من العام ١٩٢٣، صدِّيَّ كَبِيرًا في مؤتمر لوزان، حيث عبر الفرنسيون، وكذلك الإيطاليون، عن موقف تصالحي وإرضائي نحو وفد تركيا الكمالية.<sup>٧٧٠</sup> وهذا الأمر قضى بشكل نهائي على إستراتيجية كورزون في المؤتمر المذكور، التي استندت إلى مجابهة الوفد الكمالى بموقف موحد يتّخذه حلفاء الأمس.<sup>٧٧١</sup>

إن احتمالات وجود مساندة فرنسية وأمريكية، للموقف الكمالى بخصوص مسألة عائدية ولاية الموصل والحاجة الملحة لتنفيذ سياسة السيطرة غير المباشرة الجديدة، هي التي جعلت كورزون يطرح فكرة تقديم تنازلات إقليمية إلى الجانب التركي خلال مفاوضات السلام الجارية في لوزان. فإذا ما أقدمت بريطانيا على تقديم تنازلات إقليمية، بحسب تصور كورزون، فإنه يتحتم عليها الاختيار بين (١) التنازل عن ولاية الموصل ككل أو بجزء منها، أو (٢) أو التنازل عن كُردستان الجنوبية أو جزء منها.<sup>٧٧٢</sup> وينبغي التذكير هنا بأن تعريف كورزون لـ كُردستان الجنوبية في ذلك السياق كان مقصوراً على قسم منها. وطبق حسابات كورزون، لن يؤثر ذلك التنازل الإقليمي سلباً في الموقف البريطاني الاستراتيجي في ميزوبوتاميا لكونه ((شريطاً أرضياً طويلاً وضيقاً، يصعب جداً على الأتراك إدارته وذا قيمة قليلة بالنسبة لهم)).<sup>٧٧٣</sup>

واجهت فكرة تقديم تنازلات إقليمية محدودة إلى الجانب الكمالى رفضاً وبالإجماع من أعضاء لجنة وزارة المستعمرات ورئيس هيئة الأركان العامة ورئيس قيادة الطيران، لأسباب عسكرية، وذلك لوجود مخاوف من أنها ستزيد من التهديد الكمالى بشكل كبير لميزوبوتاميا بسبب إضعاف دفاعاتها الإستراتيجية في كُردستان الجنوبية. ومن المنظور السياسي، سيعارض الـ كُرد والعرب، على حد سواء، فكرة

<sup>٧٧٠</sup> Kent, *Moguls and Mandarins*, p113.

<sup>٧٧١</sup> Busch, *Mudros to Lausanne*, p.121.

<sup>٧٧٢</sup> Annexure i, 7 December 1922 -in- Cabinet Committee On Iraq (I.R.O. 1st) 8 December 1922, F0371/7772, PRO.

<sup>٧٧٣</sup> Ibid.

تقديم تنازل إقليمي، ومن ثم ستعجلهم ينقذون هُم أيضًا على بريطانيا. علاوة على كل ذلك، تتركز المصالح التركية وطموحاتها في مناطق تقع على الحافات الجنوبية للإقليم الكردي، حيث تتوارد عناصر تركمانية، أي في أربيل وكفرنوك، ولهذا السبب، لن يُلبي التنازل الإقليمي المحدود، في حالة قيام بريطانيا بذلك، مطامح الكماليين الإقليمية.<sup>774</sup> ويكشف هذا النقاش الداخلي بين البريطانيين اللثام عن تزايد مواطن الضعف في الموقف البريطاني في المدة التي أعقبت معاهدة سيفر، بحيث أن تقديم الفرنسيين لتنازلات إقليمية محدودة في كردستان إلى الجانب الكولي أجبر الدوائر المدنية والعسكرية البريطانية على إعادة النظر في السياسة المنتهجة نحو كردستان الجنوبية وميزوبوتاميا.

## ٢. تركيا الكمالية وبريطانيا والوضع الكردي

كانت لانتصارات الدبلوماسية التي حققتها الكماليون، المشار إليها آنفًا (أي عقد اتفاقيتين ثانaitين الأولى مع فرنسا والثانية مع إيطاليا وكذلك الدخول في معاهدة مع روسيا البلشفية) تداعيات عسكرية مباشرة على موقف بريطانيا في كردستان الجنوبية وميزوبوتاميا، بحيث خلقت قناعة متزايدة في أوساط المسؤولين العسكريين، سواء في لندن أو في بغداد، أن قيام الكماليين بغزو عبر الحدود الشمالية أمر وارد جداً. وترسخت هذه القناعة أيضاً بعد إلهاق الكماليين هزيمة عسكرية بالقوات اليونانية. فالموقع أصبح صالح لصالح تركيا بعد انتهاء المواجهة مع اليونانيين وضمان عدم تدخل البلشفيين، وكل ذلك فتح المجال أمام الكماليين لتسخير الجهود العسكرية من أجل تلبية مطامحهم الخارجية، في مقدمتها استرجاع ولاية الموصل. وبحسب مذكرة لوزارة الحرب البريطانية، شجعت ((عملية تخفيض)) القوات البريطانية في العراق، التي جاءت في أعقاب انتهاء الوجود العسكري البريطاني في إيران المجاورة، الكماليين على مواصلة العمل على استرجاع ما عدوه أقاليمهم المسلوبة.<sup>775</sup> وأدركت بريطانيا أن جميع حلفائها السابقين، ناهيك عن روسيا البلشفية، كانوا يرغبون في هزيمتها أمام تركيا الكمالية في قضية النزاع حول ولاية الموصل، وذلك لأنهم يرون ان استرجاع الأتراك لتلك الولاية، أو لربما ميزوبوتاميا كلها، سيمنحهم فرصة جيدة لاستغلال

<sup>774</sup> Annexure ii, Curzon, Lausanne, 8 December 1922 -in- Cabinet committee On Iraq (I.R.O. 1st) 8 December 1922, F0371/7772, PRO.

<sup>775</sup> S/S for War, Memorandum, 21 November 1921, F0371/6347 ,PRO.

الثروة البترولية الكامنة فيها.<sup>776</sup> ولمنع أية مساندة فرنسية وأمريكية للموقف التركي حول قضية الموصل في أثناء مفاوضات لوزان للسلام، قدمت بريطانيا عرضاً سخياً للدولتين بمنع كليهما حصة ٢٥٪ في شركة البترول التركية. كما عرض كورزون حصة مماثلة على الحكومة الكمالية خلال مفاوضات السلام في لوزان. وكان هذا العرض، في رأي بوش، جزء من إستراتيجية كورزون لمقاييس الموصى بالبترول.<sup>777</sup> أما الكماليون فرفضوا العرض البريطاني، وحاولوا ضمن سياق استراتيجياتهم في مؤتمر لوزان إقناع بريطانيا بالموافقة على بسط السيادة التركية على الموصى لقاء قطع العلاقات مع روسيا البلشفية.<sup>778</sup> وكان مصطفى كمال قد حاول استخدام علاقاته الوثيقة مع البلشفيين كوسيلة للضغط على الحلفاء، خاصة بريطانيا،<sup>779</sup> كما استغل بشدة حالة عدم التوافق بين القوى الحليفة قبل انعقاد مؤتمر لوزان وفي أثناءه،<sup>780</sup> بهدف تعزيز موقف تركيا الدبلوماسي.

وخلص أسلوب تعامل الكماليين مع الوضع الكردي هو الآخر إلى تأثيرات السياسة الكردية لبريطانيا. إن تشكيل جمعيات مناصرة لتركيا عن طريق تنظيم الدعايات المعادية لبريطانيا وإرسال قوات تركية غير منظمة للتعاون والتنسيق مع المنتفعين الكرد الجنوبيين ضد الوجود البريطاني كانت ضمن التكتيكات الكمالية الرئيسة الرامية إلى البرهنة على عجز البريطانيين عن إدارة كردستان الجنوبية بصورة فاعلة أو خلق الاستقرار السياسي فيها. ولهذا السبب، من جانب ثانٍ، أصبح يامakan الكماليين راغبين بالخصوص إلى حكم عربي غريب عنهم، من جانب ثالٍ، فأصبح يامakan الكماليين الادعاء أن للمطالبة بعودة السيادة التركية إلى كردستان الجنوبية ما يبررها. وأدعى الكماليون، ضمن هذا السياق، أحقيتهم في كردستان الجنوبية على أساس عدم قانونية السيطرة البريطانية على الموصى. والجدير بالذكر أن القوات البريطانية احتلت مدينة الموصى بعد عدة أيام من التوقيع على اتفاقية هدنة مودروس (٣١ تشرين الأول ١٩١٨)، التي أنهت حالة الحرب بين بريطانيا حليفتها، من جهة، والدولة العثمانية، من جهة أخرى. ونصّت الفقرة ١٦ من اتفاقية تلك الهدنة على استسلام الحامية

<sup>776</sup>Cabinet (No. C.P.3566), 13 December 1921 ,F0371/6347, PRO.

<sup>777</sup> Busch, **Mudros to Lausanne**, p.244.

<sup>778</sup> Ibid.

<sup>779</sup> Kent, **Moguls and Mandarins**, p.103.

<sup>780</sup> Ibid, pp-114-115.

التركية في ميزوبوتاميا لأقرب قائد من الحلفاء. فبحسب وجهة النظر التركية، لا تنطبق تلك الفقرة على ولاية الموصل، وإنما على ولائيتي بغداد والبصرة فقط. وظلت الادعاءات التركية تتكرر علانية حول عاذية الموصل، كلما دخل الكماليون في مفاوضات مع قوى الحلفاء. على سبيل المثال، أكد جميل بيك، العضو البارز في الوفد الكعالي في كونفرانس لندن، لفيصل انه ليس لتركيا مخططات تتعلق بالولايات العربية السابقة التي كانت عائدة للإمبراطورية العثمانية وانها مستعدة لعقد اتفاقية ذات ((بنود سخية جداً)).<sup>781</sup>

وجاءت الوعود التي منحت للكرد حول إعطائهم حكماً ذاتياً داخلياً ضمن تركيا الجديدة ضمن سلسلة من التكتيكات الرئيسية التي التجأ إليها الكماليون من أجل توطيد نفوذهم السياسي في كردستان، وهو الأمر الذي سيساعد them أيضاً على تعبئة أهالي كردستان الشمالية والجنوبية على حد سواء ضد الوجود البريطاني. بتعبير آخر، سيكون للكرد، الشماليين منهم والجنوبيين، دافع قوي ومقنع لمساندة الادعاءات التركية في ولاية الموصل، التي ستعني في حالة تحقيقها إعادة توحيد كردستان العثمانية على شكل كيان يتمتع بحكومة محلية كردية ضمن إطار الدولة التركية الجديدة. وأدركـت الحكومة البريطانية أبعـاد السياسة الكمالية تجاه الكرد، التي أثـارت مخاوفـها، ولهـذا سـعت إلى تـبني إجرـاءـات في كـردستانـ الجنـوبـية تستـهدف إـفشـال جـمـيع المحـاـولاتـ الـكمـالـيـةـ لـتأـليـبـ أـهـالـيهـاـ ضـدـ الـبـرـيطـانـيـينـ<sup>782</sup>ـ وبـالـرـغـمـ منـ الـاعـتراـضـاتـ الـتيـ قدـمـهاـ كـوكـسـ وـفـيـصـلـ،ـ قـرـرـتـ وزـارـةـ الـمـسـتـعـمـرـاتـ السـمـاحـ لـقـيـامـ حـكـومـةـ أـهـالـيـةـ كـرـدـيةـ جـديـدةـ بـقـيـادـةـ الشـيـخـ مـحـمـودـ فيـ بـداـيـةـ خـرـيفـ الـعـامـ 1922ـ،ـ أـمـلاـ فيـ إـحـبـاطـ مـسـاعـيـ الـكـمـالـيـينـ منـ أـجـلـ تعـزيـزـ النـفـوذـ التـرـكـيـ فيـ كـرـدـسـتـانـ الجنـوبـيـةـ.

لقد عـبرـ رـفـضـ الـكـمـالـيـينـ لـتـناـزلـاتـ بـرـيطـانـيـةـ جـزـئـيـةـ فيـ كـرـدـسـتـانـ خـلـالـ الـعـامـ 1921ـ عنـ اـعـتـقادـ رـاسـخـ لـدـيهـمـ بـأنـ الـبـرـيطـانـيـينـ غـيرـ قـادـرـينـ عـلـىـ تـحـمـلـ ضـغـطـهـمـ الـمـتـزاـيدـ،ـ خـاصـةـ بـعـدـ تـحـقـيقـهـمـ اـنجـازـاتـ دـبـلـوـمـاسـيـةـ وـسـيـاسـيـةـ كـبـيرـةـ عـلـىـ الـمـسـتـوـيـنـ الدـاخـلـيـ وـالـدـولـيـ.ـ وـبـالـفـعلـ،ـ أـخـبـرـ الـبـرـيطـانـيـونـ الـجـانـبـ الـكـمـالـيـ انـهـمـ عـلـىـ اـسـتـعـدادـ لـلـاعـتـرـافـ بـسـيـطـرـهـمـ عـلـىـ كـرـدـسـتـانـ الشـمـالـيـةـ مـقـابـلـ حـمـاـيـةـ الـأـقـلـيـاتـ الـمـسـيـحـيـةـ.ـ وـبـالـرـغـمـ منـ انـ

<sup>781</sup> Cornwallis, 24 February 1921, F0371/6467, PRO.

<sup>782</sup> Message from Prime Minister to Mr. Churchill, 22 March 1921 ,F0371/6342, PRO.

هذا العرض البريطاني قد جسد تخلياً سافراً عن بنود معاهدة سيفر، رفضه الكماليون لأنه أوحى بوضوح إلىبقاء كُردستان الجنوبية تحت الانتداب البريطاني في ميزوبوتاميا. وظلّ الكماليون ينتظرون بتفاؤل الفرصة المناسبة التي سيترك فيها البريطانيون كُردستان الجنوبية، سواءً بسبب مصاعبهم المالية أو بسبب المقاومة الكردية، التي ساعدها على تعزيزها عن طريق تزويدتها بالسلاح والضباط. كما أستمد الكماليون ثقفهم من معارضتهم الكُرد الجنوبيين لمشروع فرض حكم عربي عليهم. ونظراً لعدم قدرة العرب على إلحاق كُردستان الجنوبية بدولتهم الفتية لوحدهم، اعتقد الكماليون بقوّة بقدرتهم على ملء الفراغ السياسي، الذي قد ينشأ في أعقاب انسحاب الإداره البريطانية والحامية العسكرية من المناطق الكردية.

وبالرغم من وقوع تطورات عسكرية عدّة ساهمت في تشجيع الكماليين على المضي قدماً في موقفهم المتصلب، كالحاجة المهزيمة بالجانب الأرمني ومن بعده الجانب اليوناني، دخلوا في نهاية المطاف في اتفاقية سلام مع البريطانيين في لوزان، من دون أن ينجحوا في فرض سيادة تركية على كُردستان الجنوبية، التي بقي مصيرها عالقاً حتى تحين فرصة أخرى لجسمها بوسائل سلمية، كتدخل عصبة الأمم. والسؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا التجأ الكماليون إلى وسائل سلمية لتسوية مستقبل كُردستان الجنوبية، بدلاً من الاستمرار في نهجهم التصعيدي المتمثّل بتكتيف الضغوط العسكرية والدعائية والنفسية على البريطانيين؟ هناك تفسيران، يتمثل الأول بمخاوف الكماليين من أن استمرار حالة عدم الاستقرار في كُردستان الجنوبية قد تؤدي إلى تآزم الوضع السياسي في المناطق الكردية الواقعة عبر الحدود والخاضعة لسيطرتهم. وبالفعل، ظهر وقوع سلسلة من الانتفاضات الكردية المحلية بين عامي ١٩٢١ و١٩٢٣ ان الكُرد الشماليين شكلوا المانع الداخلي الرئيس أمام محاولات الكماليين في توطيد سلطتهم السياسية. ونظراً لاستمرار حالة المواجهة بينهم وبين البريطانيين وعدم الاستقرار السياسي في كُردستان الجنوبية والشمالية على حد سواء، خشي الكماليون من طرح حلٍّ راديكالي آخر للمسألة الكردية قد يؤدي إلى قيام دولة مستقلة في كُردستان العثمانية. ولربما اعتقد الكماليون أنه في إمكان البريطانيين، في أقل تقدير، إعلان قيام كُردستان جنوبية مستقلة، بوصفها وسيلة لممارسة ضغط دائم على الدولة الكمالية الجديدة، وهو الأمر الذي سيشجع بصورة لا مفر منه الكُرد الشماليين على المضي قدماً في جهودهم الرامية إلى عتقهم من الهيمنة التركية.

ففي ظل تلك الظروف، كان من الطبيعي ان تثير عودة الشيخ محمود وقيام حكومة كردية ثانية مخاوف حقيقة لدى الكماليين، الذين فسروها على إنهم رسالة صريحة من البريطانيين، وهي انه إذا لم يضع الكماليون حدًا لنشاطاتهم العدائية ضدهم، فإنهم سيلجأون الى خيار إنشاء دولة مستقلة في كردستان الجنوبية. ومثل تلك المخاوف تضمنتها برقية سرية وقعت بيد البريطانيين، كانت الحكومة التركية قد أرسلتها الى ممثلها، إسماعيل باشا، في مؤتمر لوزان حيث لفت نظره الى المخططات البريطانية الهادفة الى تقوية موقف الكرد مالياً وسياسياً من أجل إقامة كردستان مستقلة تهدد أمن تركيا.<sup>783</sup> ويذكر ان مصطفى كمال قد أشار في خطابه الطويل في العام ١٩٢٧ الى التفاصيل المتعلقة بتعاون القوميين الكرد مع البريطانيين من اجل إنشاء كردستان مستقلة تهدد حركته السياسية.<sup>784</sup> لقد عبرت المخاوف التركية المتتصاعدة عن نفسها في عزم الكماليين على اللجوء الى الوسائل السلمية بعد قيام حكومة كردية في السليمانية، وفي رفضهم تقديم أي دعم مادي لانتفاضة الشيخ محمود الثانية ضد البريطانيين. وحين بدأ البريطانيون هجومهم المضاد الناجح في راوندون، وما رافقه من قصف جوي كثيف ضد المناطق الكردية المنتفضة، أوقف المحاربون الكرد نشاطهم، كما امتنعوا عن التعاون عسكرياً مع الكماليين. ويذكر ان هؤلاء الكرد أدوا دوراً بارزاً في السياسة الكمالية الرامية لزعزعة الأوضاع في كردستان الجنوبية وإجبار البريطانيين على الانسحاب منها. وبسبب هذا التطور العسكري، فقد الكماليون الوسيلة التي كانت تمكنهم من استنزاف البريطانيين عسكرياً مالياً ومن إضعاف مصداقيتهم السياسية لا في كردستان الجنوبية فحسب، بل أيضاً في العراق العربي. وفي تفسيرهم للدعاوى التي تقف وراء الهجوم المضاد الذي شنه البريطانيون ضد المنتفسين الكرد في راوندون، أبدى الكماليون مخاوفهم من أن تكون مقدمة لسياسة بريطانية هجومية جديدة دعماً للتطلعات القومية للكرد الشماليين. وتبيّن التقارير البريطانية في اسطنبول كيف ان الكماليين ((كانوا منشغلين كثيراً)) بالعمليات العسكرية البريطانية في منطقة راوندون، التي فسروها على إنها مبادرة ((محسوبة تستهدف تأزم مسألة كردستان برمتها)).<sup>785</sup>

<sup>783</sup> Reof, Angora, to Ismet, Lausanne, 3 May 1923, F0371/9005 ,PRO.

<sup>784</sup> Mustafa Kemal, *A Speech Delivered by G. Mustafa Kemal*. op. cit.

<sup>785</sup> Mr. Henderson, Constantinople, 6 May 1923 ,F0371/90051, PRO.

### ٣. إيران وبريطانيا والمسألة الكردية

تزامن التهديد الكمالى لكردستان الجنوبية مع تحول ملحوظ في الموقف الرسمي لطهران تجاه النفوذ البريطاني في إيران. فالحكومة القومية الإيرانية الجديدة برئاسة س بهدار، التي تشكلت في أعقاب انقلاب الجنرال رضا غلام (رضا شاه فيما بعد) في ٢١ شباط ١٩٢١، سعت إلى وضع حد للتدخلات السياسية البريطانية في إيران، خاصة في الجنوب، حيث ساند البريطانيون كياناً عربياً شبه مستقل في إقليم خوزستان. وفي المدة التي أعقبت معاهدة سيفر، أض محل نفوذ البريطانيين بشكل ملحوظ بعد انسحاب قواتهم الإمبريالية من الأراضي الإيرانية تحت ضغط الضائقة المالية ورفض المجلس (البرلمان الإيراني) مشروع الاتفاقية البريطانية- الإيرانية، التي كان من شأنها أن تمنح عملياً حكومة لندن سيطرة سياسية واقتصادية على إيران.<sup>٧٨٦</sup> كما أصبحت بريطانيا أكثر عرضةً للضغط الإيرانية بعد أن دخلت حكومة طهران في معاهدة صداقة مع روسيا البلشفية في ٢٦ شباط، أي بعد مرور خمسة أيام على وقوع الانقلاب العسكري. ولم تؤد المعاهدة تلك إلى تحسين العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية بصورة ملحوظة بين الدولتين فحسب، بل أيضاً إلى انسحاب القوات الروسية من شمال إيران.<sup>٧٨٧</sup> كما حسنت حكومة طهران الجديدة وبشكل دراميكي من علاقاتها الثانية مع حكومة أنقرة، عدوهما التقليدي والتاريخي. وهذا الأمر صعد من المخاوف البريطانية بشأن إمكانية قيام تحالف إيراني- تركي أو حتى تحالف إيراني- روسي موجه ضد مصالحها سواء في الهند أو في الشرق الأوسط. وفي ظل تلك الظروف المتغيرة، لم يُعد بمقدور بريطانيا القيام بأية مخاطرة، كتحويل كردستان الجنوبية إلى كيان منفصل يتمتع بإدارةأهلية ذاتية، لما يشكل ذلك من تهديد جدي لاستقرار كردستان الشرقية ضمن وحدة إيران الإقليمية.

والعامل الإيراني هو الذي منع البريطانيين باستمرار من الدخول في علاقات رسمية أو حتى سرية مع سماكة، ابرز زعماء الكرد الشرقيين. فحين تدرس الموظفون البريطانيون في ميزوبوتاميا فكرة الاستفادة من نفوذ سماكة وما قد يشكله من مانع أمام توسيع النفوذ الكمالى والبلشفي على حد سواء، أرسل تشرتشل تعليمات إلى

<sup>٧٨٦</sup> Rouhollah K. Ramazani, *The Foreign Policy of Iran: A Developing Nation in World Affairs, 1500-1941*, (The University Press of Virginia ,1966), pp.164-165.

<sup>٧٨٧</sup> Ibid, pp.186-188.

كوكس يحذر من التوصل الى أية ترتيبات سياسية مع الزعيم الكردي سمو، باستثناء ما يتعلق بإعادة ترحيل اللاجئين المسيحيين الى مناطقهم الأصلية.<sup>788</sup> وكانت الحكومة الإيرانية قد أبلغت بمضمون تلك التعليمات الرسمية، على اثر احتجاجها على الاتصالات التي كانت تجري بين موظفين بريطانيين ميدانيين وسموكو.<sup>789</sup> والمعارضة الإيرانية تلك هي التي صعبَتْ على البريطانيين عملية إعادة ترحيل اللاجئين المسيحيين الى أورمية بالاتفاق مع سمو. لقد عَدَ الإيرانيون أي تعامل سياسي بين سمو والبريطانيين اعتراضاً بسلطة الأول في المناطق الجبلية الحدودية من كُردستان الشرقية. وتدلل هذه الأمثلة كيف إن جملة تطورات سياسية في منطقة الشرق الأوسط أعقبت معاهد سيفر قد جعلت بريطانيا عُرضةً لضغط سياسية كذلك التي مارستها، إيران بالرغم من كونها دولة ضعيفة غارقة في مشاكلها السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

على صعيد آخر، كان البريطانيون على إطلاع بشأن تطلعات الحكومة الإيرانية التوسعية الإقليمية في كُردستان الجنوبية، خاصة في مناطق السليمانية وهورامان وراوندوز. فعلى غرار تركيا الكمالية، اعتبرت إيران القرار البريطاني بالانسحاب العسكري من ميزوبوتاميا فرصة لا تفوت للحصول على بعض المناطق الكُردية المحاذية للحدود. هذا الدافع، إضافة الى محاوفتها من ظهور كُردستان جنوبية منفصلة سياسياً وإدارياً، تفسر لماذا أقدمت الحكومة الإيرانية على منح القوات الكمالية غير النظامية مساندة لوجستية في العمليات العسكرية التي كانوا يقومون بها في كُردستان الجنوبية. وكان كوكس قد بعث بتقارير أكد من خلالها توافق الإيرانيين في المؤامرات الكمالية الرامية الى الاستيلاء على كُردستان الجنوبية عن طريق تزويد أوزدمين، القائد الكمالى، بضباط وعتاد.<sup>790</sup> ومن خلال هذا التعاون السري مع الأتراك حاول الإيرانيون الحصول على حصة إقليمية لهم في كُردستان الجنوبية. وتواردت أخبار حول وجود تفاهم تركي - إيراني بشأن مكافأة طهران إقليمياً عن طريق تعديل

<sup>788</sup> S/S for the Colonies to High Commissioner of Iraq, 22 November 1922, F0371/7782, PRO.

أما مسألة التعامل مع السيد طه فكانت مختلفة لكون الأخير من رعايا الدولة التركية، ولهذا لم يكن بإمكان الحكومة الإيرانية الاحتجاج على تعاون البريطانيين معه في منطقة راوندوز.

<sup>789</sup> Shuckburgh to Foreign office, 11 December 1922, F0371/7782, PRO.

<sup>790</sup> Foreign Office Minute No.3020, 11 April 1923 ,F0371/9004, PRO.

الحدود في منطقة هورامان لمصلحتها، مقابل مساندتها لأنقرة.<sup>791</sup> وبالرغم من تصريح الحكومة الإيرانية في أن تعاونها مع الأتراك كان مقصوراً على قمع حركة سماكو وانها محايده إزاء النزاع البريطاني- التركي في راوندوز،<sup>792</sup> لم يخف على البريطانيين التطلعات الإقليمية التوسعية لإيران، التي دفعت بحكومتها إلى التدخل بصورة أو بأخرى في شؤون كردستان الجنوبية. ورفضت الحكومة البريطانية السماح لمعتلي الحكومة الإيرانية المشاركة في مؤتمر لوزان، لعلها بأن الإيرانيين يأملون من وراء مشاركتهم تحقيق بعض المكاسب الإقليمية في كردستان الجنوبية.<sup>793</sup>

والغريب ان الكماليين قاموا في البدء بمساندة حركة سماكو ضد الحكومة المركزية في طهران، أملأاً في بسط نفوذهم السياسي على كردستان الشرقية. ولم يكن خافياً على الإيرانيين الطموحات الإقليمية للحركة الكمالية المتمثلة بتوحيد أجزاء كردستان المختلفة في كيان واحد يتمتع بحكم ذاتي محدود يخضع لسيطرتها.<sup>794</sup>

وكان الموظفون البريطانيون الميدانيون قد أشاروا في تقاريرهم إلى مسألة تشجيع الكماليين للكرد الشرقيين على إعلان الاستقلال في المناطق الممتدة من ماكو وحتى كرماشان.<sup>795</sup> لقد سعى الكماليون من وراء ذلك إلى الضغط أيضاً على حكومة إيران من أجل التوقف عن التعاون مع بريطانيا وإفشال مخططاتها للاستيلاء على بعض المناطق الكردية في كردستان الشمالية والواقعة على طول الحدود الإيرانية- التركية. وقد حَثَّ العاملان الإيراني والكمالي على البريطانيين انتهاج سياسة كردية حذرة في المرحلة التي أعقبت معاهدة سيفر، في ظل ظروف سادتها المؤامرات والمؤامرات المضادة والطموحات الإقليمية المتناقضة للقوميات السائدة.

<sup>791</sup> S/S, 1 February 1923, F0371/9004, PRO.

<sup>792</sup> High Commissioner of Iraq to S/S for the Colonies ,12 January 1923, F0371/9039, PRO.

<sup>793</sup> RCC, Foreign Office Minute No.1, 26 January 1923, F0371/9061, PRO.

<sup>794</sup> ظن وزير خارجية إيران في حينه ان الكماليين يسعون الى إنشاء كردستان مستقلة عن طريق توحيد جزئها الشمالي والشرقي

Norman to Curzon, 1 April 1921, F0371/6442, PRO.

<sup>795</sup> Britmilat, Tehran, to DMI, Baghdad & India, 24 August 1921 ,F0371/6442, PRO.

## خاتمة الفصل

تركت تطورات عدة تأثيراتها على الموقف البريطاني نحو الوضع الكردي في مرحلة ما بعد عقد معاهدة سيفر. من الناحية العسكرية والإستراتيجية، ضيّقَت المشاكل المالية على الحكومة البريطانية خياراتها وحددت التزاماتها في مناطق عدّة، من ضمنها ميزوبوتاميا العربية وكُردستان الجنوبية. وهذا الضغط في اتجاه التقليل من الالتزامات العسكرية الإمبريالية خلُفَ وراءه تأثيرات سياسية مباشرة، إذ لم تُعد بريطانيا في موقف يُمكنها من إجبار تركيا على الكف عن إدعاءاتها الإقليمية أو وضع حد لتهديداتها الموجّهة ضد كُردستان الجنوبية أو احترام الحقوق السياسية والثقافية للقوميات غير التركية التي نصّت عليها بنود معاهدة سيفر. وأصبحت الدبلوماسية الخيار المفضل لحكومة المحافظين الجديدة للوصول إلى اتفاقية سلام مع تركيا الكمالية. حتى في الميدان الدبلوماسي، ضاقت على الساسة البريطانيين كثيراً مَدِيّات المناورات السياسية، بسبب النجاحات التي حققتها تركيا دبلوماسياً المتّجسدة في عقد سلسلة اتفاقيات مع فرنسا وإيطاليا (لحليفتي بريطانيا السابقتين والغاضبتين من عدم حصولهما على استحقاقاتهما من الأقاليم الأجنبية) وروسيا البلشفية (الخطر الجديد الذي يهدّد مصالحها في إيران وفي الهند والعازمة على إثارة ثُخبها السياسية الجديدة). إن وجود هذا الوضع من جانب، ورغبة بريطانيا في منع حصول تحالف كمالي - بلشفي، من جانب ثانٍ، قلل كثيراً من أهمية قضايا عدّة لدى حكومة المحافظين الجديدة، في مقدمتها مستقبل القوميات غير التركية. تلك كانت حسابات بريطانيا حين أقدمت على تقديم تنازلات كاملة إلى الأتراك بشأن مستقبل كُردستان وارمينيا لقاء تحسين العلاقات الثنائية. وجاءت الضغوط على بريطانيا من اتجاهات أخرى، كالتناقض الحاصل بين مصالحها ومصالح حلفائها السابقين، وكذلك توجهات الحكومة الإيرانية الجديدة بشأن إنهاء النفوذ الأجنبي في البلاد وأخيراً وليس آخرًا، المتطلبات السياسية والاقتصادية والإستراتيجية لإقامة دولة عربية في ميزوبوتاميا قادرة على الحياة وقابلة للديمومة.

خلال الأعوام ١٩٢١-١٩٢٣، أتسمت السياسة البريطانية بالابتعاد التدريجي عن أطروحة الحكم الذاتي الكردي لصالح أطروحة الإبقاء على الوضع القائم وتوطيده عن طريق تحويل تقسيم الأمر الواقع لكردستان العثمانية إلى تقسيم قانوني - دولي

مُعترف به. وفي هذا السياق، كان من الضروري بالنسبة إلى البريطانيين أن يمنحهم أي تعديل قد يجري على بنود معايدة سيفر أو حتى استبدالها باتفاقية سلام جديدة القدرة على الاحتفاظ بكردستان الجنوبية لقاء الاعتراف بعائدية كردستان الشمالية إلى تركيا الجديدة. وبموازاة ذلك، تراجعت الحكومة البريطانية عن موقفها الأول بشأن المسألة الكردية، الذي كان يؤكد على بعدها الدولي، حيث بدأت تَعْدَهَا الآن شأنًا داخليًا يخص تركيا الجديدة. والموقف البريطاني الجديد هذا شمل أيضًا الإبقاء على الوضع القائم بالنسبة إلى بقية أجزاء كردستان. ويمكن رؤية هذا التغيير الدراماتيكي في الموقف البريطاني عند إجراء مقارنة بسيطة بين بنود معايدة سيفر القديمة وبنود اتفاقية لوزان الجديدة. فمعاهدة السلام الأولى رفعت المسألة الكردية إلى مصاف المسائل الدولية ولأول مرة، في حين تجاهلت اتفاقية السلام الثانية ذكرها عن قصد، بهدف جعلها شأنًا داخليًا يخص البلدان التي تنقسم بينها أرض كردستان.

شكل مؤتمر لوزان علامة بارزة في السياسة البريطانية للأسباب آنفة الذكر، التي غيرت الموازين لصالح أطروحة إلحاق كردستان الجنوبية في الدولة العراقية الجديدة وخضوع كردستان الشمالية إلى حكم تركي جديد. بقدر ما يتعلق الأمر بالتعامل مع الحركات القومية الكردية وتطلعاتها السياسية، وضعت بنود اتفاقية لوزان بريطانيا في الصنف المعادي الذي ضم تركيا الكمالية وسوريا الفرنسية وإيران والعراق الخاضعة للانتداب. فمنذ تلك الفترة وأصاعداً، شاركت تلك الدول مخاوفها مع بعضها بعضاً بشأن الوضع السياسي غير المستقر في أقاليمها الكردية. وفي المرحلة التي أعقبت مؤتمر لوزان، سادت قناعة مشتركة بين تلك الدول بأن تقدم أي منها على إجراء في إقليمها الكردي يُعد تهديداً للاستقرار السياسي للمنطقة أو للوحدة الإقليمية لبقية الدول. وبعد تسوية المشاكل الحدودية العالقة بين العراق وتركيا في العام ١٩٢٦، تضافرت جهود العراق وبريطانيا وتركيا وإيران من أجل احتواء الحركات القومية الكردية في أي وقت عبرت عن نفسها في انتفاضات مسلحة أو في نشاطات سياسية سرية.

## ملاحظات ختامية

ان واحدة من أهم النقاط التي حاولت هذه الدراسة التأكيد عليها هي انه نظراً لموقع كُردستان الجيوسياسي المتميز بوصفها بلداً منغلاً يقع بين مجموعة دول (الإمبراطورية العثمانية وروسيا القيصرية وإيران القاجارية)، اتخذت المسألة الكُردية أهمية دولية استثنائية لأول مرة بالمقارنة مع بعض المسائل الأخرى كالمسألة العربية. ان الظهور التاريخي للنزعه القومية الكُردية ونموها كقوة سياسية تسعى الى تغيير الواقع لم تشرطه تطورات داخلية حاصلة في تركيا العثمانية وإيران القاجارية فحسب، بل أيضاً سياسات القوى الكبرى تجاه تينك الدولتين. وكما أوضحت هذه الدراسة، خضعت ردود أفعال صناع القرار البريطاني تجاه الوضع الكُردي المتغير لـإستراتيجية امبريالية عامة غطت في أبعادها منطقة شاسعة متaramية الأطراف امتدت من حدود الهند في الشرق حتى مصر والبحر الأبيض المتوسط في الغرب. ان الأمر الجوهرى في نجاح تلك الإستراتيجية من عدمه هو تعزيز الموقف البريطاني في المناطق المُشرفة على الطرق البرية والبحرية المؤدية الى شبه القارة الهندية. فكلما قامت بريطانيا بتعديل إستراتيجيتها العامة، طرأ تغيير في المقابل على موقفها من مستقبل كُردستان. ومن خلال تقسيمها الى عدة أطوار تاريخية متميزة، جعلت هذه الدراسة من المُمكن اقتداء أثر تنامي اهتمام بريطانيا بالشؤون الكُردية الداخلية ضمن سياق إستراتيجيتها العامة في الشرق الأوسط بين منتصف ثلاثينيات القرن التاسع عشر وبديايات عشرينيات القرن العشرين.

يغطي الطور الأول القرن التاسع عشر. وهذا الطور تميز بالتناقض بين تطلعات القوميين الكُرد السياسي في إنشاء كُردستان منفصلة ومستقلة ومصالح بريطانيا الإستراتيجية العليا. وشهد هذا الطور تنامي اهتمام البريطانيين بشؤون الكُرد، نظراً لقلقهم حول حماية الوحدة الإقليمية للإمبراطورية العثمانية والمملكة القاجارية. فهاتان الدولتان عدّها الساسة البريطانيون موانع رئيسة بوجه النزعه التوسعية الإقليمية لروسيا القيصرية المُتجهة صوب حوض البحر الأبيض المتوسط ومنطقة الخليج. ففي ظل تلك الشروط السياسية القلقة والتناقضات الإستراتيجية، صار من الطبيعي أن تراقب بريطانيا عن كثب بروز النزعه القومية الكُردية وما شكلته من تهديد جدي للأقاليم الداخلية العائدة للإمبراطورية العثمانية وإيران القاجارية. ونظراً

لوجود هذا الخطر المهدد لمصالحها الإستراتيجية، تميزت ردود فعل البريطانيين بسلبيتها نحو سلسلة اتفاقيات كردية اندلعت في أنحاء متفرقة من كُردستان خلال القرن التاسع عشر، حتى أن البريطانيين بادروا إلى مساندة السلطات العثمانية والقاجارية في الدفاع عن أقاليمها من التهديدات الداخلية والخارجية على حد سواء.

وخطى الطور الثاني الفاصل الزمني الممتد من نهاية القرن التاسع عشر إلى نشوب الحرب العالمية الأولى في العام ١٩١٤. ففي هذا الطور، اعتربت بريطانيا تنامي النفوذ السياسي والاقتصادي لالمانيا القيصرية في منطقة الشرق الأوسط، خاصة بعد وقوع ثورة تركيا الفتاة (١٩٠٨)، الخطر الرئيس الذي يهدد مصالحها الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية في الإمبراطورية العثمانية وإيران القاجارية ومنطقة الخليج. وأتسم هذا الطور، بقدر ما يتعلق الأمر بالمصالح البريطانية في كُردستان، ببذل البريطانيين جهوداً حثيثة ليسط نفوذهم السياسي والاقتصادي على مناطق كُردستان الجنوبية، فضلاً عن موافقتهم على وضع كُردستان الشرقية المضطربة سياسياً واجتماعياً ضمن منطقة النفوذ السياسي لروسيا القيصرية في العام ١٩٠٧، وذلك بهدف إعادة الاستقرار إلى تلك المناطق الحدودية الحساسة، التي تفصل تركيا العثمانية عن إيران القاجارية. بتعبير أدق، أصبح اهتمام بريطانيا بـكُردستان أكثر وضوحاً و المباشرة، وإن قرارها في إقامة قنصليات عدّة في كُردستان العثمانية وكُردستان القاجارية، على غرار القوى الكبرى الأخرى، عبر عن مدى تنامي اهتمامها بشؤون المناطق الكردية. وبالرغم من أن حكومة تركيا الفتاة ميولاً قوية نحو المانيا، ظلّ الساسة البريطانيون متزمنين بقوة بمبدأ صيانة الوحدة الإقليمية للإمبراطورية العثمانية، طبقاً لذلك المبدأ عارضوا التطلعات السياسية لأية قوة داخلية تسعى إلى تغيير الوضع القائم، كالحركات القومية الكردية والأرمنية.

وخطى الطور الثالث السنوات الثلاث الأولى من الحرب العالمية الأولى، الذي شهد تحولاً غير مسبوق في الموقف البريطاني تجاه المستقبل السياسي للإمبراطورية العثمانية، خاصة مصير الولايات غير التركية في كُردستان وميزوبوتاميا وسوريا الكبرى. وهذا التحول الكبير عبر عن نفسه في تخلي بريطانيا عن مبدئها التقليدي القديم المتمثل بصيانة الوحدة الإقليمية للإمبراطورية العثمانية. وقسمت اتفاقية سايكس- بيكيو الثلاثية لعام ١٩١٦، التي أدى البريطانيون دوراً أساسياً في وضع

بنودها، كُردستان العثمانية سياسياً واقتصادياً إلى مناطق نفوذ ومناطق خاضعة للسيطرة المباشرة بين قوى الحلفاء الثلاث (فرنسا وروسيا وبريطانيا) الذين دخلوا الحرب ضد القوى المركزية (المانيا القيصرية والنمسا والإمبراطورية العثمانية). وكان من المحتمل جداً أن تخضع روسيا القيصرية كُردستان الشرقية لسيطرتها السياسية والاقتصادية المباشرة. لقد منح وقوع الحرب بريطانيا فرصة غير مسبوقة لها لتعزيز نفوذها في كُردستان الجنوبية استراتيجيةً اقتصادياً وسياسياً، بهدف تعزيز حمايتها لمصالحها في ميزوبوتاميا العربية وأسas الخليج. وكانت لهاتين المنطقتين أهمية قصوى بالنسبة إلى أمن التواجد البريطاني في شبه القارة الهندية. مع ذلك، ظلت بريطانيا، كما كانت هي من قبل، تنظر بعدم الرضا إلى التطلعات السياسية للقوميين الكرد.

أتسم الطور الرابع بإدراك صناع قرار السياسة الخارجية في لندن عدم إمكانية تطبيق بنود عدّة من اتفاقية سايكس-بيكو بوصفها قاعدة لإنشاء نظام إقليمي جديد في منطقة الشرق الأوسط. وناهيك عن وجود مصاعب مالية حادة خلقها استمرار الحرب لفترة طويلة غير متوقعة، عكس الموقف البريطاني الجديد حدوث تحولات على الأوضاع الدولية ونشوء استقطاب جديد للقوى في أعقاب انسحاب الجيوش الروسية من الحرب بعد استيلاء البلشفيين على السلطة السياسية في شهر تشرين الثاني (١٩١٧) ودخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب ضد القوى المركزية في شهر نيسان (١٩١٧). إن واحدة من أهم تداعيات تلك التطورات غير المتوقعة هي قرار الحكومة البريطانية بالسيطرة على جميع مناطق كُردستان الجنوبية في محاولة منها لمنع الفرنسيين من نيل حصتهم الإقليمية فيها. وكانت حسابات إستراتيجية هي الدافع الرئيس وراء ذلك القرار، الرامي إلى تعزيز أمن موقف بريطانيا في ميزوبوتاميا العربية وفي منطقة الخليج إلى الجنوب منها، وكذلك الإشراف على الطرق الإستراتيجية المؤدية إلى شمال إيران المارة عبر كُردستان الجنوبية وكُردستان الشرقية. أما الحسابات الاقتصادية فأدت دوراً ثانوياً من حيث التأثير في القرار البريطاني الأنف الذكر، بالرغم من أن البريطانيين كانوا على إطلاع بوجود ثروة بتولية كامنة في كُردستان الجنوبية.

وتشمل الطور الخامس نهاية الحرب العالمية الأولى في شهر تشرين الثاني (١٩١٨) وعقد معاهدة سيفر في شهر آب (١٩٢٠). ففي هذا الطور اتخذت بريطانيا المبادرة من

أجل تعديل بنود اتفاقية سايكس- بيكو القديمة. وبفضل تلك التعديلات تمكنت بريطانيا من وضع كُردستان الجنوبية وميزوبوتاميا العربية تحت انتدابها، في حين فرضت فرنسا سيطرتها على الجزء الغربي من كُردستان العثمانية. وشملت الدولة الارمنية المقترحة مناطق كُردية واسعة، في وقت كان من المفترض ان تتمتع فيه بقية مناطق كُردستان العثمانية بحكم ذاتي، يمكن ان يتطور الى حالة الاستقلال السياسي الناجز، إذا ارتى الحلفاء ذلك. إذن، السمة الغالبة لهذا التطور هو انه بالرغم من اعتراضها بوجود تطلعات قومية كُردية، ظلت بريطانيا ترى مصلحتها في إعادة تقسيم كُردستان بين ميزوبوتاميا البريطانية وسوريا الفرنسية والدولة الارمنية المستقبلية. وكان احتواء الخطر البلشفي المتنامي ومنع فرنسا من بسط نفوذها الاقتصادي والسياسي على كُردستان العثمانية وتعزيز الموقف البريطاني في ميزوبوتاميا وضمان وحدة إيران القاجارية الإقليمية أهم العوامل التي أثرت في طريقة تعامل بريطانيا مع تسوية المسألة الكُردية في المؤتمرين الدوليين: باريس وسان ريمو.

تزامن التطور السادس والأخير مع عملية إنشاء دولة عربية في العراق تحت سلطة الأمير فيصل بن حسين في الأعوام ١٩٢١-١٩٢٣. أتسم هذا التطور بسعى البريطانيين الحثيث الى تحويل تقسيم كُردستان العثماني الفعلي الى تقسيم قانوني معترف به دوليا. ولم تكن بريطانيا قد قررت بعد تحويل كُردستان الجنوبية الى كيان منفصل أو دمجها بميزوبوتاميا العربية ضمن دولة واحدة، بالرغم من إنها وضعت المنطقتين تحت انتداب واحد. وينتهي هذا التطور بقرار حكومة المحافظين الجديدة في لندن بـالحاق كُردستان الجنوبية بالعراق على الضد من إرادة أهاليها وتطلعات زعماتها المحلية. وعبر القرار البريطاني هذا عن تضافر جملة مخاوف تتعلق بقدرة الدولة العراقية الجديدة على الديمومة استراتيجيةً واقتصادياً وسياسياً. كانت للبريطانيين قناعة راسخة، خاصة بين أولئك الذين كانوا يعملون على الأرض، بأن الدولة العراقية لا تمتلك المقومات الالزمة للبقاء إذا لم تلحق بها المناطق الكُردية الجنوبية. ومنذ ذلك الحين وصاعداً، اتخذت بريطانيا موقفاً عدائياً صريحاً تجاه الحركات القومية الكُردية، بل وعملت على قمعها بالتنسيق وبالتعاون مع السلطات المركزية في إيران وتركيا والعراق، التي انقسمت بينها أرض كُردستان وشعبها.

يمكن الخروج بثلاثة استنتاجات أساسية بشأن نشوء الاهتمام الذي أبداه البريطانيون بالوضع الكردي وتطوره و موقف حكومة لندن تجاه المسألة الكردية، خاصة خلال المدة ١٩١٨-١٩٢٣. ويتمثل الاستنتاج الأول بغلبة الحسابات الإستراتيجية على الحسابات الاقتصادية، بوصفها الدافع الرئيس للسياسة البريطانية تجاه مستقبل كردستان السياسي. فكردستان تمنتت بموقع جيوسياسي متميز، وكان هذا العامل الأكثر تأثيراً في طريقة تعامل المسؤولين البريطانيين مع الوضع الكردي. ولهذا ينبغي قراءة ردود الأفعال الحكومية البريطانية تجاه الحركات القومية الكردية النامية ضمن سياق إستراتيجيتها العامة في منطقة الشرق الأوسط. هذه الإستراتيجية التي تحورت حول دعم الاستقرار السياسي في آسيا الصغرى وميزوبوتاميا وإيران ومنطقة الخليج. وكانت لكردستان من الناحية الاقتصادية أهمية ثانوية بالنسبة إلى صناع القرار السياسي البريطاني بالمقارنة مع قيمتها الإستراتيجية. ويمكن الرجوع بجزء الاهتمام البريطاني بترويل المنطقة الكردية إلى بداية القرن العشرين حين بدأت أساطيل القوى الكبرى تستخدم البترول كوقود لها بوتيرة متزايدة. ولهذا أصبح أمراً حيوياً للغاية بالنسبة إلى القوى البحرية الكبيرة، خاصة بريطانيا، الحصول على منفذ مباشر ومضمون إلى البترول والاحتياطات البترولية تحت جميع الظروف، خاصة في زمن الحرب.

لقد تناست المصالح البريطانية في كردستان أساساً كردد فعل على التحولات الحاصلة في الوضع الإقليمي لمنطقة الشرق الأوسط، التي أفرزها تدهور قوة الإمبراطورية العثمانية والمملكة القاجارية، اللتين ظلتا عاجزتين عن منع القوى الأجنبية من التدخل المتزايد في شؤونهما السياسية والاقتصادية الداخلية. ومنذ منتصف القرن التاسع عشر وصاعداً، صارت منطقة الشرق الأوسط مسرحاً للمنافسة الشديدة والصراع المُحتد بين القوى الأوروبية الرئيسية من أجل فرض سيطرتها السياسية والاقتصادية عليها. وبقدر ما يتعلّق الأمر بكردستان، رأت بريطانيا في روسيا القيصرية الخطير الرئيس الذي يجب احتواؤه خلال القرن التاسع عشر وفي بداية القرن العشرين. وفي الحقبة اللاحقة الممتدة من العام ١٩٠٧ إلى العام ١٩١٨، حلّت المانيا القيصرية مكان روسيا بوصفها المنافس السياسي والاقتصادي الأول لبريطانيا في المناطق الداخلية من الإمبراطورية العثمانية والمملكة القاجارية. وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، برزت روسيا البلشفية الثورية، ناهيك عن فرنسا ذات

الطلعات الامبرالية التقليدية، التهديد الأكثر جدية للموقف البريطاني في الشرق الأوسط. ولهذا تتحمّل صناع القرار في لندن إعادة النظر في مصالح بريطانيا وأولوياتها لدى رسم مستقبل الإمبراطورية العثمانية والأقاليم التابعة لها بين عامي ١٩٢٣ و١٩٢٠.

وتمثل الاستنتاج الثاني، الذي خرجت به هذه الدراسة، بأنه في غياب سياسة محددة المعالم لدى الحكومة البريطانية وعدم إطلاعها الدقيق على الوضع الكردي بشكل ملحوظ بعد انتهاء الحربتمكن بعض الموظفين البريطانيين العاملين ميدانياً من أداء دور في تحديد مستقبل كردستان أكثر بكثير مما كانوا سيؤدونه تحت ظروف اعتيادية أخرى. وبين عامي ١٩١٨ و ١٩٢٠ أدى الكولونيل ويلسون، بوصفه المفوض المدني بالوكالة، والميجر نوئيل، بوصفه أكثر الموظفين البريطانيين خبرة وإطلاعاً على الشؤون الكردية، دوراً مهماً في تزويد الحكومة البريطانية بالتفاصيل الضرورية الخاصة بالوضع الكردي لمرحلة ما بعد الحرب. فلم يضع الاثنان بصمتيهما على طريقة تعامل الحكومة البريطانية مع المسألة الكردية فحسب، بل أيضاً أثراً بمسار التطورات السياسية في كردستان الجنوبية الخاضعة للسيطرة البريطانية في المدة ١٩٢٠-١٩١٨. أما في المدة التالية ١٩٢١-١٩٢٣، فقد أدى برسي كوكس، بوصفه المفوض السامي الجديد، دوراً مماثلاً، إذا لم يكن دوراً أكثر مصيريةً، في رسم مستقبل كردستان الجنوبية، حين عبد الدرب أمام إلهاقاً قسراً بالدولة العربية في العراق.

والاستنتاج الثالث والأخير هو أن المراجعة السريعة الآنفة الذكر حول تطور السياسية البريطانية تجاه كُردستان والترجمات التي شابتها ثبّين عدم التقاء مصالح بريطانيا الإستراتيجية، حتى ولو بصورة جزئية، مع التطلعات القومية للكُرد خلال أي طور من أطوارها التاريخية، على النقيض، مثلاً، من طموحات الحركات السياسية الشريفية أو الارمنية أو الصهيونية المعاصرة لها، إذ هناك باستمرار تضاد واضح بين متطلبات نجاح السياسة البريطانية تجاه الإمبراطورية العثمانية والمملكة القاجارية والأهداف السياسية للحركات القومية الكُردية في جميع أجزاء كُردستان. ففي القرن التاسع عشر وإذلاع الحرب العالمية الأولى، ساندت بريطانيا الوحدة الإقليمية للإمبراطورية العثمانية وإيران القاجارية، ولهذا كانت تخشى، بل وتعادي، النزعة القومية الكُردية يوصفها قوة تدعو إلى التغيير وزعزعة الاستقرار الداخلي لتبينك

الدولتين. ولم تكن بريطانيا على استعداد للتعاطي مع مسألة الاضطهاد الذي كان يتعرض له الكُرد على أيادي الأتراك في المؤتمرات الدولية، على النقيض من موقفهم المتعاطف مع الرعية المسيحية الارمنية. وحين اندلعت الحرب، اتخذت بريطانيا دور المبادر في وضع بنود اتفاقية سايكس-بيكو الثلاثية، التي تضمنت تقسيم كُردستان بين قوى الحلفاء الرئيسيين، روسيا القيصرية وفرنسا وبريطانيا. وفي الحقبة التي تلت انتهاء الحرب، اتخذت بريطانيا لمرة أخرى دوراً مهماً في ترجمة تجزئة كُردستان إلى حقيقة ملموسة بحسب بنود معاهدة سيفر (١٩٢٠) وفقرات اتفاقية لوزان (١٩٢٣). وتدخلت مصالح بريطانيا الإستراتيجية والاقتصادية في كُردستان الجنوبية، بسبب أهمية هذا الإقليم بالنسبة إلى أمن ميزوبوتاميا العربية والثروة البترولية الكامنة فيها.

وعلى ضوء الاستنتاج الأخير وكذلك الأوضاع المحيطة بعملية ظهور الشرق الأوسط الحديث، يبدو من المنطقي طرح السؤال الآتي: هل يامكان المرء ان يحمل القوميين الكُرد مسؤولية عدم ظهور كُردستان مستقلة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى او ينبغي عليه ان يُلقي فشل مشروع قيام دولة كُردية على عاتق القوى الكبرى، خاصة بريطانيا العظمى، بوصفها الدولة الأكثر تأثيراً في الوضع الكُردي؟ للرد على هذا السؤال البالغ الصعوبة، على المرء ان ينظر ملياً في الأوضاع السياسية الجديدة التي خلقتها الحرب. فانتهاء المعارك بين قوى الحلفاء والقوى المركزية كان بمثابة بداية لحصر سياسي جديد في تاريخ الشرق الأوسط، وذلك بسبب انهيار الإمبراطورية العثمانية تحت الضغط الخارجي وتأكل المملكة القاجارية بفعل الضغوط الداخلية. وهاتان القوتان الإقليميتان كانتا قد أتسمتا بتعديتهما الأثنية والدينية والثقافية. ومن جانب، أنكب الحلفاء المنتصرون، خاصة بريطانيا، على إعادة رسم الخريطة الجيوسياسية للأقاليم العثمانية غير التركية، كشبه الجزيرة العربية وبلاد الشام وميزوبوتاميا العربية وكُردستان العثمانية، فضلاً عن إيران القاجارية، ومن جانب ثانٍ، بدأت النخب السياسية لما عُرفت بالقوميات الجديدة، كالكُرد والعرب واليهود الصهاينة والأرمن، نشاطاتها السياسية والفكرية بشكل محموم من أجل خلق كيانات قومية وذلك من خلال كسب ود قوى الحلفاء وبالتعاون الوثيق معها.

ففي ظل تلك الشروط الاستثنائية البالغة التعقيد وتنوع العوامل وتضارب المصالح وتغير المواقف والاتجاهات، أدت المصالح الامبرialisية لقوى الحلفاء، خاصة

بريطانيا، دوراً مؤثراً للغاية، إن لم يكن هو الدور الحاسم، في رسم مستقبل تلك القوميات الجديدة. وبقدر ما تعلق الأمر بكردستان، لم تُبسط بريطانيا سيطرتها ونفوذها على المناطق الكردية الجنوبية فحسب، بل أيضاً كانت طرفاً معيناً بشكل مباشر وأساسي في جميع الاتفاقيات التي أدت إلى تجزئة كردستان بين سوريا الفرنسية وتركيا - الكمالية والعراق العربي الخاضع لانتدابها بين عامي ١٩٢٠ و١٩٢٣. بتغيير آخر، إذا كانت مسألة تعزيز مصالحها الامبرالية يتطلب قيام دولة كردية في المدة ١٩٢٣-١٩١٨، لاتخذت بريطانيا المبادرة في ذلك الاتجاه ومن دون تردد، على الأقل، في إقليم كردستان الجنوبية الخاضع لسيطرتها. وهناك جملة أمثلة شاذة حول قيام دول جديدة في الشرق الأوسط تطلب المصالح البريطانية إنشاعها كما في ميزوبوتاميا وشبه الجزيرة العربية وشرق الأردن. مع ذلك، لا ينبغي للمرء أن يتجاهل دور الحركات القومية الكردية نفسها في قضية عدم ظهور دولة كردية مستقلة. فتلك الحركات عانت من انقسامات سياسية واضحة بسبب هيمنة العلاقات العشائرية على المجتمع الكردي. كما تميزت كردستان بكونها بلاداً تضم مناطق جبلية كثيرة، كانت تعاني من قلة الطرق والسكك الحديدية ووسائل الاتصالات الأخرى، وهي عوامل دفعت بها إليها نحو الانعزal والتمسك بالعزلة المحلية. إن الأمر الذي صعد من سوء الأوضاع قد تتمثل بإجراءات عدد من الموظفين البريطانيين الميدانيين، الذين عملوا على قطع الصلات السياسية بين كردستان الجنوبية الخاضعة للسيطرة البريطانية وبقية المناطق الكردية، بدلاً من تعزيزها. ففي ظل تلك الشروط الاجتماعية والجغرافية والسياسية، أصبح من الصعب جداً تنظيم حركة قومية كردية واسعة على مستوى كردستان الكبرى تكون خاضعة لقيادة كردية واحدة، تمتلك برنامجاً متجانساً من حيث الغايات وإستراتيجية واضحة المعالم لتحقيق تلك الغايات. ونتيجة لكل ذلك، عجز القوميون الكرد عن أداء دور فاعل ومؤثر في مسار تلك التطورات السياسية التي اثرت على مستقبل كردستان بشكل مباشر وحاسم.

## **المصادر**

### **(١) المصادر الأولية غير المنشورة: (Unpublished Documents)**

#### **India Office Library (London)**

##### India Office (IO)

Letters, Political and Secret, File 10 (**LP & S 10**/345, 652, 781, 745, 781-782, 815, 818)

Letters, Political and Secret, File 11 (**LP & S 11**/3, 8, 18, 36, 74, 84, 115)

#### **Public Record Office (Kew Garden)**

##### 1- Air Ministry (AIR)

Unregistered Papers (**AIR20**/512, 513, 714)

##### 2- Cabinet Office (CAB)

Cabinet Registered Files, 1917-1920 (**CAB21**/186, 119)

War Cabinet Minutes, 1916-1919 (**CAB23**/7, 14, 43, 45)

War Cabinet Memoranda, 1915-1920 (**CAB24**/1, 3, 89, 133, 139, 140)

Cabinet Committees (Eastern Committee Minutes), **CAB27**/1, 14, 24, 206)

Allied & International Conferences on the Terms of Peace and Related Subjects, 1920-1921 (**CAB29**/90, 91, 92)

Miscellaneous Cabinet Papers, 1912-1916 (**CAB37**/118, 119, 120, 121, 122)

##### 3- Colonial Office (CO)

Mesopotamia, Original Correspondence, (**CO730**/ 1, 2, 3, 4, 5, 6, 7, 8, 9, 10, 11, 12, 13, 19, 20, 21, 22, 23, 40, 41, 42, 43, 44, 133/6, 150/6, 157/6-7-8, 161/1-2, 161/4)

##### 4- Foreign Office (FO)

Embassy & Consular, 1900-1914 (**FO195**/2276)

Confidential Print (**FO424**/254, 255, 256, 257, 258, 259)

Turkey& Persia, Diplomatic 1900-1923 (**FO371**/12, 345, 496, 767, 956, 1010, 1263, 1466, 1713, 1714, 1715, 1773, 1773, 2062, 2130, 2140, 2737, 2767, 2991, 3381, 3384, 3385, 3386, 3404, 3407, 3858, 4122, 4141, 4147, 4149, 4157, 4162, 4192, 4193, 5046, 5067, 5068, 5069, 5070, 5073, 5085, 5232, 6340, 6342, 6343, 6344, 6346, 6347, 6348, 6349, 6353, 6360, 6364, 6367, 6369, 6442, 6447, 6467, 6469, 6481, 6526, 6560, 7771, 7772, 7780, 7781, 7782, 7797, 7800, 7801, 7805, 7808, 7824, 7826, 7835, 7844, 7858, 7859, 7948, 7964, 7966, 7967, 7968, 9004, 9005, 9006, 9007, 9009-9010, 9013, 9014, 9016, 9017, 9018, 9021, 9039, 9058, 9060, 9061, 9062, 9063, 9109, 9021, 9149, 10097, 10833, 10835, 10868, 11458-11460, 11464, 11468, 11478, 12255, 12265, 13027, 13032, 13759, 13821, 13827, 14521, 14523, 15310, 15311, 16038, 16917, 17874, 18948, 18949, 40219, 61678,

Others:(**FO248**/1246) (**FO331**/1431, 1432) (**FO406**/40, 41) (**FO925**/1714)

**5- Foreign Office: Private Papers (FO800)**

Papers of Balfour, Arthur J.  
Papers of Sir Oliphant, L.  
Papers of Sir Sykes, Mark  
Papers of Toynbee, Arnold

**War Office: Correspondence & Papers, 1920-1921**

Correspondence & Papers, (**WO106**/195, 196, 197, 198, 199, 200, 201, 202, 203, 204, 205, 206, 207, 208, 209, 210)

**WO78** (Maps & Plans)

**Private Papers**

Balfour, Arthur. J. British Museum  
Edmonds, C.J. (Private Paper Collection, Middle East Centre, Oxford University)  
Wilson, Arnold. T. (Wilson Papers, Add. MSS. 52455, British Library)  
Young, Hubert. (Private Paper Collection, Middle East Centre, Oxford University)

(٢) **المصادر الأولية المنشورة:** (Published Documents)

**1- Her Majesty's Stationery Office, London (HMSO):**

-British Documents on the Origins of the War, (ed.) Gooch, G.P. & Temperley, Harold (1928 & 1936)  
-British Documents on British Foreign Policy, 1919-39, 1st series. Vol.s i-v (1947-1956) (ed.) E.L. Woodward & Rohan Butler  
-British Documents on British Foreign Policy, 1919-39, 1st series. Vol.s iv (1952), viii, viii (1952 & 1958), xiii (1963) (ed.) J.P.T. Bury & Rohan Buttler.

**Admiralty:**

A Handbook of Mesopotamia, Four Vols. (London: 1918 & 1920)  
-British & Foreign State Papers, 1917-1918 Vol.cxi (1912) (Compiled by E. Parkes)

**Colonial Office:**

Report of Iraq Administration, October 1920-March 1922 (Undated)

**Foreign Office:**

Mesopotamia (Peace Handbook No.63, 1920)

**Great Britain, Parliamentary & Command Papers ( Cd & Cmd):**

-Parliamentary Papers: Corresponding respecting the Kurdish Invasion of Persia, Vol.100, No.5, Year 1881

- Cd 5635: Baghdad Railway, No.i (1911)
- Cd 7628: Events Leading to the Rupture of Relations With Turkey, No.13 (1914)
- Cd 8074: Despatches Regarding Operations in the Persian Gulf and Mesopotamia
- Cd 53: Armistice of Mudros (1919)
- Cmd.300: Agreement: Great Britain and Persia, August 9th 1919
- Cmd.675: Memorandum Signed at San Remo on April 24th 1920, between M. Philippe.. and Sir John Cadman, (San Remo Agreement 1920)
- Cmd.964: Treaty of Peace with Turkey (signed at Sévres on August 10th 1920)
- Cmd.1061: Review of the Civil Administration of Mesopotamia From 1914 to the Summer of 1920, ( by G.L. Bell 1920)
- Cmd.1070: Memorandum of the State Secretary for War Relating to the Army Supplementary Estimate for 1920-1921, (1920)
- Cmd.1176: Draft Mandate for Mesopotamia and Palestine as Submitted to the Approval of the League of Nations, (1921)
- Cmd.1500: Final Draft of Mandates for Mesopotamia and Palestine, (1921)
- Cmd.1757: Treaty with H.M. King Feisal, October 10th 1922, (1922)
- Cmd.1929: (Lausanne) Treaty of Peace with Turkey and Accompanying Straits Convention and Declaration on the Administration of Justice, (July 24th 1923)
- Cmd.2120: Protocol of April 30th 1923 and Agreements Subsidiary to the Treaty with King Feisal, (1924)
- Cmd.5957: Correspondence between Sir Henry McMahon, His Majesty's High Commissioner at Cairo, and the Sharif Hussein of Mecca, July 1915-March 1916, (1939)
- Parliamentary Debates, House of Commons: 1918-1923, 5th Series, Vol.s 109 -281
- Parliamentary Debates, House of Lords: 5th Series, Vol.s 33-88

#### 2-Others Published Documents

- Diplomacy in the Near and Middle East, Vol.II, (ed.) J.C.Hurewitz, Princeton: D. Van Nostrand, 1956.
- Foreign Relations of the United States: the Paris Peace Conference, 1919 , Vol. IV-VIII &IX-XII
- Official History of the Great War: The Campaign in Mesopotamia, 1914-1918, Vol.I-IV, (ed.) F.H. Moberly, London: HMSO, 1923-1927)
- The Papers of Woodrow Wilson
- Papers Relating to The Foreign Relations of the United States: Paris Peace Conference, 1919,
- Vol. I-XIII, Washington D.C.: US Government Printing Office, 1942-1947.

-Soviet Documents on Foreign Policy, 1917-1924, Vol.II (ed.) Jane Degas, London: Oxford University Press, 1951.

### (٣) المذكرات والأوراق الخاصة: (Memoirs, Private Letters & Personal Accounts) (الإنكليزية)

Adivar, H.E., Conflict of East and West in Turkey, Lahore: Ashraf, 1935.

Amery, Leopold, My Political Life: War and Peace, 1914-1929, Vol.I & II, London: Hutchinson, 1953.

Aralov, S.I., -'In the Turkey of Attaturk' (Reminiscences of an Ambassador), International Affairs, No.8, August 1960 & No.10, October 1960 & No.11 November 1960.

-'on Lenin's Instructions', International Affairs, No.4 April 1960.

Bell, Gertrude Lowthian, Amurath to Amurath, London: William Heinemann, 1911.

Bell, Lady, The Letters of Gertrude Bell., Vol.I & II, London: Ernest Benn, 1927.

Bentwich, Norman and Helen, Mandate Memories, 1918-1948, New York: 1965.

Bowman, Humphrey, Middle East Window, London, New York & Toronto: Lonhmans, Green, 1942.

Burgoyne, Elizabeth, Gertrude Bell: From Her Personal Papers, 1914-1926, London: Ernest Benn, 1958.

Churchill, Winston S., The World Crisis, Vol.I-VI, London: Library of Imperial History, 1925-1929.

Djemal Pasha, Memories of a Turkish Statesman, 1913-1919, Translated by C. Sykes, New York: Hutchinson & Co. Paternoster Row, 1922.

Edmonds, C.J., Kurds, Turks and Arabs: Politics, Travail and Research in North-Eastern Iraq, 1919-1925, Oxford University Press, 1957.

Hay, W.R., Two Years in Kurdistan, London: Sidgwick & Jackson Ltd., 1921.

Kemal, G. Mustafa, A Speech Delivered by G. Mustafa Kemal (President of the Turkish Republic, October 1927, Leipzig: K.F. Koehler Publisher, 1929.

- Lloyd George, David,-War Memoirs of David Lloyd George, Vol.I-VI,  
Boston: Little, Brown, 1933-1937.  
-The Truth About the Peace Treaties, Vol.I-II, London: Victor Golanz, 1938.  
-Memoirs of the Peace Conference, Vol.I-II, New Haven: 1938-1939.
- Meinertzhagen, R., Middle East Diary, 1917-1956, London: 1959.
- Miller, D.H., My Diary at the Conference of Paris, 1918-1919, Vol.III, New York: 1928.
- Phillips, Percival, Mesopotamia, the Daily Mail Inquiry at Baghdad, London: Associated Newspapers, 1922.
- Rawlinson, A., Adventure in the Near East, 1918-1922 , London: Jonathan Cape, 1934.
- Rhodes James, Robert,Winston S. Churchill: His Complete Speeches, 1897-1963, Vol.III, 1914-1922 & Vol.III, 1922-1928, Chelsea House Publishers, London & New York 1974.
- Riddell, Lord, Lord Riddell's Intimate Diary of the Peace Conference and After, 1918-1923, London: Gollancz, 1933.
- Sazonov, S., Fateful Years, 1909-1916, London: 1928.
- Sinderson, H.C., Ten Thousand and One Nights: Memories of Iraq's Sharifian Dynasty, London: 1959.
- Soane, E.B., To Mesopotamia & Kurdistan in Disguise, London: John Murry, 1926.
- Sykes, Mark, Dar-Ul-Islam, A Record of a Journey through Ten of the Asiatic Provinces of Turkey, London: Picker & Son, 1904.
- Temperley, H.W.V., A History of Peace Conference of Paris, Vol.I-III (1920) Vol.IV-V (1921) Vol.VI (1924), London: Oxford University Press.
- Townshend, C.V., My Campaign in Mesopotamia., London 1920.
- Wilson, A.Tabot,-Loyalties: Mesopotamia 1914-1917, London: Oxford University Press, 1930.  
-Mesopotamia, 1917-1920: A Clash of Loyalties, London: Oxford University Press, 1931.  
-South West Persia, London: Oxford University Press, 1941.

Wilson, Woodrow, The Papers of Woodrow Wilson, Vol. XXXXV, Princeton, N.J: Princeton University Press, 1984.

Wratislaw, A.C., A Consul in the East, London & Edinburgh: 1924.

Young, Hubert, The Independent Arab, London: John Murray, 1933.

#### (الكردية)

- حلمي، رفيق، ياداشت، ج ١وج ٢، بغداد، ١٩٨٨.
- خواجة، احمد، چيم دى، بغداد، ب، ١، ١٩٦٨.
- تقى، احمد، ياداشته كانى احمد تقى، جمع جلال تقى، بغداد، ١٩٧٠.
- زبهر، مهلا عبدوللا، گەنجىنەي مەردان و يادداشتى پۇزىانى دەرىيەدەرى، جمع محمد الملا كريم، بغداد، ١٩٨٥.

#### (العربية)

- الايوبي، علي جودت، ذكرياتي، بيروت، ١٩٦٧.
- الحصري، ساطع، مذكراتي في العراق، ج ١وج ٢، بيروت، ١٩٦٨-١٩٦٧.
- الهاشمي، طه، مذكرات طه الهاشمي، ١٩٤٣-١٩١٩، ١٩٦٧، بيروت.
- السويفي، توفيق، مذكراتي، بيروت، ١٩٦٩.
- نوري باشا، احسان، اتفاقية اغري داغ: مذكرات جنرال نوري باشا، بيروت، ١٩٩٠.
- سلوبى، زنار (قدري جميل باشا) في سبيل كردستان، بيروت - دار الكتاب، ١٩٨٨.

#### (الفارسية)

- ضيائى، شيخ روؤف، ياداشتهای از کُردستان، اشرف: عمر فاروقى، أورمية، ١٩٩١.
- نيكيتين، بـ، ايراني که من شناختم، طهران، ١٩٥١.
- صافى، ابراهيم، پنجاه خاطرات از پنجاه سال، طهران، ١٩٨٩.

#### ٤) المصادر الثانوية: (Secondary Sources)

##### اـ الكتب: (الإنكليزية)

Allen, W.E.D. and Muratoff, Paul, Caucasian Battlefields: a History of the Wars on the Turco-Caucasian Border, 1828-1921, Cambridge: Cambridge University Press, 1953.

Anderson, M.S., The Eastern Question, 1774-1923, London: 1966.

Bruinessen, Martin Van, Agha, Shaikh and State, the Social and Political Structures of Kurdistan, London& New Jersey: Zed Books, 1992.  
Busch, Biton Cooper, -Britain, India and the Arabs, 1914-1921, Berkeley: 1967.

-Mudros to Lausanne: Britain's Frontier in West Asia, 1918-1923, New York: State University of New York Press, 1976.

Browne, Brigadier J. Gilbert, The Iraq Levies, 1915-1932, London: The Royal United Service Institution, 1932.

Bulloch, J. & Morris, H., No Friends But the Mountains (The Tragic History of the Kurds), Lomdon: Viking, 1992.

Carr, Edward H., The Bolshevik Revolution, Vol.III, London: Penguin Books, 1971.

Chaliand, Gerard (ed.) A People Without a Country, Translated by Michael Pallis, London: Zed Press, 1980.

Cumming, Harry H., Franco-British Rivalry in the Postwar Near East, London: Oxford University Press, 1938.

De Novo, John A., American Interests and Politics in the Middle East, 1900-1939, Minneapolis: The University of Minnesota Press, 1963.

Entessari, Nader,Kurdish Ethnonationalism, London: Lynne Rienner Publishers, 1992.

Evans, Laurence, United State Policy and the Partition of Turkey, 1914-1924, Baltimore: The Johns Hopkins Press, 1965.

Fatemi, Nasrollah Saifpour, Diplomatic History of Persia, 1917-1923: Anglo-Russia Politics in Iraq, New York: Russell F. Moore, 1952.

Fischer, Louis, The Soviets in World Affairs. A History of the Relations between the Soviet Union and the Rest of the World, 1917-1929, Vol. I & II, New Jersey & Princeton: Princeton University Press, 1951.

Ghassemloou, Abdul Rahman, Kurdistan and the Kurds, Translated by Miriam Jellínková, Prague: Publishing House of the Czechoslovakia Academy of Science, 1965.

Gokay, Bulent, A Clash of Empires: Turkey Between Russian Bolshevism & British Imperialism, 1918-1923, London & New York: Tauris Academic Studies, 1997.

- Hough, R., First Sea Lord. An Authorised Biography of Admiral Lord Fisher, London: 1969.
- Hovannisian, Richard G., -The Republic of Armenia, Vol.i: The First Year, 1918-1919 &  
-The Republic of Armenia, Vol. ii: From Versailles to London, 1919-1920 &  
-The Republic of Armenia, Vol. iii: From London to Sévres, February-August 1920  
London, Bekeley, Los Angeles: University of California Press, 1996)
- Howard, H.N., The Partition of Turkey: Diplomatic History, 1913-1923, New York: 1931.
- Ireland, P.W., Iraq: A Study in Political Development, London: Jonathan Cape, 1937.
- Kazemzadeh, F., Russia, and Britain in Persia, 1864-1914: A Study in Imperialism, New Haven: 1968.
- Kedourie, Elie, England and the Middle East: The Destruction of the Ottoman Empire, 1914-1921, London: Bowes and Bowes, 1956.
- Kent, Marian -The Great Powers and the End of the Ottoman Empire, 1900-1923 (ed.), London: George Allen & Unwin, 1984.  
-Oil and Empire: British Policy and Mesopotamian Oil, 1900-1921, New York: Barnes and Noble, 1976.  
-Moguls and Mandarins: Oil, Imperialism and the Middle East in British Foreign Policy, 1900-1940, London: Frank Cass, 1993.
- Kinane, Derk, The Kurds and Kurdistan, London: Oxford, 1964.
- Kinross, Lord, Attaturk: A Biography of Mustafa Kemal, Father of Modern Turkey, New York: William Morrow, 1978.
- Klieman, Aaron S., Foundations of British Policy in the Arab World: The Cairo Conference of 1921, Baltimore & London: 1970.
- Kreyenbroek, Philip G. & Allison Christine [ed.], Kurdish Culture and Identity, London: Zed Books, 1996.
- Kruger, Karl, Kemalist Turkey and the Middle East, London: George Allen & Unwin, 1932.
- Lee, Dwight Ervin, Great Britain and the Cyprus Convention of 1878, Harvard University Press, Cambridge Mass. 1934)

- Leslie, S., Mark Sykes; His Life and Letters, London: 1923.
- Longrigg, S.H., Iraq, 1900-1950, London: Oxford University Press, 1953.
- Lukitz, Liora, Iraq, the Search for National Identity, London: Frank Cass, 1995.
- Madhar Ahmad, Kamal, Kurdistan During the First World War, Translated By Ali Maher Ibrahim, London: Saqi Books, 1994.
- Main, Ernest, Iraq from Mandate to Independence, London: George Allen & Unwin, 1935.
- Marks, Sally, The Illusion of Peace: International Relations in Europe, 1918-1933, London: MacMillan, 1976.
- Marlowe, J., Late Victorian: A Biography of Sir Arnold Wilson, London: 1967.
- Marriott, J.A.R. The Eastern Question, an Historical Study in European Diplomacy, London: Oxford University Press, 1958.
- McCarthy, Justin, Muslims and Minorities: The Population of Ottoman Anatolia and the End of the Empire, New York: New York University Press, 1983.
- McDowall, David, -A Modern History of the Kurds, London & New York: I.B. Tauris, 1996.  
-The Kurds, London: Minority Rights Group, Report No.23, 1982.
- McLean, David, Britain and Her Buffer State (The Collapse of the Persian Empire, 1890-1914), London: Royal Historical Society, 1979.
- Mejcher, Helmut, Imperial Quest for Oil: Iraq, 1910-1928, London: Ithaca Press, 1976.
- Monroe, Elizabeth, Britain's Moment in the Middle East, 1914-1956, Baltimore Md.: John Hopkins Press, 1963.
- Monteith, William, Kars and Erzeroum, with the Campaign of Prince Paskiewitch in 1828 and 1829, [1856]
- Nevakivi, Jukka, Britain, France and the Arab Middle East, 1914-1920, London: The Althone Press, 1969.

- Nicholson, Harold G., Curzon: The Last Phase, 1919-1925, New York: Harcourt, Brace & Co., 1939.
- Omissi, David C., Air Power and Colonial Control: the Royal Air Force, 1919-1939, Machester: 1990.
- Olson, Robert, The Emergence of Kurdish Nationalism and the Sheikh Said Rebellion, 1880-1925, University of Texas Press, Austin 1989)
- Parkinson, C., The Colonial Office From Within, 1909-1945, London: 1950.
- Ramazani, Rouhollah K., The Foreign Policy of Iran: A Developing Nation in World Affairs, 1500-1941, Charlottesville: University of Virginia Press, 1966.
- Ramsaur, Ernest Edmondson., Jr., The Young Turks:Prelude to the Revolution of 1908, Princeton: Princeton University Press, 1959
- Robbins, Keith, Politicians, Diplomacy and War in Modern British History, London: the Hambledon Press, 1994.
- Sachar, Howard M., The Emergence of the Middle East, 1914-1924, New York: Alfred A Knopf, 1969.
- Safrastian, Arshak, Kurds and Kurdistan, London: Arwell Press, 1948.
- Seaman, L.C.B., Post-Victorian Britain, 1902-1951, London: University Paperbacks, 1967.
- Shikara, Ahmad Abdul Razaq, Iraqi Politics, 1921-41: The Interaction Between Domestic Politics and Foreign Policy, Laam Ltd, 1986.
- Sluglett, Peter, Britain in Iraq, 1914-1932, London: Ithaca Press, 1976.
- Sonyel, Salahi R., Turkish Diplomacy, 1918-1923: Mustafa Kemal and the Turkish Nationalist Movement, London & Beverly Hills : Sage Publication Ltd, 1975.
- Spector, Ivar,The Soviet Union and the Muslim World, 1917-1958, Seattle: University of Washington Press, 1959.
- Sykes, C., Wassmuss, the German Lawrence , London, New York & Toronto: Longmans, Green, 1936.
- Temperley, H.W.V., A History of the Peace Conference of Paris Vol.I-VI, London: 1920-1924.

Toynbee, A. J., -Survey of International Affairs, 1925, Vol.1: The Islamic World since the Peace Settlement, London: Oxford University Press, 1927.

-The World after the Peace Conference, London: Oxford University Press, 1926.

Vere-Hodge, Turkish Foreign Policy, 1918-1948, Ambilly--Annemasse, 1950.

Webster, C., The Foreign Policy of Palmerston, Vol.II, London: G. Bell & Sons Ltd., 1951.

Wilson, Keith M., Empire and Continent: Studies in British Foreign Policy from the 1880's to the First World War, London & New York: Mansell Publishing, 1982.

#### (الکُرْدِيَّة)

- جلیلی، جلیل، کورده‌کانی ئیمپراتوریتی عوسمانی، وەرگیرانی لە پروسییه‌وە کاوس ققطان، بغداد: ۱۹۸۷.
- خالفین، آی. آن، خبایت لە پیشی کوردستان، وەرگیرانی لە پروسییه‌وە جهال تەقی، ۱۹۸۲.
- کوچیرا، کریس، میژووی کورد لە سەدەی نۆزدەو بیستدا، وەرگیرانی مەھمەدی پەیانی، تاران، (بدون تاریخ).
- احمد، کمال مظہر،
  - (۱) چەند لاپەرەیەک لە میژووی گەل کورد، بەرگی یەکەم، بغداد، ۱۹۸۵
  - (۲) کوردستان لە سالەکانی جەنگی جیهانی یەکەمدا، بغداد، ۱۹۷۵.
- امین، صالح محمد، کورد و عەجم، ۱۹۹۲.
- هاوار، محمد رسول،
  - (۱) شیخ مەحمودی قارەمان و دەولەتكەی خوارووی کوردستان، ج ۱ و ۲، لندن: جاف برس، ۱۹۹۰.
  - (۲) سمکو (ئیسماعیل ئاغای شکاک) و بزووتنەوەی نەتهوايەتی کورد، السوید، ۱۹۹۶.
- شمزینی، عزیز، جولانەوەی رزگاری نیشتمانی کوردستان، وەرگیرانی فەرید ئەسەسەرد، ۱۹۸۷.
- زکی، محمد امین، خولاصلەیەکی تاریخی کورد و کوردستان، لندن، ۱۹۸۲.

(العربية)

- الحاج، عزيز، القضية الكردية في العشرينيات، بيروت، ١٩٨٤.
- حمدي، وليد، كرد وكردستان في الوثائق البريطانية (دراسة تاريخية ووثائقية)، لندن: ١٩٩٢.
- بطاطو، حنا، الطبقات الاجتماعية القديمة والحركات الثورية في العراق، ج ١، بيروت: ١٩٩٢.
- الحسني، عبد الرزاق،- تاريخ الوزارات العراقية ج ١ وج ٢، بغداد، دار الشؤون الثقافية، طبعة ١٩٨٨، ٧.
- تاريخ العراق السياسي، بغداد، ١٩٨٣.
- العراق في ظل المعاهدات، بيروت، ١٩٥٨.
- حسرتيان، م. أ.، كردستان ما بين الحربين، بيروت، دار الكتاب، ١٩٨٧.
- حسين، فاضل، مشكلة الموصل (دراسة في الدبلوماسية العراقية والإنكليزية والتركية)، بغداد، (بدون تاريخ).
- جليل، جليلي، نهضة الأكراد الثقافية والقومية (نهاية القرن التاسع عشر بداية القرن العشرين، ترجمة بابي نازي وأخرون، بيروت، ١٩٨٦).
- خصباك، شاكر، الكرد والمسألة الكردية، بغداد، ١٩٥٩.
- أحمد، كمال مظهر، دراسة في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، بغداد، ١٩٨٥.
- نديمة، كاظم، ملك فيصل، الاستقلال والإنكليز، دار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٨٨.
- شريف، عزيز، المسألة الكردية في العراق، بغداد، ١٩٤٦.
- شيريكو، بلج (جلدت بدرخان)، القضية الكردية (ماضي الكرد وحاضرهم)، القاهرة: السعادة، (بدون تاريخ).
- طالباني، جلال، كردستان والحركة التحررية الكردية، ط ٢، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧١.

(الفارسية)

- اسكندر نيا، ابراهيم، ایلات و عشاير اذربيجانی غربی (تاریخ ایلات و عشیرت)، طهران، (بدون تاريخ).
- کاویان پور، س. أ، تاریخ رضائیه، طهران، (بدون تاريخ).
- خسروی، أ، تاریخ هژده سالی اذربیجان، طهران، ١٩٦٨.
- خاجه نوري، ابراهيم، بازیگران عصری طلائی، طهران، ١٩٧٨.
- مکی، حسین، تاریخ بیست ساله ایران، طهران، ١٩٧٩.
- نیکیتین، ب، کرد و کردستان، ترجمه م. قاضی، طهران، ١٩٨٨.

- شریفی، احمد، اسماعیل آغا شیکاک، طهران، ۱۹۶۹.
- شیفتا، نصرالله، ۳ مرد عجیب: لورنس و سیمکو و سیر فرهاد، طهران، ۱۹۸۵.

**ب. دوریات، مقالات، کتابیں: (الانگلیزیة)**

- Amery, L.S., 'On Iraq, the Near East and India', Outlook, December 1926.
- Andrew, Christopher M., 'France, Britain and the Peace Settlement: A Reconsideration', -in- The Great Powers in the Middle east, 1919-1939, (ed.) Uriel Dann, London & New York: Holmes & Meir, 1988.
- Anon,-Three Difficult Months in Iraq' (1923)  
 - 'Iraq since the beginning of the Year' (1924)  
 - 'Reflections on the Mosul Problem' (1926) Journal of the Central Asian Society.
- Beaman, A.H., 'Lausanne and its Lessons', The Nineteenth Century and After, No.DLIII, March 1923.
- Beck, Peter J., 'A Tedious and Perilous Controversy: Britain and the Settlement of the Mosul Dispute, 1918-1926', Middle East Studies, 17, April 1981.
- Bourdillon, B.H., 'The Political Situation in Iraq', Journal of British Institution of International Affairs, November 1924.
- Bryson, Thomas A., 'An American Mandate for Armenia: A Link in British Near Eastern Policy', Armenian Review, 21, Summer 1968.
- Buell, R.L., 'Oil Interests in the Fight for Mosul', Current History, XVIII, 1923.
- Buxton, Noel, 'The Russians in Armenia', The Nineteenth Century And After, Vol.LXXIV, July-December 1913, pp.1357-1366.
- Cadman, J., 'The Oil Resources of the Empire', Journal of Royal Society of Arts, July 1920.
- Carter, J., 'The Bitter Conflict Over Turkish Oilfields', Current History, XXXIII, 1926.
- Churchill, Winston S., 'Mesopotamia and the New Government', Impire Review 38, No.270, July 1923.
- Cox, Jafna L., 'A Splendid Training Ground: The Importance of the Royal Air Force of its Role in Iraq, 1919-1932', Journal of Imperial and Commonwealth History 13, 1985.

- Cox, P.Z., 'Iraq', United Empire, 1929.
- Davidson, Roderic H., -'Iraq, the New State', Journal of the Royal Central Asian Society, 1932.
- 'Turkish Diplomacy From Mudros to Lausanne', - in- The Diplomats, 1919-1938 (ed.) Gordon A. & Felix Gilbert.
  - 'Middle East Nationalism: Lausanne Thirty Years After', Middle East Journal, No.3, Summer 1953.
- Dobbs, H., 'Relations between Great Britain and Iraq', The Empire Review, 1929.
- Dyer, G., -'The Turkish Armistice of 1918:- The Turkish Decision for a Separate Peace in Autumn, 1918
- Lost Opportunity: the Negotiations of Mudros', Middle Eastern Studies, No.8, 1972.
- Emerson, R., 'Iraq: The End of a Mandate', Foreign Affairs, January 1933.
- Fisher, H.A.L., 'Mr. Lloyd George's Foreign Policy, 1918-1922', Foreign Affairs, No.1, 15 March 1923.
- Garbett, C.C., 'Turkish Rule and British Administration in Mesopotamia', The Quarterly Review, 1919.
- Gauvain, August, 'Five Years of French Policy in the Near East', Foreign Affairs 3, No.2, December 15 1924.
- Gowan, C.H., 'Northern Iraq', Journal of the Royal Central Asian Society, 1938.
- Heathcote, D., 'Mosul and the Turks', Fortnightly Review, November 1925.
- Howell, E.B., - 'The Qanun al-Aradhi of Iraq'
- 'River Control in Mesopotamia'Journal of the Royal Central Asian Society, 1922.
- Kedourie, Elie, 'Britain, France and the Last Phase of the Eastern Question', in: Soviet American Rivalry in the Middle East, (ed.) J.C. Hurewitz, Proceedings of the Academy of Political Science 29, No.3, 1969.
- Kent, Marian, - 'British Policy, International Diplomacy and the Turkish Revolution', International Journal of Turkish Studies 3, Winter 1985-1986.
- 'Great Britain and the End of the Ottoman Empire, 1900-1923', -in- The Great Powers and the End of the Ottoman Empire, 1900-1923 (ed.) Kent Marian, op. cit.

- Lees, G.M., 'Two Years in Southern Kurdistan', Journal of the Royal Central Asian Society, 1928.
- Machray, R., 'Iraq and Other Arab Problems', Fortnightly Review, December 1922.
- McCarthy, Justin, 'Population in Eastern Turkey during World War I', Newsspot , 22 February 1985.
- Mejcher, Helmut, 'Iraq's External Relations, 1921-1926', Middle Eastern Studies 13, October 1977.
- Minorsky, V.E., 'The Mosul Question', Bulletins 9 & 10 of the Reference Service on International Affairs of the American Library in Paris, April 1926.
- Ormsby, Gore, W., 'Great Britain, Mesopotamia and the Arabs', Nineteenth Century and After, August 1920.
- Our Special Correspondent: 'The Mesopotamian Oilfields', Oil Engineering and Finance, February 1923.
- Rubin, Barry, 'America as Junior Partner: Anglo-American Relations in the Middle East, 1919-1939',-in- The Great Powers in the Middle east, 1919-1939, (ed.) Uriel Dann, (London & New York: Holmes & Meir, 1988.
- Sassoon, P., 'Air Power in the Middle East', Journal of the Royal Central Asian Society, 1933.
- Shiel, Lieu. Col. J., 'Notes on a Journey from Tabriz through Kurdistan via Van, Bitlis and Erbil to Sulaimaniya in July and August 1836' Journal of the Royal Geographical Society, 1838.
- Shuttleworth, D.I., 'Turkey from the Armistice to the Peace, 1919-1926', Journal of Central Asian Society, No.11, 1924.
- Stivers, William,-'International Politics and Iraqi Oil, 1918-1928', Business History Review 55, Winter 1981.  
-Supremacy and Oil: Iraq, Turkey and the Anglo-American World Order, 1918-1930, London: Cornell University Press, 1982.
- Toynbee, A. J., 'Great Britain and France in the East', Contemporary Review 121, January 1922.
- Van Rooy, Silvio, 'The Struggle for Kurdistan', Survey No.43, August 1962.

'Visits of Messrs Wright and Breath to Bader Khan Bey' in American Missionary Herald, 42, November 1846.

- White, S., -'Communism and the East: The Baku Congress, 1920', Slavic Review, No.33, September 1974)  
- 'Colonial Revolution and the Communist International, 1919-1924', Science and Society, No.40, Summer 1976.  
- 'Anti-Bolshevik Control Officers and British Foreign Policy, 1918-1920', Coexistence, no.13, October 1976.

Williams, W.H., 'The State of Iraq: A Mandate Attains Independence', Foreign Policy Report, VIII, October 1932.

Wright, Q., -'The Government of Iraq', American Political Science Review, Washington 1926.

- 'The Mosul Dispute', American Journal of International Law, July 1926.

#### (الكردية)

• علي، كمال، كورتيهيك له خهباتي عهيدولپهراق بەدرخان، چوار چرا (مجلة)، ع ٢، السويد، ١٩٨٦.

• حسامي، كريم، يادى قاره مانيكى نهته وهى كورد.. سماكوى شيكاك، بهريانگ (مجلة)، ع ٧٠ و ع ٧٢، السويد، ١٩٩٠.

• جليل، جليلي، بهريانوونى پشيوى له ههريمى ههكارى (فهسليلك له كتيبةكى "راپهرينى كوردهكان له سالى ١٤٨٠" ، لاپهره ٥١، ٧٢-٧٣، موسكو، ١٩٦٦)، ترجمه من الروسية دكتور كاوس قهفتان، كۆپى زانيارى عيراق - دهسته كورد (مجلة)، بهرگى چواردههـ، ١٩٨٦، ص ١٢٢-١٥٩.

• لازيف، ميخائيل، دۆخى جيهانيي كوردستان له سەرەتاي سەددەي بىستەمهوه، بەشى دووهم، وەرگىرانى له پووسىيەوه د. كاوس قهفتان، كاروان (مجلة)، ع ٥٥، ئاينارى ١٩٨٧، ل ٢١-٨.

• مەحويان ش.، بزوتنەوهى كوردەكانى كوردستانى (خواروو) وسياسەتى ئىمپيرياлизمى ئىنگلەن، ترجمه من الروسية سیوان على رەزا، پەيىش (مجلة)، ع ٧، س ٢، آيار ١٩٨٨، لندن، ص ٧٤-٧٧٢.

#### (العربية)

• الاكراد ... حقوق الانسان والهوية الثقافية، كونفرانس دولي عقد في باريس ١٤-١٥ تشرين الاول ١٩٨٩، نظمها المعهد الكردي بالتعاون مع المركز الفرنسي، جورنال ستوديا كورديكا، المركز الكردي في باريس، ع ٤، ١٩٩٣.